سقوط الشاه

(العلل والأسباب)

- ١ -

دكتور
احمد عبدالقادر الشاذلى
كلية الآداب – جامعة المنوفية

هذا الكتاب...

القضية التي نحن بصددها هي قضية السقوط، سقوط امبراطورية آل بهلوي التي استنفذت أسباب استمرارها وبقائها، وتوافرت علل زوالها واندثارها، إنها قضية سقوط الجالس على عرش الطاووس، الشاهنشاه محمد رضا، آخر أسرة آل بهلوي.

إن سقوط الشاه قضية طرفاها الشاه ونظامه وخميني ومؤيدوه، إنها قضية صراع بين أيديولوجيتين ونظامين ورجلين.

ولقد سجل كل فريق أفكاره وآراءه، وسجل الشاه، وزوجتاه؛ ثريا وفرح ديبا ورجال بلاطه؛ على أمينى ونصر الله انتظام وأسد الله علم وپرويز راجى وأبو الحسن ابتهاج وأحمد علي مسعود أنصارى ومينو صميمي وغيرهم مذكراتهم وخواطرهم، كما كتب رجال الثورة ومؤيدوها ومعارضوها كتباً كثيرة في شأنها.

ويتميز كتاب فريدون هويدا باستعراضه لأحوال ايران سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ويستعرض أحوال الشاه وعلاقته بواشنطن ولندن وموسكو، وكذلك علاقته بدول الخليج العربية والمملكة العربية السعودية والعراق.

إن عجلة التاريخ تدور بسرعة ولا تقف إلا عند الأحداث البارزة، وتاريخ إيران الحديث والمعاصر مليء بالصفحات المثيرة التي تترك بصماتها على تاريخ الشرق الأوسط والعالم، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه البصمات على الساحة الإقليمية والعالمية.

وهذا الكتاب مجرد صفحة من تاريخ تلك البلاد، ولعلنا بقراءته نتوقف على أحداث الأمس القريب لندرك أهمية الدوافع والعلل والتي تكمن وراء دفع تلك البلاد نحو المستقبل.

فريدون هويدا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين ...   أما بعد

القضية التى نحن بصددها هى قضية السقوط، سقوط امبراطورية آل بهلوى التى استنفذت أسباب استمرارها وبقائها، وتوافرت علل زوالها واندثارها، إنها قضية سقوط الجالس على عرش الطاووس، الشاهنشاه محمد رضا، آخر أسرة آل بهلوي.

إن سقوط الشاه قضية طرفاها الشاه ونظامه وخمينى ومؤيدوه، إنها قضية صراع بين ايديولوجيتين ونظامين ورجلين.

ولقد سجل كل فريق أفكاره وآراءه، وسجل الشاه، وزوجتاه؛ ثريا وفرح ديبا ورجال بلاطه؛ على أمينى ونصر الله انتظام وأسد الله علم وپرويز راجى وأبو الحسن ابتهاج وأحمد على مسعود أنصارى ومينو صميمى وغيرهم مذكراتهم وخواطرهم، كما كتب رجال الثورة ومؤيدوها ومعارضوها كتبا كثيرة فى شأنها.

سجل الشاه نظرياته وأفكاره فى عدة كتب منها: انقلاب سفيد (الثورة البيضاء) ماموريت براى وطنم (المسئولية تجاه وطنى) بسوى تمدن بزرگ (نحو الحضارة العظمى) پاسخ به تاريخ (شهادة للتاريخ) والأخير منها كتبه بمساعدة كريستيان مى يار الكاتب الفرنسي، وقد كتبه بالفرنسية وترجم إلى الإنجليزية على يد السيدة تريزا واف (Teresa Waugh) تحت عنوان قصة الشاه "The Shah's Story" وترجمه إلى الفارسية د. حسين أبوترابيان سنة ١٩٩٣.

وسجلت الملكة ثريا اسفندياری - الزوجة الثانية لمحمد رضا شاه - مذكراتها تحت عنوان خاطرات ثريا اسفندياری نشرتها صحيفة نيمروز التى تصدر بالفارسية من لندن - خلال عام ١٩٩٢ وأصدرت الشاهبانو فرح ديبا - الزوجة الثالثة لمحمد

رضا شاه - كتابا كتبه منصور پيرنيا باسم « سفرنامه شهبانو فرح بهلوی » (رحلة الشهبانو فرح بهلوی، وقد نُشر في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٩٢).

أما رجال البلاط الذين أدلوا بدلوهم وسجلوا خواطرهم فمنهم د.على أمينى رئيس الوزراء الذى نشر خواطره فى صحيفة كيهان - طبعة لندن خلال عام ١٩٩٢ تحت عنوان « خاطرات دكتر على امينى ».

وكتب محمد رضا عياشى وبهروز طيرانى مذكرات نصرالله انتظام فى كتاب أسمياه " خاطرات نصرالله انتظام - شهريور ١٣٢٠ - از ديدگاه دربار ".

ونشر أسدالله علم وزير البلاط مذكراته والتى ترجمت إلى العربية عن الإنجليزية تحت عنوان " الشاه وأنا "

ونشر پرويز راجى وأبو الحسن ابتهاج وأحمد على مسعود أنصارى مذكراتهم حول علاقتهم بالبلاط.

ورصدت مينو صميمى ابنة صادق صميمى رئيس المتحف الإيرانى - والتى تقلدت عدة مناصب هامة فى وزارة الخارجية ومؤسسة رعاية الطفولة، أحوال البلاط وخاصة الشاهبانو فرح ديبا والسافاك فى كتابها "پشت پرده تخت طاووس" (وراء ستار عرش الطاووس) وقد ترجمه إلى الفارسية عن الإنجليزية الدكتور حسين أبو ترابيان.

كما أدلى "لوبراني" سفير إسرائيل فى إيران بدلوه فى أحداث سقوط الشاه وقيام الثورة الإسلامية عندما كتب مذكراته تحت عنوان "خاطرات آورى لوبرانى سفير إسرائيل در إيران از انقلاب إيران، شاه فقيد وآيت الله خميني".

وكتب حسين فردوست رئيس المكتب الخاص للمعلومات كتابا مدعماً بالوثائق عن فترة عمله بالسافاك والبلاط تحت عنوان "ظهور وسقوط سلطنت بهلوي" وقد أصدرته مؤسسة الدراسات والأبحاث السياسية سنة ١٩٩٣ فى طهران.

كما كتب الأوربيون والأمريكان عدة كتب حول الشاه، وصدرت تحليلات وتفسيرات كثيرة عن أوضاع وأحوال إيران فى عهد محمد رضا شاه وأبيه رضا شاه.

ولما كان أغلب رؤساء الوزارات فى إيران قد سجلوا مذكراتهم باستثناء أمير عباس هويدا - أطول رئيس وزارة، أمدا في عهد محمد رضا شاه - فإن الله قد قيض رجلا فى أهل بيته وهو فريدون هويدا، أخوه الوحيد، ليسجل لنا مذكراته عن فترة حكم أخيه، وهذا الكتاب بعنوان " سقوط الشاه" ويعد وثيقة هامة لرجل عمل فى وزارة الخارجية طوال عمره، وعمل أخوه رئيسا للوزارة ووزيرا للبلاط ثلاث عشرة سنة.

ومازالت الكتب والمؤلفات التى كتبت عن الشاه وفتره حكمه تحظى بالاهتمام حتى داخل إيران نفسها، ويهتم بها مؤيدو الثورة نفسها وكذلك المعارضون، لهذا يقوم مركز الدراسات والبحوث بترجمتها والتعليق عليها.

وكتاب فريدون هويدا هو واحد من هذه الكتب التى ترجمت من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الفارسية على يد ح - أ . مهران والذى علق تعليقات وافية على الكتاب فأصبح هذا الكتاب كتابين، يحمل المتن وجهة نظر أحد رجال البلاط، والحاشية وجهة نظر أحد مؤيدى الثورة.

ويتميز كتاب فريدون هويدا باستعراضه لأحوال ايران سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ويستعرض أحوال الشاه وعلاقته بواشنطن ولندن وموسكو ، وكذلك علاقته بدول الخليج العربية والمملكة العربية السعودية والعراق.

ويؤخذ على هويدا تحامله على الشاه بسبب قتل أخيه أمير عباس بالاضافة إلى محاولته إلقاء اللوم على الشاه ورجال بلاطه وتصويره لأمير عباس على أنه ضحية للشاه.

ويؤخذ عليه التناقض الذى وقع فيه محاولاً تبرئة أخيه من المسئولية عن الفساد

المالى والأخلاقى فى البلاد على الرغم من تصويره لمدى هذا الفساد بين أفراد الأسرة البهلوية ورجال البلاط.

وهذا الكتاب الذي عنونته بعنوان سقوط الشاه ينقسم إلي قسمين:

القسم الأول - سقوط الشاه (العلل والأسباب)

وهو دراسة منفصلة قدمت فيها ثلاثة أسباب رئيسية، ودراستى جاءت على النحو التالي:

القسم الأول : سقوط الشاه - العلل والأسباب تناولت فيه ما لم يتناوله فريدون هويدا بالتفصيل، وعلى الرغم من كثرة الأسباب التى أدت إلى سقوط الشاه إلا أننى قد ركزت على ثلاث علل وهي:

العلة الاولى : أسرة الشاه وقد تناولت أفرادها الأب رضا شاه والأم تاج الملوك، والإخوة؛ غلامرضا وعليرضا وعبدالرضا وأحمد رضا ومحمود رضا وحميد رضا، والأخوات؛ همدم السلطنة وأشرف وشمس وفاطمة. وكذلك تحدثت عن الشاه وزوجاته الثلاث؛ فوزيه وثريا وفرح ديبا ..

وكان الهدف من هذا التناول إظهار دور هذه الاسرة فى إسقاط النظام الشاهنشاهي، لفسادها وسوء سلوكها.

العلة الثانية : السافاك - جهاز أمن واستخبارات الدولة، وقد استعرضت الجوانب التى لم تعرض بوضوح فى الكتب التى كُتبت عن عهد محمد رضا شاه، فقد تناولت الهيكل الإدارى للسافاك وأجهزته ورؤساء السافاك وكيفية توصيل المعلومات إلى الشاه، ودور السافاك فى إسقاط النظام الشاهنشاهي.

العلة الثالثة : أمير عباس هويدا ، والذى شغل منصب رئيس الوزارة فى عهد محمد رضا شاه أطول فترة. وقد تناولت دوره فى إسقاط نظام الشاه خلافاً لما استعرضه فريدون هويدا فى كتابه "سقوط الشاه".

أما القسم الثانى من الكتاب فقد ترجمت فيه كتاب فريدون هويدا من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية مع التعليق، وقد أثبت تعليقاتى فى حاشية الكتاب، أما تعليقات المترجم الذى ترجم الكتاب من الإنجليزية إلى الفارسية فقد أثبتها فى آخر كل فصل.

إن عجلة التاريخ تدور بسرعة ولا تقف إلا عند الأحداث البارزة، وتاريخ إيران الحديث والمعاصر ملئ بالصفحات المثيرة التى تترك بصماتها على تاريخ الشرق الأوسط والعالم، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه البصمات على الساحة الإقليمية والعالمية.

وهذا الكتاب مجرد صفحة من تاريخ تلك البلاد، ولعلنا بقراءته نتوقف على أحداث الأمس القريب لندرك أهمية الدوافع والعلل والتى تكمن وراء دفع تلك البلاد نحو المستقبل.

د. أحمد عبدالقادر الشاذلي

كلية الآداب - جامعة المنوفية



العلة الأولى

اســرة الشاه

تربعت أسرة آل پهلوى على عرش الطاووس ما يزيد عن أربع وخمسين سنة، ولعلها واحدة من الأسر المحدودة في عدد حكامها، حيث لم يحكم منها سوى رضا شاه وابنه محمد رضا شاه، وبذلك فهي أقل الأسر الحاكمة في إيران عدداً وليس بأقصرها أمداً.

لقد تعددت الأسباب التي أدت إلي سقوط أسرة پهلوى، ولعل الأسباب المتعلقة بالأسرة نفسها هي من أهم الأسباب، حيث شاع الفساد والظلم والقهر بين أفرادها، وتعمد كثيرون منهم التمادى فى الإفساد حتى قلدهم رجال البلاط والسائرون فى فلكهم.

كان الأب دكتاتوراً؛ من أشهر الطغاة، استولى على الحكم بالقوة، وجثم على صدر الشعب ، فلم يستطع أن يحركه أحد، حتى أجبره الأجانب على مغادرة البلاد لموقفه المساند للنازى.

وجاء الابن على شاكلة الأب، لايرعى حرمة لدينه، ولا يلتزم بأخلاق الحكام، ولا يحافظ علي شئون الرعية، وترك الأمور تجرى من سيئ إلى أسوأ حتي أسقطه الشعب الإيرانى.

انغمس أفراد الأسرة البهلوية فى الفساد المالي والخلقى ، ولم يتركوا مجالا من مجالات الفساد والسرقة والنهب لأموال الشعب إلا وكان لهم فيه نصيب وافر.

كان فساد أخوة الشاه إمتداداً لفساد الأب والشاه ، وكان فساد أخوات الشاه إمتداداً لفساد الملكة الأم تاج الملوك وخلال الصفحات القادمة أستعرض حياة أفراد أسرة پهلوى موضحاً دور كل واحد منهم فى إسقاط النظام .

الأب

"قرا الأحمق كتابا فظن انه عالم

وركب الجاهل مركبا فظن انه ربان(×-١)

هكذا كان رضا خان مؤسس الأسرة ورب العائلة، التى بحثت فى غياهب التاريخ لتجد لها نسباً، فانتسبت إلى بهلوى، انتسبت إلى سلسلة لا أصل لها ولا نسب، وإنما اختار لهم "فروغى" هذا اللقب حتى يتميز آل رضا خان عن غيرهم، فإذا بهم يسقطون فى بئر لا قرار له، وفى نسب لا امتداد له.

ولد الأب رضا خان فى مارس ١٨٧٨م (فروردين ١٢٥٧ش) فى آلاشت من توابع مازندران.

مات جده مراد على خان سنة ١٨٥٦م فى حرب هرات، بينما كان أبوه رضا خان شاباً، وكان يدعى عباس على خان.

تزوج عباس على خان من خمس نساء، أنجب أربع منهن اثنين وثلاثين ولداً، وصل منهم إلى سن الرشد سبعة أولاد وأربع بنات، رحل ثلاثة من الأبناء عن موطنهم إلى بابلسر قرب بحر الخزر، وبقى الآخرون فى آلاشت(×-٢).

كان رضا خان الابن الوحيد من المرأة الخامسة وهى نوش آفرين.

مات عباس على خان فى آبانماه سنة ١٢٥٧هـ.ش (نوفمبر١٨٧٨م) بينما كان رضا لم يتجاوز عامه الأول، فحملته أمه نوش آفرين لعدم مقدرتها على رعايته وتربيته، وتوجهت إلى طهران لتلحق بأخيها الذى يعيش فى العاصمة.

(×) أحمق كتاب خواند وگمان برد عالم است ٠ ٠ نادان به كشتى آمد وپنداشت ناخداست!

(××) زندگى پرماجراى رضا شاه – اسكندر دلدم تهران ١٣٧١ مجلد أول ص ١٦.

ومما يذكر فى تاريخ آل بهلوي أن الطفل قد أصابته الحمى أثناء السفر، فأسلمته الأم - وهو ميت - إلى خادم إمامزاده هاشم، ليدفنه بعد توقف الثلج والمطر والرياح، ولكنها بعد أن سارت عدة فراسخ، وبسبب عاطفة الأمومة، عادت إليه، لترى طفلها الميت الذى أودعته لخادم إمامزاده داخل الاصطبل وقد استعاد وعيه ودبت فيه الحياة، فقامت بإرضاعه. (x-١)

ظلت نوش آفرين عدة سنوات في طهران عند أخيها ثم تزوجت، وصار لرضا خان أخ من زوج أمه، وهذا الأخ هو حد يكجان آتاباى، الذي عمل طبيبا فى جيش القزاق، وتولي الإدارة الطبية للجيش سنة ١٩٣٠ وأبدل اسمه بـ "هادى"، وعمل وزيرا للصحة سنة ١٩٤١.

عمل رضا خان فى فرقة القزاق، ولم تشر المؤلفات التى تناولت سيرته إلي أول عمل عمله وإن كانت بعضها تذكر أنه كان يعمل علافاً وبعضها يذكر أنه عمل ضابطاً وأخرى تذكر أنه تدرج في سلك الجندية إلي أن وصل الى قيادة فرقة القزاق. (x-٢)

تزوج رضا شاه من أربع نساء وأنجب أحد عشر ولداً، سبعة أولاد وأربع بنات.

زوجته الاولي امرأة همدانية تدعى صفية، تزوجها خلال فترة خدمته في همدان وطلقها بعد عام، وأنجبت ابنتها همدم السلطنة التي تزوجت من حديكجان أتاباى ابن زوج أم رضا شاه. (x-٣)

الملكة الام: تاج الملوك

وتزوج رضا شاه من تاج الملوك، وكانت أسرتها من المهاجرين الذين هاجروا من

(x-١) زندگى پرماجراى رضا شاه - ج ١ ص ١٧

(x-٢) Firu kazemzadeh, The Origin and Early Development of the per-sian Cassack Brigade, A merican slavic and East Eurpeaun Re-view 15 (1956) 351 - 363.

(x-٣) المعروف باسم هادي، وزير الصحة فى سنة ١٩٤١.

آذربايجان بعد الغزو الشيوعى إلى إيران، وأبوها هو تيمور خان وكان "ميرپنج" وهى رتبة عسكرية تعادل رتبة العميد الآن، وقد تزوج رضا خان منها سنة ١٢٩٤ هـ .ش. وأنجب منها أربعة أبناء هم : شمس ومحمد رضا وأشرف وعليرضا ، وكان محمد رضا توأماً لأشرف.

كانت تاج الملوك من أسرة عريقة، كان لها ثلاث أخوات وأخ واحد، وقد تزوجت أختها الصغرى من قائد عسكرى يدعى مين باشيان (×-١).

وقد تزوجت تاج الملوك بمجرد أن توفى رضا شاه فى منفاه من غلا محسين صاحب ديوان وكان في سن ابنها.

ولما كان كتابى هذا يبحث عن علة سقوط الشاه فإنه حرى بنا أن نتتبع سلوكيات أسرة الشاه وخاصة أقرب المقربين إليه، فأمه تاج الملوك كانت معشوقة لشاب في سن أولادها ، ظلت على علاقة به حتي تزوجته بعد أربع سنوات، وبعدها ترقى زوج الأم - وقد كان من أسرة "قوام الملك شيرازي - وهى من الأسر المعروفة فى محافظة فارس - إلى درجات عالية، علي الرغم من أنه لم يكن مؤهلاً تأهيلاً عالياً فقد اختير نائباً فى مجلس الشورى (×-٢).

لم تكتف الملكة الأم بغلامحسين زوجاً لها بل اختارت عدة أزواج بشكل رسمى

(×-١) أبدل اسمه بهرداد پهلپد، وتزوج من شمس بهلوى وقد عمل قائدا للقوات البرية، وهو في الأصل من أهالي كرجستان وكان مدرسا لمحمد رضا شاه فى الكلية الحربية وكان مدرساً لمادة التكتيك والاستراتيجية العسكرية.
(خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست - ظهور وسقوط سلطنت بهلوى - مؤسسة مطالعات وپژوهشهاى سياسي تهران ١٣٧٠ مجلد أول ص ٦٥٠.

(×-٢) زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ١٨ - ١٩

أو غير رسمى، وكان آخرهم في سن الخامسة والثمانين ويدعى رحيم علي خرم وهو عامل فى تعبيد الطرق.

كان رحيم على خرم قروي، جاهل، ضخم الجثة غليظ الرقبة، وبعد أن اختارته أم الشاه تحول في ليلة واحدة من عامل بسيط إلي صاحب مقاطعة، وصار صاحب منشآت عرفت باسم "پارك خرم" فى نوحى الكرج والجزيرة، وقد صودرت أملاكه بعد الثورة وأعدم.

كان زوج أم الشاه قد جمع جماعة من المجرمين الذين أطلق لهم العنان بشكل علنى للاعتداء وقتل النساء والبنات، وعندما واجه مقاومة من زوجة رجل، دفاعاً عن شرفها، ألقى زوجها في قفص أسد كان يحتفظ به في حديقته[×-١].

ولم يكن فساد أخلاق الملكة الأم تاج الملوك خفياً، لذا ملأت أخبارها الصحف والمذكرات التي كتبها رجال البلاط، وقد اتهمها حميد رضا بهلوي- ابن زوجها- في حديث صحفي بالفساد الخلقي حتى أنها كانت في عهد رضا شاه معشوقة لخادم منزلها، ويدعى سليمان بهبودي، وقد ضربه رضا شاه لدرجة أنه نُقل للعلاج فى المستشفى[×-٢].

كانت تاج الملوك حادة الطباع سيئة الخلق بلا حياء، ارتبطت فترة بزوج شمس (ابنتها) والمسمى مهرداد پهلبد برباط غير شرعى بالقوة والتهديد.

إن ثلاث نساء من نساء آل بهلوي قد لوثن سمعة أسرة الشاه وهن : الملكة الأم وأشرف بهلوي وفرح بهلوى.

وقد كتبت ثريا اسفندياری في مذكراتها عن تاج الملوك : إنها امرأة مغرورة،

(×-١) گذشته ج١ ص ٢٠.

(×-٢) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج١ ص ٨٣ - ٨٤.

كانت تعتقد دائما أن زوجها رضا خان هو مؤسس آل بهلوى، ولهذا كانت تعتقد أنه من المهين لها أن تأتى لزيارتنا، وعلي الرغم من أننى ملكة إيران رسمياً، فقد كنت مجبورة لأن أذهب لزيارتها في قصرها الخاص (×-١).

وتقول في موضع آخر : إن تاج الملوك كانت تعمل فكرها ومكرها للوصول إلي غايتها " وفى نظرى أنني كنت مستاءة من حكومة النساء التي كانت تاج الملوك بهلوى هى حاكمها الفعلي (×-٢).

كان بلاط طهران يقع بالفعل تحت سلطة النساء، وعلي الرغم من أنهن رسمياً لم يكن لهن حقوق "ولكن كن يصلن إلي أهدافهن بآلاف الحيل، وقد توصلت إلي نتيجة أنني أعيش في مجتمع الملكة الأم التى بيدها كل المسئوليات".

كانت تاج الملوك امرأة قوية استطاعت أن تفرض نفسها على رضا شاه على الرغم من فساد أخلاقها وعلي الرغم من زواجه بأخريات غيرها، وبذلك لم تجعل نفسها مجرد واحدة من زوجات رضا شاه بل صارت الزوجة الوحيدة التى تدعي الملكة الأم (×-٣) بعد أن أنجبت ولى العهد محمد رضا، ثم صارت بيدها كل المسئوليات بعد أن صار ولدها ملكاً علي البلاد.

كان الشاه محمد رضا بهلوي معجبا بتفوق أمه فى السيطرة علي الجميع، ولذا يقول : لم أر شخصاً أقوى من أبى علي الرغم من أن نفوذ أمى في حياتنا الأسرية كان قائماً علي الجميع (×-٤).

وتصف أشرف بهلوى أمها وصفا دقيقا بقولها : "امرأة جميلة المحيا، بشعر

(×-١) حالا خودم حرف مى زنم - ثريا اسفنديارى ترجمه ء معصومه عامرى - تهران - بها رستان ١٣٥٨ ص ١٩

((×-٢) خاطرات ثريا اسفندياری-روز نامه ء نيمروز شماره/١٠٩ جمعه ٦ ارديبهشت ماه ١٣٧٠ ص٦.

(×-٣) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج١ ص ٦٥.

(×-٤) مأموريت براى وطنم - محمد رضا شاه ص ٤٥٩

ذهبي، وعيون خضراء، بديعة، لا يطاول قوامها قوام أبى وهي بجواره، وقد علت النياشين العسكرية زيه، ومع ذلك كانت تقارب أبي في سطوته، وعندما كانت نساء إيران يدثرن "بالشادر" ومحجبات وليس لهن فى الواقع أى حق من الحقوق، في الوقت الذي كانت جميع المقدرات فى يد الرجال، لم يكن لدى أمى أى خوف من الجدال مع أبى أو مقاومة قراراته(×-١)

كانت تاج الملوك علي شاكلة أهلها، وربما تكون قد ورثت الخشونة والقسوة عن أبيها باقرخان ميوپنج فقد طبقت شجاعته الآفاق، وأصبحت تاج الملوك على شاكلة زوجها، وقد اعتادا الشجار والنزاع وانتهى بزواج رضا شاه من ثالثة أكثر شبابا وحيوية من تاج الملوك فى سنة ١٩٢٠.

كان الزواج من ثانية فى إيران عيباً وتحقيراً للزوجة الأولى، ومع أن تاج الملوك كانت الزوجة الثانية لرضا شاه إلا أنها تزوجته بعد وفاة زوجته الأولى،(×-٢) ومع ذلك فإن تاج الملوك قد أبدت رد فعل غاضب ضد رضا شاه، وأعلنت أنها لن تقبل أن تكون الزوجة الثانية.

رفضت تاج الملوك العيش مع رضا شاه، وقالت أشرف بهلوى : إنها امتنعت عن رؤية أبى فترة طويلة، ومع أن رضا شاه قد رأى مثل هذه المقاومة غير المسبوقة فى مواجهة قدرته فإنه كان يتخفى لرؤية أمى.(×-٣)

قال عنها ابنها محمد رضا: كانت أمى لاشك أمرأة ممتازة، ولكن لم يجر بينها وبين أبى أى شئ طيب، لم تكن زوجة مطيعة، بل كانت مستقلة الرأى، ربما كان هذا

(×-١) Ashraf Pahlavi, Faces in Mirror, Memoirs from the Exile Englewood Cliffs, N, J : prentice Hall 1980 p. g

(×-٢) وقيل بعد طلاقها.

(×-٣) Ashraf Pahlavi, Faces in The Mirror p. 10.

سببا فى أنهما لم يستطيعا أن يعيشا سويا ، كانت أمى تعيش فى قصر آخر وحدها. [×-١]

تربى محمد رضا شاه وسط مجتمع نسائى فى مملكة أمه تاج الملوك حتى فصله أبوه عن أمه وإخوته بالإكراه ليربيه تربية عسكرية.

ولعلنا بالوقوف على حياة الملكة الأم، ومدى النفور القائم بين رضا شاه وزوجته وانعكاساتها على أسرة الشاه [×-٢] نكون قد أدركنا بداية النهاية لأسرة آل بهلوى.

لم تحظ الزوجات الأخريات بما حظيت به تاج الملوك، ويرجع هذا إلى كونها أم ولى العهد.

تزوج رضا شاه سنه ١٣٠٦هـ.ش من امرأة من آل قاجار وتدعى ملكة توران وعلى الرغم من أنها كانت امرأة شابة وجميلة وبيضاء البشرة وشقراء الشعر وطويلة القد وحسنة التربية إلا أنها طلقت بعد عام واحد، وقد أنجبت منه غلام رضا. [×-٣]

كانت العلاقة بين ملكة توران [×-٤] وتاج الملوك سيئة بسبب حسد ملكة توران لأم محمد رضا ، وكانتا تتشاجران دوماً.

(×-١) شكست شاهانه ٦٥

(×-٢) كانت المرأة الوحيدة القادرة على مواجهة رضا شاه ومحمد رضا شاه (خاطرات ثريا-روزنامه ء نيمروز شماره ١١٠ ص٦.

(×-٣) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج١ ص٧٣.

(×-٤) رفع إليها مجموعة من السيدات المتحررات رسالة طالبن فيها برفع الحجاب، وقد سافرت الملكة إلى سويسرا وهناك رفعت الحجاب وعندما عادت حادثت الشاه فى رفع الحجاب .. (خاطرات ملكة توران - روزنامه نيمروز شماره / ١١٧ سال سوم جمعه ٣١ خردادماه ١٣٧٠ ص٧.

وتزوج رضا شاه من امرأة قاجارية أخرى وهى عصمت الملوك دولتشا هى [×-١] وقد أنجبت منه أربعة أبناء وبنتًا واحدة هم : أحمد رضا وعبد الرضا وحميد رضا ومحمود رضا وفاطمة.

وكانت العلاقة بين تاج الملوك وعصمت الملوك سيئة جدا، وقد سعت مرات لإيذائها والتعدي عليها[×-٢]، وعندما نفى رضا شاه إلي جوهانسبرج رافقته عصمت الملوك إلا أنها عادت إلي طهران بعد عام واحد تاركة أبناءها وبنتها مع أبيهم حتى مات رضا شاه.

لقد سعت تاج الملوك لخلع محمد رضا عن العرش، وإجلاس ابنها الآخر علي رضا محله، ولكنها لم توفق، وقد قُتل على رضا في سنة ١٩٥٤م في حادثة طيران مشكوك فيها.

وقد ظلت تاج الملوك على قيد الحياة حتى خُلع ابنها عن العرش وكانت في سن الثامنة والسبعين من عمرها.

لقد كانت الملكة الأم بسلوكها الاجتماعي وتأثيرها على البلاط الملكى، وإدارتها للمكائد والحيل قد أثرت بشكل مباشر علي الشاه، وأسهمت في اقتلاع أسس النظام الشاهنشاهى.

(×-١) در آخرين روزهاى رضا شاه -ريچارد أ - استوارت ترجمه عبد الرضا هوشنگ مهدوى كاوه بيات - تهران ١٣٧٠ ص چاپ سوم ص ٣٤٥ - زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٢٤.
(×-٢) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ح١ ص ٧٥.

إخوة الشاه

كان لمحمد رضا شاه عشرة من الإخوة والأخوات، كان الذكور منهم ستة وهم : غلام رضا وهو الأخ الشقيق له من تاج الملوك وعلي رضا من ملكة توران وعبد الرضا وأحمد رضا ومحمود رضا وحميد رضا من عصمت الملوك.

لم يحظ إخوته بشهرة تفوق أو تعادل شهرة أخواته خاصة شمس وأشرف بهلوى.

× **غلام رضا**

ولد في طهران سنة ١٣٠٢ هـ .ش، وهو الابن الوحيد لملكة توران، الزوجة الثالثة لرضا شاه.

تلقى غلام تعليمه في طهران ثم سافر إلى سويسرا، وتلقي تعليمه في نفس كلية مدينة رول التي تلقي فيها محمد رضا تعليمه، والتحق غلام رضا بكلية الضباط في برينستون Prinston ، وقضى فترة في المدرسة الأمريكية ببيروت وكاليفورنيا(×-١).

وقضى غلام رضا عدة دورات تكميلية في كلية فورت ناكس لدراسة المدرعات، ونال درجة عالية في الجيش وكان أيضا الياور الخاص للشاه ورئيس اللجنة الأولمبية ونائب الرئيس الفخري لنادي الفروسية.

كان غلام رضا قد عهد اليه لولاية العهد(×-٢) قبل ولادة ولى العهد . وبعد وفاة الأخ الوحيد شقيق الشاه ، وقد أشيع في السنوات ما بين ١٩٥٤ حتي ١٩٥٩ أنه كان قد اختير رسمياً وليا للعهد، وسعى عدد من الساسة والعسكريين في أوائل سنة ١٩٥٩ لكي يجعلوه وليا للعهد ، لأنهم كانوا يتوقعون سقوطاً سريعاً للشاه ، ولكن هذا الأمر انتهى بولادة رضا ابن الشاه محمد رضا.

(×-١) زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٥٤.

(×-٢) كان غلام رضا مكروها من عبد الرضا وشمس انظر : خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج١ ص ٢٢٨.

× علي رضا

ولد في ١٢ فروردين سنة ١٣٠١ هـ ش وألحق رضا شاه بالمدرسة، وظل بالمدرسة الابتدائية حتي الصف الرابع، ثم أرسله إلى سويسرا لإكمال تعليمه [×-١]، وفي لوزان واصل تحصيله للعلم،ثم عاد إلي طهران بعد خمس سنوات، وواصل تعليمه في طهران والتحق بكلية الضباط وأنهى تحصيله بعد خمس سنوات، وحضر الشاه حفل التخريج، وكانت دفعته آخر دفعة تخرجت في الكلية قبل احتلال الحلفاء لإيران [×-٢].

كان علي رضا علي شاكلة أبيه من ناحية الصرامة والشدة والقسوة [×-٣].

كان علي رضا طويل القامة، وهو الأخ الوحيد الشقيق للشاه محمد رضا، وقد كان ولياً للعهد فترة- قبل إنجاب ولي العهد.

لقد تزوج علي رضا من امرأة بولندية أثناء عودته من سويسرا إلى طهران - في باريس - وتدعى "كريستيان شولومسكي" وأنجبت منها طفلا أسماه علي باتريك [×-٤]، وكان طبيعياً أن يعود إلي إيران بدون زوجته وابنه لأن الملكة الأم كانت تمنع دخول معشوقات أبنائها إلي البلاط.

(×-١) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج١ ص ٤١.

(×-٢) زندكى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٥٨.

(×-٣) خاطرات فردوست ج١ ص ١٠٥ - ١٠٦.

(×-٤) علي باتريك شاب في الأربعينيات من عمره الآن، عاش بين أفراد المجتمع وانفصل عن البلاط بسبب أفكاره الدينية والمذهبية، وقد وزع جزءاً من أملاكه علي المزارعين، عندما قامت الثورة لم يخرج من البلاد مستفيدا من حماية آية الله طالقانى وآية الله شر يعتمدارى وآية الله قمي وعندما سادت العلاقة فر من إيران سنة ١٩٨٢ ويعيش الآن في باريس بفرنسا وقد ألف كتابا باسم " دختر عمران" أى أخت عمران عن السيدة مريم العذراء (روزنامه نيمروز شماره/ ١٤٤، جمعه ٦ دى ماه ١٣٧٠ / ٢٧ ديسمبر ١٩٩١ ص ١٤ - ١٥).

كان على رضا شريراً جرت علي الألسنة قصص كثيرة حول علاقته باللصوصية والسرقة والاعتداء على النساء والبنات، وقد أسهبت الصحف كثيرا بعد الثورة في حديثها عن أفعال على رضا السيئة.

ولما كان علي الرضا يطمع في أن يشغل منصباً مرموقاً، بل يطمع في منصب الشاه نفسه، لذا فكر محمد رضا فى القضاء عليه حماية لعرشه وولى عهده، فدبر حادثة جوية أودت بحياة علي رضا أثناء عودته من جرجان إلي طهران، ودفن في الرى في مقبرة رضا شاه (×-١).

أما ابن على رضا من زوجته البولندية فقد تزوج من ابنة السكرتير العام لحزب الشعب، وعاش في مزرعة قرب قزوين، وفى سنة ١٣٥٤ هـ ش حاصر رجال السافاك المزرعة، وأغاروا عليه وعلي زوجته وأبنائه وتبادلوا معهم النار، ولم يعلن النظام سبب هجوم السافاك على ابن أخى الشاه ، وعُلم فيما بعد أنه كان لديه أفكار ثورية واتجاهات يسارية وأنه كان يهاجم سلطة عمه في السر.

وباستقراء أوضاع الأخ الشقيق للشاه يتضح أن العلاقة لم تكن عند مستوى الأخوة بل هي حالة من التوجس والريبة، مما أسهم في سرعة سقوط الشاه.

× **عبد الرضا**

ولد سنة ١٩٢٤ م (١٣٠٣ هـ ش) من زوجة رضا شاه الرابعة "**عصمت الملوك**".

تلقى عبد الرضا دراسته الابتدائية في طهران، وأرسل إلي مدرسة "له روزي"Le Roscy في مدينة رول Rolle بسويسرا، وعاد إلي طهران سنة ١٣١٥ هـ. ش وواصل تعليمه، ثم رافق والده فى ومنفاه بجوها نسبرج.

(×-١) زندگى پرماجرى رضا شاه ج١ ص ٥٩.

وقد رافق جثة والده بعد موته إلي مصر حيث دفنت في مسجد الرفاعي، وبعدها سافر إلي الولايات المتحدة الأمريكية، والتحق بجامعة هارفارد في كامبردج، وأتم دراسته فى مجال الاقتصاد والعلوم السياسية سنة ١٩٤٧.

كان عبد الرضا عاقلا ومثقفاً، وكان رياضياً (×-١).

تزوج سنة ١٣٢٩ من پرى سيما بهلوى، عينه الشاه كرئيس لهيئة برنامج السنوات السبع وأراد الشاه أن يكون منصبه شرفياً ولكن عبد الرضا أخذ مهمته على محمل الجد، ولم يتوانَ عن أداء مهمته بطرح الخطط العمرانية والاقتصادية، ولكنه واجه الشاه ونفراً من السياسيين المخضرمين، فعزله الشاه وقضي عليه تماماً ١٣٣٤ هـ ش.

كان الشاه محمد رضا يحسد عبد الرضا كثيراً، لأنه كان أفضل منه علماً ومعرفة وثقافة.

وفى سنة ١٩٥٠ ذكر عبد الرضا أموراً مريرة عن الشاه، وكانت أكثر الأمور اعتدالاً مما ذكرها، أن الأسرة المالكة هى أسرة فاسدة وأنه يخجل من الانتساب إليها، وأن الشاه غير قادر علي أن يجمع حوله المخلصين، وأنه سيخرب البلاد بأفعاله.

كان عبد الرضا منفصلاً عن الأسرة الحاكمة لاعتقاده بفساد أمرها وحلول نهايتها، ولعله مثل باقى الأسرة ينظر بوجل وريبة إلى الآخرين مما أسهم في الإسراع بسقوط الشاه.

*** احمد رضا**

ولد أحمد رضا في مهرماه ١٣٠٤ هـ ش، وقضى مرحلة دراسته الابتدائية والإعدادية في طهران، ورافق والده عند نفيه إلي جنوب أفريقيا سنة ١٣٢٠.

(×-١) زندگى پرماجرى رضا شاه ج١ ص ٦٢.

واصل أحمد رضا تعليمه في جامعة كاليفورنيا، واقترن بسيمين بهرامي سنة ١٩٤٤ وأنجبا طفلا اسمياه شاهرخ وطفلة اسمياها شهلا وانتهى زواجهما بالطلاق.

تزوج أحمد رضا أيضا من روزا بزرگ نيا، وكانت من أسرة ثرية من تجار مشهد، كان لروزا أخوان هما دانش وعلي، وقد عملا فى التجارة إلا أن دانش اشتهر بالأدب فكان شاعراً وقصاصاً، كما أن عليا صار عضواً بالبرلمان، وعندما شك رضا شاه من إمكانية قيامها بالتآمر عليه، استقدمها إلى طهران، وقد ظل علي عضواً في البرلمان حتي سنة ١٩٦٠، وفى سنة ١٩٦٣ لم يستطع على بزرگ نيا أن يدخل البرلمان، وغير معروف سبب عدم إمكانية تحقيق ذلك، ولكن ابن أخيه تزوج إحدي سيدات الأسرة المالكة واستطاعت زوجة على (صدري) أن تصل إلي البرلمان عن إحدي الدوائر الانتخابية في خراسان سنة ١٩٧٠ (×-١).

استطاع آل بزرگ نيا من تحقيق مصالح خاصتلهم بعد زواج روزا من أحمد شاه وأصبح لهم مكانة في البلاط، وعمل حسين بن دانش بزرگ نيا كاتباً لأحمد رضا.

*** محمود رضا**

ولد محمود رضا في آبانماه ١٣٠٥ هـ ش (١٩٢٦م) ودرس إدارة الأعمال في جامعة كاليفورنيا وميتشجان، ورافق والده في منفاه.

تزوج محمود رضا سنة ١٣٣٣ (١٩٥٤م) من مهرى زنكنه وطلقها سنة ١٩٥٧ وتزوج سنة ١٩٦٤ من مريم إقبال أخت رئيس الوزراء السابق ورئيس مجلس إدارة شركة النفط الإنجليزية الإيرانية - د. منوجهر إقبال.

(×-١) اسناد لأنه جاسوسى أمريكا سند شماره ١٠١ - نقل از زندگي پرماجراى رضا شاه ج١ ص٦٥ - ٦٧.

× **حميد رضا**

آخر أبناء رضا شاه، ولد سنة ١٣١١ هـ ش (١٩٣٢) درس المرحلة الابتدائية فى طهران ولم يوفق في دراسته العليا.

فى سنة ١٩٦٠م (١٣٣٩ هـ - ش) طردوه من الأسرة المالكة، وسلبوا منه لقب السمو، وأشاع السافاك في طهران أن حميد رضا قد طرد من البلاط بسبب فساد خلقه، ولكن هذا الأمر ليس صوابا فكيف يطرد الشاه؛ الذي هو عنوان الفساد، أخاه بجرم مرافقته لامرأة ؟ والواقع أن حميد رضا قد طردوه من البلاط بسبب علاقته مع تيمور بختيار [×-١] والتآمر ضد الشاه.

أقام حميد رضا في منزل يقع خارج طهران على طريق پارس، ومع أن حميد رضا كان فعلا فاسداً ولاهياً إلا أنه لم يطرد من البلاط لهذا السبب.

تزوج حميد رضا من مينو دولتشاهى سنة ١٣٣٠ هـ - ش وطلقها بعد عامين وأنجب منها ابنة أسماها نيلوفر، ثم تزوج من هما خامنه اى، وبعد أن أنجبت ولدين هما بهزاد ونازك افترقا.

كان حميد رضا مدمناً للمخدرات، وكان ابنه بهزاد أيضا مدمناً للهيروين وقد أحضروه للعلاج فى مصحة في نهاية شارع پيروزى الحالى [×-٢].

كان حميد رضا وأسرته ينفرون من الشاه محمد رضا، وعندما قامت الثورة الإسلامية ظل هو وأولاده فى إيران وغير اسم عائلته من بهلوى إلى إسلامى.

(×-١) أول رئيس للسافاك.

(×-٢) زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٧٢.

اخوات الشاه

لم تشهد دولة في الشرق، يعتنق شعبها الإسلام فساداً في نسائها قدرما شهدت إيران، فقد فاقت شهرة فساد نساء آل بهلوي فساد نساء الشرق والغرب على السواء، وتفوقن على فساد أخلاق أميرات ويلز ويورك وهن ديانا وسارة زوجتا الأميرين تشارلز واندرو.

لقد أنجب رضا شاه أربع بنات هن : همدم السلطنة وأشرف وشمس وفاطمة وقد تفوقن في الفساد الخلقي على بعضهن البعض.

× همدم السلطنة

أكبر بنات رضا شاه من زوجته الأولي صفية، وقد ولدت في سنة ١٢٩١ هـ - ش، تزوجت من د. هادى (حد يكجان اتاباى - ابن زوج أم رضا شاه) وأنجبت ثلاثة أبناء هم : أمير رضا اتاباى وسيمين، وسيروس، وقد تزوجت سيمين من أمريكى.

وقد تربي ابنها الأول أمير رضا تربية عسكرية في ألمانيا، وبعد هزيمة الألمان فى الحرب العالمية الثانية، عمل بالتجارة وأصبح من أصحاب رؤوس الأموال فى أمريكا.

أما سيروس فقد تلقي تعليمه فى سويسرا وألمانيا، وهو شاعر موهوب، ألف عدة مؤلفات.

أما سيمين فقد أتمت دراستها في مجال الاقتصاد في كاليفورنيا، وعملت مسئولة عن الاستقبالات الرسمية في قصور الدولة، وتعاونت مع المخابرات المركزية الأمريكية، وأطلعت أجهزة الاستخبارات الأمريكية على أمور الدولة، واختفت فى أمريكا بعد الثورة(×-١).

طلقت همدم السلطنة مثل أخواتها من زوجها بعد موت أبيها، وطردت من إيران مع أخواتها أثناء رئاسة مصدق للوزارة وتزوجت همدم السلطنة سنة ١٩٤٨م من مهندس

(*) زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٢٠.

بهـرون ثم طلقت منه ثم تزوجت من محام شاب يدعي أمير أصلان وطلقت أيضا في نفس العام ١٩٤٨.

× **اشرف بهلوي**

الأخت التوأم لمحمد رضا شاه، وواحدة من أهم النساء اللاتى لعبن دوراً هاما في حكم البلاد، فقد كانت أهم مؤيدة ومعاونة للشاه طوال سنوات حكمه.

لقد التحقت أشرف بمدرسة زردشتية لتلقي التعليم ولا شك أن تعلمها فى هذه المدرسة قد ساعد على إفسادها.

تزوجت أشرف من علي قوام بن قوام الملك سنة ١٩٣٧ (×-١) وأنجبت ابناً أسمته شهرام بهلوي نيا، وقد تقلد عدة مناصب أهمها نائب قائد القوات البحرية وقد فر إلي باريس بعد قيام الثورة حيث تم اغتياله.

يقول حسين فردوست في مذكراته (×-٢) أن رضا شاه عندما أراد أن يزوج ابنتيه شمس وأشرف اختار لهما زوجين هما : فريدون جم وعلى قوام، وأن شمس قد قالت له أن أباها قد استدعاهما وقال : حان وقت زواجكن، وهناك شخصان ينتظران، ولما كانت شمس أكبر فإنها ستختار الأول والثاني سيكون من نصيبك، ولما كان فريدون جم أجمل منظراً وأكثر جاذبية فقد اختارته شمس واصبح على قوام الذي كان يفرق كثيرا عن جم فى قوامه وشخصيته من نصيبى"

كان علي قوام من أسرة عريقة في شيراز، وكان والده على علاقة حميمة بالإنجليز، وكان زواجه من أشرف مجرد زواج سياسى، لم ترض عنه أشرف، وقد انعكس

(×-١) خاطرات وخطرات مهدي قلى هدايت (مخبر السلطنه) تهران - زرار چاپ چهارم ١٣٦٣ ص ٣١٦.

(×-٢) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج١ ص ٤٣.

هذا الزواج على حياة أشرف وترك عواقب وخيمة، وكانت أشرف لديها استعداد للنساء، وعلي شاكلة أمها تاج الملوك. وكانت شمس علي شاكلة أختها في النواحي المالية إلا أنها لم تكن مثلها في الناحية الجنسية، وقد ترك زوجها من علي قوام عقدة نفسية (×-١).

اتسمت حياة أشرف بهلوى بالفساد الخلقي (×-٢) وإقامة علاقات جنسية غير مشروعة ومن العجيب أنها تفتخر بمثل هذه العلاقات، ومما يذكر أنها كانت تفتخر بلقائها بستالين وأنه قد أهدي إليها معطفاً من الجلد غالى الثمن، وكانت تزهو علنياً باهتمام ستالين بها وسعيه وإلحاحة علي أن تلازمه الفراش (×-٣) !!

كانت أشرف بهلوى مولعة بمرافقة رجال عديدين (×-٤) وكانت تتمادي فى الفساد الخلقي، وتصاحب المطربين والفنانين وحتي الأوباش، ومما يذكر ارتباطها غير الشرعي مع بهروز وثوقى الممثل المعروف، وقد حملته معها إلى أمريكا بعد الثورة.

لقد تنقلت أشرف في حياتها الزوجية من أحضان زوج إلي أحضان أخر، فقد تزوجت من مصري يدعي أحمد شفيق سنة ١٩٤٩ بعد تركها لزوجها الأول علي قوام، وقد منح مجلس الشورى الوطنى أحمد شفيق الجنسية الإيرانية و أنجبت من هذا الزوج

(×-١) خاطرات ثريا اسفندياری ص ٤٨.

(×-٢) بشت بردة تخت طاووس تأليف مينو صميمى ترجمة وكتر حسين أبو ترابيان جاب سوم ١٣٦٩ ص ٥٢.

(×-٣) زندگي پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٤٥.

(×-٤) عندما جاءت إلي مصر أيام زواج فوزية، كانت معشوقة لتقى إمامي وكان لها علاقة بالملك فاروق، ويقول فردوست انه في ١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ - ش رأى أشرف ومعها ثلاثة رجال أصدقاء لها، اثنان من فرنسا وواحد يوغوسلافى وإنه كان يرى هؤلاء الرجال في حجرتها كل علي حدة - خاطرات فردوست ج١ ص ٢٣٢.

المقامر ابنا أسمته "شايان" والمعروف بپونزى وابنة اسمتها آزاده شفيق، وانتهى هذا الزواج بالطلاق سنة ١٩٥٩ (x-١).

وفي رحلتها مع الأزواج تزوجت من مهدى بوشهرى پور، وكان شريكا لها في التجارة.

ولقد حظى من تزوج أشرف بالمنصب الرفيع فقد عمل أحمد شفيق مديرا لطيران إيران فى باريس، ثم صار مديراً عاما لهذه الشركة وقد استخدم - خلال فترة عمله - الطيران الإيرانى فى التهريب لحسابه من سويسرا إلى إيران وبالعكس.

أما بوشهرى (x-٢) فقد نال منصب سفير متجول ورئيس إدارة المهرجانات الفنية وقد حصل على عمولات ضخمة من شركة ايرفلوت الروسية، وأنتج عدة أفلام مشتركة مع شركة الفنانين المعروفة، وقد جنى من ورائها مئات الملايين.

كانت أشرف بهلوى تميل كثيرا إلى عقد علاقات مع شباب، منهم أسد الله علم، وقد اشتهرت هذه العلاقة سنة ١٩٤٣، ومنهم پرويز راجى الذى عمل سفيرا لإيران فى انجلترا ومعاوناً لرئيس الوزراء هويدا.

كانت أشرف تمقت مصدق كثيرا لأنه فى سنة ١٩٥١ أوعز للشاه بطردهم جميعا من إيران (x-٣).

لعبت أشرف دورا بارزا فى حياة الشاه لدرجة أنه لم يكن يتخذ قرارا إلا بمشورتها، وكانت تسعى لتحقيق مصالحها.

(x-١) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج١ ص ٢٣٠ - ٢٣١.
(x-٢) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٢٣١.
(x-٣) زندكى پرما جراى رضا شاه ج ١ ص ٤٨.

عمل الشاه فى آواخر أيامه على تحقيق مطالب أخته وإرضاء شهوتها فى التطلع إلى السلطة، وقلدها بعض المهام الرسمية فى حكومته، وقد زارت أشرف الصين فى سنة ١٩٧٠ و ١٩٧٥ وكانت عضوا فى لجنة حقوق الإنسان، ومسئولة عن وفد إيران فى الأمم المتحدة (x-١).

ومع أن دورها السياسي كان محدوداً، إلا أن علاقاتها التجارية التي كان أغلبها غير مشروع - قد زاد، وقد استغلت نفوذها لمنح أصدقائها مهام حكومية وقد قدموا إليها نظير ذلك مبالغ طائلة، وفي السنوات الأخيرة كانت لا تأخذ نقوداً منهم، ولكن قالت لهم أنها تريد أن تعتمد عليهم عند اللزوم.

لم يستطع الشاه أن يتخذ موقفاً محددا من سلوكيات أخواته وخاصة أشرف في النواحي المالية، ومما يروى أنه في سنة ١٩٥٠، أطلع على النشاط التجاري لأخته، ولكن لم يستخدم نفوذه معها، وذات مرة قال رئيس بنك إيراني كبير لمسئول السفارة الأمريكية أنه كان قد سلم الشاه تقريرا خاصا بنشاط أشرف، لكن الشاه لم يهتم به، وقال رئيس البنك : إنه لو حدث هذا مع شخص آخر لسجن عشر سنوات.

ومما يروى عنها أنها كانت تمارس نشاطا في تهريب المواد المخدرة، وأن المافيا قد دبروا لها حادثاً، ولكنها نجت منه (x-٢).

وكان ابنها شهرام علي شاكلة أمه وجدته تاج الملوك حيث كان له أسهم فى عشرين شركة في مجالات البناء والنقل والملاهي الليلية والإعلام والتوزيع، وأن هذه الشركات كانت تمارس أنشطة غير مشروعة.

ومازالت أشرف بهلوي علي قيد الحياة وتبلغ من العمر اثنين وسبعين عاماً (x-٣).

(x-١) پشت پرده ، تخت طاووس - مينو صميمى ص ٣٥
(x-٢) خاطرات ارتشيد سابق فردوست ج١ ص ٢٦٢.
(x-٣) زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٣٥.ش

بعد أن أسهمت فى إسقاط الشاه بسلوكها اللا أخلاقى وعلاقاتها المشبوهة، وممارستها لأنشطة غير مشروعة.

إن أشرف بهلوى مجرد فرد من أسرة تميز كل فرد فيها بخصلة ذميمة أسهمت جميعها علي إسقاط الشاه، والحكم الشاهنشاهي.

× **شمس بهلوي**

ولدت شمس بهلوي سنة ١٢٩٦هـ - ش وعندما وصلت إلي سن الزواج اختارت فريدون جم بن محمود جم (مدير الملك) زوجاً لها تاركة علي قوام لأختها أشرف.

وكان فريدون جم مقيما فى انجلترا حيث كان والده موالياً للإنجليز.

سرعان ما طلق فريدون جم شمس وتزوج من فيروزه صديقة محمد رضا شاه وظل يتمتع بنفوذه حيث كان الشاه لا يرد له طلبا من أجل فيروزه (×-١)

وتزوجت شمس من عزت الله مين باشيان وهو نفسه الذي أبدل اسمه بـ "مهرداد پهلبد" وتقلد منصب رئاسة الإدارة العامة للفنون الجميلة في الدولة، ثم تحولت هذه الإدارة إلي وزارة الفنون والثقافة وتقلد منصب الوزارة، وظل بها حتي سقوط النظام.

أما شمس بهلوي فقد ظلت حتي نهاية عمرها رئيسة للهلال الأحمر الإيراني "جمعيت شيروخورشيد سرخ إيران" (×-٢).

ولم تكن شمس ملوثة مثل أشرف ولا فاسدة فساد أشرف، إلا أنها كانت منحرفة دينية فقد ارتدت عن الإسلام وأقامت كنيسة خاصة في أملاكها الواقعة في مدينة الكرج، وأدت بها الطقوس الدينية على المذهب الكاثوليكي، وغير معروف سبب انحرافها.

(×-١) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست بخش اول چاب دوم تهران ١٣٧٠ ص ٦٦.

(×-٢) زندگي پرماچراى رضا شاه ج١ ص ٥٢.

وكانت شمس مثل أشرف في النواحي المالية والتجارة، حيث كان حبيب ثابت البهائي يدير لها مصالحها التجارية، وكان حبيب ثابت يعمل علي آلة لغسل الملابس في ميدان توبخانه، وصار أكبر مالك لأكثر مصانع إيران الرئيسية، مصانع صناعة النبيذ وسيارات فولكس ومصانع أنتاج الأدوات المنزلية، وكان ثابت يقوم بإدارة هذه المصانع بأموال شمس بهلوى، وقد رحل ثابت إلي أمريكا بعد الثورة وكان أحد المولين الرئيسيين لإسرائيل، وله شارع في تل أبيب يحمل اسمه.

عملت شمس مدة في بناء المساكن، وساهمت في بناء المساكن بغرب طهران ولها قصر قرب كرج.

ومع أن شمس كانت أقل إفساداً من أشرف إلا أنها كانت كغيرها من آل البيت البهلوي لها ميولها واتجاهاتها في وادي الفساد، وقد ارتبطت فى علاقاتها بشخص بهائى وانحرفت عن الإسلام.

*** فاطمه بهلوي**

آخر من أنجب رضا شاه، نالت قسطا من التعليم في إيران وأمريكا، تزوجت في سن الثامنة عشرة من خسرو قشقائى، وكان زواجها زواجاً سياسياً، لأن قبائل القشقائى كانت من أكثر القبائل تصديعاً لآل بهلوي، ولكن لم تستقر الأمور بسبب إعدام جماعة منهم وعداء الإخوة قشقائى للشاه.

تزوجت فاطمه من أمريكي يدعي وينسنت هيلر، تعرفت عليه في روما، وقد أتت به إلي ايران، ومنحه مجلس الشوري القومى الجنسية الإيرانية، وغير دينه ومذهبه واسمه وأصبح يدعي علي هيلر، وأنجبت فاطمه من هيلر ولدين هما؛ كيوان وداريوش ثم طلقت منه، وقد كذب هيلر بعد خروجه من إيران تغيير دينه ومذهبه، وأكد أنه امتنع عن التسليم لمطالب بلاط إيران وعلي الرغم من إقامته تسع سنوات في إيران، عاد سالما إلي أمريكا.

وبعد هيلر ارتبطت فاطمه باردشير زاهدى مما أوجب غضب الشاه، وقد تزوجت مرة أخري سنة ١٣٣٨ هـ ش من النقيب محمد خاتمي (×-١) الطيار الخاص للشاه.

أصبح محمد خاتمي قائداً للقوات الجوية الإيرانية، ولكنه قتل فى حادثة مريبة فى بحيرة سد دز، وذكروا أن سبب وفاته السقوط أثناء الطيران (×-٢).

وهذه هي أسرة الشاه لا نجد فيها إلا عناصر مريبة تبحث عن المال والشهرة والجنس، وتعيث فى البلاد فساداً.

* **محمد رضا بهلوي**

إذا كانت أسرة الشاه قد أسهمت في إسقاط نظام الحكم، وساعدت على وجود حركة معارضة بسبب الفساد المالي والخلقي الذي تمتع به الكثير من أفراد هذه الأسرة، فإن الشاه نفسه كان واحدا من هذه الأسرة، ولم يكن يقل عنها فساداً، وقد أدي هذا إلى فساد الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كان محمد رضا أكبر الأبناء من الذكور، والثاني فى الترتيب، وتوأم الأميرة أشرف أكثر أبناء البيت الملكي فساداً -- ولد محمد رضا في ٢٦ أكتوبر سنة ١٩١٩ فى حسن آباء بطهران.

تلقي دراسته في طهران ثم سافر إلي سويسرا، ودرس فى مدينة رول قرب جنيف في "كولج دوروزي".

التحق محمد رضا بالكلية الحربية بعد عودته من سويسرا وتخرج سنة ١٣١٧ هـ ش برتبة ملازم ثان، وعين مفتشا عاماً لجيش ايران (×-٣).

(×-١) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج١ ص ٢٤٣.
(×-٢) زندكى پرماجراى رضا حسين شاه ج ١ ص ٧٤.
(×-٣) زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٣٢ - ٣٣.

تزوج محمد رضا من الأميرة فوزية ابنة الملك فؤاد وأخت الملك فاروق ملك مصر، وأنجبت الأميرة فوزية ابنتها شهناز.

ضاقت الأميرة فوزية ذرعاً من مضايقات تاج الملوك وأخوات محمد رضا وكذلك من سلوكيات الشاه وخيانته لها، فتركت إيران إلي القاهرة ولم تعد وطلبت الطلاق.

وتزوج الشاه محمد رضا من ثريا اسفندياری ابنة خليل اسفندياری ولكنها لم تنجب.

كان محمد رضا قد وصل إلى كرسى الحكم بعد نفى أبيه إلى جنوب أفريقيا لاتهام الحلفاء له بمالأة هتلر.

كتب ارنست - آر - بى - عضو مكتب التحقيقات السياسية فى وكالة المخابرات المركزية عن محمد رضا شاه قائلا :

كان محمد رضا فاسد الأخلاق ومنحرفاً، ارتبط أثناء دراسته فى سويسرا بشاب من جنسه، وأحضره معه إلي إيران وظل معه حتي سقوطه في بهمن سنة ١٣٥٧ هـ ش.

كان يعاشر نساء وفتيات كثيرات معاشرة غير شرعية، منها علاقته بفتاة أرمينية - ملكة سينما إيران، وبامرأة ما عاهرة اسمها پری غفاری، كما أنه كان يعيش في سنوات عمره الأخيرة مع فتاة تدعي طلا.

لم يكن محمد رضا يرتبط بأى مبادئ أخلاقية، وكان مطلعاً على مغازلة أخواته لعشاقهن، بل أنه كان يعلم بعلاقة زوجته فرح بهلوي مع برويز ثابتى نائب السافاك.

كانت آخر زوجاته هي فرح ديبا التي تزوجها سنة ١٩٥٩ وأنجب منها ولى العهد وثلاثة من الأبناء.

لقد كان لفرح ديبا الزوجة الأخيرة- دور بارز (x-1) فى حياة الشاه، وقد نالت لقب الشاهبانو أو الامبراطورة أما فوزية وثريا فقد كانتا تلقبان "بملكة" وبوضح هذا إبراز العظمة والغرور في المملكة فيما بين سنة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ (x-2).

لقد كانت الشاهبانو فرح ديبا شريكة للشاه في ملكه، ولو لم تقم بدورها الفعال فلربما سقط الشاه من قبل ذلك، ولقد كان لها دور بارز في الثقافة والفنون والتربية والتعليم والأسرة والمرأة والطفل (x-3).

ولقد وقفت فرح ديبا إلي جوار الشاه طوال فترة حكمه ورافقته في منفاه حتى مات ودفنته في مسجد الرفاعي بالقاهرة حيث دُفن أبوه من قبل.

الملكة فوزية

كان الملك فؤاد؛ والد فوزية؛ خادماً معروفاً للإنجليز، وكان حاكماً علي مصر خلال استعمار الإنجليز لها، وقد قوي نفوذ الإنجليز خلال فترة حكمه، وكان للإنجليز دور هام في تقريب البيتين المالكين في إيران ومصر.

كان محمد رضا يقول: إنه لا يعرف أبداً لماذا يصمم أبوه علي أن يزوجه من أخت الملك فاروق؟ (x-4) وهذا يعني أن الزواج كان زواجاً سياسياً، حيث أراد رضا شاه أن يمزج الدم الإيراني بالدم الأوربى(x-5) الذى تنتسب إليه الأسرة الحاكمة في مصر.

(x-١) ياسخ به تاريخ ٧.

(x-٢) گذشته ٦٣.

(x-٣) به سوى تمدن بزرگ - وزرات اطلاعات ١٩٧٤ طهران.

(x-٤) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج١ ص ٦٠ - زندگى پرماجراى رضا شاه ج٢ ص ٦٥٠.

(x-٥) كان محمد على رب هذه الأسرة ألبانى الأصل ومن هنا جاء انتساب هذه الأسرة إلي أوربا.

أرسل رضا شاه وفداً برئاسة محمود جم رئيس البلاط إلي القاهرة، ليخطب الأميرة فوزية من الملك فاروق لمحمد رضا، ووافق الملك فاروق، ودعا الوفد الأسرة المالكة لزيارة طهران، وقد سافرت الملكة ومعها أربعة من بناتها وكانت فوزية أكبرهن، إلى إيران حيث استقلوا سفينة إلي بندر بهلوى، ومن هناك استقلوا القطار إلى طهران، واستقبلهم رضا شاه بنفسه في محطة السكك الحديدية (x-١).

وعقدت مراسم العرس فى قصر الجلستان وكان العقد قد تم من قبل في مصر في ربيع ١٩٣٩ (x-٢)، وظلت أسرة فوزية مدة في طهران ثم عادت وظلت فوزية وحدها.

كانت فوزية أمرأة خجولة، وكانت تتحدث مع محمد رضا باللغة الفرنسية لعدم معرفتها الفارسية وعدم معرفتة العربية، وكانت فوزية لا ترغب في الخدم الإيرانيين، ولم تتوافق مع أسرة الشاه علي الرغم من أن شمس وأشرف كانتا مكلفتين بزيارتها يومياً، ولم تكن فوزية ترغب فى الحديث معهما، ولذا كانت دائما تتصل بالسفير المصرى وحرمه لتتحدث إليهما ، وكانت تقضي أوقات فراغها معهما.

كانت فوزية لا تشارك في المراسم الاجتماعية وتتضايق من إصرار محمد رضا - خلال ولاية عهده - التواجد في الاجتماعات والاشتراك في المشروعات الخيرية(x-٣).

لقد كان زواج محمد رضا من فوزية لعبة سياسية لم يكتب لها النجاح، حيث لم يكن هناك معرفة سابقة بين فوزية ومحمد رضا مع اختلاف مذهبيهما.

لم يفلح زواج محمد رضا لأنه كان لاهيا يقيم علاقات جنسية مع نساء كثيرات مما أدي إلي فشل زواجه من فوزية، وكان محمد رضا خلال زواجه من فوزية يرتبط بعلاقة سرية مع فتاة تدعى ديوسالار، وكان قد منحها أموالا كثيرة.

(x-١) زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٣٨٣ - ٣٨٥.
(x-٢) رحلة الشاه الأخيرة - تأليف وليام شاوكروس ترجمة إبراهيم مرعى - صحيفة الخليج (الشارقة) العدد ٣٨٢١ - ١١٩ اكتوبر ١٩٨٩ ص ٥.
(x-٣) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج١ ص ٦١.

وعندما أدركت فوزية خيانة زوجها لها، غادرت طهران، ولم تعد إليها ثانية وطالبت بالطلاق بعد تسع سنوات (x-١)

وقد قايض محمد رضا شاه وثيقة الطلاق بمجوهرات ومسكوكات وأشياء ثمينة كانت لدي الملكة فوزية، قُدرت في وقتها بـ ٨ و ١٨٥٨٩ ليرة (x-٢)

ويذكر فردوست (x-٣) أن الإنجليز كانوا قد قرروا فصل محمد رضا شاه عن فوزية بسبب فساد الملك فاروق، وحتي لا يهدد ذلك سلطنة الشاه، وقد ذكر أرنست براون قصة عشق الشاه لديوسالار للإيعاز لفوزية بخيانة زوجها.

وكانت شهناز هي ثمرة الزواج بين فوزية والشاه (x-٤).

الملكة ثريا اسفندياري

لم تتحمل الملكة فوزية خيانة الشاه ورحلت عنه لتدعه يمارس نزواته فقد ارتبط بعلاقة آثمة مع فيروزه ثم مع ديوسالار ثم پري غفاري.

وتزوج محمد رضا من ثريا اسفندياري ولكنها لم تنجب له وليا للعهد، وقد استمرت معه سبع سنوات، وعندما خاف محمد رضا من أن يغتال ويضيع العرش (x-٥) لذا فكر في الزواج من أخري، وتزوج فرح ديبا.

واستمر مسلسل خيانته حيث ارتبط بامرأة تدعي كَيتي خطير (x-٦).

(x-١) تم طلاقها سنة ١٩٤٨ (رحلة الشاه الأخيرة - صحيفة الخليج العدد ٣٨٢١ ص ٥).
(x-٢) زندگی پرماجرای رضا شاه ج٢ ص ٦٦٨
(x-٣)خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج١ ص ١٩٤ - ١٩٥.
(x-٤) خاطرات ثريا اسفندياری - روزنامه، نيمروز شماره ١١٠ ص ٦.
(x-٥) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج١ ص ٢٠٩.
(x-٦) گذشته ٢٠٩.

والملكة ثريا التي تخطت الآن الثالثة والستين من عمرها مازال لها علاقاتها الخاصة ومنها ما أشيع حول ارتباطها بأمير موناكو الأمير رينار [x-1] وهذا فى حد ذاته يبرهن علي مدي تدني أفراد الأسرة المالكة وانعدام الوازع الديني.

وتحكي الملكة ثريا جانبا من حياتها مع الشاه في مذكراتها - حيث تزوجت وهي في سن السادسة عشرة - فتذكر أنها كانت تقضي وقتها في مشاهدة الأفلام أو لعب الورق وأحيانا تفر من الناس مع محمد رضا لركوب الخيل أو التنزه بالسيارة أو الطائرة، وتذكر بلا حياء أن محمد رضا كان يعرف عشرات من البنات مع أنه كان يخجل أمام النساء [x-2].

وفي حفل بهيج تزوجت ثريا اسفندياري الشاه، وكانت الملكة الأم تنثر الذهب فوق رأسها بينما كان ثلث الشعب الإيراني عاطل عن العمل، ويملأ المتسولون الشوارع [x-3].

وتقول ثريا فى مذكراتها أن دكتور أيادي قال لها مرة أن جميع أفراد أسرة بهلوي مصابون بمرض عقلي "المالخوليا" وأن طبيباً نفسياً قد أقنع محمد رضا وشمس وعلي رضا أنهم اذا لم يلتزموا بدقة بما يقوله فسيبتلون بالمرض فى شبابهم [x-4].

(x-١) روزنامه، نيمروز شماره / ١٤٩ سال سوم جمعه بهمن ماه ١٣٧٠ - ٣١ يناير ١٩٩٢ چاپ لندن ص ٧.

(x-٢) خاطرات ثريا اسفندياري - نيمروز شماره / ١٠٩ جمعه ١٦ ارديبهشت ماه ١٣٧٠ - ٢٦ / أبريل ١٩٩١ ص ٦. وانظر ايضا : رحلة الشاه الأخيرة تاليف وليام شاوكروس ترجمة إبراهيم مرعي - الحلقة الرابعة - صحيفة الخليج (الشارقة) العدد ٣٨٣٥ - ٢ نوفمبر ١٩٨٩ ص ٥.

(x-٣) المصدر السابق ص ٦ - ٧.

(x-٤) خاطرات ثريا اسفندياری - روزنامه، نيمروز شماره ١١٠ جمعه ١٣ ارديبشهت ماه ١٣٧٠ ص ٦.

لقد عاصرت الملكة ثريا الأحداث التي حدثت في إيران سنة ١٩٥٣ في عهد وزراء مصدق، وشاركت في تلك الأحداث (x-١).

استمر زواج محمد رضا شاه من ثريا سبع سنوات ولما لم تنجب فقد اضطر إلى طلاقها سنة ١٩٥٩ (x-٢).

ومما ذكرته عن محمد رضا شاه بعد انفصالها عنه أنه ظل سنة كاملة مشغولاً بالبحث عن عروس جديد، وقد دعا لضيافته شابات كثيرات وصادق فتايات كثيرات حتي تعرف علي فرح ديبا وتزوجها (x-٣).

وقد عملت ثريا بعد طلاقها فى التمثيل وعشقت المخرج الإيطالي فرانكو ايندونيا، ولكنه قتل فى حادث سقوط طائرة (x-٤).

وما زالت ثريا اسفندياري تعيش في باريس بعد أن طافت العالم كله وزارت محمد رضا شاه فى قبره بعد وفاته سنة ١٩٨٠ (x-٥).

وثريا من أب إيراني وأم ألمانية وكان الشاه قد أعجب بها من صورتها وعندما لم تأت بولي للعهد، أذاع الشاه خبر طلاقه منها في الإذاعة والتلفاز وهو يذرف الدمع، وقد قالت الشاهبانو فرح ديبا عنها: إنها كانت الحب الوحيد للشاه (x-٦).

الشاهبانو فرح ديبا

كان والد فرح ضابطا، توفي وهو برتبة نقيب بسبب مرض السل، ولم تتزوج فريده ديبا زوجته من بعده، وعاشت مع أخيها محمد علي قطبى، وكان لأخيها ابن يدعي رضا، أرسله إلي باريس لتلقي العلم، وقد أنهي دراسته بنجاح.

(x-١) خاطرات ثريا - نيمروز شماره/١١١ ص ٦ - ٧ - وأيضا نيمروز شماره /١١٢ ص ٦ - ٧.
(x-٢) خاطرات ثريا اسفندياري - روزنامه، نيمروز شماره / ١١٣ ص ٧.
(x-٣) خاطرات ثريا اسفندياري - نيمروز شماره / ١١٤ ص ٦.
(x-٤) خاطرات ثريا - نيمروز شماره ١١٥ ص ٦.
(x-٥) نيمروز ١١٥ ص ٧.
(x-٦) روزنامه نيمروز شماره / ١٦٨ جمعه ٢٩ خرداد ماه ١٣٧١ ص ٨.

وأرسل الخال فرح ديبا إلي باريس لتدرس في كلية الفنون الجميلة، ولكن بسبب فقرها فقد تعهدها أحد أعضاء حزب "توده" الشيوعي بالرعاية وهو انوشيروان رئيس (×-١).

وتعرف أردشير زاهدي على فرح ديباوقدمها إلى الشاه الذي تزوجها بدوره علي الفور سنة ١٩٥٩.

وتحول الأمر بالنسبة لأسرة فرح ديبا، فتولي أهلها المناصب، وبلغت ثروتها خلال سنتين إلي مليارات التومانات، وأنشأت مكتباً خاصا لها باسم "دفتر فرح" (×-٢) به ستمائة موظف من الخبراء في الشئون المختلفة، ويقول فردوست أن مكتب فرح كان يتقاضى ثلثي قيمة العمليات التي ينفذها، وأنه كان لفرح ديبا إيرادات خاصة فى حساب خاص، وكان أولادها لهم نفقات خيالية (×-٣).

وقد جرى باقى أفراد الأسرة المالكة مجري الشاهبانو (×-٤) وأنشأوا مكاتب خاصة لهم يمكنهم من ورائها أن يستولوا على المال العام.

ولقد كانت العلاقة بين الشاهبانو وتاج الملوك علاقة جيدة إذ استطاعت فرح ديبا أن تحتوى الملكة الأم، وسبب ذلك أنها كانت دائمة الاتصال بها والسؤال عنها مما جعلها أقرب إليها من بناتها (×-٥)، وقد توطدت العلاقة أكثر بعد وصول ولى العهد.

وإذا كانت أخوات الشاه قد انغمسن فى الرذيلة، إلا أن فرح ديبا قد انهمكت فى جمع الأموال والمشاركة فى دفة الحكم.

(×-١) كژراهة - خاطراتى از تاريخ حزب توده احسان طبري - تهران ١٣٦٦ ص ٢٢٠.

(×-٢) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج١ ص ٢١٣.

(×-٣) گذشته ص ٢١٤.

(×-٤) پشت پردهء تخت طاووس -منيو صميمى ١٨٧ - ١٨٨ انظر أيضا = روزنامهء نيمروز شماره / ١٨٩ سال چهارم جمعه ٢٢ آبان ماه ١٣٧١ ص ١٢

(×-٥) خاطرات فردوست ٢٣٩

لعبت الشاهبانو فرح ديبا دوراً بارزا فى الحياة السياسية والاجتماعية فى إيران حيث تربعت على العرش تسع عشرة سنة، وكانت تدير البلاد بسبب اعتلال صحة زوجها.

وقد رافقت زوجها فى رحلته الأخيرة التى خرج فيها من إيران فى ١٦ يناير سنة ١٩٧٩ متوجها إلى مصر ثم إلى المغرب ومنها إلى الباهاما ثم المكسيك ومنها إلى أمريكا ومنها إلى بنما ثم العودة إلى مصر حيث مات الشاه ودفن بمسجد الرفاعى.

وبعد مقتل الرئيس السادات رحلت أسرة الشاه إلى أمريكا حيث تستقر فى مدينة " وليامز تاون" (×-١)، ومازالت تحلم بالعودة إلى إيران وإقامة حكم دستورى.

(*) روزنامه، كيهان شماره/٣٦٦بنجشنبه ٢٤ مرداد ١٣٧٠ - موافق ١٥ اوت ١٩٩١م ص ١٢

العلة الثانية

السافاك

السافاك

الأسباب كثيرة، والعلل عديدة، وكلها تصب فى مجرى واحد، أدت إلى تراكم الفساد، وإذا فسدت رأس السمكة فلا نفع منها، وإذا فسدت الأمة فلا علاج لفسادها إلا بثورة تطيح بأس الفساد.

كانت أسرة الشاه والشاه نفسه جزءاً من هذا الفساد مما أدى إلى تسريع السقوط.

والسبب الآخر الذى أسهم بشكل مباشر فى سقوط الشاه ونظامه، كان فساد الجهاز الأمنى للشاه والمسمى باسم "السافاك" (×-١).

نالت مجموعة من أجهزة الأمن فى بعض دول العالم شهرة واسعة بسبب حسن تنظيمها وقوة فاعليتها فى الحفاظ على الأمن الداخلى ومواجهة الاختراقات الخارجية، ومن هذه الأجهزة : السى.أى. ايه C. I. A (المخابرات المركزية الأمريكية) والكى. جى. بى (المخابرات السوفيتية) والموساد (المخابرات الإسرائيلية) و SDECE (المخابرات الفرنسية) والسافاك (جهاز أمن واستخبارات الدولة فى إيران) .

تأسيس السافاك

بعد أحداث ١٩٥٣ والتى أودت بحياة د. مصدق، والتى كاد أن يفقد الشاه فيها عرشه، فكر الشاه فى تأسيس جهاز أمنى لحماية النظام، وأراد أن ينشئ جهازاً خاصاً به، يخضع لسلطة رئيس الوزراء مباشرة، ورئيسه فى درجة نائب رئيس وزراء.

ويدعى الشاه (×-٢) أن تأسيس السافاك - بعد حادثة حكومة مصدق - قد جاء لمحاربة الشيوعيين المفسدين، حيث أن قوى الاحتلال الروسى - التى لم ترحل عن إيران

(×-١) وهو بالفارسية ساواك - اختصار لمصطلح " سازمان أمنيت واطلاعات كشور " أى جهاز أمن واستخبارات الدولة .

(×-٢) پاسخ به تاريخ - نوشته محمد رضا پهلوى ترجمه دكتر حسين أبو ترابيان - تهران ١٣٧١ هـ.ش چاپ دوم ص ٣٣٧ .

حتى سنة ١٩٤٦، وحزب توده، قد ظنوا فى الشهور الأخيرة لحكومة مصدق، أن لحظة انتصارهم قد حانت، ولهذا أعلن محمد رضا شاه عدم شرعية-حزب توده - الذى كان لا يهدد النظام فحسب بل كان يعرض استقلال البلاد كلها للخطر-على حد زعم الشاه.

أنشأ الشاه جهاز السافاك لمواجهة نشاط المخربين فى الداخل والخارج، وليقضى على الخطر الذى يهدد إيران، وقد عين الجنرال تيمور بختيار (x-١) على رئاسة هذا الجهاز، وظل بختيار من سنة ١٩٥٣ (x-٢) إلى ١٩٥٧.

أرسل الشاه العناصر الأولى لجهازه الأمنى إلى أمريكا وأوربا لتلقى التدريبات الأمنية اللازمة، واستعان بعناصر من المخابرات الأمريكية للعمل داخل جهازه.

كان تيمور بختيار رجلاً محباً للمنصب والجاه، يسعى إلى غرضه بكافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وظل ممسكاً بيد من حديد على السافاك حتى أقاله الشاه - ففر إلى بيروت ثم توجه إلى بغداد للعمل ضد الشاه - حيث كان يرغب فى منصب رئيس الوزراء - ولما لم يستجب له، بدأ يعمل لصالح العراق حتى اغتيل سنة ١٩٧٠ على يد عناصر الجهاز - الذى تربع على عرشه عدة سنوات.

كان الشاه قد أسس جهازاً آخر سنة ١٩٥٨ باسم "جهاز التفتيش الشاهنشاهى" (x-٣)، وأوكل مهمته للجنرال حسين فردوست، وكانت مهمة الجهاز البحث عن مصادر الفساد بين المسئولين فى الدولة، ورفع تقارير التحقيقات مباشرة إلى الشاه (x-٤)، ولكن هذا الجهاز لم يقم بدور مؤثر فى اجتثاث الفساد من البلاد.

(x-١) تقول مينو صميمى - أن السافاك قد تأسس سنة ١٩٥٧ (پشت پرده، تخت طاووس، ترجمه دكتر حسين أبوترابيان، چاپ سوم ١٣٦٩ ص ١٨٥.

(x-٢) انظر : الثورة الايرانية - أ.د إبراهيم الدسوقى شتا - القاهرة ١٩٨٦ ص ٣٩.

(x-٣) سازمان بازرسى شاهنشاهى .وايضا "دفتر ويژه اطلاعات" أى مكتب المعلومات الخاص.

(x-٤) پشت پرده، تخت طاووس - ١٨٥ -١٨٦

مهمة السافاك.

كانت مهمة جهاز السافاك - الحفاظ على النظام الشاهنشاهى بكافة الوسائل - ولكن الشاه (x-١) يرى أن مهمة جهازه الأمنى كانت لملاحقة الخونة والجواسيس ومثيرى الفتنة، كما كان له دور فى مراقبة القادة العسكريين، ولما كان من الضرورى أن يخضع جهاز السافاك لقضاة المحاكم - باعتباره جهاز معلومات ومكافحة التجسس - إلا أن هذا الأمر لم يكن ينفذ، بل يوكل به لرجال الشرطة.

ولما كانت الأساليب التى يتبعها السافاك غير مشروعة فى مجملها - لهذا يدعى الشاه أن السافاك لا يخضع لقوانين العدالة فى إيران لأنهم يطبقون قواعد غربية.

تاريخ السافاك

مر السافاك بأربع مراحل من بداية تأسيسه إلى سقوطه، وحل هياكله وإحلال، جهاز " ساواما" محله، وهو الجهاز الأمنى الجديد للثورة الإسلامية الإيرانية.

المرحلة الأولي : وهى مرحلة التأسيس والتى كانت تحت رعاية المستشارين الأمريكان، وكان رئيسه محل عناية الولايات المتحدة الأمريكية، وكان عدد أعضاء السافاك لا يتجاوز مائة وخمسين فرداً، والمهمة الموكولة إليه هى ترسيخ نظام محمد رضا شاه، وضرب المعارضين للنظام بشدة، ولما كان تيمور بختيار يرتبط بالأمريكان بعلاقة حميمة لذا ظل على رئاسة الجهاز، واستمر حتى سنة ١٩٥٧ حيث أقاله الشاه.

المرحلة الثانية : بدأت بتولى حسين پاكروان رئاسة السافاك، وكان هدف محمد رضا شاه تطهير الجهاز من أتباع بختيار، وإحلالهم بآخرين أوفياء للجهاز، وتحويل السافاك إلى جهاز منظم يعمل على الحفاظ على العرش والنظام، ولكن پاكروان لم يستطع أن يقوم بالمهام خير قيام - لضعف شخصيته - فأقاله محمد رضا، وحل محله

(x-١) پاسخ به تاريخ ٣٣٩ .

نصيرى - الضابط الوفى لمحمد رضا ، وخلال هذه الفترة التى استمرت إحدى عشرة سنة وصل عدد السافاك إلى خمسة آلاف عنصر بارز.

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة تسلط الجهاز واتساع نطاقه، وتحكمه فى كثير من شئون البلاد ، وقد شاعت سوء سمعة الجهاز خلال هذه المرحلة.

المرحلة الرابعة : مرحلة السقوط، وهى المرحلة الأخيرة، والتى بدأت بعزل نصيرى ومعتضد ورئاسة مقدم، وانتهت بثورة ٢٢ بهمن واستمرت ٢٢ سنة [×-١].

ويصور فردوست [×-٢] الجهاز فى مرحلته الثالثة بقوله : لقد سألت كنگرلو حول المقدم زيبائى: " هل كان زيبائى بهذه الشهرة السيئة فى التعذيب والقسوة ؟...قال كنگرلو: كل ما سمعته عن زيبائى صحيح تماما ، وهو الآن يعمل كرئيس للمحققين السافاك، ويستعمل كل أنواع ووسائل التعذيب".

تنظيم السافاك

يتكون جهاز السافاك من عدة أجهزة يختص كل جهاز منها بمهام محددة، وهذه الأجهزة تخضع لرئاسة السافاك.

ورئاسة السافاك تضم عدة إدارات أهمها [×-٣]:

١- إدارة التحقيقات وبها عدد من المتخصصين والحقوقين.

٢- إدارة تلقى الشكاوى.

٣- النيابة الإدارية للسافاك لتلقى المخالفات الإدارية.

٤- المحكمة الابتدائية للسافاك وبها خمسة أعضاء.

(×-١) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج ١ / ٤٢٣.
(×-٢) گذشته ٤٢٤.
(×-٣) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٤٣٢.

٥- محكمة الاستئناف وهي مشكلة من سبعة أعضاء.

٦- إدارة الحسابات الخاصة بحسابات الإدارة العامة فى رئاسة السافاك.

٧- الميزانية السرية وهى ميزانية المسئول عنها رائد، ولا يعرف بنودها إلا رئيس السافاك.

كما توجد إدارة للنقليات وإدارة الشئون الطبية.

أما الإدارات القائمة فى المحافظات فإنها تتشكل من عناصر حسب عدد سكان كل محافظة وتتكون الإدارة فى المحافظة من: رئيس - نائب - مدير مكتب الإدارة العامة الأولى والسادسة وشئون مكتب الرئيس ونائب الرئيس.

وفى كل إدارة من إدارات السافاك بالمحافظات قسم للأمن الداخلى وهو شعبتان: شعبة النشاط السرى، وشعبة استقراء الرأى العام.

ويوجد أيضا شعبة فنية وشعبة مكافحة التجسس فى بعض الإدارات بالإضافة إلى شعبة التحقيق فى كل الإدارات.

أما أجهزة السافاك فى المراكز فهى عبارة عن رئيس واثنين أو ثلاثة مرشدين وبعض الحرس.

وفى خارج البلاد تنتشر أجهزة السافاك وهى عبارة عن رئيس وموظف (x-١).

(x-١) شكست شاهانه - ملاحظاتى درباره، سقوط شاه - ماروين رونيس ترجمه، إسماعيل زند بتول سعيدى - نشر نور ص ١٢٦.

الهيكل الإدارى لجهاز السافاك (×-١).

يقوم الهيكل الإداري علي النحو التالي :

١- التوظيف :

يتم تعين الأفراد فى جهاز السافاك على نمطين؛ **توظيف أو تكليف**، أما التوظيف فيتم عن طريق الأشخاص العاملين بالفعل فى السافاك حيث لا يوظف فى الجهاز إلا الأشخاص المعروفين لدى العاملين بالسافاك من قبل، حيث يرشح الموظفون أقاربهم وأصدقائهم، ويوضعون فى قوائم حسب الأقدمية، ولابد أن يرشح - طالب الوظيفة - اثنان من العاملين السابقين.

أما فى مكتب الاستخبارات، إذا طلب شخص العمل فى المكتب فلا بد أن يجتمع جميع الضباط فى غرفة الاجتماعات، ويستعرضون الأسماء المرشحة، ولا بد أن يكون المرشح مختارا من ثلاثة أفراد من اللجنة ومعروفاً لدى خمسة أفراد من اللجنة نفسها.

أما التكليف فيتم للبارزين في الجيش.

٢- التحقيقات :

المسئول عن التحقيقات السياسية وغيرها هى الإدارة العامة الرابعة، والموظف الذى يعين بالتحقيقات لابد أن يكون حاصلاً على مؤهل دراسي، ويخضع لاختبار ذكاء، ويحظى بقبول رئيس السافاك.

والمكلفون يتم اختيارهم من الأشخاص أو الضباط أو ضباط الصف حيث تتحرى عنهم الإدارة العامة الرابعة، ومن يُقبل فيهم يكلف بالعمل فى السافاك.

(×-١) خاطرات ارتشهد سابق فردوست ج ١ ص ٤٣٢.

٣- الترقيات :

هناك تسع درجات للوظائف المدنية، أما الوظائف العسكرية فيتم من قبل رئيس السافاك وموافقة الجيش حيث يطلب رئيس السافاك ترقية الضباط وضباط الصف ولابد من موافقة الجيش.

وشروط الترقى من درجة إلى أخرى تستلزم أن يطلب رئيس السافاك أو المدير العام وأن يسمح التوظيف للفرد بالترقى إلى أى رتبة، ومن الممكن أن يترقى الفرد أربعة درجات متتالية [١-٧].

٤- العودة إلى العمل :

يمكن إعادة توظيف الأشخاص الذين كانوا يعملون من قبل سواء الموظفين أو المكلفين، تبعاً لحاجة الإدارة العامة، ويتم الإعادة للعمل بقرار من اللجنة العليا للسافاك.

واللجنة العليا للسافاك تتكون من :

رئيس السافاك ونائبه والمدير العام ونائبه ورئيس الإدارة ..

٥- التدريب والتعليم :

بعد أن استقر هيكل السافاك، قام الأشخاص المدربون فى أمريكا وانجلترا وإسرائيل بتدريب العناصر الجديدة.

وفرد الاستخبارات يقضى دورة لمدة تسعة أشهر فى الإدارة العامة للتدريب، أما فرد الحراسة فيقضى ثلاثة أشهر فى الإدارة العامة الرابعة، والفرد الفنى يقضى دورة فى الإدارة العامة الخامسة.

(١-٧) خاطرات فردوست ج ١ / ٤٣٤.

٦-التخصص :

يمكن للأفراد الحصول على دورات تخصصية للترقى أو تبعاً للعمل الذى يمارسونه، وكان الأفراد الفنيون يحصلون على تدريب تخصصى ويحصلون على درجات تخصصية.

٧- المخالفات الإدارية :

تهتم النيابة الإدارية للسافاك والمحكمة الابتدائية والاستئناف ببحث المخالفات الإدارية فى حدود اللوائح التى تعدها الحكومة [x-١].

٨- المنح :

يقدم رئيس السافاك أو المدير العام منحاً إلى إدارة التوظيف.

٩- المزايا :

يمنح السافاك مزايا خاصة للأفراد الموظفين والمكلفين حتى درجة مقدم طبقاً للوائح الخاصة بهم.

١٠- التقاعد :

لم يكن الأفراد المستخدمون فى جهاز السافاك يتقاعدون، وإنما يستمرون فى العمل طوال عمرهم، أما الذين يكلفون من الجيش فإنهم يستمرون فى خدمة السافاك حتى بعد تقاعدهم من الجيش [x-٢].

(x-١) خاطرات ارتشبد سابق فردوست ج ١ ص ٤٣٤.
(x-٢) گذشته ١ / ٤٣٥.

الإدارات العامة للسافاك

يتشكل جهاز السافاك من تسع إدارات هامة وهى :

١ - الإدارة العامة الأولى

وتنقسم إلى

١- إدارة التوظيف وتهتم باختيار العاملين بالجهاز.

٢- إدارة الاتصالات وتختص بتأمين شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية فى البلاد.

٣- إدارة التشريفات.

٢- الإدارة العامة الثانية

وتختص بجمع المعلومات الخارجية عن طريق:

١- المكاتب الخارجية

٢- الأفراد المجندين

وترسل هذه المعلومات إلى الإدارة العامة السابعة

٣- الإدارة العامة الثالثة

وتختص بالأمن الداخلى ومكافحة التجسس، وهى من أهم إدارات السافاك.

٤- الإدارة العامة الرابعة

وتختص بحراسة رجال السافاك وهى مكونة من :

١- إدارة حراسة الأفراد

٢- إدارة حراسة الأماكن

٣- إدارة حراسة الوثائق

٤- إدارة الحرس

٥- الإدارة العامة الخامسة

وهي الإدارة الفنية التي تهتم بالنواحي الفنية وبها عدة إدارات:

١- إدارة المراقبة والتعقب

٢ - إدارة التصنت على الهاتف

٣- إدارة الرقابة

٤- إدارة القفل

٥- إدارة التصوير

٦ - إدارة التصنت وتضم الإدارة الإلكترونية وبها موظفون حاصلون على دورات ما بعد الليسانس ولديها أجهزة استقبال وإرسال وجميع الوسائل الإلكترونية (×-١).

ويتبع نفس الإدارة قسم لمعرفة وفحص الخطوط.

٦- الإدارة العامة السادسة:

وهي الإدارة المالية وبها عدة إدارات هي:

١- إدارة المحاسبة: وهى مسئولة عن الميزانية والشئون المالية.

٢- إدارة التجهيز: وهى مسئولة عن إعداد لوازم الكتابة والشئون الفنية والأجهزة.

٣- إدارة النوادى: وتهتم بحماية النوادى الخاصة بالسافاك من ضيافة وإعداد طعام العاملين على مدى أربع وعشرين ساعة.

٧- الإدارة العامة السابعة

وهى الإدارة التى تختص ببحث المعلومات المقدمة إليها من الإدارة الثانية وتحليل هذه المعلومات (×-٢).

٨- الإدارة العامة الثامنة

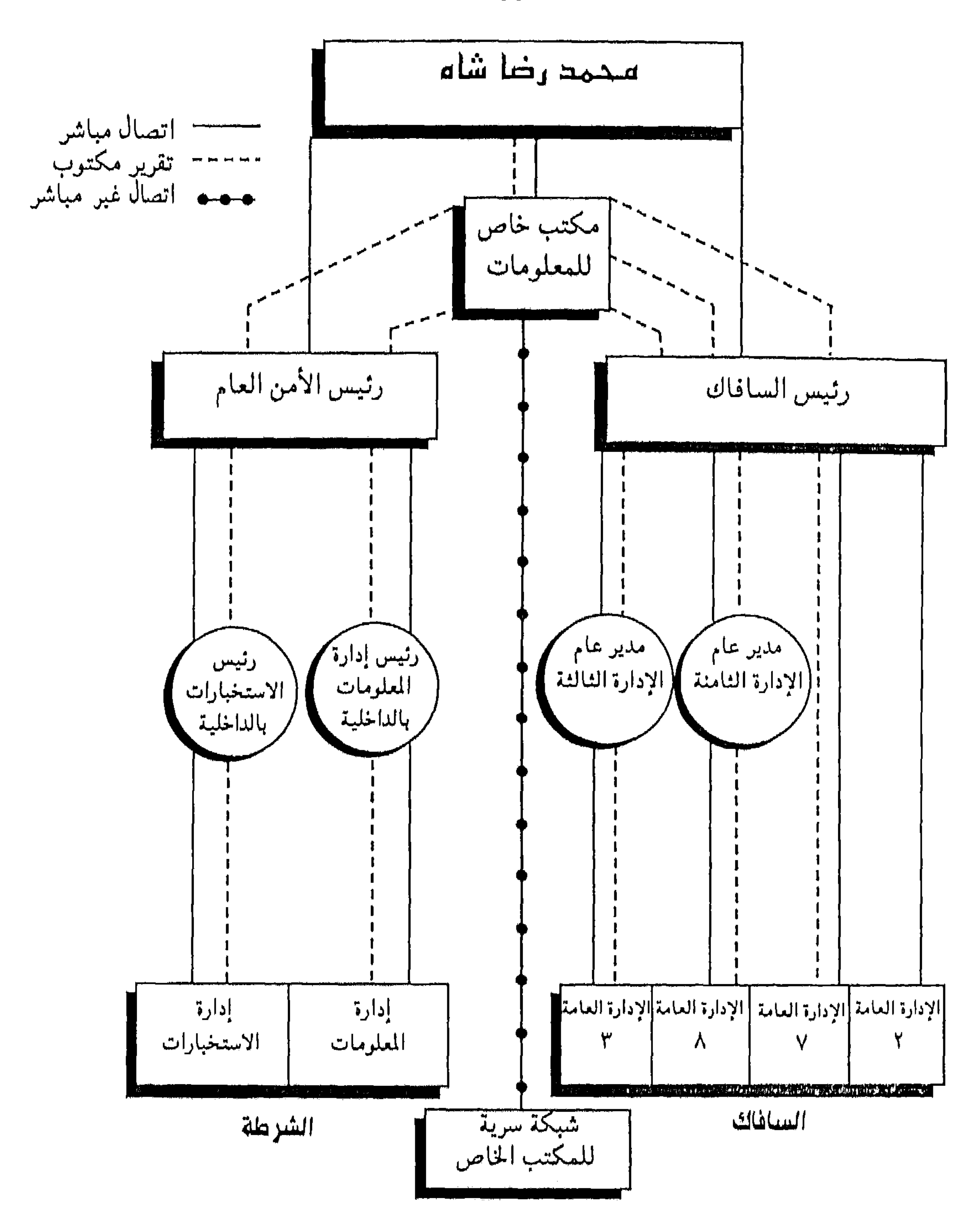
وهى خاصة بمكافحة التجسس، وتعنى بمعرفة أفراد الاستخبارات بالسفارات المعنية، والتحكم فى خروج ودخول أعضاء السفارات المعنية، وتحديد أماكن المراقبة الداخلية للسفارات.

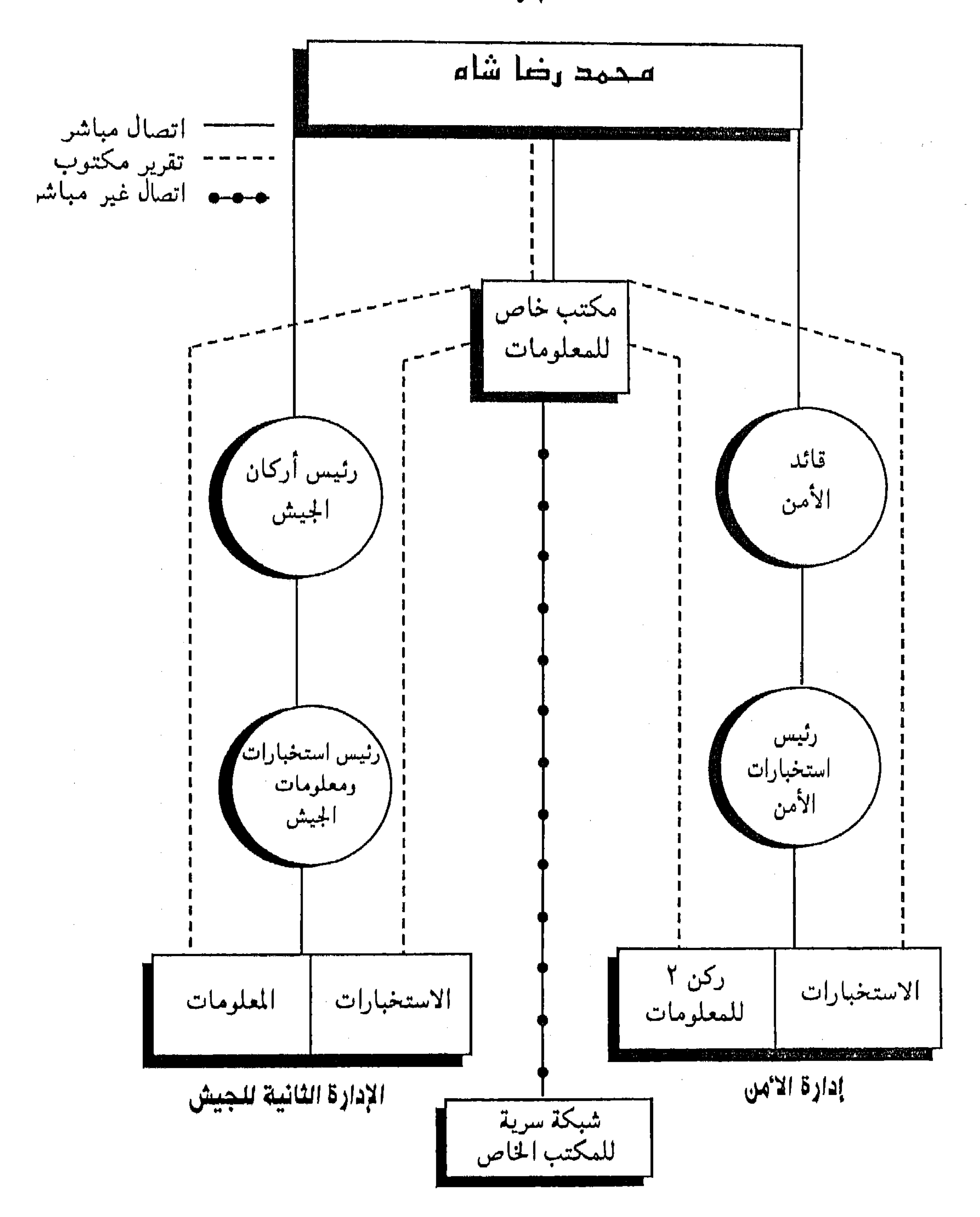
٩- الإدارة العامة التاسعة

وهى إدارة التحقيقات.

(×-١) خاطرات فردوست ١ / ٤٤١

(×-٢) گذشته ١ /٤٦١


محمد رضا شاه
اتصال مباشر
تقرير مكتوب
اتصال غير مباشر
مكتب خاص
للمعلومات
رئيس الأمن العام
رئيس السافاك
رئيس
الاستخبارات
بالداخلية
رئيس إدارة
المعلومات
بالداخلية
مدير عام
الإدارة الثالثة
مدير عام
الإدارة الثامنة
إدارة
الاستخبارات
إدارة
المعلومات
الإدارة العامة
٣
الإدارة العامة
٨
الإدارة العامة
٧
الإدارة العامة
٢
الشرطة
شبكة سرية
للمكتب الخاص
السافاك



محمد رضا شاه
اتصال مباشر
تقرير مكتوب
اتصال غير مباشر
مكتب خاص للمعلومات
رئيس أركان الجيش
رئيس استخبارات ومعلومات الجيش
قائد الأمن
رئيس استخبارات الأمن
المعلومات
الاستخبارات
ركن ٢ للمعلومات
الاستخبارات
الإدارة الثانية للجيش
شبكة سرية للمكتب الخاص
إدارة الأمن

وهذه الإدارات فى مجملها مرتبطة بشكل غير مباشر بالمكتب الخاص للاستخبارات وبشكل مباشر بالرئاسة العامة للسافاك، وقد تعاون جهاز السافاك مع الاستخبارات بالجيش على النحو المبين فى الشكل المرفق (x-١).

تيمور بختيار اول رئيس للسافاك
واول مسمار فى نعش الشاه

تيمور بختيار أول رئيس للسافاك، عمل قائدا عسكريا لطهران قبيل توليه هذا المنصب.

بدأ بختيار حياته فى منزل قديم فى شارع كاخ فى طهران، وعاش حياة فقيرة حتى أرسله الشاه- بناء على طلبه- إلى آذربايجان حيث أبدى شجاعة ومهارة فى قتال المتمردين (x-٢).

وعندما كان مصدق رئيسا للوزارة، كان تيمور قائدا عاما للواء المدرع المتمركز فى كرمانشاه، فأرسل إحدى وحداته إلى طهران خلال الأحداث الجارية فى طهران، وتدخل الجيش، وأخمد الثورة، ومنذ ذلك الحين عُين بختيار قائدا عسكريا لطهران بأمر من أمريكا.

تحول تيمور بختيار من الفقر إلى الغنى ومن الاعتدال إلى الظلم والقسوة، فقد كان مكلفاً بإسكات كل شخص لا يرغب فيه الشاه أو الإنجليز أو الأمريكان، وقام بتعقب أعضاء حزب توده الشيوعى، وأعدم العديد من فدائى الإسلام، وأطلق العنان للفرقة المدرعة رقم ٢ بإخماد نواح البنات والسيدات السجينات، ولم ينج من أذيته الشيوخ المبجلين أمثال آية الله كاشانى (x-٣).

(x-١) انظر الشكل المرفق.
(x-٢) خاطرات فردوست ١ / ٤١٦.
(x-٣) گذشته ١ / ٤١٧.

ارتقى تيمور بختيار إلى رتبة فريق بفضل معاونة المستشارين الأمريكان له، وكان محمد رضا شاه قد عينه رئيسا للسافاك ليشغله ويبعده عن قيادة أى وحدة عسكرية، وقد علا نجم تيمور خلال فترة زواج الشاه من الملكة ثريا بختيارى.

عمل تيمور على جمع الثروة بكل السبل ليعوض أوقات الفقر، حيث كان يلقى بالأبرياء فى السجن ليحصل على المال مقابل إطلاق سراحهم، حتى بلغت ثروته أكثر من مليار تومان بالإضافة إلى الجواهر والذهب والأراضى الواسعة والعقارات.

لم يزد عدد رجال السافاك فى عهده عن مائة وخمسين شخصا ، ومع ذلك كانت الميزانية السرية التى تحت يده كبيرة.

قوى نفوذ تيمور حتى طمع فى رئاسة الوزارة، وقد اتصل بالأميرة أشرف پهلوى لتؤثر على الشاه لكى يوليه رئاسة الوزارة، وأمر صحيفتين بطبع صورته وكتابة عبارة (رئيس وزراء ايران القادم) ، ولما لم يتحقق مطلبه وأقاله الشاه، أحس بالضجر، وأقام قصرا فى سعد آباد لا مثيل له، به الأثاث الفاخر، وعلى أبوابه الحراس بالملابس الخاصة، وكان دائما يستضيف سفراء الدول العربية والنواب والوزراء والقواد، ويعلن فى مكبر الصوت فى شارع سعد آباد بحضور الضيف ليسمع محمد رضا شاه صوت المكبر.

ولما اشتد غيظ الشاه من أفعال تيمور نفاه إلى أوربا، فذهب إلى جنيف وبدأ حملة علنية ضد الشاه، ومنها توجه إلى فرنسا ثم بيروت، واستقر فى بغداد حيث واصل الهجوم على الشاه بدعم حزب البعث العراقى.

تابع السافاك نشاط رئيسه السابق، وعلى الرغم من حرص العراقيين لحماية بختيار إلا أنه قُتل على يد أحد المحيطين به [(×-١)] وشرب من الكأس التى أذاقها لكثيرين.

(×-١) گذشته ١ /٤٢١.

وقد حل حسن پاكروان محل بختيار فى رئاسة السافاك، وكان من قبل نائبا له، ولكن بسبب نظافة يده لم يستمر طويلا، وأقيل فعمل وزيراً للإعلام فى وزارة هويدا ثم سفيرا فى باكستان ثم فرنسا وظل فى إيران حتى قامت الثورة الإيرانية وأعدم فى ١٣٥٨/١/٢٢ هـ.ش (x-١).

السافاك جهاز القمع والقلع

كان جهاز السافاك - مثل جميع أجهزة الأمن فى العالم- تعمل على الحفاظ على النظام القائم - والفارق بين جهاز السافاك وغيره من أجهزة الأمن أن جهاز السافاك قد تمادى فى استعمال الوسائل اللاإنسانية من أجل تحقيق الغاية، ولهذا أسهمت هذه السلوكيات فى إثارة كوامن الغضب لدى الشعب الإيرانى، فانطلقت، ولم يستطع أن يقف أمام سيلها أى لون من ألوان الشدة والقسوة.

لقد استعمل السافاك ألوان تعذيب أشد وأنكى من القتل، ألوان تعذيب جسدية ومعنوية، وتدمير للذات، وتحطيم للإنسان من داخله.

لقد أسهبت الكتب والمؤلفات (x-٢) فى ذكر ألوان التعذيب التى كان يستعملها السافاك ضد الشعب الإيرانى، ولكن ماقاله الشاه فى هذا الشأن لهو خير دليل على وحشية السافاك، لقد قال الشاه: إن أشخاصا يغالون حول السافاك، ويظهرونه كقاتل للسجناء السياسيين ومعذب للمساجين، وأن السجناء ما بين ٢٥ إلى مائة ألف سجين سياسى (x-٣) .

(x-١) خاطرات فردوست ٢ /٤٤٨.

(x-٢) انظر : الثورة الإيرانية. د. إبراهيم شتا ص ٣٧ وما بعدها - الشعر النسائى فى إيران فى ظل الثورة الإسلامية د. أحمد الشاذلى ١٩٩٠ ص ٢٢ - إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية - طلال مجذوب بيروت ١٩٨٠ - الثورة الإسلامية - السيد زهره - الثورة الإيرانية - محمود النجار -

(x-٣) پاسخ به تاريخ - ٣٤.

ويقول الشاه: لايمكن أن أدافع عن أعمال السافاك، ربما أنهم قد سلكوا سلوكا عنيفاً مع المعتقلين، لكن لم تصدر قرارات محددة منى بالمعاملة السيئة لهم، وأننى قد وافقت على أن يزور الصليب الأحمر المساجين (×-١) .

لقد أساء الشاه اختيار رؤساء وأفراد جهاز السافاك، ولم يتابع أعمالهم، ولعله تابعها وباركها، وعلى الرغم من وجود جهاز تحقيق ومحكمة ابتدائية واستئناف ولكنها كانت مجرد شكليات، وكان جهاز التحقيق جهاز تعذيب.

لم يكن الهدف من إنشاء السافاك إلا بث الرعب والفزع فى قلوب الشعب الإيرانى لإجباره للخضوع والاستسلام للنظام الشاهنشاهى، ولكن مؤسسى الجهاز لم يقفوا على البعد الدينى للشعب الإيرانى ولم يقفوا على دور المذهب الشيعى والأئمة ورجال الدين.

إن السافاك لم يكن يوماً فى صالح النظام، بل إنه كان بمثابة المعول الذى حفر تحت جدار النظام، كان بمثابة الفأس التى اجتثت النظام من جذوره.

(×-١) يقصد بذلك العام الأخير فقط من حكمه.

العلة الثالثة

أمير عباس هويدا

(أطول رئيس وزراء محمد رضا شاه أمدا)

امير عباس هويدا

لم يبق إلا ثالثة الأثافى التى قام عليها نظام الشاه - أسرة الشاه - السافاك - امير عباس هويدا ، ثلاثة عناصر تأسس عليها النظام الشاهنشاهى،وثلاثتهم كانوا أس الفساد فى البلاد ، اختلفوا عن بعضهم البعض فى أشياء كثيرة واتفقوا جميعا حول الفساد.

على الرغم مما قاله فريدون هويدا فى حق أخيه، وامتداحه لفترة حكمه إلا أن نبرة الصدق غير متوافرة، وعلامات التردد واضحة حيث يسارع فريدون إلى إلقاء التقصيرفى عنق الشاه، فهو يمتدح فترة رئاسة أخيه للوزارة ولكنه يعاود التنكر للمساوئ والمفاسد ويعلقها فى ذمة الشاه.

أمير عباس هويدا هو ذلك الرجل الذى تقلد منصب رئاسة الوزارة فى إيران ثلاث عشرة سنة، وقد وصل الفساد فى عهده إلى الذروة، وقويت فى عهده العلاقات الحميمة بين البلاط الشاهنشاهى والقوى الغربية الصهيونية.

لقد علا نجم محمد رضا شاه فى فترة رئاسة هويدا للوزارة، وبدا هويدا أمام الرأى العام لشعب إيران كوجه "مسلوب الإدارة" وقد ركز فريدون هويدا على هذه الصفة كثيرا فى كتابه " سقوط الشاه".

هويدا فى وزارة الخارجية

نال هويدا شهادة الليسانس فى العلوم السياسية من بروكسل سنة ١٩٦٢ وعمل بعد إتمام درسته فى وزارة الخارجية بوساطة محمد ساعد مراغه اى.

كان أمير عباس ملماً باللغة الفرنسية والعربية والإنجليزية والإيطالية والألمانية مما سهل له التعيين فى وزارة الخارجية وهو فى سن الرابعة والعشرين، وجاء فى تأشيرة الوزير الذى عينه:

"بموجب هذا الأمـر يعين السـيـد عـبـاس هويدا من تاريخ ١٣٢٢/٦/١٢ على الدرجـة الثـالـثـة بوظيـفـة موظف إدارة بمكتب الـوزير ويحـول إليـه مـسئـوليـة هذا العمل (x-١).

لم يستمر هويدا طويلا فى عمله بالخارجية حيث جُند لأداء الخدمة العسكرية بكلية الضباط، وعندما أنهى فترة التجنيد عاد ثانية إلى الخارجية، وعمل كعضو فى إدارة المعلومات، ثم انتقل إلى الإدارة السياسية الثالثة وبعدها أوفد إلى بيروت للعمل بسفارتها وذلك لمرافقة أمه التى كانت تقيم بلبنان بعد وفاة أبيه (x-٢).

عاد هويدا من بيروت بعد عام حيث أرسل إلى باريس للعمل بسفارة إيران ثم عمل قائما بالأعمال فى ألمانيا (x-٣) وهناك تعرف على رجال حزب توده.

وخلال عمله فى أوربا اعتقل بتهمة تهريب المخدرات، ولكن أُطلق سراحه بتدخل البلاط، وقد نشرت الصحف هذه الفضيحة (x-٤).

وعُين أمير عباس فى عام ١٩٥٠ فى قنصلية إيران فى اشتوتجارت بألمانيا، وهناك تعرف على عبدالله انتظام - الذى كان يرتبط بوزير الخارجية على أكبر سياسى - بعلاقة حميمة، فأرسل إليه ليعين هويدا قنصلا باشتوتجارت، وعلى الرغم من أن هويدا لم يكن يستحق المنصب إلا أنه عين بصفة استثنائية.

استدعى عبدالله انتظام - عندما تولى وزارة الخارجية - هويدا إلى طهران، وعمل بمنصب كاتب الوزير الخاص ونائب الإدارة السياسية الثالثة، ولكنه سرعان ما

(x-١) جستارهايى از تاريخ معاصر إيران - ظهور وسقوط سلطنت پهلوى - مؤسسه مطالعات وپژوهشهاى سياسى - جلد دوم - تهران ١٣٧٠ ص ٣٦٧.

(x-٢) گذشته ٢ /٣٦٨.

(x-٣) كژراهه - خاطراتى از تاريخ حزب توده - إحسان طبرى - تهران ١٣٦٦ ص ٢٢١.

((x-٤) روزنـامه، كـيـهان مورخ ١٤ - ١٩ بهمن ١٣٢٥ مجله خوانـدنيـهاسـالهفـتم شماره/ ٤٩.

انتقل إلى الأمم المتحدة، وعمل فى مؤسساتها بجنيف، ثم انتقل إلى أنقرة للعمل مستشارا بالسفارة، ثم قنصلاً.

عاد هويدا بعد ذلك وعمل فى الشركة الوطنية لنفط إيران كمسئول من وزارة الخارجية.

هويدا وشركة البترول

عمل هويدا ست سنوات فى شركة البترول، ولكنه أيضا كان يعمل لحساب السافاك، حيث كان يسعى لتجنيد المؤهلين للعمل بالجهاز، وكان هو نفسه أحد المتعاونين فى الخفاء مع السافاك فى عهد بختيار (x-١).

كان حسن على منصور وزير المالية صديقاً لهويدا، وقد وعده بمنصب الوزارة، وكان يعرف علاقته بالسافاك.

هويدا ورئاسة الوزارة

اختار الشاه هويدا لرئاسة الوزارة فى سنة ١٣٤٣ هـ.ش (١٩٦٥) (x-٢)، واستمر ثلاث عشرة سنة حتى سنة ١٣٥٦ هـ.ش (١٩٧٧)، وقد كان الشاه يرغب فى رئيس وزراء مطيع للأوامر الشاهنشاهية، ولاشك أن عمله فى السافاك قد زكاه لذلك.

وعزل الشاه أمير عباس عن رئاسة الوزارة، وعينه فى منصب وزير البلاط.

وبعد عام واحد وثلاثة أشهر أصدر نعمت الله نصيرى رئيس السافاك أمرا باعتقال هويدا.

اعتقل هويدا فى ٨ نوفمبر ١٩٧٨، وعندما اشتعلت الثورة أطلق سراحه جماعة من المتمردين، واختفى فى منزل أحد أصدقائه واتصل تليفونيا برجال الثورة وأعطاهم

(x-١) الإدارة العامة التاسعة للسافاك وهى إدارة التحقيقات.

(x-٢) شكست شاهانه ١٧٩.

العنوان (x-١)، ولكن بعض المصادر تذكر أنهم قبضوا عليه فى سجنه (x-٢).

يقول الشاه فى مذكراته (x-٣): لما كان ازهارى راغباً فى أن يبدى لمعارضيه حسن النية، لذا اعتقل ١٢ شخصا من كبار المسئولين من بينهم هويدا، اعتقله فى بيته وقال لى: إنه سيقدمه لمحاكمة عادلة ...، لم أثق فى هذا الأمر كثيرا، ولكن السيد هويدا - الذى كنت احترمه من صميم قلبى - كان هدفاً من أهداف المعارضين، وطلبت منه أن يقترح على السيد هويدا أن يختار مسئولا فى الخارجية - واقترحت سفارة بلجيكا ولم يقبل الاقتراح.

وفر الشاه، وأمير عباس فى معتقله، وقُبض عليه رجال الثورة الإسلامية، وقدموه للمحاكمة العلنية، وأعدم فى ١٨ فروردين ١٣٥٧ (١٥ مارس ١٩٧٨) - وكان قد طلب مهلة لمدة شهر لكتابة عريضة دفاع، لكن المحققين رفضوا، وأعدموه.

هويدا البهائى

كان جد أمير عباس هويدا بهائياً، وكان مريدا لعباس افندى البهائى، لذا سافر إلى عكا، وأقام معه لخدمته، وأرسل ابنه عباس إلى أوربا على نفقة البهائيين ليتعلم ويعود إلى طهران ليعمل مترجما - ويحصل على لقب عين الملك، ويلتحق بوزارة الخارجية بمساعدة البختياريين.

وعمل عين الملك فى سورية ولبنان وخلال عمله كان يعمل على نشر البهائية فى المنطقة.

كان عين الملك والد أمير عباس مقرباً من الملك سعود كثيرا بحكم عمله وزيرا مفوضا، وقد نشرت الصحف خبر نشره للبهائية، ولكنه مرض فى بيروت، بعد أن زار

(x-١) پاسخ به تاريخ ٣٨٠.
(x-٢) خدمتگزار تخت طاووس - پرويز راجى - انتشارات اطلاعات تهران ١٣٦٤.
(x-٣) پاسخ به تاريخ ٣٥٠.

قاضى الشيعة فى لبنان، وأعلن التوبة، ولكنه عاد إلى خدمة عباس أفندى البهائى.

كان لعين الملك ولدان هما أمير وفريدون، وقد سلكا مسلك أبيهما فى نشر البهائية.

كان أمير عباس هويدا معروفاً بأنه بهائى مما سبب نفوراً عاماً بين الشعب، وأظهر عدم رعاية الشاه للرأى العام.

فساد هويدا

اشتهر أمير عباس هويدا بين الخواص، وعلى مستوى المجتمع أنه رجل جنسى، وكان محمد رضا يعرف هذه الصفة تماماً، وهذا دليل على فساد الشاه نفسه.

كتب شخص يدعى خليل انقلاب آذر رسالة إلى هويدا[×-١] جاء فيها: "أنت شخص ليس لديك أسرة، وليس لديك مروة ولا تقوى ولا نخوة، ويصدق عليك قول أمير المؤمنين: إنه سيأتى زمن تُنسى فيه الفضيلة فى المجتمع ويجلس الأوباش والأشرار على كرسى الحكم، ويقبضون على زمام الأمور، ويظهر فى سلوكك المخجل معى أنك لا ارتباط قلبى أو معنوى لك بأبناء إيران، أنت اسماً إيرانى ورسماً لست كذلك ... ويختم رسالته قائلا: كانت هذه الرسالة درس الأستاذ لتلميذ وقح .. مع اشمئزازى اللامتناهى.

وفى تقرير للسافاك [×-٢] عن فساد أمير عباس هويدا جاء فيه أن زوجته وجدته ذات مرة فى فراشها يلوط، مما دفعها للمطالبة بالطلاق.

هذا هو أمير عباس هويدا - الذى كان إعدامه دافعاً لأن يكتب فريدون هويدا كتابه- سقوط الشاه - ليبرئ ساحة أخيه، لعل فريدون لا يعرف حجم الفساد الذى كان عليه أمير عباس.

إن أمير عباس هويدا - أحد أركان النظام - وآخر مسمار فى نعش النظام الشاهنشاهى.

(×-١) جستارهايى از تاريخ معاصر إيران جلد دوم ص ٣٩٥.
(×-٢) گذشته ٢ / ٣٩٧.

سقوط الشاه

(فريدون هويدا)

- ٢ -

ترجمه عن الفارسية وعلق عليه
د. أحمد عبد القادر الشاذلى
كلية الآداب/ جامعة المنوفية

مقدمة ح.ا. مهران

نشرُ هذا الكتاب مجرد محاولة لاطلاع شعب إيران وجهات نظر خدم النظام السابق، وهو تكرار لقصة الشاه والبلاط والأوضاع السائدة فى البلاد فى تلك الأيام، التى كان للفساد والخيانة والعمالة بريق، وعجيب أن هذه القصة مهما حُكيت، فإنها غير مكررة.

مؤلف الكتاب، "فريدون هويدا" الذى نال الجاه والمنصب ببركة رئاسة أخيه (أمير عباس هويدا) للوزارة ، وفى السنوات الأخيرة لنظام الشاه عمل كسفير لإيران فى منظمة الأمم، وعلى الرغم من أنه قد كتب هذا الكتاب فى الغالب ليبرىء أخاه، ولكن فى خلال الكتاب يفشى أسراراً ضد حكومة الشاه، ويعرضها على الملأ كخبير ومطلع على الأمور.

حقيقة، لم يغفل فريدون هويدا فى كتابه؛ الانتقام من الجمهورية الإسلامية، بسبب إعدام أمير عباس هويدا علي يد محكمة الثورة، ولم يغفل عن إهانة وقذف الحكومة الإسلامية الإيرانية، ولكن هذا بسبب أن المؤلف فيما يتعلق بأمور الثورة الإسلامية يده بعيدة عن النار ، وأصلاً لم يدرك الوقائع الجارية فى أثناء الثورة، فليست بذات أهمية ويمكن تجاوز وتنحية جميع أكاذيبه ودعاويه الخاوية، ويمكن أن نعتد بتصريحاته الخاصة بمسائل نظام الشاه لأنه كان لأكثر من عشر سنوات من المقربين للشاه وأشرف، ويتصل مباشرة بالأوضاع التى كانت تجرى فى الحكومة والبلاط ، وفى هذا الصدد؛ حتى وإن كان يتصدى لتصفية حسابه من شخص الشاه أيضاً -عندما تسائل - لماذا ألقى أخوه بالسجن كدرع بلاء له؟ فإنه لايفسد قيمة أسراره المعلنة ضد الشاه، لأنه لوكان مغرضاً جدلاً فإننا نقبل تصريحات فريدون هويدا الخاصة بنظام الشاه، وبمعنى آخر هل كان يقصد أن يشير متعمداً لتلويث فترة رئاسة أخيه.. .فمهما يكون فإن الشاه وهويدا فى نظر محكمة التاريخ شريكان على الأقل لمدة ١٣ سنة فى الخير والشر، ولايمكن مطلقاً أن يتم فصل أعمالهما طوال فترة رئاسة هويدا للوزارة عن بعضها.

وفيما يتعلق بالأمور المشابهة التى أوردها فريدون هويدا الخاصة بأيام ما بعد انتصار الثورة ومحاكمة أعمدة النظام السابق، فى كتابه، يجب التوضيح أن مشكلته فقط تتلخص فى "عدم معرفة أسلوب الثورة" وكفى، وعلى هذا المعنى فإنه عندما افترض أن "الثورة" مسألة شبيهة "بالانقلاب" أو "تغيير حكومة عادية" فإن توقعه أن يجلس مسئولو النظام الثورى ويتبعوا الأساليب السابقة ويقلدوا الأنماط المشابهة، ويتخذوا قراراً فيما يخص النظام المهزوم والعناصر المؤيدة، بينما لايعرف: أن الثورة كسيل صاخب عندما يتحرك يحمل كل شىء فى طريقه ويسحقه، حمى الثورة- خاصة فى مراحلها الأولى- حامية لدرجة أنها لا ترحم أحياناً حتى مؤيديها، وفى وسط هذا السيل الصاخب كم من أفراد يختفون لأنه لو كان سير السيل قد تأخر أكثر لعدة أيام لكان مصير آخر قد بدا.

ولكن فيما يتعلق بأمير عباس هويدا أصلاً لا ضرورة لطرح مسألة، "الثورة" ذريعة لنهاية أمره، لأنه لو تصادف فرضاً سقوط نظام الشاه إثر أحداث غير الثورة، بشرط أن يتولى النظام التالى أيضاً مؤاخذة ومحاكمة العناصر الموالية لنظام پهلوى، فإن مستقبل هويدا لم يكن يُكتب له شىء آخر غير ما فعلته به محكمة الثورة، لأنه حتى فى نظر الدستور السابق كان هويدا أيضاً يعد مجرماً فى المقام الأول، ولا تختلف نتيجة أمره كثيراً، وعلى هذا فإنه طبقاً للقانون فيما يتعلق بهويدا فإنه طالما يتولى رئيس الوزراء مسئولية شئون البلاد فإن الشاه يعد شخصاً غير مسئول، لذا لن يستطيع هويدا مطلقاً بسبب كونه جزءاً من "النظام" أن يثبت عدم ارتباط جرائم ومفاسد الشاه به، ويخلص نفسه من العقوبات.

وكان الدستور السابق يعتبر هويدا صراحة المسئول الوحيد للجرائم التى ارتكبها سافاك الشاه فى عهد رئاسته للوزارة، مع الإشارة إلى أن رئيس السافاك رسمياً يعتبر "نائباً لرئيس الوزراء"، ولا يمكن لكلام هويدا فى المحكمة والخاص بعدم اطلاعه على

أعمال السافاك مطلقاً أن يبرئه من تهمة المشاركة فيما تم من قبل الشاه والسافاك، خاصة أنه بشهادة "عباس على خلعتبرى" فى محكمة الثورة: أن أغلب أعضاء حكومة هويدا كانوا أيضاً دائماً أعضاء فى السافاك (صحيفة اطلاعات ١٩ فروردين ٥٨).

بالنظر فى صحف يوم ١٩ فروردين ٥٨ (خاصة صحيفة اطلاعات التى نشرت شرحاً كاملاً لمحاكمة أمير عباس هويدا) تروى حقيقة هى أنه لم يتفوه بكلام غير ما تحدث به فى محكمة الثورة.

وبالتأكيد إذا كانت عشر سنوات قد منحته وقتاً ولم يفش مطلقاً أى أمر لأن جريمته أكبر ، ولما كان من المؤكد أن يعرف أنه طبقاً للقانون السائد فى زمن رئاسته للوزارة فإن مسئولية جميع الأحداث التى حدثت فى البلاد؛ ملقاة على عاتقه.

فى التحقيق، عندما سُئل هويدا، ماهى قضية رستاخيز؟ أجاب: "كنت الأمين العام لرستاخيز، ولكن لم يكن لدى إيمان به"! وهذا نموذج لدفاع شخص يقول عنه أخوه فى هذا الكتاب: لو كان قد مُنح الفرصة كان من الممكن أن يبرىء نفسه من جميع التهم القائمة!!.... بينما غير معلوم فى الواقع. كيف ينتظر من شخص أن يقوم بالدفاع بعد كل هذا الذى قاله عن الشاه فى عهد رئاسته للوزارة، وبعدها فى يوم ٢١ بهمن ٥٧ خلال مكالمة هاتفية، يقول أخوه له: "الآن أدركت أننى أخطأت فى الحكم على الشاه...."(صفحة ٢١٢ نفس الكتاب) ولكنه يرفض قول نفس هذه الجملة فى محكمة الثورة.

طبع فريدون هويدا هذا الكتاب فى سنة ١٩٧٩م (١٣٥٨ هـ.ش) باللغة الفرنسية فى باريس، وبعد فتره (١٩٨٠) نشر ترجمته الإنجليزية فى لندن ونيويورك، والمتن الإنجليزى المنشور فى لندن ونيويورك يختلفان فقط من ناحية صف الحروف وعدد الصفحات، ومع أن موضوعاتهما واحدة وقد تم الاستفادة فى الترجمة الفارسية أيضاً من المتن الإنجليزى طبعة لندن.

ح.ا.مهران

تقديم:

الثلاثاء ٣ أكتوبر ١٩٧٨ م (١١ مهر ١٣٥٧ هـ.ش) مطار أورلي ، باريس

فى جو باريس الملبد بالغيوم، هبطت طائرة بوينج عملاقة بسلام على مدرج المطار، وبعد أن خفت من سرعتها، دارت نحو مكان توقفها، ووقفت.

بعد فتح باب الطائرة، لاح رجل أنيق على مخرجها ، يماثل سياح القرن الماضى وبدا كأنه آت من زمن سحيق، وقد خطا نحو الحاضر الذى يختلف تماماً عن كل ما كان يعيش فيه.

كان موظفو المطار ومضيفات الطائرة ينظرن إليه نظرة متفحصة، ومن المحتمل أنهم كانوا يفكرون من أى عصر تاريخى يكون مثل هذا الرجل ذى العمامة السوداء، واللحية البيضاء!.

مسافر غير عادى، ذو نظرة ثاقبة ، كان ينظر إلى الأمام بعيونه ذات الحواجب الغزيرة والرموش الهزيلة ، هبط على سلم الطائرة ، وبعد عدة خطوات تحلق به أصدقاؤه الذين كانوا فى انتظاره، ورافقهم إلى مبنى المطار، وهناك بعد تفحص ضابط شرطة لجواز سفر المسافر، قرأ اسمه "روح الله موسوي خميني [١]".

وتوجهت هذه الجماعة بعد عبور الجمرك إلى مكان ناحية بوابة المطار، ووقفوا عدة لحظات بجوار لوحة تذكارية محفور عليها جملة للجنرال ديجول، كانت تصف المطار "كمكان للقاء الأرض بالسماء".

وكانت نفس هذه النقطة، نقطة التقاء آية الله خمينى [x-١] مع جماعة المعارضين للنظام الإيرانى، ممهدة لكي يستخدم المذهب كعامل محرك وأساسى للثورة، ورابط "للقاء الأرض بالسماء".

(x-١)آية الله خمينى ولد ببلدة خمين فى العشرين من جمادى الثانية من عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٢/٩/٢٤م) درس العلوم الدينية فى الحوزة العلمية بأراك، كما درس الأدب، وانتقل إلى=

الثلاثاء ٣ أكتوبر ١٩٧٨م (١١ مهر ١٣٥٧ هـ.ش) طهران - إيران

تتلألأ قمم جبال البرز تحت أشعة الشمس، وفى كنفها، يفرك محمد رضاه بهلوى- آريامهر (x-١) - شاهنشاه فى قصره؛ يديه، تعبيراً عن السعادة ، لأنه قد استطاع فى النهاية أن يتخلص من قبضة الرجل الذى كان بعد نفيه إلى النجف (x-٢) لايزال مثل الشوك فى طريقه، وقد أحس بالراحة.

وتصور أنه بوجود مسافة ٥٠٠٠ كيلو متر بُعداً عن إيران، لن يجدى تصرف الخمينى، ولايمكنه أبداً أن يتحرك خطوة صوب Nسقاط عرشه، وارتسمت ابتسامة على وجه ملك الملوك تعبيراً عن رضائه، وفى نفس الوقت، وهو يحس باللذة، لأنه تمكن أيضاً أن يبعد عن طريقه، وبمهارة، أحد مخالفيه الآخرين، أرسل برقية لوزير خارجيته "أمير خسرو أفشار" فى نيويورك ليشكره على ما تكبده، لأنه تمكن خلال انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة الاستفادة من توجيهات الشاه وبعد مباحثات مع نظيره العراقى، لإيضاح مشاكل آية الله، وتهيئة أسباب طرده من العراق (x-٣).

وحتى هذه اللحظة لم يخطر ببال "شاهنشاه آريامهر" ابن رضا شاه" والامبراطور الثانى فى سلسلة بهلوى، مطلقاً، أن نفس هذا الثالث من أكتوبر ١٩٧٨م، ليس إلا

= قم ودرس الفقه والأصول ونال درجة الاجتهاد وعمل مدرساً للفقه والفلسفة والعرفان والأخلاق، واختير مرجعاً عاماً في قم بعد وفاة آية الله بروجردى ، وتعاظم نشاطه من سنة ١٩٦١ إلى ١٩٦٣ وفى ١٣ خرداد ١٣٤٢ هـ.ش (١٩٦٣/٦/٣) هاجم الشاه مما أدى إلى انتفاضة شعبية فى المدرسة الفيضية ، فاعتقله رجال الشاه فى ١٥ خرداد ١٤٣٢ هـ.ش، واحتج الشعب فى مظاهرات عارمة، واصطدمت بالجيش ، وقُتل الكثيرون ، وظل الإمام خمينى فى معتقله لمدة ثلاثمائة يوم ، وتم نفيه إلى تركيا فى ١٩٦٤/١١/٤ ثم العراق حتى أخطر للرحيل من النجف إلى باريس فى ١٩٧٨/١٠/٣٦ ثم عاد إلى طهران يقود الثورة فى ١٩٧٩/٢/١.

(x-١) آريامهر: حبيب الآريين.

(x-٢) تم نفى آية الله خمينى إلى النجف فى نوفمبر ١٩٦٤ هـ.

(x-٣) طرد الإمام الخمينى من العراق فى ١٩٧٨/١٠/٣ حيث توجه إلى الكويت التى رفضت =

بداية لنهاية أمره، بل إنه سيكون أيضاً نهاية خمسة وعشرين قرناً (x-١) من الحكم الملكى لإيران.

وجعل توجه خمينى إلى "نوفل لوشاتو" (تقع على بعد عدة كيلو مترات من باريس"، منه، فجأة أبرز شخصية سياسية فى العالم.

ولأول وهلة كان هذا الأمر مثيراً لاهتمام الإذاعات والتلفاز والصحف به، بالإضافة إلى أن رسائل خمينى كانت تصل عن طريق باريس بشكل أكثر سهولة عن ذى قبل إلى الشعب الإيرانى.

عَهِدَ إلى التنظيمات السابقة المعارضة للنظام فى أوربا أيضاً، والتى كانت تكافح على الرغم من سيطرة السافاك (x-٢) فى إيران؛ بدور مهم ، وفوض أعضاؤها الملتفون حول خمينى له السلطة لإسقاط نظام الشاه.

لم يكن لآية الله فى النجف مثل هذه الحرية فى التصرف كما كانت له فى باريس، فقد جعله المسئولون العراقيون هناك دائماً تحت مراقبتهم الدقيقة، وسعوا قدر الإمكان للسيطرة على " المراجعين" ، ولم يقترب منه مراسل أجنبى قط.

= منحه تأشيرة دخول، لتوجه إلى فرنسا فى ١٩٧٨/١٠/٦ واستقر فى نوفل لوشاتو حتي عودته إلي طهران.

(*) يدعى المؤلف أن إيران ظلت خمسة وعشرين قرناً فى ظل حكم ملكى وهذا ترديد لما قاله الشاه إن الحكومة الملكية في إيران يمتد لثلاثة آلاف سنة، (پاسخ به تاريخ نوشته• محمد رضا پهلوى ترجمه دكتر حسين أبو ترابيان تهران ١٣٧١ هـ.ش) چاپ دوم ص ٣٧) وهذا قول مرفوض لأن إيران لم يحكمها حكومة ملكية إلا تسعمائة سنة فقط.

(**) السافاك : اسم ساواك من الحروف الأولى لـ "سازمان أمنيت واطلاعات كشور (پاسخ به تاريخ ص ٣٣٧) أو "سازمان اطلاعات وأمنيت كشور (شكست شاهانه ،ملاحظاتى درباره• سقوط الشاه، ماروين زونيس ترجمه إسماعيل زند بتول سعيدى تهران. ١٣٧ هـ.ش. ص ١٢٦) وتعنى منظمة استحبارات وأمن الدولة.

ولكن منذ جاء آية الله إلى باريس فى الثالث من أكتوبر[٢]، تسارعت الأحداث، وأخذت المواجهة بين الشاه وخمينى أبعاداً جديدة، وكأنما لاعبا الشطرنج اللذان كانا قد أوقفا صراعهما خمسة عشر عاماً، قد دخلا الآن الحلبة، وبينما كانت الحركة الأولى لخمينى كان الشاه يجلس مفعماً بالأمل، مطمئناً للمستقبل ،منتظراً حركته.

لمعرفة سبب العداوة بين هذين الرجلين من الأفضل أن نلم بالماضى. لم يكن زعماء التشيع فى المجتمع الإيرانى فى أى وقت فى عون رضا شاه، رأس الأسرة البهلوية، ولكن عندما لم يجدوا فى أنفسهم القدرة على الصراع المباشر معه، اضطروا للرضوخ للواقع، وصمتوا.

وسلك محمد رضا شاه بعد عودته إلى السلطنة سنة ١٩٥٣م (٢٨ مرداد ١٣٣٢ هـ.ش) نفس المسلك مع الثورة ، بمساعدة قائد الجيش زاهدى [x-١] (والد أردشير زاهدى وبمساعدته) وحماية السى. آى. آيه [x-٢].

واستطاع خلال عشر سنوات أن يحرر نفسه من شر الحكومات التى فرضها عليه الأمريكان، وبالسيطرة الكاملة على الدولة، وبدأ ينفذ منذ أوائل عقد ١٩٦٠م (١٣٤٠ هـ.ش) عدة خطوات مثل إصلاح الأراضى والتحديث [٣] .

(x-١) زاهدى هو فضل الله زاهدى، اشترك فى الثورة ضد مصدق، وصدر فرمان من الشاه بتعيينه رئيساً للوزراء ، وكان زاهدى من أسرة ثرية جداً من ملاك الأراضى ومن الأمراء الموثوق فيهم عند رضا شاه، وقد استعمله رضا شاه فى تحطيم قوة العشائر التركمانية فى الشمال، وأرسله للقضاء على الشيخ خزعل فى المحمرة، وفى الحرب العالمية الثانية وبسبب ميوله للألمان، أسره الإنجليز ونفوه إلى فلسطين ثم الهند ثم عاد إلى إيران بعد انتصار الحلفاء، ونال رضاء الشاه محمد رضا وتقلد منصب القائد العام للشرطة حتى تولى منصب رئيس الوزراء (ظهور وسقوط سلطنت پهلوى- خاطرات أرتشبد سابق حسين فردوست تهران ١٣٧٠ - چاپ دوم- مجلد أول ص ص ١٧٦ - ١٨٤.

(x-٢) C.I.A. Centeral Intelligence Agency سازمان إطلاعاتى أمريكا (سيا) وكالة المخابرات الأمريكية المعروفة بوكالة المخابرات المركزية.

واجهت برامج الشاه مع مرور الأيام ردود أفعال، ظهر أشدها من الخمينى بدعوته لأتباعه بالثورة عند الشاه، واستطاع أن يثير الاضطرابات فى طهران سنة ١٩٦٣م (١٥ خرداد ١٣٤٢ هـ.ش) (x-١)، وفى المقابل أظهر الشاه أيضاً رد فعل شديد بسحق المتمردين (x-٢) وقتل جماعة منهم، وألقى أيضاً بالخمينى فى السجن (٤).

ولكن عندما أثارت هذه الخطوة اعتراض وثائرة المحافل الدينية نفى الشاه آية الله، وأرسله بعد فتره قصيرة من الإقامة الجبرية فى تركية إلى النجف فى العراق (٥).

وإلى هنا كان الشاه قد لعب الدور الأول فى السباق بمهارة، ولكن الخمينى صاحب العزيمة ، لم يقبل الهزيمة بهذه السهولة ، وقال عقب الطرد من إيران: "سيرى كلام من سيقبل شعب إيران، إن الله مع الصابرين" ، وبعد خمس عشر سنة استأنف العدوان بعنف صراعهما الذى كان قد نُسى.

ومن الوقائع العجيبة هى أن انتصار الشاه سنة ١٩٦٣م وأيضاً فوز الخمينى سنة ١٩٧٩م قد أيدهما الشعب فى استفتاء بأغلبية ٩٥ فى المائة (٦) مع هذا التناقض الشديد المتمثل فى أن نتيجة الاستفتاء الأول كانت موافقة على الحكومة الملكية وتحديث الدولة (x-٣) ونتيجة الاستفتاء الثانى الموافقة على استقرار الجمهورية الإسلامية ومعارضة تحديث الدولة (٧).

ولكن لكل مشكلة علتها سواء من قبيل المنافسة أو الصدفة المحضة، إلا أنها لاتستحق الاهتمام، والنقطة التى تحتاج إلى تعمق فى هذا الشأن هى التغير الكامل فى وجهة نظر الشعب والتى ظهرت طوال ١٥ سنة فقط، وإيجاد إجابة لهذا

(*) ألقى الخمينى خطاباً فى المدرسة الفيضية فى ١٩٦٣/٦/٣ هاجم فيه تبعية النظام الشاهنشاهى لأمريكا وجرائم أمريكا وإسرائيل ودعا العلماء للثورة وقد تم اعتقاله فى ١٥ خرداد.

(**) احتلت الدبابات وتوالى إطلاق الرصاص لقمع الانتفاضة بينما كانت المظاهرات مستمرة ليومين كاملين.

(***) يقصد به الاستفتاء الذى عقد فى يناير ١٩٦٣ (بهمن ١٣١٤).

السؤال: لماذا واجه الرأى العام للشعب الإيرانى مثل هذا التغيير الصارخ؟

هدفى من هذا الكتاب أيضاً البحث عن أسباب هذا التغيير، وأقصد المشكلة حتى يمكننى أن أوضح خواطرى وتجاربى الشخصية معتمداً على الوقائع المتعلقة بأواخر عهد سلطنة الشاه.

بقى لى أننى أرجو من قراء الكتاب أن يقبلوا عذرى، ولايحملوا علىّ إذا ما خرج زمام قلمى من بين يدى أحياناً من شدة تأثرى.

وليس لهذا الأمر علة مطلقاً باستثناء حادثة قتل أخى أمير عباس هويدا (*-١) على يد المحكمة ...... ولا يمكن أن أنساها مطلقاً، ويجب أن أؤكد أيضاً أن هذا الأمر مبعث اطمئنان خاطرى بسبب ماتفق عليه آية الله خمينى مع رئيس جمهورية فرنسا (وقد أشار الرئيس جيسكار ديستان إليه فى مؤتمر صحفى فى شهر إبريل سنة ١٩٧٩).

(*-١) أمير عباس هويدا، رئيس وزراء إيران فى عهد الشاه من سنة ١٩٦٥ (١٣٤٤ هـ.ش) إلى سنة ١٩٧٨ (١٣٥٦ هـ.ش). وقد أمر الشاه باعتقال هويدا فى نوفمبر ١٩٧٨ (أبان ١٣٥٦ هـ.ش). وقد اعتقله ازهارى مع اثنى عشر شخصاً آخرين، وقد وقع فى يد رجال الثورة وحوكم محاكمة سريعة وأعدم- (پاسخ به تاريخ ٣٤٩ - ٣٧٩).

الفصل الأول
بداية النهاية

الفصل الأول

بداية النهاية

"لايقدر أحد على قلب نظام حكمي، طالما أن سبعمائة ألف جندي، مع جميع العمال وأغلبية شعب إيران يؤيدونني"

(من كلام محمد رضا شاه بهلوي
مجلة أخبار أمريكا وأنباء العالم
بتاريخ ٢٦ يوليو ٢٦ يوليو ١٩٧٨)

الأحد ٣١ ديسمبر ١٩٧٧م (١٠ دي ١٣٥٦ هـ.ش) طهران - إيران

وصل الرئيس كارتر (* -١) وزوجته في طريقهما إلى الهند، إلى إيران، حتى يقضيا ليلة رأس السنة الميلادية الجديدة مع الشاه في قصر نياوران (* -٢).

أثار لقاء كارتر والشاه فضول المراسلين، طالما أن الرجلين كانا قد أجريا مباحثات الشهر الماضي في واشنطن مع بعضيهما (* -٣) ولم يكن يدرك المراسلون سبب توقف كارتر في إيران وكيف يتذرعون سبب لقائه الثاني مع الشاه؟

وحقيقة ذلك هو أنه لما كان المسئولون الأمريكيون السابقون ينتقدون أحياناً السلوك الدكتاتوري لنظام إيران لذا صمم كارتر خلال هذا القاء أن يظهر حمايته لنظام الشاه، ويطلع الشاه بشكل منفرد أنه قادر على إرضاء خاطر رئيس جمهورية أمريكا بشأن مسألة حقوق الإنسان.

(* -١) زيارة كارتر إلى إيران أثناء توجهه إلى الهند كانت في ١٠ دي سنة ١٣٥٦ هـ.ش، وقد وصف إيران بأنها "جزيرة الاستقرار" (شاه وكارتر نوشته: مايكل لدين ووليام لويس ترجمة مهدي افشار چاپ أول ١٣٧١ ص ص ٣٧-٤٠) .

(* -٢) قصر نياوران أشهر القصور التي كان يقيم فيها الشاه في طهران وهو على مقربة من سجن نياوران، ويفصل بينهما حديقة عامة ويتصل القصر بالسجن بممر تحت الأرض.

(* -٣) كان هذا في ٢٠ آبان ١٣٥٦ هـ حيث سافر الشاه وزوجته للقاء كارتر ، وهناك واجهتهما مظاهرات قادها المعارضون أمام البيت الأبيض (پاسخ به تاريخ ٣١٦).

وعند منتصف الليل بدأت السنة الجديدة وقرع رئيسا الدولتين، أمريكا وإيران، كأسيهما المملوءين بالشمبانيا، وشربا نخب السلام، وعندئذ دارت كؤوس الشامبانيا على ضيوف الشاه، وبارك كارتر تطور إيران السريع وأعرب عن سروره للشاه المستنير، وأبدى حماية كاملة لبلاده.

ولم تكد تمر سنة على هذه الواقعة حتى تدفق مئات الآلاف من الشعب الإيرانى فى شوارع المدن الكبرى للبلاد وهم يهتفون "الموت للشاه".

بالإشارة إلى هذا الوضع، كيف استطاع رجل خبير مثل رئيس جمهورية أمريكا أن يرتكب مثل هذا الجرم الفاحش فى تصريحاته بينما تلقى فى اليوم السابق لزيارته لإيران ما يمكن أن يكون تحذيراً ، وهو حادثة انفجار قنبلة مقابل بناية المركز الثقافى الأمريكى فى طهران؟ ومن المؤكد أيضاً أن مصادر الاستخبارات قد أبلغت كارتر أنه قبل وصوله بيومين أغلق طريق السير من مطار مهرآباد (* -١) حتى قصر الشاه تماماً أمام وسائل النقل، واحتل رجال الشرطة جميع المنازل والشقق التى تقع فى طريق مرور رئيس أمريكا.

إن كارتر بنفسه شاهد على مظاهرات الشهر الماضى للمنقبين (* -٢) مقابل البيت الأبيض وكانوا يصيحون "الموت للشاه" عند استقباله له،ومن المؤكد أنه يعرف أن مظاهرات فاترة وباردة لجماعة مؤيدة للشاه فى زاوية أخرى من تدبير أردشير زاهدى ومسئولى السافاك مستفيدين من الإيرانيين المرتزقة.

وعلاوة على ذلك فإن كارتر لا يمكنه مطلقاً أن يهمل الانتقادات الشديدة لنظام الشاه فى الجامعات الأمريكية وبعض وسائل الإعلام، وألا يرى النشاط المتجدد

(* -١) مطار طهران الدولى.

(* -٢) قام عدد من الإيرانيين المقيمين فى أمريكا أثناء ارتدائهم النقاب بالهجوم على الإيرانيين الذين حشدهم السافاك لاستقبال الشاه والشاهبانو (پاسخ به تاريخ ٣١٦).

للمعارضين للنظام فى إيران ، وألا يتنبه للأنباء الخاصة بالعمليات الفدائية للمجاهدين والفدائيين (*-١).

إن الحكم الخاطىء لكارتر بشأن نظام الشاه يمكن ضمناً أن يُظهر مدى ارتكاب النظام الحاكم للخطأ استناداً إلى أجهزة الاستخبارات الأمريكية، وبينما تصاعدت مظاهرات الشعب الإيرانى فى شهر سبتمبر ١٩٧٨م (شهر يور ١٣٥٧ هـ.ش) كان جهاز السى آى إيه يطلع كارتر خلال تقاريره عن أوضاع النظام الإيرانى"بالاستقرار" ويعلن خلالها أن الشاه لايهدده أى خطر داخل الدولة!.

نتيجة لإبداء هذه المعلومات الخاطئة أيضاً فقد وجه كارتر، خلال مذكراته المؤرخة فى ١١ نوفمبر ١٩٧٨م، اللوم إلى رئيس السى آى إيه ووزير خارجيته ومستشار الأمن القومى فى لهجة حادة بسبب العجز الشديد تجاه معرفة أوضاع إيران (١)، وعلم بعد ذلك أنه صدرت أوامر للقيادات العليا بألا يسمح لأى من المسئولين الأمريكيين على خلاف رتبهم فى إيران ألا ينتقدوا وضع نظام الشاه وألا يتصلوا بمعارضيه.

وطبيعى أنه نتيجة لمثل هذه السياسة يمكن أن يؤدى إلى تعتيم كامل عن حقائق أوضاع إيران ، وأنه يجب على المسئولين الأمريكيين أن يرجعوا إلى إيران لاتخاذ أى قرار.

وأدى هذا إلى غفلة وجهل أمريكا وحتى روسيا ، وقد أدى هذا أيضاً إلى انحرافهما عن الاهتمام بالحقائق، وسبب هذا الوضع حتى الأسابيع الأخيرة من عمر النظام، وظلوا يؤيدون حكومة الشاه حتى النهاية (٢) .

(*-١) كان كارتر فى أوائل سنة ١٩٧٦ (١٣٥٥ هـ.ش) يستعد للمعركة الانتخابية (شكست شاهانه ٤٣).

بداية الأزمة:

لا يمكن الشك فى حقيقة أن أزمة قد ظهرت في إيران، وكانت منذ فترة فى طور التكوين.

وفى نفس وقت المعركة الانتخابية لكارتر لرئاسة أمريكا مما حدا به إلي الإشارة كثيراً إلى مسألة حقوق الإنسان، أحس معارضو النظام الإيرانى أيضاً وبدافع من الساخطين الروس بسعادة غامرة، وعملوا على تكوين تنظيمات لهم.

أحيا كريم سنجابى (*-١) الجبهة القومية "جبهه ملي" التى كانت تعد حزباً من إرث مصدق ، وأهملت لسنوات بسبب الإحباط الشديد.

كوّن مهدى بازرجان وعبد الكريم لاهيجى سوياً "لجنة الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان" (كميته دفاع از آزادى وحقوق بشر)، وانتشرت عقب هذه الخطوات أيضاً رسائل سياسية مختلفة بين الشعب على نطاق واسع.

فى مايو ١٩٧٧م (أرديبهشت ١٣٥٦ هـ.ش) وقع أكثر من خمسين (*-٢) من الحقوقيين بياناً، احتجوا فيه على التدخلات الحكومية فى الشئون القضائية، وفى يونيو (خرداد) طالب أربعون من الكُتاب فى بيان لهم بحرية التعبير وإلغاء الرقابة فى البلاد، وفى يوليو (تير) أيضاً كتب عدد من المفكرين (كريم سنجابى، شاهبور بختيار، داريوش فروهر) رسالة مفتوحة إلى الشاه، وطالبوه أن يحقق بأسرع ما يمكن مطالبهم.

(*-١) أرسل كريم سنجابى وجماعة منهم داريوش فروهر وشاهبور بختيار رسالة مفتوحة يطالبونه

فيها بإنهاء الحكم الاستبدادى والعمل بالدستور وميثاق حقوق البشر وإلغاء نظام الحزب الواحد وحرية المطبوعات وإطلاق سراح المسجونين السياسيين وإقامة حكومة أغلبية

(In the service of the peacoct throne:The Diaries of the shah's Last Ambassador to London (London- Hamish Hamilton 1983)p.91.

(*-٢) أربعة وخمسون شخصاً من الحقوقيين (شكست شاهانه ٢٢٩).

وكانت بيانات ومنشورات ورسائل مختلفة ومتنوعة توزع بشكل سرى بين الشعب، وهذا التصرف على الرغم من كونه غير علنى فإنه كان يشير بوضوح إلى أن منعطفاً فى الحياة السياسية للبلاد قد برز، ذلك لأنه حتى ذلك الحين كانت جميع الاحتجاجات والمعارضات عادة تتم خارج البلاد، وفى داخل إيران بدا واضحاً أن معارضة النظام فقط متمثلاً فيما يشاهد من هجمات من حين لآخر لجماعات فدائية.

فى نفس الوقت اضطر الشاه تحت ضغط أمريكا لإعلان رسمى لبرنامج "إعادة الجو السياسي" وأعقب ذلك أيضاً بالسماح إلى حد ما بأن يوجه الانتقادات لحكومته فى الصحف وفى حوزات حزب "رستاخيز" (*-١). وسمح الشاه أيضاً لعدة أشخاص من نواب المجلس - وكانوا جميعاً أعضاء فى حزب رستاخيز. بأن يعارضوا بعض اللوائح الحكومية، ويصوتوا سلبياً.

مع أن السافاك، كان يراقب عن كثب كل هذه التحركات ولكنه فضل ألا يعوق نشاط الكُتاب والموزعين للنشرات والرسائل السرية بأى وسيلة، وخفف قبضة الرقابة التى كانت أيضاً قد وصلت إلى ذروتها.

ولكن هذه التغييرات الظاهرية لم تتمكن مطلقاً من أن تشبع نهم الطلاب والمفكرين فى إيران، وتضعف من رغبتهم فى تحقيق الديمقراطية التى كانت تدفعهم إلى الأمام كقوة محركة، ومع ذلك قل من صدقه فى أن يستمر برنامج "إعادة الجو السياسي".

وفى نفس الوقت سأل "ألن هارت" مراسل صحيفة التايمز الشاه خلال حديث صحفى معه عن رأيه فى هذا الشأن، وهل ستجعل الحكومة الدستورية الملكية في إيران شبيهة بانجلترا؟ أجابه الشاه: "ليس هناك داع لأن نتمسك بمثل هذا الأمر، ولوأراده

(*-١) أصدر الشاه فى مارس ١٩٧٥ (إسفند ١٣٥٣ هـ.ش) أمراً بتأسيس حزب سياسى أسماه "حزب رستاخيز" أى حزب النهضة، ومنع جميع الأحزاب السياسية- (شكست شاهانه ١٤٩).

الشعب فلا يمكن أبداً أن تحكم حكومة خلافاً لرأى الشعب، وإذا أراد الشعب مثل هذا، من المؤكد سيتمسكون به (* -١)" (صحيفة تايمز بتاريخ ٩ يونيو ١٩٧٧).

هل كان الشاه صادقاً فى بيان هذا الأمر؟ أرى من وجة نظرى أنه فى الواقع أراد أن يقيم ديمقراطية بشأن المعارضين فى إيران مثلما فعل الشاه فى سنة ١٩٦٠ (١٣٣٩ هـ.ش) وطبقاً لما أراده الثوار من إصلاحات فى ذلك الوقت، ولكنه فى تلك كان يردد دائماً" إذا أراد أحد دعاة الثورة أن يثور فإنني أهيىء له هذه الثورة وليس هم" (٣).

مع أنه فى سنة ١٩٧٧م، قام المعارضون بنشر المنشورات والرسائل المفتوحة اعتماداً على تأييد كارتر إلا أنهم كانوا يدركون أن أعمالهم أيضاً تتوافق مع رأيه، ولكن مع هذا الوضع الذى سمح فيه الشاه بالبحث والمناظرة فى الصحف ومقار حزب رستاخيز، اشتعلت الشعلة التى لا يمكن السيطرة عليها، ولم يستطع أحد عند رؤية هذا الوضع أن يتذكر الانتقادات السابقة للشاه بشأن الديمقراطية الغربية.

لم يدع الشاه فرصة خلال أحاديثه الصحفية المتعددة دون امتداح سياسته فى إدارة الأمور والهجوم على الأوضاع الناجمة عن الديمقراطية، وجل ما كان يراه ينتقده من مجتمع أمريكا المبرمج وكسل عمال انجلترا والاضطرابات السياسية الإيطالية، وفى جلساته الخاصة أيضاً يتجشم عبء الرجل الناصح لرؤساء الدول الآخرين.

ذات مرة فى صيف ١٩٧٦م (١٣٥٥ هـ.ش) حيث كنت موجوداً برفقة عدد من الضيوف الأجانب وكنت أحد المدعوين لغذاء ملكى فى نوشهر، كان البحث جارياً على مائدة الغذاء بين الشاه والسيدة "جاويتس" ·زوجة السناتور الأمريكى جاكوب

(* -١) قال الشاه لريتشارد هولمز سفير أمريكا فى إيران: إن الأمريكان والإنجليز كانوا يضغطون علىّ، وكانوا يريدون جمهورية ديمقراطية وطالبونى أن أكون أكثر تسامحاً مع معارضى، وقد قمت بإجراءات حقيقية لكن إيران لا تقبل الديمقراطية على النمط الغربى" (Helms, Cynthia, An Ambassador's wife in Iran,New York: Dodd, Mead. 1981 p. 204.).

جاويتس) حيث انتقد الشاه بشدة الديمقراطية الأمريكية، وخلالها جعل الإيرانيين أفضل أمة فى جميع مزايا "حقوق الإنسان"! وادعى أن الفساد المالى فى أمريكا يشيع، ولكن فى إيران كانت الحكومة تعتقل جميع اللصوص، حتى لو كانوا من المسئولين الكبار!.

سببت انتقادات الشاه جميعها إلى شيوع جو بارد وجامد على الضيوف الأجانب فى حفل الغذاء.

أدت المساجد في إيران، والتى تحولت بشكل دائم إلى مراكز معارضة للحكومات، أدت دوراً مؤثراً فى ترسيخ وتنمية الأنشطة السياسية، وهذا الأمر هو من ميزات أكثر الجوامع التى لم يجد الأفراد الساخطون مكاناً إلا إياها لشرح وجهات نظرهم فى التنظيمات البرلمانية ، ومن هنا يختارونها كمكان مقدس وآمن للإعراب عن سخطهم، وفيما يتعلق بالوعاظ فى المساجد، فقد اعتادوا حشر انتقادهم للأمور السياسية والاجتماعية فى وعظهم،ويتناظرون عقب ذلك مع الحضور فى الأمور الحياتية.

فى مساجد إيران كانت الشرائط الممنوعة (* -١) لأحاديث خمينى فى النجف تذاع فى الغالب على الحضور، وكانوا ينقلون مضمون ما سمعوه فيما بعد إلى الآخرين خارج المسجد.

كانت أكثر هذه الأشرطة قد دخلت إيران مع المسافرين الذين جاءوا من العراق ولكى لا يمنع مسئولي الجمرك دخول مثل هذه الأشرطة كانوا يلصقون عليها "موسيقي شرقية" ويحضرونها إلى إيران، وبعد ذلك يضاعفونها ويرسلونها للبيع بملصقات مختلفة فى محلات قم وطهران.

(* -١) كانت هذه الشرائط تأتى سراً مع الزائرين للنجف، وكان الإمام خمينى يسجل فيها أفكاره وآراءه فى النظام، وكان لهذه الشرائط أهمية كبرى حتى أن الثورة الإسلامية أطلق عليها ثورة الكاسيت. (الشعر النسائى في إيران فى ظل الثورة الإسلامية- د. أحمد الشاذلى - القاهرة ١٩٩٠ ص ٢٤).

وبناء على هذا فإن صوت خمينى بعد أن قضى قرابة ١٥ سنة فى المنفى وصل إلى آذان الشعب فى كل إيران، وكان يلتقى أيضاً بنفسه فى منفاه - بالنجف- يومياً مع جميع المعارضين للنظام الذين وفدوا لزيارته من أماكن مختلفة، وكان يزدى وقطب زاده من الأشخاص الذين زاروه عدة مرات فى النجف خلال سنة ١٩٧٧م (١٣٥٦ هـ.ش).

كان خمينى دائماً يهاجم الشاه فى خطبه، وكان الشاه أيضاً مستاءً جداً من الأمور التى تحدث فى النجف.

كان الشاه نافراً من خمينى، ولم يكن يخفى إحساسه ضده أبداً، وحمل خمينى أيضاً للشاه شعوراً مماثلاً (٤).

كان الشاه فى سنة ١٩٧١م قد صرح لـ "أريك رولو" مراسل صحيفة "لوموند"..الشعب الإيرانى يرفض قبول شخص مثل الخمينى بينه، طالما هو من مواليد الهند ومن أصل أجنبى" (٥).

وهجوم الشاه يعد نوعاً من الانتقام خاصة لما قاله خمينى بشأن إقامة احتفالات بمرور ألفين وخمسمائة سنة علي الملكية (* -١)، حيث هاجم الشاه بشدة فى حديث له بالنجف.

وفى نص مطبوع لقول خمينى ورد فيما بعد على يد الزعماء الدينيين إلى إيران، وقد لفتت هذه الجمل النظر".... هل تبنون يا شعب إيران، ليحتفل من خان الإسلام؟ لرجل قتل فى ١٥ خرداد مائة شخص فى قم وأكثر من ألف وخمسمائة شخص فى أنحاء المملكة؟..." (٦).

(* -١) يقصد بها احتفالات پرسپوليس التى احتفل فيها بمرور ٢٥٠٠ سنة على حكم كوروش الهاخمنشى.

الأحد ٨ يناير ١٩٧٨م (١٨ دي ١٣٥٦ هـ.ش) تهران

الاثنين ٩ يناير ١٩٧٨م (١٩ دي ١٣٥٦ هـ.ش) قم

عندما سمع الشاه بخبر دخول وإذاعة أشرطة خمينى المهربة، صب جام غضبه بسبب ضعف جهاز أمنه، ولذا قام بعمل مماثل، وتمسك بالانتقام، وأصدر أمره دون مشورة أحد، بنشر مقالة شائنة تماماً لتدمير الخمينى، وكلف وزير إعلامه آنذاك (داريوش همايون (*-١) الذى كان زوج أخت أردشير زاهدى (*-٢)) بهذا الأمر، وهيأ أيضاً إحدى صحف طهران الهامة (*-٣) لتطبع هذا المقال، وكان نشر هذا المقال بمثابة الشرارة التى أمسكت ببرميل بارود (٧).

ظهر رد فعل للمقال المذكور بشكل مغاير، وبعد يوم من نشره اندلعت الثورة فى مدينة قم التى احتج خلالها أهالى المدينة بالقيام بمظاهرات حول المسجد، ضد نشر المقالة الشائنة بشأن زعيمهم الدينى، وقُتل عدد منهم إثر إطلاق النيران من قوى الجيش والشرطة (*-٤).

(*-١) داريوش همايون وزير الإعلام فى وزارة هويدا، وقد كلف هويدا همايون فى أوائل يناير ١٩٧٨ (دى ١٣٥٦ هـ.ش) بنشر مقالة مشينة ضد الإمام الخمينى مما استوجب قيام المظاهرات من قبل طلاب العلوم الدينية فى قم وأطلقت الشرطة النار على المتظاهرين وكان هذا هو بداية القتل مما فتح الباب لاستمرار أعمال العنف حتى رحيل الشاه (شكست شاهانه ٢٥٦).

(*-٢) أردشير زاهدى سفير إيران فى واشنطن وابن قائد الجيش فضل الله زاهدى، وزوج أخت الشاه، شهناز.

(*-٣) كان ذلك فى ١٧ دى ١٣٥٦ هـ.ش الموافق ٧ يناير ١٩٧٨ فى صحيفة إطلاعات (پاسخ به تاريخ ص ٤٥٨).

(*-٤) فى ١٩ دى ١٣٥٦ هـ.ش الموافق ٨ يناير ١٩٧٨.

فى اليوم التالى من واقعة قم، أعلن جمشيد آموزجار رئيس الوزراء (*-١) أن الموقف الحازم للحكومة الذى اتخذه ضد مخطط المتآمرين الذين يهدفون الإضرار بالمصالح العليا للمجتمع، والتدخل فى شئون القوات المحافظة على النظام والقانون، قد مكنه من منع امتداد الفوضى.

ولم يكد يمر وقت قصير على هذه الواقعة وفى ١٨ يناير ١٩٧٨م (٢٩ بهمن ١٣٥٦ هـ.ش) تظاهر عدة آلاف من أهالى تبريز فى ذكرى الأربعين لضحايا حادثة قم، وعقب ذلك هبت الثورة، التى سُمع فيها ولأول مرة شعار "الموت للشاه" طبقاً لرواية شهود العيان (*-٢).

هاجم المتظاهرون خلال ثورتهم مبانى حزب رستاخيز، البنوك، دور العرض وبعض المحلات، وحطموا نوافذها.

كان الهجوم على حزب رستاخير تعبيراً عن معارضة النظام، وكان الهجوم على دور العرض لكونها تعرض أفلاماً مبتذلة، بينما كان الهجوم على البنوك أيضاً لكونها تقدم قروضاً مخالفة للشريعة الإسلامية، وتحقق من ذلك مكاسب.

وقُتل فى عصيان تبريز أيضاً مثل قم عدد إثر إطلاق النيران لقوات الأمن على الأهالى، ولكن الحكومة سعت فى هذه الحادثة إلى السيطرة على الصحف والإذاعة والتلفاز حتى تبين قدر المستطاع أنها مشكلة تافهة، ولتهدئة مشاعر الأهالى؛ قدمت الحكومة تعويضاً مناسباً لمحافظ آذربايجان، وعزلت بلدية تبريز.

واليوم وبنظرة على ما جرى فى تبريز، حقيقة أحتار، كيف لم يستطع الشاه إلى هذا الحد أن يدرك أهمية المشكلة ووخامة الأوضاع فى تبريز؟ وكان هذا الموقف كافياً له

(*-١) تولى جمشيد آموزجار رئاسة الوزارة بعد إقالة أمير عباس هويدا فى ١٦ مرداد ١٣٥٦ هـ.ش.

(*-٢) تظاهر أهالى تبريز فى ذكرى الأربعين لشهداء قم، وقتلت الشرطة بعض الأهالى، فقاموا بمظاهرات فى ذكرى الأربعين لشهداء تبريز.

ليفتح عينيه ويشنف آذانه حتى يمكنه بقليل من التفحص أن يعرف جميع الأسباب وعوامل الأزمة التى كانت قد تجمعت فى تبريز ، ويحدد رد الفعل.

قامت فى الثلاثين من مارس ١٩٧٩ (١٠ فرودين ١٣٥٧ هـ.ش) مظاهرات فى طهران وأصفهان استجابة لدعوة رجال الدين فى الذكرى الأربعين لقتلى حادثة تبريز، وفيها أيضاً تكفلت القوات العسكرية بمواجهتهم وقتلت عدداً، وأعلن المسئولون الرسميون عدد القتلى بخمسة أشخاص وأكثر من ثلاثين شخصاً من معارضى النظام.

فى نفس الوقت أضرب المسجونون السياسيون فى سجن القصر (*-١) أيضاً عن الطعام، مع أن الحكومة كذبت هذا الخبر الخاص بالإضراب عن الطعام فى أول الأمر، ولكنها اضطرت للاعتراف به فيما بعد وسعت لتأكيد عدم أهميته، وذلك فى الوقت الذى اتهم مهدى بازرجان من "لجنة الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان" مسئولى السجن بسوء معاملة المسجونين المضربين.

عُلم فيما بعد أنه فى نفس يوم ٣٠ مارس قامت مظاهرات فى عدة مدن أخرى أيضاً مشابهة لمظاهرات طهران وأصفهان، والتى هبت أكثرها بناءً على طلب رجال الدين بشكل هادىء، ولكن مظاهرات الأهالى فى يزد وجهرم لم تكن بهذا الحال بل مالت إلى العنف، وفتح رجال الأمن النار صوب الأهالى، وقتلوا فى المدينتين ثلاثة أشخاص (طبقاً لرواية الحكومة) أو ٣٢ شخصاً (طبقاً لرواية المعارضين).

وعلى هذا الأساس توالى انعقاد مراسم الأربعين بصورة مستمرة، وكأنما عم جميع المملكة؛ نظراً لتكرارها يومياً، وكان استمرار الصراع مع النظام يتعاظم لحظة بعد لحظة آخذاً شكلاً دينياً.

كان الشاه مستاءً من تكرار مثل هذا الوقائع، ووجه انتقاداً فى البداية لرئيس السافاك ورئيس الوزراء لماذا لم يتمكنا من إيجاد حاجز لمواجهة استمرار الأحداث؟ وبعدها أصدر أمراً بنفسه لكى ينظم حزب رستاخيز مظاهرات مؤيدة للنظام.

(*-١) قصر نياوران.

تم تنفيذ أمر الشاه فى الثانى من إبريل ١٩٧٨م (١٣ فروردين ١٣٥٧ هـ.ش) وخلالها استطاع رجال حزب رستاخيز من تنظيم مظاهرة بالاشتراك مع عدة آلاف من العمال والفلاحين وأشخاص معروفين فى تبريز كنوع من التأييد للنظام (٨) .

كنت أقضى ذلك اليوم فى مدينة داكار عاصمة دولة السنغال، واستطعت أن أسمع فى سفارة إيران برنامجاً من إذاعة طهران كانت مظاهرات تبريز تُبث مباشرة خلاله.

خلال هذه المراسم كان محمود جعفريان" (نائب الأمين العام لحزب رستاخيز) يتحدث بعبارات منمقة جداً تفوق قدرة فهم كثير من الأهالى حتى الطهرانيين، وأخذ يعدد المكاسب الجمة الناجمة عن "ثورة الشاه والشعب" خلال امتداحه النظام، ومما قاله: هذه الثورة هى السبب فى تملك الأهالى، العمال يشاركون بعشرين فى المائة من أرباح المصانع، الأهالى يستفيدون من مزايا الضمان الاجتماعى و....." وخلال ذكره أيضاً لاسم الشاه كل مرة كان تصفيق المجتمعين مسموعاً.

وبينما كنت أستمع إلى الإذاعة قلت لسفير إيران فى السنغال: "حقاً إنها مسخرة فظة" سأل متعجباً "كيف؟!" أشرت فى الرد عليه إلى مسألة اللهجة الشائعة فى آذربايجان وقلت: "العمال والفلاحون الذين يشتركون فى هذه المراسم أكثرهم يعرف الفارسية فقط معرفة بسيطة ، ولهذا السبب فإن مايقوله من كلام أدبى لهؤلاء القوم لايمكن أن يصدق، واعتقد أن جعفريان فى خطبته أصلاً لايتحدث إلى الأهالى الموجودين فى الميدان، ويظن نفسه مخاطباً فقط الشاه شخصياً، لأنه متأكد أنه الآن جالس أمام الراديو، يستمع لخطاب جعفريان.....".

وكانت هذه المسألة مصاحبة لإغماض العين فى كل أمور حكومة إيران، وعلى هذا فإن المسئولين الكبار لم يهتموا بالآثار الناجمة عن أقوالهم وأفعالهم على الأهالى، وفى كل خطوة يخطونها كانوا يغضون النظر عن هذه المسألة لأن الشاه سيهتم برد فعلهم نحوه.

بعد أحداث مظاهرات تبريز، واصل الشاه بسرور برنامجه "إعادة الجو السياسي"، والتحول نحو الليبرالية، ولكن كالعادة كانت قراراته الصادرة مبهمة لدرجة أنه ما من شخص استطاع أن يفهم ما يجرى فى ذهن الشاه، وبالتحديد الحد الذى يجب أن يكون للحريات السياسية، إلى أين ينتهى؟.

كانت القوى المعارضة قد تلقت إجراءات الشاه بشأن إعلان إعادة الجو السياسى كفخ، وكانوا يعتقدون أن الهدف من مثل هذه السياسة ليس إلا للتعرف على الأشخاص المعارضين.

مؤيدو الشاه أيضاً طالما رددوا أن الشاه بعد سنوات طويلة من الدكتاتورية يمكنه أن يقلع عن عادته، وتصوروا أن هدفه من إعلان سياسة الليبرالية ليس إلا امتحانًا لمؤيديه، والسبب الرئيسى لهذا الشك والتردد عند العودة إلى حديث الشاه السابق ضد الديمقراطية، لاشك أنه كان يطرح هذا السؤال: كيف يمكن لأحد أن يصدق أن الإنسان بمقدوره أن يُنحى بمثل هذه السرعة أفكاره وآراءه السابقة؟.

كان الشاه قد تحدث مثل هذا الحديث فى حديث صحفى عقدته معه صحيفة كيهان حول الديمقراطية والحرية فى ٣٠ أكتوبر ١٩٧٦م (٨ آبان ١٣٥٥ هـ.ش) جاء فيه:

"..........الديمقراطية (*-١). إذا كانت موجودة - ماذا يمكن أن يكون معناها غير ما نفعله؟ صحيح ما معنى الديمقراطية؟ عند بعضهم معنى الديمقراطية هى أن يسقط شخص فى الشارع، فى وضح النهار، هذا ليس فى قرية، بل فى مدينة كبيرة، فى العاصمة، وأمام الأهالى، ويصيح أحدهم ويقول: اعطنى كيس نقودك، وبعد أخذ كيس النقود ، يغرس السكين فى البطن، وأمام أعين الجميع، ويسير فى طريقه مباشرة أهذه هى الديمقراطية؟.

(*-١) قال الشاه فى كتابه پاسخ به تاريخ: إن سياسته الداخلية قائمة على ثلاثة أصول: المشاركة، اللامركزية، الديمقراطية (ص٢٩٣).

الآن هذه المملكة التى يشترك أصحاب الاقتراع فى أهم انتخاباتها بحد أكثر ٤٥ إلى ٥٠٪، الأهالى أيضاً كما قلت يصيحون وتغوص السكين فى أحشائهم، ويريدون أن يسألونا عن الديمقراطية وحقوق البشر؟ حقيقة إنها مهزلة، لعل الديمقراطية فقط هى البذاءة؟ لعلها فقط اللصوصية؟ لعلها فقط كل ما هو مغامرة؟ لعل الديمقراطية فقط هى القتل؟ ثم حقوق الأشخاص الذين يقتلون مجاناً بلا ذنب فى الشارع، فى البيت، أو فى حجرة بفندق، ماذا يحدث؟ أليسوا بشراً؟ أليس لهم حقوق؟ إذا كان لهم من يحفظ حقوقهم؟ ولكن ماذا نفعل؟ إننا نواجه شخصاً إرهابياً بالإضافة إلى كونه خائنًا وبائعًا لوطنه، إننا نحمى الشعب من شره، ولن ندعهم يقدمون المملكة للعدو، أليس هذا حفاظاً على حقوق الإنسان؟ فهل عدم تركنا لهاجس قتل الأبرياء ألا نكون قد حفظنا حقوق الإنسان"؟ (٩).

واستدل الشاه بمثل هذه الدلائل على أن المجرمين المحترفين من معارضيه السياسيين فى نفس الخندق، ولم يستطع أن يقنع مفكرى إيران والمراقبين الأجانب ويقدم الدليل المقبول على عدم وجود ديمقراطية فى إيران.

وكنت قد تحدثت عدة مرات مع الشاه بشأن الديمقراطية ولكن لم أر مطلقاً أنه يمكنه أن يفرق بين الديمقراطية الحقيقية وما كان يؤمن به عن الديمقراطية.

وقد شرح الشاه فكرته عن الديمقراطية (*-١) الموجودة فى إيران فى كتاب بعنوان طنان "نحو الحضارة العظمي" فى سنة ١٩٧٧م (١٣٥٦ هـ.ش) كتب فيه:

"..........فى ديمقراطيتنا الحرية الكاملة توأم للضبط الاجتماعى، كل إيرانى جدير بأرقى الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

(*-١) تحدث الشاه عن الديمقراطية أيضاً فى كتابه "پاسخ به تاريخ" جاء فيه: إنه يريد أن تصبح إيران وهى على أعتاب الألف الثالثة دولة عصرية تماماً وأمة متحضرة ومجتمعاً متطوراً، وشعباً مثقفا، واقتصاداً مزدهراً وأسس حكم قائمة على الديمقراطية (پاسخ به تاريخ ص ٣١).

ديمقراطية إيران، ديمقراطية الحريات والحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية المشروعة، لكنها ليست ديمقراطية الفوضى، ومن باب أولى ليست أيضاً ديمقراطية التخريب وأحياناً الخيانة، مفهوم ماقيل هو أنه فى إيران اليوم الفساد والإحباط فى تطوير شئون البلاد ليس مقبولاً، وبناءً على هذا فإن عدداً من المخادعين أو المغرضين أو المجانين يخرجون من بين لحمة المجتمع، وهم فى كثير من الدول المتقدمة أيضاً ، ويشكلون للأسف نوعاً واحداً عن"عالمية التخريب" وهم فى هذه الدولة لا مجال لهم، وهؤلاء الأفراد إما جهلاء بالفطرة وبلا منطق، وإما أنهم ضلوا بغسيل مخ،أو أنهم مرضى نفسيون وبسبب الأيديولوچيات الحمقاء مثل الماركسية الإسلامية- التى تثير الضحك لكونها تركيبة غير ممكنة، وهى سهلة أيضاً حتى لطفل فى المدرسة الابتدائية، يدفعونهم للعمل ضد وطنهم (وطبقاً لمصلحة الآخرين).للتخريب وأحياناً القتل، ويعتبرون الإفساد فى كل حالاته بناءً وإيجابياً ويعتبرونه أيضاً مهمة بطولية، حقيقة أن مساعى هؤلاء الأشخاص، سواء الحمقاء أو الخائنة، فى مواجهة قدرة وسرعة تطور وبناء الدول له أثر سلبى لأنه لا يمكن لأى قلق حقيقى أثر إيجابى، ولكن وجود مثل هؤلاء الأشخاص وهم فى سن الخامسة والعشرين ويسلكون سلوك أطفال فى عمر السنتين أو الثلاثة، بالنسبة للمجتمع فإن نمو مثل هذه الحشائش التى لا نفع منها أمر مثير للأسى" (١٠).

بالنظر إلى الأجزاء المنقولة من كتاب "نحو الحضارة العظمي" الذى أوضح فيه الشاه وجهات نظره الفلسفية للشعب، يمكن بسهولة إدراك إلى أى مدى كان مستاءً من معارضيه، ومسىء الظن بهم، يتحدث الشاه فى كتابه عن الحرية، ولكن لم يستفد أصلاً بما حدده لهذه الحرية من حدود، ويظهر مفهومه المحدود أيضاً إلى أى مدى كان بعيداً عن إدراك الحقائق، وقلة معرفته بمعارضيه.

لعل نقل ما جرى فى آخر لقاء كان بينى وبين الشاه فى شهر أبريل ١٩٧٨ (أوائل أردبيهشت ١٣٥٧ هـ.ش) يوضح أكثر أفكار الشاه المتناقضة.

آخر لقاء لى مع الشاه :

بعد ظهر ذلك اليوم الذى كنت منتظراً حلول دورى للقاء الشاه فى القصر، كان عدد من جنرالات الجيش أيضاً بحللهم العسكرية المنشاة والمطرزة بالأوسمة المختلفة يقضون وقتاً انتظاراً للقاء الشاه، وفى نفس الوقت دون أن يبدو عليهم القلق والاضطراب بسبب حوادث تبريز وأصفهان ويزد، كانوا يبحثون المسائل المتعددة للأفرع التى تحت قيادتهم مع بعضهم البعض.

والنقطة المثيرة للحيرة هى أن الشاه كان يستقبل قادته العسكريين واحداً تلو الآخر، وآخر شخص حضر لمقابلة الشاه كان رئيس أركان الجيش الذى لم يبد من مظهره أنه ارتكب خطأ فى الحوادث الطارئة الجارية فى البلاد.

سمعت مرات أن الشاه يستفيد في إدارة شئون مملكته من سياسة "فرق تسد"، ولكن لم أكن أعرف أنه يستغل مثل هذه السياسة إلى هذه الدرجة.

بعد ذلك حل دور لقائى، وبدأ الشاه فوراً حديثاً فى مجال وجوب استمرار السياسة الليبرالية فى المملكة، وكعادته دائماً لم يمنحنى فرصة لإبداء وجهة نظرى، وكأنما أنا شخص يتدرب على النطق وراء ما يتحدث به.

كانت الصورة التى رسمها الشاه للمملكة وتقدمها صورة متفائلة جداً، وادعى أنه خلالها، "يمكننا أن نسيطر علي التضخم" (*-١) .

كان هذا الادعاء صحيحاً من وجهة نظرى، ففى إيران كانت أسعار كل شيء خاصة المواد الغذائية عند المستوى المقبول، ولكن المشكلة كانت فى أنها توجد فقط فى السوق السوداء وليست بالسعر الذى كانت قد حددته الدولة.

(*-١) كان الشاه يدرك قضية التضخم فى البلاد وقد بلغ التضخم مبلغه فى سنة ١٩٧٥ (أنظر شكست شاهانه ص ١٥٢).

أشار الشاه أيضاً فى لقاءاته الصحفية إلى الاضطرابات التى كانت تعم الدولة، وقال فيها:"......... إن أحداث تبريز وأصفهان لم تبلغ ما بلغته من أهمية، طالما أنها الثمن الذى يجب أن يدفع لإقرار الديمقراطية فى البلاد ، والمسألة ليست بهذا القدر من الخطر، وفى الأصل يجب معرفة من هم معارضىّ؟ خمينى؟! الذى لايحسب له أى شخص حسابا! سنجابى والبقية؟! إنهم أصلاً ليسوا أهلاً للثقة وبعضهم خونة.....".

ولكن عندما أدرك عند - سماع خيانة سنجابى ورفاقه - استيائى، نظر مباشرة فى عينىّ وقال: نعم! لدينا وثائق بشأن علاقات هؤلاء الأشخاص مع الأجانب، إنهم مثل مصدق يرتبطون بأولياء نعمتهم الأجانب......".

عند سماع هذا القول سألت فوراً:"طالما لديك مثل هذه الوثائق لماذا لم يدعها جلالتكم؟ رد على الفور: "عندما يحين حينها لابد أن نفعل".

ثم ارتشف الشاه جرعة شاى، وواصل حديثه: "....الجميع طالما ننفذ سياسة إعادة الجو السياسي في البلاد فإنهم مستاءون وبالتأكيد كان لابد أن تظهر مثل هذه الحالة التي واجهتها في عهد الاصلاحات سنة ١٩٦٢م (١٣١٤ هـ.ش) وعند تنفيذ هذه السياسة ستخلو الأرض من تحت أقدامهم....ولكنني لست بمن يخشاهم ، سأستمر في برامجي وأنا مطمئن أن الشعب- حقاً الشعب الأصيل- سيكون درعي....".

بينما كنت أستمع لكلام الشاه، ورد بخاطرى أنه مؤكد يقرأ لى عبارات من كتابه الجديد" نحو الحضارة العظمي" (وسبب معرفتى بعبارات كتابه هو أننى كنت قد انتهيت تواً فى ذلك الوقت من ترجمة "نحو الحضارة العظمي" إلى اللغة الفرنسية الذى قمت به بأمر منه مع زميلى "سهيلا شاهكار").

حاولت فى إجاباتى على الشاه أن أوضح له النتائج السلبية لمثل هذا الاعتقاد، ولكن أدركت أنه لا فائدة ، وإننى أضيع وقتى، ولما كان الشاه فى "حضارته العظمي" المبتدعة مثل طفل يعشق حصانه الخشبى، وكان يتصور الدنيا وردية، بينما كانت

"حضارته العظمي" فى نظرى ليست إلا دنيا الخيال، والواقع الذى كان الشاه يراه بعيداً عن" الواقعية" بعدة فراسخ.

لم أكد أتم كلماتى حتى قاطع الشاه حديثى وقال: "......لم أسمع أن شخصاً قد فهم كتابي، وأصلاً يجب أن تعرف أن ما طرحته في هذا الكتاب له أهمية عظمي لمستقبل الوطن.......".

كان تعجبى كثيراً من أنه كيف للشاه بعد سبع وثلاثين سنة من الحكم - لم يزل غير مدرك لخطر المتملقين والمنافقين؟!.

فؤاد روحانى (الذى قام بالترجمة الإنجليزية لكتاب "نحو الحضارة العظمي" كان يعتقد مثلى أنا وسهيلا شاهكار أن هذا الكتاب ليس إلا هذيان مجنون، ولا بد لنا إلا أن نتلقى مطالبه التافهة، وطالما أن الشاه فى كتابه قد رسم صورة مجتمع لا نظير له فى الأرض، فإننا كنا قلقين بشأن نشر مثل هذه الأفكار، ولم نفكر فى ردود الفعل المستنكرة التى من المسلم أن تظهر.

ولعل من الأفضل نقل أجزاء من كتاب "نحو الحضارة العظمي" لتوصيل هذا المفهوم:

"....... كانت ثورتنا [*-١] التى بدأت منذ ١٥ سنة من قبل فى هذه البلاد أكبر تحول اجتماعى فى تاريخ إيران....كانت هذه الثورة قد قضت على الظروف الاجتماعية الفاسدة التى كانت حائلاً للعمل الجاد والبناء، وهيأت أرضية صحية لإبراز جميع الطاقات والإمكانات الخلاقة ، والنجاحات المشرفة والعادلة لجميع أفراد الأمة الإيرانية كنتاج لعملهم وجهدهم.

وعلى أساس هذا الاقتصاد السليم والمزدهر، يبرز الإنسان الإيرانى الجديد الذى يجنى جميع مزايا العلم والمدنية المتقدمة ببركة نظام اجتماعى واقتصادى متطور... فى

(*-١) يقصد بالثورة البيضاء.

مجال التضخم أيضاً يجب القول: إن بلادنا قد حققت فوزاً جديداً بالسيطرة على التضخم وهذه التجربة لايعتقد أنها تحققت فى أى مكان آخر فى العالم.......

فى السنوات الأخيرة حقق المجتمع الإيرانى بسهولة مزايا -وحقوق- عانت كثير من المجتمعات الأخرى صعوبات ومشاكل طويلة لكى تحقق مثلها، قسم من المزايا التى تتعلق بالعمال فى المجتمع الإيرانى اليوم، لانظير لها حتى فى الدول الصناعية المتقدمة جداً وفى دول العالم الاشتراكى أيضاً، وكذلك فإن الحقوق والامتيازات التى تحققت للفلاح الإيرانى الآن أكثر من تلك التى تحققت للفلاحين فى كثير من الدول على طول التاريخ... فى مجال التأمين الشامل للجميع، على الرغم من وجود خبرات طويلة فى المجتمعات المتقدمة إلا أن بلادنا اليوم تتفوق على أغلبها فى هذا المجال....." (١١) .

على الرغم من أننى أستطيع إيراد أمثلة أخرى متعددة من كتاب الشاه فى آخر كتابى، ولكنى أعتقد أن ماتم نقله كاف بدرجة تظهر تماماً وجود فجوة عميقة بين فكر الشاه وحقائق الحياة.

كنت فى السنغال قبل أن أحضر لمقابلة الشاه، هناك وخلال اللقاء مع صدر الدين أغاخان (*-١) و "آندرو يانج" (المندوب الأمريكى آنذاك فى منظمة الأمم المتحدة) قلت لهما: "......مما لايمكن تصديقه أن الشاه بعيد إلى هذا الحد عن الواقع وأعتقد لو استمر الوضع على نفس المنوال، سيواجه فى المستقبل بمشكلات لاحصر لها".

ثم حضرت إلى طهران وأطلعت خلال لقاءات مع مسئولين بالبلاد أنه لا مصداقية لما جاء فى كتاب الشاه، ولكن عندما سمعت من الشاه مثل هذا الأمر

(*-١) صدر الدين أقاخان سياسى بارز فى الأمم المتحدة قام بجهود وساطة بين كثير من الدول وله دور بارز فى المنظمات الإنسانية، وهو باكستانى يحمل جوازاً إنجليزياً، ومن رجال الطائفة الأغاخانية الإسماعيلية، ومن أغنى الأغنياء فى العالم، رشح لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة فى سنة ١٩٩٢ ولم يفز بالمنصب.

خلال لقائي به حين قال:" ...... طالما نخطو صوب المرحلة الجديدة من ثورتنا، فيجب أن نتوجه نحو الليبرالية، مثلما فعل خوان كارلوس(١٢) مثل هذا الأمر، والواقع أنه اختصر المحظور...".

عندما غادرت قصر الشاه، أحسست بالتشاؤم الذى غمرنى تماماً، وفى نفس الوقت تألمت من أنه لماذا لايجرؤ أحد ليقول للشاه أنه لايستطيع أبداً أن يكون فى نفس الوقت الجنرال فرانكو ويكون أيضاً خوان كارلوس.

فى تلك اللحظات أحسست أن كابوساً قد دهمنى طوال سنوات طويلة، وقد ارتدى الآن رداء الحقيقة، وقد كنت مع الشاه، وجهاً لوجه وقد بَعُد تماماً عن إدراك الواقع - ولن يدرك أهمية الاضطرابات التى تواجه البلاد.

فى زيارتى لإيران تحدثت إينما ذهبت مع كل شخص- من المعارف أو الأجانب على وجه عام- كانوا جميعاً يشكون من الأوضاع فى المملكة.

على الرغم من أن الشعب فى ذلك الوقت لم يهاجم الشاه نفسه بشكل واضح، ولكن لم يتمنعوا عن انتقاد وإدانة أسرته بكل وسيلة، فعل عبد الرضا (* -١) هذا وكذلك غلام رضا (* -٢)، وورد مثل هذا أيضاً على لسان الشعب (بدون استخدام

(*-١) عبد الرضا بن رضا شاه من زوجته الرابعة عصمت الملوك، ولد فى سنة ١٩٢٤ (مهرماه ١٣٠١ هـ.ش) وامه تنسب إلى آل قاجار، التحق عبد الرضا بمدرسة ابتدائية فى سويسرا ونال الدبلوم، ورافق أباه إلى جزيرة موريس ثم جنوب أفريقيا (جوهانسبرج) ثم رحل إلى أمريكا والتحق بجامعة هارفارد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، كان شخصاً عاقلاً تزوج سنة ١٣٢٩ هـ.ش، وعين بمنصب رئيس جهاز الخطة السباعية، وكان الشاه يريده منصباً شرفياً، ولكنه كان جاداً مما أدى إلى عزله، واختفى عن الحياة السياسية بسبب حسد الشاه له (زندگى پر ماجراى رضا شاه إسكندر دلدم. تهران ١١٣٧١ - چاپ سوم - جلد أول ص ٦٢ - ٦٤.

(*-٢) غلام رضا هو ابن ملكه توران إحدى الأميرات من آل قاجار لزوجها رضا شاه سنة ١٣٠٦ هـ.ش، وتلقى دراسته الابتدائية فى طهران.ثم فى سويسرا ثم أكمل دراسته العسكرية فى=

ألقابهم الملكية) ولكن من بين هؤلاء حظيت الأميرة أشرف (*-١) أخت الشاه التوأم بمكانة خاصة،وكان الهجوم فى أغلبه موجهاً فى الحقيقة أيضاً إليها.

وعندما تعرضت سيارة الأميرة لهجوم عند عودتها من صالة القمار فى مدينة كان (جنوب فرنسا) فى سنة ١٩٧٧م (شهريور ١٣٥٦ هـ.ش) كانت الألسنة تلوك شائعات كثيرة فى طهران بسبب هذه الحادثة، قال بعضهم: إن الهجوم فى مجمله لفصيل داخل جماعة تهريب المخدرات، ورأى آخرون أن هذا الهجوم كان من تدبير منظمة "المافيا" وكان اسم الأشخاص الذين يعدون من أتباع الأميرة، يتردد على الشفاه دائماً، وكان الجميع يعتقدون أن الأميرة وأتباعها قد قصروا التجارة الخارجية للملكة عليهم.

= طهران، وتلقى تعليماً عسكرياً فى بريطانيا وأمريكا ودرس الدبابات والمدرعات فى كلية فورت ناكس ونال رئاسة أركان القيادة العليا، كان ياوراً خاصاً للشاه ورئيس اللجنة الأولمبية، عهد إليه الشاه ولاية العهد قبل إنجابه- (زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ص٥٣-٥٤).

(*-١) الأميرة أشرف الأخت التوأم للشاه كانت تحظى بمكانة رفيعة- نالت تعليمها الأولى فى مدرسة زرادشتية، وتزوجت على قوام بن قوام الملك سنة ١٩٣٧، وأنجبا شهرام بهلوى نيا، ثم تزوجت من أحمد شفيق وهو مصرى وقد أنجبا إبناً هو "شايان" وابنة هى آزاده شفيق، وانتهى الزواج بالطلاق سنة ١٩٥٩ وتزوجت أشرف من مهدى بوشهرى بور، واشتهر عن أشرف تعلقها بالشباب ومنهم أسد الله علم سنة ١٩٤٣ وپرويز راجى، كما أنها كانت متسلطة وقوية ولذلك تولت مجموعة من المناصب الشرفية وأشيع عنها اشتراكها فى تجارة المخدرات-تعيش الآن فى نيويورك وعمرها ٧٢ سنة (انظر زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ٣٠ - ٤٩) اسناد لأنه جاسوسى أمريكا - أثر ظهور تاسقوط - جلد أول ص ١١٠.

آخر لقاء لى مع أخى:

ذات ليلة كنت أتناول العشاء مع أخى، وكنت أوافقه على رأيه من أن "للأمة أب يواجه السقوط، ومحاط بحالة سخط واسعة".

كان أمير عباس يعتقد أن "الجرم الأساسى على عاتق الأسرة الملكية، ولو فقد الشاه تاجه وعرشه، فإنه فى المقام الأول سيكون بسبب أعمال وسلوك إخوته وأخواته..." وكان يقول فى هذا الشأن" إنك لايمكن أن تدرك ما يجرى فى البلاط: إنه سباق على النهب، وكر فساد...لقد تحدثت مرات مع المسئولين عن شئون البلاط (كان أخى بعد تعيينه رئيساً للوزراء دائماً مذكور من الشاه، وقد نال لقب "أرباب") وقد ذكرت له أكثر من ألف مرة إذا بدأ بمحاربة الفساد يجب أن يبدأه من بيته وأن يحاسب من الوهلة الأولى بشكل قاطع أسرته.....فى سنة ١٩٧٥ أشارت تحقيقات مجلس الشيوخ الأمريكى: أن الشركات الأمريكية قد قدمت مليارات الدولارات رشوة لمسئولين معروفين فى دول العالم، وطالت أقلام كثيرة أيضاً الأسرة المالكة فى إيران، قال لى الشاه: ليس هناك مشكلة إنه يعتقد أن إخوته وأخواته مثل الآخرين لهم الحق أن يتعاملوا ويعيشوا حياتهم ، وكان يعتقد أن تلقى العمولات فى المعاملات المختلفة فى الوقت الحالى أمر عادى، ويعد أمراً طبيعياً (١٣).

قلت رداً على أخى : إن هذا الأمر يشير بوضوح إلى أن الشاه لايستطيع أن يميز الفرق بين حق السمسرة وتقاضى الرشوة وقد أضاف أمير عباس مؤيداً قولى: "...... ولكنه فى النهاية قبل تحليلاتى وكلفنى أن أسجل ضوابط لأنشطة الأسرة المالكة والتى بموجبها لايحق لأى منهم أن يتدخل فى المعاملات المتعلقة بالحكومة، أو يوصى الوزراء، ويضغط عليهم فى أمورهم ويتصدى للمسئولين الرسميين، و.....ولكن مع الأسف يجب أن أذكر أنه بعد إعداد وتنظيم هذه الضوابط طالبت الشاه فى كل مناسبة لينظر فى مضمونها نظرة عامة، تعلل وطلب منى أن أصبر قليلاً، وحتى الآن لم أستطع أن أفهم ما سبب تعلله؟....".

وتأخر إعلان ضوابط نشاط الأسرة المالكة حتى أواخر أكتوبر ١٩٧٨ (أوائل آبان ١٣٥٧ هـ.ش) وعندما أطلع على مضمونها كان أكثر أعضاء الأسرة المالكة خارج البلاد.

وحينما التقيت بأخى مرة أخرى، وجدته بحالة أسوأ من السنة الماضية، وقد شاركته بعد عدة أيام بالصدفة فى ضيافة مع الأفراد الباقين من الأسرة المالكة، وسمعت الكلام الذى بثه أمير عباس فى أذن أحد أصدقائه كان يقول: "لدينا الآن عدة أيام لنقضيها فى بمبى" (١٤).

وقبل مغادرة طهران ذهبت مرة أخرى لتوديع أخى، وسألته: "إذا كنت تعرف كل هذا الفساد الذى ذكرته فلماذا لاتستقيل؟" أجابنى أمير عباس: "فكرت فى هذا مرات، ولكن لم أستطع أن أترك السفينة وسط الطوفان الذى اشتد، والحقيقة هى أننى كان يجب أن أستقيل من رئاسة الوزارة سنة ١٩٧٤ (١٣٥٣ هـ.ش) بعد تدفق أموال البترول الكثيرة على إيران، كان صحيحاً فى ذلك الوقت أن كل شىء يتغير فى المملكة".

سألته: "لو أننى تركت الآن منصبى فى وزارة الخارجية (* -١) هل سيسبب لك إشكالاً؟".

أجابنى: "لا، أى إشكال؟ أى عمل تحبه أفعله، ولكن ليكن فى معلومك أى شىء تريده ثابتاً لمثل هذه الخطوة؟ وإلا بأى شيء تتمسك بافتقادك الاعتماد على الجناحين؟ وإذا ألقيت بنفسك فى الجناح اليمينى أو فى اليسارى فإن الجميع سيقولون من ورائك: عندما رأى الأوضاع سيئة فضل الفرار...." وبعد أن أشعل غليونه وشد نفساً عميقاً، واصل قوله: "مهمتك هى السعى لحل المشاكل، فوضع البلاد متأزم

(* -١) عمل فريدون هويدا فى عدة مناصب بوزارة الخارجية فى بلدان عديدة، آخرها فى الأمم المتحدة.

للغاية، الأصدقاء الذين تذكرهم فى الجماعات اليسارية (* -١) إذا لم أكن أعمل ولم تطلب منى مساعدتهم لكان أكثرهم الآن مدفونين تحت الثرى،إننى كنت أسعى دائماً أن أخفض من شدة الحرارة، وأساعد الشعب وحتى بعض رجال الدين.... والآن إذا تنازلت عن منصبى، فتأكد أننى ألعب فقط لصالح طالبى المنفعة الذين يستطيعون أن يسرقوا أكثر من ذى قبل ويملأون جيوبهم...".

قلت لأمير عباس: "لكننى فقدت تماماً ثقتى واطمئنانى بشأن الشاه، فإن الكتاب الذى كتبه أخيراً سىء، لقد تغير الشاه تماماً عما كنت أعرفه منذ سنة ١٩٦٥ وصار شخصاً آخر، وسترى أنه سيتخلص تماماً من هذه السفينة الغرقى، ويتركنا جميعاً، وكان أفضل سبيل لك أن تستقيل فى سنة ١٩٧٥م عندما مرضت وبرز كل هذا الفساد من تحت الغطاء، وكنت رحلت.....".

أجابنى أمير عباس الذى كان مشغولاً بتنظيف غليونه:"إننا تحت سيطرة نظام سواء أردنا أم لم نرد، مضطرين للتعاون معه، سواء اشتركنا فى الحكومة أو لم نشترك، وبالنسبة لى لايوجد سبيل آخر، وفى الواقع ليس لأحد فى هذه المملكة استطاعة على أن يتنحى عن التعاون مع النظام، وإلا ماكان أصلاً قد أقحم نفسه منذ البداية...".

حينئذ سألته:" ماذا يكون الإحساس بالمسئولية؟ أجاب أخى بحدة" أية مسئولية؟ هل يدع أحداً يحس بالمسئولية؟ إنه يتخذ كل القرارات بنفسه، وأنا خلال فترة رئاسة الوزارة وما سبقها فى الجيش والسافاك لا أدرى بنفسى....فقط أقوم بالعمل الذى أكلف به والمهام المخولة إلىّ خير قيام، وحتى الآن لم أسرق ديناراً واحداً، ولم آمر بإطلاق الرصاص على الناس.....".

(* -١) كان فريدون هويدا ينتمى إلى الجماعات اليسارية.

وحوكم أخى بعد ذلك فى أوائل أبريل ١٩٧٩ (فروردين ١٣٥٨ هـ.ش) وردد كثيراً من هذه الأمور مرات، وبعد قتله أثبتت كلمات مهدى بازرجان نفس ما قاله كلمة كلمة، ولكن لماذا بقى بازرجان فى منصبه واستمر فى وظيفته؟.

هل عمل بازرجان - ليس شبيها بأمير عباس- فى هذا الشأن من أنه يهتم بالمصالح الوطنية، ويؤكد أنه إذا أطلق سلطاته سيغالى تابعوه فى أمرها مغالاة أكثر؟.... وهل لم يكن يتخيل أن وجوده يمكن أن يمنع كثيراً من الصدامات المدمرة؟....من وجهة نظرى،إنه من المفيد كثيراً أن يوازن بين موقف أمير عباس وبازرجان حتى يمكن الحكم أفضل على أخى [(١٥)] .

فى نهاية لقائى لم يكن يدور بخلدى مطلقاً أننى عندما ودعت أمير عباس لن أراه مرة أخرى.

تصاعد التوتر:

اعتدى رجال الأمن يوم ١٠ مايو ١٩٧٨م (٢٠ أرديبهشت ١٣٥٧ هـ.ش) فى قم على الحرم الآمن لمقام بعض رجال الدين ومنهم آية الله شريعتمدارى - خلال مطاردة الثائرين، مما دعا الحكومة لإذاعة بيان تعرب عن عميق أسفها لوقوع الحادثة ، وتتذرع بأنه لما كان رجال الأمن ليسوا من أهل قم، ولايعرفون أماكن المدينة، وأثناء تعقب العناصر الثائرة التى أثارت الاضطراب ضد المصالح الوطنية، دخلوا عن جهل منزل بعض السادة..." وفى نفس وقت حدوث هذا، اعتقل جمع غفير فى أنحاء المملكة أيضاً.

فى يوم ١١ مايو (٢١ أرديبهشت) أدى قيام مظاهرات فى طهران بتأييد من رجال الدين إلى تأجيل الشاه لبرنامج سفره إلى الخارج (بلغاريا والمجر) وظل بإيران ليحذر رجال الأمن من الاستمرار فى "حمام الدم" [(١)] وعقب هذا أعلن الشاه أيضاً فى ١٦ مايو (٢٦ أرديبهشت) أنه لازال يصمم على الاستمرار فى التوجه نحو الليبرالية ولكن الجيش سيواجه بحزم" العناصر المثيرة للشغب التي لاتهدف إلا تقسيم البلاد".

يوم ٥ يونيو (١٥ خرداد ٥٧ هـ.ش) أغلق أيضاً التجار محلاتهم فى مدن طهران ومشهد وقم وتبريز.

فى نفس هذه الأيام، خلع الشاه نصيرى (*-١) عن رئاسة السافاك وعينة سفيراً لإيران فى باكستان من أجل زيادة توجهه لإقرار الديمقراطية.

وخطوة الشاه هذه واحدة من خصوصيات النظام التى تتجلى فى اتخاذ قرارات مبهمة وغير مفهومة ، ذلك لأنه مثلاً أراد فى الواقع أن ينظف رجال أمنه مما يلوثهم ، كان لزاماً أن يحبس نصيرى ويحاكمه ، ولايوفده سفيراً بباكستان ، ومع أنه فى النهاية قام بهذا العمل، ولكنه عندما صمم على اعتقال نصيرى كان قد تأخر كثيراً (فى نوفمبر ١٩٧٨ - آبان ١٣٥٧ هـ.ش).

وبعد ذلك فإن كل خطوة اتخذها الشاه وحكومته ، جاءت بنتيجة عكسية، وكان الوضع قد وصل إلى درجة يمكن القول فيها أن الشاه وأعضاء حكومته ليس لديهم إرادة فى توجيه مجريات الأحداث كما يشاءون.

مع أن الشاه عين محل نصيرى رجلاً معتدلاً اسمه الجنرال "مقدم" لرئاسة السافاك، وسعى بهذه الخطوة لتهدئة غضب الأمة، ولكن الشعب تصور أنه يقصد رجال الأمن، وبتجديد السافاك بدأت ردود فعل فظيعة ، وظهر جو من النفور، ولم يهدأوا بل تصاعدت حدة مظاهراته أكثر.

عقب ذلك فى ١٧ يونيو (٢٧ خرداد ٥٧) قامت مظاهرات فى طهران فى ذكرى ضحايا قم، والتى انتهت دون حادثة تذكر، وخلالها لم يتعطل سوى سوق طهران وعدة محلات معدودة على مستوى المدينة، واستمرت حياة وعمل الناس بشكل عادى فى

(*-١) الجنرال نعمت الله نصيرى رئيس السافاك الذى شارك فى أحداث ١٩٥٣ ضد مصدق والذى أبلغ مصدق قرار عزله، وقد اعتقله الشاه مع هويدا واعدم بحكم محكمة الثورة (ظهور وسقوط سلطنت پهلوى - جستارهاى از تاريخ معاصر إيران - پيوست ويراستار- جلد دوم - چاپ دوم تهران ١٣٧٠ ص ٥٠٨-٥٠٩.

بقية الأماكن، ومنعت قوات الأمن أيضاً فى ذلك اليوم تجمع الناس حول المسجد فقط.

ولكن على الرغم من ذلك فإن خمينى فى النجف قد وصف فى بيان هذه المظاهرات "بإنه قد انفجرت ثورة عظيمة مزلزلة" (١٦) وفى نفس الوقت صرح الشاه أيضاً فى حديث لمراسل صحيفة "أخبار أمريكا وأنباء العالم" (التى طبعت فيما بعد فى عدد ٢٦ يونيو هذا البيان) صرح: "إن هذه المظاهرات تأخذ شكل الانتقام الشخصى...".

وفى هذا الحديث الصحفى وضمن تشهيره ببعض رجال الدين انتقدهم كمعارضين لبرامج تمدن المملكة، وأدانهم بشكل سافر لأنهم أعوان الشيوعيين والمسلمين ضده، وأضاف عندئذ ببرود "لايقدر أحد علي قلب نظام الحكم طالما يؤيدني ٧٠٠ ألف جندي وجميع العمال وغالبية الشعب".

وكرر الشاه في حديثه الصحفى إمكانية تشكيل حكومة ائتلافية من عدة أحزاب، وادعى كذلك أنه أطلق سراح كثير من السجناء السياسيين، وسيطلق سراح البقية بشرط أن يتوبوا.

الأمر الهام فى هذا الحديث الصحفى غض الشاه النظر عن ادعائه المستمر فيما يتعلق بمرحلة الخمسين سنة التى يقصد أنه فى نهايتها ستتحول إيران إلى دولة صناعية متقدمة، ولكن في المقابل قال لمراسل الصحيفة: "نأمل فى أن نتمكن خلال عشرة أعوام أن نصنع مملكة تماثل أوربا الحديثة، مع أن هذا ليس سهلاً بهذا القدر، لكن خلال عشرين سنة قادمة نأمل أن نطور الإيرانيين جميعاً كأمة واحدة".

قوم الشاه فى حديثه هذا سياسته الليبرالية جيداً، وأعلن إحدى منجزاته أيضاً وهوتقليل العمليات الإرهابية فى البلاد (*-١) ، ولكنه كان جاهلاً بهذه الحقيقة حيث أنه فى نفس الوقت كانت الجماعات الفدائية تستغل الفرصة المتاحة ومشغولة بتجديد قوتها ليعدوا أنفسهم للعمليات القادمة.

(*-١) يقصد بها عمليات مجاهدى خلق.

أشار الشاه إلى مثل هذه التصريحات من أنه قد فقد فترة طويلة علاقته بكثير من المشاكل المنتشرة فى أنحاء البلاد، وليس له بشكل كامل معرفة ولو محدودة بالأحداث الدائرة وسوء أحوال المملكة.

ولكن كيف كان هذا الأمر؟ والرجل قد أشار مرات إلى أنه لديه حاسة قوية لمعرفة المشاكل المختلفة، كيف صار مكتوف اليدين إلى هذا الحد؟.

من وجهة نظرى مامن أحد مقصر فى ذلك إلا إياه، فقد سلبت الحكومة الدكتاتورية للشاه ولعدة سنوات من الشعب كل إمكانية النقد والمعارضة، حتى استفحلت المشكلة إلى هذا الحد لدرجة أن أصدقاءه وحتى رجال السافاك أيضاً كانوا يقدمون له فقط التقارير المنمقة خشية بطشه.

وعندما واجه الشاه الحقائق وبناء على نصيحة بعض مستشاريه (خاصة أخى) دفع ثمناً باهظاً ، وكان قادراً على أن يقوم بثلاث خطوات أساسية لتحسين الأوضاع وهى:

أولاً : أن يحارب الفساد علنياً، ويبدأ هذه المعركة بتعقب أسرته.

ثانياً: أن يؤيد حرية الكتابة ، ويبادر بحل حزب رستاخير الذى كان مفتقداً لقاعدته الشعبية تماماً.

ثالثاً: أن يفتح صفحة الحوار مع آية الله شريعتمدارى ورجال الدين الآخرين المعتدلين، حتى لايتمكن خمينى بناء على هذا التوجه أن يرسخ زعامته بلا منازع، طالما أن رجال الدين المعتدلين لم يكونوا مطالبين بأى حال من الأحوال بإسقاط السلطنة، ولم يكن لديهم هدف إلا تنفيذ دستور ١٩٠٦ وحماية حرمة الدين على يد الدولة.

ولكن الشاه لم يقم بأى خطوة من هذه الخطوات، وبدلاً من استغلال الهدوء النسبى فى يوليو (تير ٥٧) لبدء حوار مع رجال الدين المعتدلين وتهدئة المعارضين، غادر

طهران إلى شاطىء بحر الخزر ليقضى عطلته الصيفية مع الملك حسين وكنستانتين.

ولكن خمينى - عكس الشاه- بدلاً من الراحة والتوجه إلى الاستجمام، ضاعف نشاطه، سعى لتقوية ومد نشاطه الذى كان قد برز بالإضافة إلى الخطب المتعددة (التى كانت مسجلة على شرائط) حتى يقوى العلاقة مع المراكز الدينية الإيرانية ومؤيديه الجدد فى خارج البلاد (يجب الإشارة إلى أنه من بين مؤيديه الجدد إبراهيم يزدى وصادق قطب زاده، وكان الأول نشطاً فى دعم الحركة الإسلامية فى أمريكا والثانى له علاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية).

من ناحية أخرى كانت القوى غير الدينية المعارضة للنظام داخل البلاد فى حال إيجاد تنظيم، وكان المفكرون ينشطون بشكل واسع بكتابة وتكثيف المنشورات لإذاعتها بشكل سرى بين الشعب.

فى مثل هذه الأوضاع كان شباب المملكة داخل المجتمع المستهلك حيراناً لايتعرض لأى شىء ذى قيمة ، فالفساد يعم كل جوانب البلاد ، ومحاربة الفساد لايجدى فى مقالات الصحف وبعض الخطب المؤثرة، وكان حزب رستاخيز قد دخل فى صراع بين جماعة معارضة، فى هذا الحزب بالإضافة إلى الجناحين الموجودين (البناء والتقدم) ظهر جناح ثالث أيضاً بزعامة هوشنگ نهاوندى تحت اسم "جماعة البحث عن مشاكل إيران". مما أدى إلى أن يتحول حزب رستاخيز من الداخل إلى ساحة صراع، ويستفيد الأمين العام للحزب (جمشيد آموزجار) أيضاً من المعركة لصالحه.

استمر هذا الوضع حتى أعلن الشاه خلال رسالته فى ٥ أغسطس ١٩٧٨ (١٤ مرداد ٥٧ هـ.ش) بمناسبة ذكرى الدستور وضمن تعهده بحرية انتخابات الربيع القادمة مائة فى المائة أنه فى هذه الانتخابات سيسمح للمرشحين ممن هم ليسوا أعضاء فى حزب رستاخيز بالمشاركة، والشيوعيين فقط ممن هم ممنوعون قانونياً لايمكنهم أن يرشحوا

لعضوية المجلس[١٧]، ولكن قول الشاه هذا قوبل برد فعل معاكس من الشعب.

فى نفس الوقت كانت مواقف القوى المعارضة للنظام تتقارب فيما بينها يوماً بعد يوم، وكان الخلاف والفرقة يتزايدان كل لحظة بينهم وبين الطبقة الحاكمة، وتمنى المرشحون إحراز منصب رئاسة الوزارة مع إدراك أن عهد رئاسة آموزجار [*-١] قد أوشك على الانتهاء قريباً، وأن الحكومة لاحل لها إلا الاستقالة بعد مقتل مئات الأشخاص فى يوليو (دي ٥٦ هـ.ش) وانهم مستعدون لخلافته.

كان هوشنگ نهاوندى الذى كان متمتعاً بحماية الشاهبانو [*-٢] يعمل بهمة عالية مع جماعة من الشبيبة، بينما كان أردشير زاهدى الذى يفكر فى رئاسة الوزراء قد أخبر رفاقه أن الوقت قد حان ليقوم على أمينى [*-٣] أيضاً بإعادة الاتصال مع المراكز المذهبية.

حمى سوق الشائعات لدرجة أن بعضهم تحدث حول إمكانية عودة أخى إلى كرسى رئاسة الوزارة، ولهذا السبب ولما كان يحظى بالثناء لموقفه السياسى، فإن بقية المرشحين لرئاسة الوزارة انزعجوا لدرجة أنهم اضطروا لتكوين جبهة فيما بينهم للهجوم على أمير عباس، وأشاعوا أموراً محبوكة ضده فى الصحف.

بالإضافة إلى هذا، استغل جمشيد أموزجار بعد تعيينه رئيساً للوزارة- كل موقف لتوجيه النقد لسلوك الحكومة السابقة طوال ١٤ سنة [١٨]، وسار فى هذا

(*-١) جمشيد آموزجار كان أميناً عاماً لحزب رستاخير وتولى رئاسة الوزارة بعد أمير عباس هويدا وكان الشاه يرغب فى تعيين مسئولين جدد لإعادة الجو السياسى للبلاد (شكست شاهانه ص ٢٥٦).

(*-٢) فرح ديبا الزوجة الثالثة للشاه بعد فوزية أخت الملك فاروق وثريا إسفندياري.

(*-٣) عُين على أمينى للوزارة من قبل الأمريكان فنحى الشاه عن إدارة البلاد وتولى المسئوليات الهامة، وادعى الشاه أن أمريكا قد فرضته عليه، وكان على أمينى قد عمل سفيراً لإيران فى أمريكا وقويت علاقته بالأمريكان، وعندما حدثت اضطرابات سياسية وأزمة اقتصادية سنة ١٩٦٠ قام أمينى بعدة إصلاحات (ظهور وسقوط سلطنت پهلوى جلد دوم ص ٢٧٣ ببعد).

الطريق إلى درجة نسيانه أنه هو نفسه كان قد اشترك فترة فى وزارة هويدا، وعلى الرغم من أن أحداً لم يصدقه لأنه لم يكن هناك حرية تعبير فى البلاد، ولم تكن كل هذه الافتراءات وسوء الظن فى أخى حالة طبيعية.

اتصلت مرة بأخى تليفونياً من خارج البلاد خلال الهجوم الذى طال أمير عباس من كل جهة وسألته ولماذا لايحر جواباً؟ ألا يظن أن سكوته سيثير سوء الظن به أكثر؟.....إلا أنه أجابنى: "إن الشاه لاصديق له، وسوف تسحب قدم وزير بلاطه فى الصراعات الصحفية" ولكن أصدقائي أخبرونى أن الشاه شخصياً يرضى عن هذا الوضع، طالما أنه يستطيع الفرار من الهجمات الموجهة إليه، وليس هناك سبيل أفضل من أن يجعل سيل الانتقادات تنحرف صوب معاونيه.

والآن عندما أفكر فى هذه الفترة أواجه نفسى ببعض الأسئلة المؤلمة التى لاأجد لها جواباً، منها: ألم يكن هذا الشاه نفسه أحد الأهداف الدعائية المثارة ضد أخى؟ ألم يكن هذا الشاه نفسه هدفاً لجمشيد أموزجار وبعض نواب المجلس وعدد من الصحف، بعد إقالة أخى من رئاسة الوزارة، حتى يجعل أخى هدفاً لاتهامات باطلة؟ ألم يستخدم هذا الشاه نفسه، أخى كدرعٍ واقٍ لتغطية أخطائه وأعماله المشبوهة؟.

موجة جديدة من العنف:

كانت الفتنة قد أثارت جواً من التفرقة والأوضاع المضطربة حيث عمت أصفهان موجه عنف فى يوم ١١ أغسطس ١٩٧٨ (٢٠ مرداد ١٣٥٧ هـ.ش).

فى ذلك اليوم الذى كان يوافق بداية شهر رمضان (١٩) هجم مئات الأشخاص الذين كانوا فى الغالب من الشباب، عند الصبح الصادق مركز المدينة وفى أيديهم زجاجات مملوءة بالبنزين، وكانوا يصيحون أثناء إشعال النيران فى سيارات الشرطة وعدد من البنوك ودور السينما: الشاه ابن الحرام (٢٠) .

ويبدو أن سبب ماحدث فى هذا اليوم مرتبط فيما قبله حيث تجمع جامعة من الأهالى فى منزل أحد رجال الدين المعروفين فى أصفهان ليحتجوا على اعتقال واحد من رجال الدين الآخرين، وعندما هجم البوليس على الجماعة أطلق عليهم النيران، لهذا أبدى أهالى أصفهان شعورهم بالعداء صبيحة ذلك اليوم فى مركزه المدينة رداً على تصرف البوليس.

وجرت شائعات كثيرة حول هذه الحادثة، ولكن أعجبها التى انتشرت بسرعة فى كل مكان كانت شائعة تقول: إن رجال كوماندوز إسرائيليين كانوا يرتدون زى الجنود الإيرانيين ويطلقون النار على الأهالى.

وعلى التو أعلنت فى أصفهان وبأمر الشاه الأحكام العرفية، ولكن لم يهتم الأهالى قط بقرارات الحكومة العسكرية (* -١) وحظر التجول ليلاً، بل إنهم صعدوا المظاهرات والإضراب أكثر، حتى شملت جميع مدن يزد وتبريز وشيراز وقم وطهران ومناطق أخرى.

أثناء هذه المظاهرات هاجم الشباب كل شيء يمثل النظام، وكانت عربات الشرطة والجيش، ومكاتب الشركات الأجنبية ومقار حزب رستاخيز من الأهداف التى تعرضت بصفة مستمرة للهجوم.

اتهم الأهالى أيضاً السافاك الذين دسوا عناصرهم المسلحة بين المتظاهرين بزى خاص ليقتلوا جماعة من الأهالى، وأشاعوا أيضاً أن عناصر السافاك تتصل بشكل خفى بزعماء المقاومة بالهاتف وتهددهم.

(*-١) أعلنت الحكومة العسكرية فى أصفهان وتوابعها فى ٢٥ مرداد ١٣٥٧ هـ.ش.

وبعد حادثة أصفهان بقليل، اشتعلت النار فى سينما ركس آبادان (*-١) بعد ظهر يوم ١٩ أغسطس ١٩٧٨ و ٢٨ مرداد ١٣٥٧ هـ.ش) واحترق فيها ٣٧٧ شخصاً (طبقاً لما أعلنه المسئولون الرسميون).

وصفت الإذاعة والصحافة الحكومية هذه الحادثة بأنها "جريمة" واتهمت فيها أيضاً الجماعات المتشددة الدينية، ولكن ذكروا بعد ذلك أن عناصر عميلة للأجانب أيضاً سبب هذه الجريمة.

بعد معرفة حادثة الحريق جاشت عواطف الأهالى ، وكلف جمشيد أموزجار على الفور لجنة للعمل على استبيان سبب الحادثة، ولكن المعارضين للنظام، منذ بداية انتشار خبر الحريق- اتهموا قوى الأمن والسافاك بالقيام بهذه الجريمة.

تجمع آلاف من أهالى يوم الثلاثاء ٢٢ أغسطس (٣١ مرداد) لتأبين ضحايا حريق سينما ركس- حول قبورهم فى مقبرة آبادان، ثم ساروا فى شوارع المدينة، ورفعوا الشعارات ضد المحرضين على هذه الكارثة.

لم تسفر التحقيقات حول الحادثة عن أى تقدم، ولكن الشائعات المختلفة حول سبب حدوث الحريق كانت تزداد كل لحظة، وأهم مشكلة ظلت بلا إجابة كانت فيما يبدو تعلل إدارة مطافىء آبادان، لأن هذه الإدارة على الرغم من وجود أفضل وأحسن الوسائل للإطفاء فى البلاد إلا أنه حين وقوع الحادث أتت النيران على السينما كلها.

(*- ١) فى هذه الحادثة مات ٤٧٧ شخصاً حرقاً وقد اتهمت الحكومة شخصاً وقبضت عليه فى العراق وقد ذكرت أنه قد قام بهذا العمل بتحريض من آخرين، ولوحظ أن أبواب السينما كانت موصدة (پاسخ به تاريخ ٣٣٤ - ٣٣٥) وقد اتهم الأهالى الحكومة بتدبير الحادث حيث كانت أبواب السينما مغلقة من الخارج والمواد المحرقة كانت مخزونة داخل السينما وموزعة بإتقان وأن إدارة السينما تأخرت في إبلاغ إدارة الإطفاء عشر دقائق بالرغم من أنها لاتبعد عنها أكثر من عدة أمتار، كما أن صنابير المياه كانت خالية من المياه (الثورة الإيرانية - د. إبراهيم شتا ص ٢٧٣ - ٢٧٤).

ويمكن الإشارة إلى ثلاثة أسباب عن أهم الشائعات التى شاعت بين الأهالى :

- إن قوى الأمن لم تخبر إدارة الإطفاء - متعمدة - ولمدة نصف ساعة من بداية الحريق عند حدوثه.
- كانت أبواب خروج السينما موصدة.
- منع المسئولون مساعدة الأهالى لإنقاذ المتفرجين المحبوسين داخل السينما.

لزمت صحف إيران الصمت فجأة وبشكل مريب بعد حملتها الأولى على الجماعات الدينية المتشددة، واعتبارها مذنبة في ارتكاب هذه الجريمة، وبعدها صمتت الحكومة تماماً كأنما لم يحدث أى شيء.

ولكن بعد مرور أسبوعين على ماحدث أعلن فجأة : أن رجال الحدود العراقيين قد قبضوا على شخص "يقال: إنه كان مسئولاً عن حادثة حريق آبادان" وقد سلموه إلى رجال الشرطة الإيرانيين، وهذا الشخص قد وُضع رهن التحقيق.

عقب إعلان هذا الخبر عم الصمت مرة أخرى، ولفت ظلال الغموض الحادثة تماماً، ولم يزل حتى يومنا، ولم يفهم أحد قط، وربما لن يفهم أحد مطلقاً، من أشعل النار، ومن كانوا محرضيه لإشعال النار؟ (٢١).

عاد الشاه بعد هذه الحادثة فوراً إلى إيران ، وظهرت أول بوا[illegible]ت خوفه من المستقبل، وكرر خلال أحاديثه الصحفية التى أجراها مع الصحف الأجنبية عن تصميمه الاستمرار فى سياسته الليبرالية، وحذر خلال تصريحات معارضيه تحذيراً شديداً، وتعهد مرة أخرى أن تتم انتخابات حرة فى البلاد.

في يوم الأربعاء ٢٣ أغسطس (أول شهريور ٥٧) اشتعل ميدان تره بار طهران، ونسبت الصحافة وقوع هذه الحادثة "للإرهابيين" ولكن خلالها نشروا مقالات متوددة للمعارضين واقتراح بمصالحتهم، ورفض هذا الاقتراح من قبل الليبراليين المعارضين

للنظام، وأدان كريم سنجابى (* -١) زعيم الجبهة الوطنية أيضاً أثناء انعقاد مؤتمر صحفى "السياسة الإرهابية" و "الوعود الجوفاء" للحكومة.

فى نفس الوقت طلب الخمينى الذى كان نجمه فى صعود - من رجال الجيش والشرطة أن يتمردوا على أوامر قوادهم ولايستسلموا لأوامر تكون سبباً فى إراقة دماء أبرياء للأهالى، وكانت تصريحات الخمينى فى دعوة الأهالى لقلب نظام الحكم قد عمت كل أنحاء المجتمع ، وأثارت دعوات آيات الله للآخرين خلال خطبهم اهتمام الأهالى وكان ضمن هذه الدعوات أن الخمينى بصدد طرح إقامة "جمهورية إسلامية" (* -٢) في إيران للمرة الأولى (٢٣) .

وكان الوضع قد وصل أواخر أغسطس (أوائل شهر يور ٥٧ إلى درجة أن أكثر طبقات الشعب لم يكن لهم هدف آخر سوى إسقاط الشاه، رجال الدين، والتجار، أفراد الطبقة المتوسطة، الجامعيون، التنظيمات الماركسية المختلفة (أكثرها مؤيد للروس أو مخالف لهم) جميعاً ينتظرون اليوم الذى يتخلصون فيه من حكم الشاه، ولكنهم بسبب وجهات نظرهم المتعارضة لم يعرفوا إلى أى جهة يتحركون، واحتاجوا لقاعدة يلتفون حولها ويجتمعون في إطارها، وكان الخمينى الشخص الذى استطاع إثارة رغبة التوجه الإسلامى فى الناس تتجمع له مثل هذه القاعدة ، وهو نفسه الذى يتصل بكل القوى المعارضة للنظام على الرغم من اختلاف وجهات نظرهم.

لبحث التغييرات التى طرأت على جبهة المعارضين للنظام، يجب أن نولى عناية لأهمية وسيطرة المذهب الشيعى فى إيران والذى كان مذهباً رسمياً للبلاد منذ القرن

(*-١) كريم سنجابى كان من زعماء الجبهة الوطنية (شكست شاهانه ص ٢٣٠).

(*-٢) الخمينى يطرح إقامة جمهورية إسلامية فى ٧ نوفمبر حيث طرح هذا المصطلح لأول مرة وأعلن أن الهدف هو طرد أسرة بهلوى (الثورة الإيرانية. د. إبراهيم شتا القاهرة ١٩٨٦ ص ٣٠٣).

السادس عشر الميلادى (* -١)، ويجب أن تولى هذه النقطة أيضاً أهمية وهى أن الإيرانيين على الرغم من ميولهم نحو القيم الغربية دائماً إلا أنهم ظلوا تحت تأثير الشعارات الشيعية لدرجة أن شخصاً مثل كريم سنجابى زعيم الجبهة القومية يقول فى حديث صحفى له فى مظاهرات ٤ سبتمبر ١٩٧٨ فى طهران (٢٣ شهريور ٥٧): إننى أنا الآخر لست أنا ولعلى أكون بين الجميع ومسلم بين المسلمين...." أو شخص مثلى، كنت أحس ولسنوات سابقة بحالة نصف عرفانية داخلى.

فى سنة ١٩٥٨ (١٣٣٧ هـ.ش) كنت مشغولاً مع صديق أجنبى فى تصوير فيلم عن مراسم التعزية فى عاشوراء فى سوق طهران بمناسبة شهادة الإمام الحسين، فجأة أحسست بثورة فى داخلى ثم أعطيت المنظار لصديقى، ودخلت الصف، وانشغلت معهم فى النواح والعزاء.... (٢٤).

إن تاريخ إيران ممزوج بآداب وأصول التشييع لدرجة أنه لايمكن إطلاقاً أن يبحث أحدهما دون الآخر طوال عدة قرون.

إن وجود ٨٠ ألف مسجد (أو رقم قريب من هذا) و ١٨٠ ألف رجل دين فى أنحاء إيران، ووجود نوع من التكوين الأساسى وبنية الدولة يكون قادراً عند اللزوم بأن يوجه عموم الشعب إلى الجهة التى يريدها رجال الدين، ولما كان الشاه طوال سنة ١٩٧٨ (١٣٥٧) أكثر من أى وقت يُعد مثالاً للفساد والضياع فى نظر المسلمين، فإنه كان من الطبيعى أن تتخذ الحركة الثورية للإيرانيين أيضاً الواجهة الدينية واجهة لها، وخاصة أن رجل تعليم مثل "على شريعتى" (* -٢) (أستاذ علم الاجتماع فى جامعة مشهد كان قد

(*-١) أصبح التشيع مذهباً رسمياً لإيران فى العصر الصفوى حيث اتخذه الشاه إسماعيل الصفوى مذهباً رسمياً للبلاد.

(*-٢) على شريعتى هو على بن محمد تقى شريعتى المولود فى قرية مزيتان من قرى سبزوار فى خراسان سنة ١٩٣٣، اهتم بالقضايا الدينية، التحق بجناح الشباب فى الجبهة الوطنية ثم انضم لحركة المقاومة الوطنية التى أسسها آية الله زنجانى وآية الله طالقانى ومهدى بازرجان، حصل=

طرح المذهب الشيعى بنظرة اجتماعية جديدة، مما ساعد على أن يدرك الطلاب الإيرانيون أقوال وأفكار الخمينى إدراكاً أفضل.

مات على شريعتى [٢٥] فى لندن قبل الثورة، ولكن مؤيديه اتهموا السافاك بقتله، ولهذا السبب اعتبروه شهيداً حتى تشيع أقواله بين الناس أكثر.

ويمكن بالاطلاع على دور ذى أهمية لشهادة الإمام الحسين فى ثقافة الإيرانيين ليعرف جيداً أن إطلاق اسم شهيد على الأفراد يرتقى بهم إلى درجة عالية فى نظر الشعب، وهذا نفسه هو السبب الذى لعب فى الواقع دوراً أساسياً فى أحداث الثورة، وأن إقامة ذكرى الأربعين لشهداء كل حادثة قد توالى حتى تبدلت حركة معارضة فى البداية إلى ثورة حقيقية وأصيلة فى النهاية [٢٦].

الشاه يواجه الحقائق :

مع استمرار الاضطرابات واقتراب عيد الفطر (فى نهاية شهر رمضان) حيث كان من المحتمل وقوع مظاهرات أكبر، أدرك الشاه أن جمشيد آموزجار ليس هو الشخص الذى يمكن أن يواجه الأوضاع، طالما أنه منذ شهر يناير (بهمن ٥٦) عجز عن استخدام إمكانيات حزب رستاخيز للقيام بخطوات ضرورية وإجهاض التحركات الدينية بين الشعب، وطوال هذه الفترة لم يزد غضب المعارضين للنظام فحسب بل إنه كان سبباً فى إيذاء العديد من مؤيدى وأصدقاء النظام أيضاً.

= على ليسانس آداب سنة ١٩٥٨ وبُعث إلى فرنسا سنة ١٩٥٩ ونال الدكتوراه فى علم الاجتماع الدينى، وأيضاً حصل على دكتوراه فى تاريخ الإسلام وعمل مدرساً بجامعة مشهد وأخذ فى الكتابة الإسلامية حتى نقل إلى وظيفة مدرس في إحدى القرى النائية كمعلم فى المدارس الابتدائية، ثم عاد إلى جامعة طهران، وأخذ فى إلقاء المحاضرات فى "حسينيه الإرشاد" وطرح آراءه المستنيرة بين الشباب حتى قبض عليه وسجن سنة ١٩٧٣ ورحل عن إيران سنة ١٩٧٧ وسافر إلى لندن حتى عُثر عليه ميتاً وله عدة مؤلفات أهمها: العودة إلى الذات، وبناء الذات الثورة وهما ترجمة د. إبراهيم شتا (بازگشت به خويشتن- خود سازى إنقلابى) (العودة إلى الذات - على شريعتى ترجمة د. إبراهيم شتا - القاهرة ١٩٨٦ المقدمة).

وكان الوضع فى البلاد قد وصل إلى درجة أن سياسياً مجرباً (الذى يعرف ضمنياً أساليب جذب رجال الدين) يمكن أن يقوم بدور أفضل من أى تكنوقراطى ولم يكن هناك أفضل فى أثناء ذلك من أمير عباس.

وتبادل الشاه وجهات النظر مع سفير أمريكا (* -١)- كما هو عادته دائماً- فيما يتعلق بمسألة خليفة أموزجار، واتخذ قراره تحت تأثير الأوساط التى ترتبط بالأسرة (وكانت جميعها صُدمت بعنف بسبب إصرار أخى فى مقاومة الفساد) وأيضاً أشخاص مثل أردشير زاهدى (الذى كان يعادى أمير عباس عداءً شخصياً) يبعد أخى عن طريقه، وفى هذا الصدد يجب أن أنقل أمراً كان سفير أمريكا قد عرضه على أحد أصدقائي كان يقول: الشاه سيظل يحسد هويدا طالما أن هويدا أحد العقول السياسية المعدودة فى البلاد...... (٢٨).

عقب هذا القرار أصدر الشاه أمره فى البداية لجمشيد آموزجار ليستقيل من رئاسة الوزارة، ثم عين جعفر شريف امامى (رئيس مجلس الشيوخ) محله لحساسية التوجهات السياسية وأعفى كثيراً من المسئولين رفيعى المستوى السابقين عن أعمالهم وكان من بينهم أخى أمير عباس (٢٨).

فى نفس اليوم قال لى أحد أصدقائى خلال توقف فى نيويورك: "أظن أن أمر الشاه قد وصل إلي النهاية" وعندما رآنى مندهشاً من قوله: تذكر أحد ضيوف عشاء سمو الأميرة فاطمة (* -٢) سنة ١٩٧٣ الذى سمع الشاه فى هذا المجلس وكان يخاطب (أمير عباس: "أظن أننى وأنت يجب أن نتقاعد سوياً فى وقت واحد...".

(*-١) ريتشار هولمز وزوجته سينتا هولمز من أشهر الشخصيات التى أثرت فى الشاه وارتبطت به بعلاقة حميمة- وقد عاد هولمز إلى واشنطن سنة ١٩٧٦ وعمل رئيساً للمخابرات المركزية (شكست شاهانه ص ٢٢٨ - ٢٤١).

(*-٢) فاطمة بهلوى المولودة سنة ١٣٠٩ هـ.ش الابنة الوحيدة لرضا شاه من زوجته عصمت الملوك =

فى نظرى أن تعين شريف أمامى رئيساً للوزارة وإقالة أمير عباس من وزارة البلاط يجب أن يعد من أخطاء الشاه أواخر عهد سلطنته، علي الرغم أننى لا أريد أن أقول أنه بهذا الفعل كان قد نسى سابق قوله، ولكن يمكن القول: إن مثل هذا التصرف من قبل الشاه خلق ساحة خالية حوله، ومهد لدعاياته حول مكافحة الفساد ، ذلك لأن شريف إمامى على الرغم من ارتباط أسرته برجال الدين كان مسئولاً عن"مؤسسة بهلوي" فترة (وتعد هذه المؤسسة فى نظر الرأى العام موقع تحقيق مصالح غير مشروعة لأسرة الشاه) كما يعدونه أيضاً فى أغلب المحافل شخصاً فاسداً.

قام شريف إمامى بمجرد بداية توليه - وقبل تقديم الوزارة - بثلاث خطوات لاستعراض قدرته: أغلق جميع الكازينوهات ومحال القمار بعلة أن الإسلام يحرم القمار، أعاد التاريخ الهجرى مرة ثانية (*-١)؛ وكان قد مر قرابة عام واحد فقط على السنة الشاهنشاهية التى أقرها الشاه، وأعلن حل وزارة "النساء" التى كانت قد تشكلت بأمر أخت الشاه (٢٩).

وسمح شريف إمامى للصحافة أيضاً مع مثل هذه الخطوات بطبع صورة خمينى، وبالتدريج تمسك بالمناورات التى كانت تظهر أنه مثل الشاه جاهل بالأصول الحقيقية للأزمة، ولما لم يأخذ الشعب تصرفاته بالجدية ولم يطلب منه خمينى أن يعزل الشاه ويقر الجمهورية الإسلامية فى البلاد كف يده.

خلال ذلك أصر رجال الدين المعتدلون على وجهة نظرهم الأصلية وهى تنفيذ

= دولتشاهى، درست في إيران وأمريكا ، تزوجت من خسروخان قشقايى فى سن الثامنة عشرة وبعدها تزوجت من أمريكى يدعى وينست هيلر بعد منحه الجنسية الإيرانية واعتناقه الإسلام باسم على، ثم تزوجت من أردشير زاهدى ثم من محمد خاتمى الطيار الشخصى للشاه (زندگى پرماجراى رضا شاه ص ٧٣ - ٧٥).

(*-١) كان الشاه قد استخدم تقويماً شاهنشاهياً وأبطل التقويم الهجرى فى أول إسفند سنة ١٣٥٥ هـ.ش.

دستور ١٩٠٦ (*-١) وكان هذا الدستور يمنح خمسة أعضاء حق الرفض للقوانين المخالفة للإسلام) وطالب المثقفون أيضاً مع قرابة ١٨ حزب سياسى (الذين كانوا قد استعرضوا أنفسهم) طالبوا بالحرية الكاملة فى البلاد.

كانت بعض الأوساط فى طهران تنتظر فقط أن ترى أمريكا- التى لم تكن حتى هذا الوقت قد أظهرت موقفاً محدداً من حوادث إيران- ماذا ستبدى من رد فعل؟ وهل كانت هى السبب فى تحريك اللواء زاهدى للثورة سنة ١٩٥٣ ضد مصدق؟ وهل ستعمل مرة أخرى لحماية الشاه أو لا؟.

أخذت الشائعات المتعلقة باحتمال تدخل أمريكا تقوى لدرجة أن أردشير زاهدى (ابن اللواء زاهدى وسفير إيران فى أمريكا) بدأ فجأة نشاطه فى المجال السياسى، وأشار فى بداية عمله أيضاً أنه كان شخصياً عامل أساسى لتغيير الحكومة، وأوضح للذين صدقوا كلامه أنه عين بنفسه عدة وزراء فى وزارة شريف إمامى، ومنهم أمير خسرو أفشار وزير الخارجية.

فى ذلك الحين وعندما رفض الليبراليون المعارضون للنظام دعوة الشاه لاستئناف الحوار معه، اضطر إلى التوجه إلى جماعة من الليبراليين القدامى - الذين كان قد عزلهم منذ سنة ١٩٦٣، واستشار أشخاصاً مثل على أمينى وعبد الله انتظام.

وبهذه الخطوة قطع الشاه علاقاته كلياً مع هؤلاء الذين كانوا فى خدمته لخمس عشرة سنة، وعوض ذلك بمضاعفة اتصاله بسفراء انجلترا وأمريكا، واستدعى قواد جيشه سراً للتباحث فى القصر.

وطبقاً للمعلومات التى وصلت إلىّ سراً، وأدركت أن الشاه فى ذلك الوقت فى

(*-١) دستور ١٩٠٦ صدر هذا الدستور فى عهد مظفر شاه القاجارى سنة ١٣٢٤ هـ.ش - تاريخ بيدارى إيرانيان - ناظم الإسلام كرمانى به اهتمام على أكبر سعيدى سيرجانى طهران ١٣٦٢ چاپ چهارم جلد سوم ص ٤٧٦).

مفترق طريقين، ولايدرى فى أيهما يسير لأنهما كانا نقيض بعضهما، فى أحدهما يقر المؤيدون استرضاء رجال الدين ومنحهم المميزات، وكان منهم شريف إمامى وجماعة الليبراليين القدامى (أمثال أمينى وإنتظام) وفى الطرف الثانى قواد من الجيش كانوا يؤيدون العنف وإعمال القوة، وحقيقة كان هناك طريق ثالث اقترحه الليبراليون المعارضون (الجبهة القومية - المثقفون وآخرون) والذى لم يكن الشاه مستعداً لقبوله،، ومطلب هذه الجماعة هو خروج الشاه من المملكة والعودة إلى حكومة دستورية.

خلال الشهور التالية ظل الشاه متردداً فى اختيار أحد الاقتراحين وجذبته الضغوط الناجمة عن ظهور حوادث مختلفة إلى درجة أنه أخذ يفقد ثقته بنفسه يوماً بعد يوم، وصار وجهة أكثر شحوباً وعيناه أكثر انكساراً وصوته أكثر لجاجة، لدرجة أن "مايكل بلومنتال" وزير خزانة أمريكا قد صرح بعد عودته من زيارة إيران ولقائه مع الشاه فى قصره: "أنه كان عاجزاً تماماً" (نقل لى قول بلومنتال هذا أحد أصدقائه) وفى نظرى أيضاً أن الخطأ الجسيم الذى ارتكبه الشاه هو استدعاء شريف إمامى لتشكيل الوزارة، وهذا الرأى أثبتت صحته سير الحوادث التالية.

ولكن ماذا حدث فى الواقع لكل هذا التردد والشك تجاه الأزمة المتزايدة؟ الحقيقة هى إنه كان قد بدا عليه احساس بالضعف عقب استمرار الاضطرابات خلال عدة شهور بعد بقاء الامتيازات التى كان قد منحها لشريف امامى دون نتيجة، واضطرب أمره، وكان فقط يسعى لقاعدة محكمة للاعتماد عليها وكسب الحماية حتى يتمكن من المواجهة الجدية مع الأزمنة، واتجه صوب أصدقائه الغربيين بناء على هذا الخاطر لإيجاد قاعدة أفضل.

كان هذا التخيل هو الذى حدا بالشاه لأن يجرى عملية جراحية فوراً، وأن يعتمد فقط على الإسعافات الأولية بالإضافة إلى سرعة تأمين نفسه من مطالب الليبراليين المعارضين وقواد جيشه ، ويثير الخلاف والفرقة بينهم.

في نظرى وفى مثل هذا الوضع فإن الطريق الوحيد لإنقاذ الشاه كان فى أن يتنازل عن كبريائه وغروره ويتصنع التواضع ليتجاوز انتقاد أعماله وسلوكه القديم.

لو أنه إستطاع أن يعترف بأخطائه للرأى العام، ويتعلل بالأعذار على الملأ، ويختار وزراء الوزارة من وجوه شعبية ، لينقذ نفسه من حصار المنافقين والمتملقين واللصوص والحمقى، ومن البديهى أنه كان قادراً على أن يبقى فى مكانه، ولكن غرور وتكبر الشاه الذى زاد عن الحد لم يسمح له بأن يفعل هذا.

تجدد العنف :

إن اختيار شريف إمامى لرئاسة الوزارة لم يهدىء من ثورة الأهالى كما كان ينتظر الشاه بل إنه أوصلها إلى درجة الغليان.

وفي يوم الاثنين في سبتمبر ١٩٧٨ (١٣ شهريور ٥٧) مع حلول عيد الفطر- فى نهاية شهر رمضان - عندما تهيأ الموقف للمظاهرات فى طهران، تجمع الناس فى البداية لأداء الصلاة فى مرتفعات قيطريه ، وبعدها تدفقوا كالسيل فى شوارع طهران ، ورفعوا خلال المسيرة الشعارات ضد الشاه (*-١) .

فى هذه المظاهرات التى كان الليبراليون المعارضون قد التحقوا أيضاً بصفوف المسلمين كان الناس يهتفون لأول مرة بهتاف "عاش الخميني" وكلما اصطدموا بحاملات جنود قوات الأمن قذفوا الجنود بأغصان الورد ويقولون: "أخي الجندي لماذا تقتل أخاك؟ (* -٢) "وهذا التصرف أثر إلى درجة كبيرة لدرجة أن البكاء غلب على بعض الجنود أحياناً.

(*-١) كان المصلون بإمامة آية الله مفتح، وقد نظمت أول مظاهرة كبيرة ضد نظام الشاه (پاسخ به تاريخ ص ٤٥٨).

(*-٢) ومما رفعوه من شعارات الله أكبر..خمينى رهبر، رهبرما خمينى است... مذهب ماحسينى است، حزب فقط حزب الله، رهبر فقط روح الله، وروح الله هو خمينى..... (الثورة الإيرانية ص ٣١٧).

وتدفق الناس مرة أخرى فى الشوارع يوم ٧ سبتمبر (١٦ شهريور) دون اهتمام بالتدابير الأمنية من النظام، وساروا فى مظاهرات رافعين شعارات أعنف من السابقة ضد الشاه، وكانت أكثر الشعارات (* -١) التى سُمعت من الناس فى ذلك اليوم على النحو التالى:

- يحيا الخميني - الموت للشاه.

- سنقتلك أيها الشاه.

- خمسون سنة من الحكم - خمسون سنة من الخيانة.

- ثورتنا حسينية وزعيمنا خميني (٣٠) .

فى نظرى أن المعجزة فقط- فى هذه المسيرة التى تمت بشكل هائل هى التى حالت دون إراقة دماء ومجزرة خلال صدام قوات الأمن والشعب وبدأ خلالها أن خمينى خلال شهرى يوليو وأغسطس (تيرومرداد) كان يمكنه بحق أن يثبت زعامته، ووضح أن قوته فى المنفى أقوى من قوة آيات الله الموجودين في إيران.....وحقيقة أنه منذ ذلك الحين وفيما بعد عُرف خمينى كزعيم منفرد وبلا منازع لحركة بدأها منذ تسعة أشهر سابقة.

ضغط القادة العسكريون- بعد مشاهدة هذه المسيرة - على الشاة لكى يعلن بأسرع ما يمكن حكومة عسكرية فى طهران وتذرعوا بمطلبهم أيضاً بأنه" يمكن للجمع الغفير فى مسيرة اليوم أن يستولى بسهولة على مبنى المجلس ومبانى الإذاعة والتليفزيون ، وصمم الشاه؛ بعد عدة ساعات من التردد والحيرة علي أن يتبادل وجهات النظر مع سفراء انجلترا وأمريكا؛ أن يأخذ بوجهة نظر قادة الجيش.

كان الشاه يدرك من ناحية أن السياسة الليبرالية من وجهة نظره مفسدة ، وكان قادته من ناحية أخرى مستائين وقلقين من تنفيذ مثل هذه السياسة، وكانوا خلال ذلك

ينتقدون فى محافلهم الخاصة الوضع الناجم عن الجو السياسى، وكان بعضهم يعتقد بعد مشاهدة هذه المظاهرات ومسيرات هذا اليوم أن السياسة الليبرالية للشاه وإصرار كارتر على إقرار حقوق البشر في إيران سيؤدى إلى إسقاط النظام فى آخر الأمر.

وصفت الحكومة مظاهرات ذلك اليوم صبيحة غده (الجمعة ٨ سبتمبر ١٩٧٨) (١٧ شهريور ٥٧) بنشر بيان إذاعى أنه تصرف معارض لتوجهات رجال الدين ومغاير للمصالح القومية والدستور، واعتبرتها مؤامرة دبرتها عناصر أجنبية وزودتها بالمال، وأعلن البيان أيضاً أنه" من اليوم ولستة أشهر تقرر وجود حكومة عسكرية فى طهران و ١٢ مدينة أخرى" [*-١].

وعقب هذا البيان عُين الجنرال أويسى [*-٢] القائد السابق للحرس الملكى والمشهور بقسوته حاكماً عسكرياً بطهران.

ولكن كثيراً من الأهالى كانوا قد قرروا من اليوم السابق أن يتجمعوا يوم الجمعة صباحاً لعقد مراسم تأبين قتلى أول سبتمبر (١٠ شهر يور) (الذين كانوا هدفاً لرصاص قوات الأمن بعد خروجهم من مسجد فاطمة أثناء هتافهم) فى ميدان جاله (ژاله)، وأغلب هؤلاء لم يتمكنوا من سماع بيان إقرار الحكومة العسكرية من الراديو (أعلن الجنرال جعفرى نائب الشرطة أيضاً فيما بعد أنه فى صباح ذلك اليوم لم يكن يعرف مطلقاً إعلان الحكومة العسكرية فى طهران).

بعد بداية مظاهرات الأهالى فى ميدان جالة (ژاله) أطلق رجال الحكومة العسكرية النار من رشاشاتهم صوب الأهالى، وكما قيل: إنهم سلكوا طريق الإبادة لأن الشباب كانوا يشكلون أكثر قتلاهم.

(*-١) والمدن التى أعلنت فيها الحكومة العسكرية هى تبريز ومشهد وأصفهان وشيراز وعبادان والأهواز وقزوين وكازرون وجهرم والكرج، ولم يكن هناك حكومة عسكرية إلا فى مدينة واحدة فقط.

(*-٢) ولد فى قم وعمل بالجيش حتى وصل إلى منصب الحاكم العسكرى لطهران أثناء قيام الثورة الإسلامية- وقد خرج من إيران بحجة العلاج ولم يرجع وقد قتل فى باريس على يد مجهولين (ظهور وسقوط سلطنت پهلوى جلد دوم ص ٤٤٦).

وأعلنت الحكومة عدد قتلى هذه الحادثة بـ ٥٨١ شخص، ولكن بناء على قول مصادر معارضة للنظام أن عدد القتلى بلغ ٥٠٠٠ شخص (*-١).

بالإشارة إلى "الجمعـــة الأسـود (*-٢) فى طهران، فإنه يجب أن يُعد هذا اليوم منعطفاً فى عمر نظام الشاه، حيث شاعت شائعات كثيرة على الألسنة، من أهم ما تناقله الناس، إحداها كانت أنه فى اليوم السابق وصلت طهران ثلاث طائرات مملوءة بالكوماندوز الإسرائيليين، ليقوموا بالمهمة التى امتنع الجنود الإيرانيون عن القيام بها.

بعد هذه الحادثة سيطر غضب شديد على الأوساط المختلفة المعارضة للنظام، بينما كان الأمر غير قابل للتصديق، أعطت الحكومة الأمريكية الضوء الأخضر للشاه بسبب سياستها لحقوق الإنسان فيما يتعلق بمجزرة الجمعة الأسود وحبسوا عدداً من زعماء المعارضة، وقبضوا على عدد آخر، منهم عدة أشخاص من رجال الدين.

وفى نفس الوقت صرح "شاهبور بختيار" الذى كان بمثابة النائب لزعامة الجبهة القومية، خلال حديث صحفى مع مراسل صحيفة "لوموند" لا يمكن بأى حال من الأحوال التعايش مع نظام الشاه بعد الحادثة التى وقعت". ولكنه بعد عدة شهور قبل أن يُعين رئيساً للوزارة من قبل الشاه (*-٣).

(*-١) اختلفت الإحصائيات حول عدد القتلى وذكر شاهبور بختيار أنهم ٢٤٥٠ شخصاً بينما تضم مقبرة بهشت زهرا ٤٢٠٠ شخصاً ولكن عدداً كبيراً لم يدفن فى الجبانة العامة بهشت زهرا. (الثورة الإيرانية - د. إبراهيم الدسوقى شتا- القاهرة ١٩٨٦ ص ٢٨٤).

(*-٢) الجمعة الأسود هو يوم ١٧ شهريور ١٣٥٧ هـ.ش حيث أعلنت الحكومة العسكرية فى طهران وتبريز ومشهد وأصفهان وشيراز وعبادان والأهواز وقزوين وكازرون وجهرم والكرج الأحكام العرفية ومنعت التجمهر إلا أن الشعب خرج بأكمله من الشباب والشيوخ والأطفال والنساء وأطلق الجنود الرصاص على المتظاهرين فقتلوا قرابة خمسة آلاف - بينما ذكرت المصادر الحكومية أن عددهم ٩٥ شخصاً وذكر شاهبور بختيار فى حديث صحفى له لوكالة الأنباء الفرنسية أن عدد القتلى ٢٤٥٠ شخصاً (پاسخ به تاريخ- حاشيته ٢٤٦).

(*-٣) شاهبور بختيار - آخر رؤساء الوزارات فى عهد الشاه، عند وداعه للشاه فى ١٦ يناير ١٩٧٩ فى مطار مهرآباد، انحنى أمام الشاه وقبل يديه مما أثار سخط الشعب وزاد من نفوره من حكومته (شكست شاهانه ١١٨).

وفى اليوم التالى لحادثة الجمعة الأسود، حرض خمينى؛ خلال رسالة؛ الشعب [*-١] بالمقاومة ضد الشاه المجرم" وطالب أيضاً القوات العسكرية بأن تهب ضد الشاه، وفى المقابل صرح الشاه فى حديث صحفى مع مجلة "تايم" لو لم يكن هناك حكومة عسكرية فى طهران، فقد كان من الممكن للقوى المعارضة أن تجعل المملكة تحت سيطرتها.

يوم الأحد ١٠ سبتمبر (١٩ شهريور)، بينما كان شريف إمامى يقدم أعضاء وزارته إلى المجلس، كانت جميع أطراف المجلس محاصرة بالدبابات.

قال خلال بيانه مخاطباً نواب المجلس: إن سياسة التوجه إلى الليبرالية ستستمر، وسيسعى شخصياً لخلق جو هادىء لعقد انتخابات حرة ودفع الفساد عن البلاد.

فى نفس الوقت الذى كان شريف إمامى يدلى ببيانه فى المجلس كانت الأسر المكلومة مشغولة بدفن جثث قتلى حادثة الجمعة الأسود فى مقبرة بهشت زهرا [*-٢] فى الخفاء.

فى ذلك اليوم طلب شريف إسمامى من أفراد الأسرة الحاكمة أن يوقفوا نشاط مكاتبهم التجارية، ولكن الشاه فى نفس الوقت كان قد أقام حفل ضيافة على شرف الذكرى الخمسين لتأسيس البنك الوطنى "بنك ملي"حيث دعا إليه ١٢٠ من رجال البنوك المعروفين ورجال الاقتصاد فى العالم.

فى نفس اليوم فكر أردشير زاهدى الذى كان مستاءً من أحداث إيران أن يقوم بعمل عظيم، وطلب خلال محادثة هاتفية مع "برجينسكي" فى كامب ديفيد أن يعرض بأى شكل أثناء المحادثات مع أنور السادات وبيجين [*-٣] مسألة إيران على الرئيس

(*-١) وجه خمينى رسالته إلى الشعب ورجال الدين لمواصلة الكفاح والجهاد.

(*-٢) بهشت زهراً وتعنى جنة الزهراء وهى مقبرة بالقرب من طهران دفن فيها الإمام الخمينى.

(*-٣) وهى المحادثات التى أسفرت عن عقد معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل بحضور السادات وبيجن وكارتر.

كارتر ويطلب منه بإصرار أن يحادث الشاه هاتفياً ويطمئنه فيما يتعلق بحمايته.

قام كارتر بهذا الأمر......ولكن مثل بقية الأقوال والتصريحات خلال الشهور التالية فإن الحديث بالهاتف مع الشاه أيضاً لم يكن كافياً لمساعدته بل إنه رفع درجة غضب الشعب ومذلة الشاه أكثر.

فى نفس الوقت شرح على أمينى (الذى كان قد استأنف نشاطه السياسى) خلال حديث صحفى مع مراسل "لوموند" الوضع الذى يحدث فى البلاد، قال خلاله: ".....كنت دائماً أؤيد النظام، وقد قمت بكل المساعى لرأب الصدع بين جلالته ومعارضيه، ولكن الحقيقة أنهم لم يتقدموا خطوة قط فى سبيل تذليل المساعى.....وفى الوقت الحاضر أيضاً لما كان جلالته متمسكًا بالحكم ولاأكثر، فإننى شخصياً مستعد لأن أشكل وزارة ائتلاف وطنية وأعقد انتخابات حرة فى البلاد.....".

دار البحث حول "طريق حل أميني" خلال شهر سبتمبر وما بعده (شهريور ومهر ٥٧) فى المجالس والمحافل فى طهران، ولكننى لم أستطع مطلقاً أن أحل هذا اللغز ماذا أراد أمينى بالحل الذى رآه،أيعنى منع الندين الرئيسيين أحدهما وجود الخمينى والآخر الجماعات اليمينية؟ بالإضافة إلى أن شخص أمينى كان بسبب اشتهاره بأنه أهل الثقة لأمريكا كان من المحال أن يثير الشعور المعادى لأمريكا والذى كان يتزايد يوماً بعد يوم فى البلاد.

ويجب أن أضيف أيضاً فيما يتعلق بوجهة النظر التى كنت قد ذكرتها عن أمينى أنه عندما وصل الشاه إلى أمريكا فى نوفمبر ١٩٧٧، عقد "آرنو دوبرش جراد" مراسل مجلة نيوزويك معه حديثاً صحفياً، سأل الشاه فيه: ".........كانت حكومة إيران قد أعلنت منذ أسبوعين أن الرئيس كيندى كان قد قدم مساعدة أمريكية لإيران سنة ١٩٦١ بمبلغ ٣٥ مليون دولار لتعيين دكتور على أمينى رئيساً للوزارة، هل تؤيد زعم الحكومة هذا؟"أجاب الشاه على المراسل" هذه مسألة قديمة ولكن حقيقية".

وكانت حكومة شريف إمامى (*-١) خلال الأيام التالية قد صرحت بأنها بدأت محاربة الفساد، ولكن الحقيقة أنها خلال محاربتها لتعقب المفسدين الحقيقيين الذين كانوا جزءاً من عائلة وحاشية الشاه، ولترك الأثر المطلوب على الرأى العام أشارت لعدة أشخاص من العناصر الثانوية ، وعلى سبيل المثال السعى للقبض على وزير الصحة السابق (دكتور شيخ الإسلام زاده) ليستخدموهم كدرع آمن لخططهم الأصلية ، وبذلك يضع علامة على المفسدين رفيعى الشأن حتى لايتأخروا ولايخرجوا من البلاد ويفروا.

خلال ذلك أجرى الشاه أحاديث صحفية متتالية للصحف الأجنبية، وطالب فى كل منها أنه كان من الممكن أن يستخدم كل الأسلحة صوب معارضيه، ولم أستطع قط أن أفهم ما الداعى لما قاله الشاه من ثرثرة وهذيان فى أحاديثه مع وسائل الإعلام الأجنبية؟.

تحدث الشاه فى هذه الأحاديث الصحفية بلهجة عنيفة، ووقف أمام عدسات التليفزيون فى صورة الآمر كما اتفق قول جميع المراسلين وقالوا: إن سلوك الشاه، وسوء قوله وصل فى حديثه لدرجة أنه كأنما يواجه أسوأ أعدائه، وخلال الأحاديث الصحفية انتهز كل فرصة لإلقاء اللوم فى كل مشاكل المملكة على عاتق "الشيوعيين" أو "الفوضويين".

قضى شريف امامى السنين وكأنه مازال فى العقدين السادس والسابع (١٣٣٠ - ١٣٤٠) ولم يكن هناك دليل على تقليل الضغط سوى التعهد ومنح الامتياز، وكان يظن أنه باستعمال سياسة "العصا والجزرة" سيتمكن من تفريق المعارضين.

أشار شريف إمامى بعد إطلاق سراح مجموعة من المتهمين الضالعين فى حادثة

(*-١) ولد فى طهران سنة ١٢٩١ هـ.ش لأب من رجال الدين، وقد تقلد عده مناصب آخرها رئاسة الوزارة، متهم بأنه ماسونى، ومتهم بالفساد المالى، وقد أقيل فى ١٣٥٧/٨/١٤ هـ.ش (ظهور وسقوط سلطنت پهلوى جلد دوم ص ص -٣٩٩ بيعد).

"الجمعة الأسود" من السجن والتحفظ على البقية الذين كانوا فى حالة قتال أنه أصلاً لم يحدد أسباب الاضطرابات، وعقب ذلك دخلت السياسات حالة اعتمدت على قدرته، وسيرته هذا الحوادث يمنة ويسرة.

فى ذلك الحين سارت الأوضاع من سيء إلى أسوأ، فجأة حدث زلزال مدمر فى خراسان. وأهمية هذه الحادثة كان من الممكن أن تقلل من شدة الأزمة السياسية فى البلاد، ولكن لم يحدث خلاف المنتظر.

فى ذلك الوقت كنت مع رفاقى فى نيويورك نستمع لما حدث من راديو إيران، وسمعنا فى برنامج الأخبار فجأة بعد بدايتها أن:".....جلالة الملكة عينت اليوم عليه خانم فريدة ديبا كمعاونة لعمليات الإنقاذ وتقديم المساعدات إلى متضررى زلزال طبس.. (*-١)".

هز أحد رفاقى كتفيه عند سماع الخبر وقال: ".....ثانية نفس الكلمات المكررة نفس القصة القديمة أنهم لايريدون أن يفهموا، وليسوا مستعدين أن يغيروا نظرتهم....".

حقيقة، إن أخبار الراديو كانت دائماً تثير غضب المستمعين، ما من مكان قط وفى بداية هذه الأخبار إلا وذكرت أعمال الأسرة الحاكمة، ووصلت المبالغة فى ذلك إلى درجة أنه حتى عشرات الأخبار الهامة والضرورية التى تبثها أجهزة التلكس تأتى عقب برامج الأخبار الخاصة بالأسرة الحاكمة.

(*-١) وقع الزلزال فى ١٦ سبتمبر (٢٥ شهريور).

الإضرابات:

بعد استقرار الحكومة العسكرية التى تولت منع المظاهرات والسيطرة الكاملة للجيش- أخذ الصراع مع النظام شكلاً جديداً.

أغلقوا السوق والمحلات الصغيرة فى أنحاء المدينة الأيام التى صادفت أيام التعزية، واستخدم العمال أيضاً سلاح الإضراب تعبيراً عن تضامنهم فى محاربة النظام.

أقلقت مسألة إضراب العمال الشاه، ولم يستطع أن يصدق أن الأشخاص الذين كانوا قد أعلنوا فى يناير ١٩٧٦ (دى ١٣٥٤) عند تسلمهم المستندات الخاصة بالاشتراك فى أرباح المصانع "شكرهم اللا محدود للذات الملكية المباركة"، الآن يضربون ضده (٣١).

فى بداية الأمر عندما كان للإضرابات تأثير اقتصادى، بدأت حكومة شريف إمامى مناقشات علنية مع المضربين من ناحية، وتعهدت بزيادة الأجور، حتى وصلت أحياناً قرابة ٤٠ فى المائة- حتى تمنع استمرار الإضرابات، وطلبت من أصحاب الصناعات الخاصة أيضاً خلال توددها لهم بأن يسلكوا نفس المسلك لزيادة أجور العمال

فى نفس وقت اتخاذ هذه الخطوات واستمرار مباحثات نواب الحكومة مع العراقيين لكى يحد المسئولون العراقيون من نشاط الخمينى - الذى كان يقضى عدة سنوات فى منفاه بالعراق.

كانت حكومة العراق تعتبر آية الله لاجىء سياسى وبسبب أوامره التى كان يصدرها لإثارة الشعب الإيرانى ضد الحكومة مما يعد مخالفاً لقوانين اللجوء، لذا بدأت فى اتخاذ خطوات ضد الخمينى لتمنع أى اتصال بينه وبين الإيرانيين الذين كانوا يفدون لزيارته.

تحديد إقامة خمينى على يد الحكومة العراقية (*) أدى عكس ماكان متصوراً إلى تقوية تيارات المعارضة للنظام فى إيران، وأعلنت الجماعات المتصارعة يوم الأحد الأول من أكتوبر ١٩٧٩ (٩ مهر ٥٧) يوم إضراب عام تعبيراً عن معارضتهم لهذه الخطوة، وعلى الرغم من أن الإضراب قد شمل كل طهران وكثيراً من عواصم المحافظات إلا أنه فى نفس الوقت أجرى وزير خارجية إيران الذي كان قد سافر إلى نيويورك للاشتراك فى الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة-مع نظيره العراقى مباحثات بهدف طرد خمينى من العراق.

فى نفس الوقت أعلنت حكومة شريف إمامى وموقفاً مسالماً يقضى بأن جميع الإيرانيين المقيمين فى الخارج يمكنهم العودة إلى البلاد فقط إذا احترموا الدستور، وكان الهدف من نشر هذا البيان ليس إلا عفواً عامًا للطلاب الذين كانوا قد نشطوا لعدة سنوات ضد النظام فى خارج البلاد.

عقب ذلك اتخذ مسئولو حزب رستاخيز الذى كان محظوراً على يد أعضائه، وكانوا قد فقدوا المساعدات المالية الحكومية، اتخذوا قراراً بحله، وعلى الرغم من أن هذه الحركة لم تكن أكثر من خطوة استعراضية ، ولكنه كان يطنطن فى الواقع لسياسات الشاه الإفلاسية، ويبين أن ثمرة "الحضارة العظمي" للملكية و "اتحاد الشعب في ظل الملكية" لايعادلهما شىء قط (٣٢) .

بعد اتفاق حكومتى إيران والعراق، رحل آية الله المقيم فى النجف مضطراً، ولما لم يستطع أن يأخذ تصريح دخول فى الحدود الكويتية إلى الكويت (**)، اضطر للعودة ، وسافر من بغداد إلى باريس (***) .

(*) تم ذلك عقب توقيع معاهدة ١٩٧٥ بين الشاه وصدام حسين فى الجزائر.

(**) كان ذلك فى ١٩٧٨/١٠/٣ (١١ مهر ١٣٥٧ هـ.ش).

(***) فى ١٩٧٨/١٠/٦ (عبرات وعبارات - المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية - بيروت ١٩٩٠ ص ٩).

محصلة هذه الخطوات لم تثن الأهالى عن الاستمرار فى الصراع الذى أخذ شكل الإضراب، بل زادت آثاره حتى عم أكثر المؤسسات العامة بعد فترة وجيزة، ولحق أيضاً بصف المضربين الجامعات والمستشفيات.

ومنذ هذه الفترة وما بعدها أخذت مطالب العمال المضربين لونها السياسى مع مرور الوقت، وأضافوا إلى مطالبهم بإطلاق سراح العمال المعتقلين مسألة إطلاق سراح المسجونين السياسيين أيضاً.

وفي يوم ٩ أكتوبر (١٧ مهر) قام الطلاب فى عدة مدن بمظاهرات تأييداً للمضربين، ووقعت صدامات عنيفة بينهم وبين قوات الأمن (٣٣).

ويوم ١٦ أكتوبر (٢٤ مهر) أصدر الشاه أمراً بإطلاق سراح جماعة من المسجونين السياسيين لتخفيف حدة الاضطرابات، ولكن هذه الخطوة لم تدع أى أثر لها إلا كما تدع القطرة فى ماء المحيط، واستمر الصدام بين الجنود والمتظاهرين يقل ويتزايد فى كل أنحاء المملكة.

وكان آلاف من الأشخاص من أهالى طهران قد تجمعوا فى مقبرة بهشت زهرا لإقامة مأتم لضحايا حادثة "الجمعة الأسود" ولما كانت هذه المراسم عادة ما تتحول إلى مظاهرات سياسية معادية للشاه ، لذا استغل الأهالى بسرعة أهمية مراسم التعزية فى مذهب الشيعة وامتناع رجال الأمن عن التدخل فيها ، وجعلوا هذه المقبرة الواقعة جنوب طهران أفضل مكان مناسب للقيام بمظاهرات سياسية والهتاف ضد الشاه.

هبت مظاهرات عظيمة فى همدان فى ٢٢ أكتوبر (٣٠ مهر) جاب الأهالى شوارع المدينة فى عشر ساعات وهتفوا خلالها ضد نظام الشاه، ولما لم تتمكن عناصر الشرطة من تفريقهم نزلت القوات العسكرية وقُتل إثر إطلاق الرصاص على الأهالى عدد كبير.

وتكرر الأمر نفسه فى صباح ذلك اليوم فى مدينتى مشهد وقم ، وعندما حلت النوبة بكرمان وأحرق مسجدها الجامع (*) على يد عناصر مجهولة، أشاع الناس أن السافاك له يد فى حرق المسجد الجامع بكرمان [٣٤] .

وخلال هذه الأحداث أوردت صحف البلاد التى كانت قد مُنحت حرية التعبير على يد شريف إمامى هجوم قوات الأمن حتى منع الرقيب نشر بيانات خمينى فى الصحف، و عقب ذلك عندما أضرب جميع العاملين بالصحف وافقت الحكومة بعد ثلاثة أيام من المباحثات مع ممثليهم على مطالبهم فيما يتعلق بإلغاء الرقابة، ولكن اشتدت الإضرابات الأخرى أكثر، وامتدت المظاهرات والاضطرابات المتفرقة فى أماكن مختلفة من البلاد كل يوم.

دسيسة رجال النظام ضد شريف إمامى

خلال فترة رئاسة الوزارة لشريف امامى، سكنت كثير من الخلافات الداخلية للهيئة الحاكمة وهدأت معارك القوى بين أعضاء الوزارة، وتحكم فى أعمال وأمور الحكومة.

كوّن هوشنگ نهاوندى الذى كان قد أسس من قبل الجناح الثالث لحزب رستاخير تشكيلاته الجديدة من أوائل سبتمبر (أواسط شهريور ٥٧) تحت عنوان "حزب المجتمع الجديد" [٣٥] وأشار إلى ذلك المضمون فى بيان نشره فى الخامس من سبتمبر من أن : الشعب الإيرانى لن يسمح بأن يشكك فى النظام الشاهنشاهى وثورة الشاه والشعب.

وهذا القول يعد بالتأكيد تعبيراً عن وجهة نظر الشاه، عندما التقيت بالشاه في آخر لقاء أوائل ١٩٧٨ (أرديبهست ٥٧) سمعت منه أمراً لا يختلف عن نص بيان هوشنگ نهاوندى.

(*) كان ذلك فى ٢٤ مهر (١٦ أكتوبر ١٩٧٨) - پاسخ به تاريخ ٤٥٩.

قال الشاه فى هذا اللقاء مشيراً للاجراءات المتخذة: "لقد أعطيت الشعب كل شيء... فى هذه الظروف هل يمكن أن يتمكن خمينى أو أشخاص أمثال سنجابى أن يقوموا بعمل ضدى؟...."ولكن من وجهة نظرى أن الأوهام والظنون التى نسجها الشاه حول "الحضارة العظمي" وصلت إلى درجة أنه ظن أن كل أمر كتبه فى أوامره الملكية حتما سيحدث حتى لو كان بلا أساس وعارٍ عن الصحة.

لم يستطع الحزب المبتدع هوشنگ نهاوندى أن يخدع أحداً أو يجذبه، ولما كان الأهالى يعرفون سوابقه كاملة وما حدث خلال فترة رياسته للمكتب الخاص للملكة فرح وخاصة الكبت الذى حدث فترة رياسته للجامعة، لم يستطيعوا أن ينسوا، وكان هوشنگ نهاوندى يحظى بتأييد البعض داخل وزارة شريف امامى وينفر منه البعض الآخر (٣٦).

لقد أصابت الصراعات الموجودة بين أعضاء الوزارة الحكومة بالشلل من ناحية، ومن ناحية أخرى أثارت الامتيازات التى كان شريف إمامى قد قدمها للمعارضين استياء قادة الجيش.

وضع القادة المتشددون فى الجيش المنتقدون للحكومة الشاه تحت تأثيرهم وطالبوه أن يعين بأسرع ما يمكن شخصاً مثل أويسى (الحاكم العسكرى لطهران) على رئاسة الحكومة.

من ناحية أخرى ظهرت جماعة ليبرالية قديمة كانت قد رشحت على أمينى لرئاسة الوزارة، وكانت دائماً تكرر قوله: "إننى أستطيع أن أنقذ الشاه ولكن بشرط أن يملك ويدع لى أن أحكم".

أثناء ذلك تجمع عدد منشق من حزب رستاخير، ورأوا أن يبحثوا فى تشكيل وزارة ائتلافية مكونة من عسكريين ومدنيين، وكانوا يقولون:مثل هذه الوزارة فقط تستطيع أن تنفذ السياسة الليبرالية وتغلق فم المعارضين.

في ذلك الوقت وصل اردشير زاهدى يوم ١٢ سبتمبر (٢١ شهريور ٥٧) إلى طهران، وأشيع أنه يحمل معه رسالة هامة للشاه.

قال جماعة: جاء أردشير زاهدى إلى طهران لينصح الشاه بألا يتفق مع على أمينى واعتقد آخرون أن سفره إلى طهران من المحتمل مرتبط بمنصب رئاسة الوزارة.

ولكن أخطأت الجماعتان، وعندما صح أن الشاه كان يسعى بأن وسيلة ليحل الأزمة، ولكنه كان مطلعاً تماماً على حدود فكر صهره السابق وقد استمع إليه مرات أيضاً وكان قد شبه عقل أردشير في أوساط الخاصة بأنه "عقل عصفور".

الحقيقة هى أن سفر أردشير زاهدى كان مرتبطاً بتسليم رسالة كان قد كتبها الأمريكيون للشاه (*)، ومضمون هذه الرسالة الذى استطعت فيما بعد أن أعرفه عن طريق أصدقاء أمريكيين كان على النحو الآتى شرحه: "إن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تتخلى عن وجهة نظرها السابقة التى كانت حائلة ضد إعمال قوة الشاه، وتمنح الشاه مطلق الحرية فى اتخاذ القرار الذى يراه مناسباً ليحل المشاكل".

بعد تسلم مثل هذه الرسالة عقدت حاشية الشاه الأمل فيما يتعلق بهذه المسألة وهى أن الضوء الأخضر لواشنطن يمكن على الأقل أن ينقذ الشاه من التردد والحذر، ولكن شريف إمامى دون أن يهتم بالدسائس التى كانت تجرى بين أعضاء الهيئة الحاكمة لإسقاطه، طمأن المطالبين بخلافته ضمنياً فى إظهار هذا الأمر بقوله: "....قد منحنى المجلس الثقة ويمكن للمجلس فقط أن يسحب ثقته منى ويقيلنى من منصب رئاسة الوزارة"، وأنه لايمكن أن يدع كرسى رئاسة الوزارة بهذه السرعة.

كان الشعب خارج حدود البلاط والحكومة، مشغولاً بأمره، وكان يواصل دون اهتمام بصراع الهيئة الحاكمة بالصراع مع النظام حتى كان يوم ٢٦ أكتوبر (٤ آبان ٥٧) عيد ميلاد الشاه.

(*) كان الشاه معتمداً علي أمريكا لإنقاذ حكمه كما فعل سنة ١٩٥٣ (انظر: شكست شاهانه ٤١١ ومابعدها).

فعلى الرغم من إطلاق سراح قرابة ألف سجين سياسى والسيطرة الكاملة للقوات العسكرية- قام الطلاب فى ساحة الجامعة بمظاهرات واسعة النطاق ضد الشاه ومؤيدين للخمينى (*).

لم يترك البرنامج الهزيل التى كان قد بدأه شريف إمامى لمحاربة الفساد أى أثر على الرأى العام، واعتبر الأهالى أن اعتقال عدة أشخاص من الوزراء السابقين هو انتقام شخصى على يد شريف إمامى، واعتقدوا أنه استغل منصبه ومركزه لتأديب الأشخاص الذين كانوا يقومون بأعمال تخريبية أثناء رياسته لمجلس الأعيان، وإلا فإنه من وجهة نظر الأهالى- جميع المفاسد كانت آتية من البلاط وكان يجب على الحكومة أن تهتم بهذه الحقيقة لأن أعضاء الأسرة الحاكمة كانوا خلال هذا الوقت يخرجون واحداً تلو الآخر من البلاد، وقد أثارت نفس المسألة ظن وريبة الأهالى فيما يتعلق ببرنامج مكافحة الفساد من أنه لن يقلل الفساد بأى حال من الأحوال.

فى ذلك الحين أخبرنى أمير عباس أنه بناء على القرار الذى اتخذه الشاه بأن يبعد أعضاء أسرته إلى الخارج حتى لايتمكنوا من التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد بعد ذلك، وكان سؤالى هو، لماذا لم يعلن الشاه قراره هذا صراحة على الشعب؟ ولذلك فإن أى خطوة يتخذها ضد أسرته غير هذا التصرف يكون بلا فائدة، وسوف يقيد نفسه أكثر، ولن يكون تحليل وتفسير الشعب لتصرف الشاه سوى أن أسرة الشاه قد سرقت أموال الأمة أثناء فرارها من البلاد ولن يدخل قانون "تحديد نشاط الأسرة الملكية" أذن أحد.

فى نفس الوقت أخبرنى أحد الأصدقاء الأمريكان أن أردشير زاهدى مشغول فى طهران بالدسيسة ضد أمير عباس، وبعدها اتصلت هاتفياً مع أحد أصدقائي الإيرانيين فأكد الخبر أيضاً.

كان زاهدى يسعى فى طهران ويحفز الشاه وقادة الجيش لاعتقال جماعة كان لأخى مكانة عندهم ولم يكن هدفه من هذا العمل إلا أنه ربما يصب الماء على نار غضب الشعب.

وكان يدلل على قبول وجهة نظره من أنه لما كان الشاه فى نظر الدستور غير مسئول فإنه إذا ماحبس جماعة من الوزراء السابقين فإنه يستريح لأنه كشف المسئولين عن جميع المساوىء ، وينقذ تاجه وعرشه من الخطر، وبالنظر فى مثل هذه الأدلة الطفولية يفهم ماينتجه عقل شخص جاهل وأحمق مثل سفير الشاه فى واشنطن الذى كان قد أعمى الحقد عقله.

إن أردشير زاهدى شخص اعترف أمامى مرات أنه لم يقرأ قط كتاباً طوال عمره، وتعود عداوته السابقة لأخى منذ سنة ١٩٧١ (١٣٥٠) حين ضرب بالعصا فى أيام توليه منصب وزارة الخارجية فى وزارة أمير عباس ذات يوم رئيس الوزراء، وتوجه أخى إلى الشاه للاستقالة، ولكن الشاه بدلاً من قبول استقالة رئيس الوزراء أقال أردشير من وزارة الخارجية.

ولكن خلال ذلك كان شعب إيران غير مهتم بالأمور التى تجرى فى الحكومة والبلاط ومشغول بالثورة ولم يكونوا يفكرون مطلقاً فى قرارات شخص مثل أردشير زاهدى، وتصوروا أن الامتيازات الممنوحة من شريف إمامى للمعارضين هى نوع من انتصارهم نتيجة لاستمرار نضالهم.

الجو السياسى للبلاد فى أواخر شهر أكتوبر (أوائل آبان ٥٧)

بعد حادثة "الجمعة الأسود" فى طهران مال الصراع مع النظام أكثر إلى الراديكالية (٣٧).

بعض آيات الله أمثال شريعتمدارى (*) أو رجال غير دينيين أمثال سنجابى الذين كانوا قد قبلوا منذ شهر بإقامة نظام ملكى دستورى مع الحكم بموجب الدستور

(*) آية الله كاظم شريعتمدارى من رجال الدين البارزين الذين أسسوا عدداً من المنظمات الإسلامية التى قامت بدور بارز في إنجاح الثورة (شكست شاهانه ٩).

(مع وجود الشاه أو خروجه من البلاد) الآن خلال ارتفاع أمواج الثورة كانوا مضطرين لمرافقة الآخرين، طالما أن أيادى الشاه الملوثة بالدماء ورئيس وزرائه قد أغلقوا كل السبل التى يمكن أن تؤدى إلى التعايش مع النظام.

لم يعد أحد يصدق وعود إقرار الليبرالية، وكان الخداع واضحاً فيما يتعلق بمكافحة الفساد بعد فرار المفسدين الحقيقيين، وكانت الاعتقالات الواسعة معروف أنها مازالت تخنق البلاد ، وكان لاختفاء كثير من زعماء المقاومة دلالة على عدم وجود حرية سياسية.

اليوم وأنا أعود إلى مذكراتى أرى سنجابى وقد صرح فى ذلك الوقت لمراسل: "فى بداية سنة ١٩٧٨(شتاء ١٣٥٦) كان الهجوم على الشاه شهامة كبرى، ولكن الآن الدفاع عنه يتطلب جرأة..." الحقيقة هى أنه فى مثل هذه الأوضاع كان أكثر زعماء المقاومة لايخشون المستقبل، ويعيشون بلامبالاة، وكان أكثرهم يعبر عن استنكاره فى الأوساط الخاصة على أنه يجب أن تتم مسألة عزل الشاه مع مرور الأيام خطوة خطوة، وكانوا فى الواقع قلقين من سرعة انتشار الاضطرابات وخلالها لم يتمكنوا من معرفة دور القوى العظمى، وكانوا يفكرون أيضاً فى هذا الأمر من أن تدخل الجيش لسحق الاضطرابات لم يكن ممكناً قط دون موافقة الأمريكان، على الرغم من أنه حتى ذلك الحين كانت الحكومة السوفيتية تبدى عدم اهتمامها بهذه الأمور، ولكن أكثر زعماء المقاومة كانوا يعتقدون أنه طالما أن الروس لم يتقدموا خطوة للاستفادة من الجو السائد في إيران، ويسعون دوماً ليبقوا مجرد متفرجين للتحويلات فى البلاد ، فهل سيستمر مثل هذا السلوك بعد إقامة حكومة إسلامية فى إيران؟ وهل سيتحمل الأوضاع التى ستحدث بجوار حدوده من قبل عدد من المشايخ الجاهلين بالمسائل السياسية؟. وعند إقامة مثل هذه الحكومة فما هو رد الفعل الذى ستبديه أمريكا ؟ هل يكون شبيهاً بما تم فى سنة ١٩٥٣ (١٣٣٢) ولن تعمل أمريكا لإسقاط حكومة إسلامية بانقلاب

عسكرى؟ هذه هى المسائل التى جرت في ذهن كثير من زعماء المقاومة، وحركتهم لقبول حقيقة أنه يجب لإنجاح الثورة القيام بإجراءات منطقية، والابتعاد عن إثارة الاضطراب والمشاكل (٣٨) .

ولهذا السبب دعا عدد من رجال الدين الشعب الاعتدال فى الكفاح والامتناع عن العنف، وحث آية الله شريعتمدارى أيضاً الشعب فى خطاب له قائلاً: "يجب ألا تبتعد سلوكياتنا أكثر عن إطار الدستور".

ولكن على الرغم من هذه التوصيات إلا أن الأهالى استمعوا فقط لأوامر خمينى وصعدوا الصراع تحت تأثير أقواله، ولم تمر عدة شهور من بداية الاضطرابات حتى كان هو الزعيم الأصلى والحقيقى للشعب.

لم يرض العجوز الذى اختار الإقامة فى "نوفل لوشاتو" (*) بأقل من إسقاط الشاه، وكان كل يوم يمر يتزايد عزمه للوصول إلى هدفه الراسخ وسيطرة نفوذه وكلامه على الشعب.

ولكن فى نفس الوقت كان الشاه فى طهران قد رأى نفسه محاصراً من كل ناحية، وكان يتحسر لماذا استيقظ من نوم الغفلة متأخراً، ولم يهتم من قبل بالواقع، وكان فى حيرة لماذا أصبح الناس جاحدين له؟.

يروى مرافقوه أن الشاه كان يدرك فى مثل هذه الظروف أكثر من ذى قبل مدى ضعفه وهوانه وحيرته وأن حالة كان كمن أفل نجمه، ولكن نجم خمينى سرعان ما ارتفع فى سماء إيران.

وصاحب هذا الوضع الذى سيطر على البلاد شائعات كثيرة شاعت بين الناس كان بعضها فى الواقع لا أساس له.

(*) الحى الذى أقام فيه آية الله خمينى فى باريس.

على سبيل المثال كان مضمون إحدى الشائعات أن المسئولين الغربيين المرتبطين بجهاز السى آى إيه C.I.A وجواسيس إسرائيل السريين قد قرروا أن يكفوا عن حماية الشاه.

ولكن إدراك مثل هذا الفعل ضد شخص حام لمصالح الغرب فهو أمر لايعقل، والمسألة تفسر على نحو أن الغرب كان يدرك انتهاء أمر الشاه.

مثل هذه الشائعات على الرغم من أنها أصلاً لا مجال لقبولها من الشعب، لكنها شاعت فى كل مكان ولكن القوى المعارضة- دون سماع مثل هذه الشائعات كانت تحس بالضعف والخور، وكان تصاعد كفاحها قد وصل إلى درجة أن الإيرانيين الأغنياء سيطر عليهم إحساس بقرب نهاية الأمر وكانوا يسارعون لنقل أموالهم إلى البنوك السويسرية، وتحويل أكثرهم أمواله إلى خارج البلاد دون أن ينتظروا الحوادث.

وفى هذا الصدد حيكت نكتة نقلتها أغلب الأوساط الخاصة فى طهران، وكانوا يقولون: ذات يوم أبدت الملكة فرح تعجبها لماذا لايتظاهر الأشخاص المدعومين من الشاه؟ وقالت لواحد من رجال البلاط "فى سنة ١٩٦٨ فى فرنسا رتب مؤيدو الجنرال ديجول مسيرة كبيرة لتأييده فى شوارع شانزليزيه بباريس، فلماذا لا يقوم مؤيدونا اليوم بمثل هذا العمل؟ "وأجابها رجل البلاط: "يجب أن أخبر جلالتك أنهم جميعاً مستعدون لإقامة المسيرة فى الشانزليزيه.....".

ذات يوم فى أواخر أكتوبر دخل علىَّ فى مكتبى فى نيويورك أحمد ميرفندرسكى (الذى كان قد عين فى وزارة الخارجية لفترة قصيرة بوزارة شاهبوربختيار) وهو فى حيرة واضطراب وسألنى بلهجة قلقة: "هل قرأت الحديث الصحفى الأخير لخمينى؟"."لا لم أقرأه، لعله قال قولاً جديداً؟"."نعم .....لهجة حديثة متغيرة تماماً، الرجل الذى تحدث فى المسائل الدينية أكثر وله آراؤه الخطيرة، وضع فى هذا الحديث برنامجاً جدياً لتشكيل الحكومة، وهذا يوضح أن أمر النظام انتهى." (٣٩).

وأطلعنى فى نفس اليوم أحد أصدقائى الأمريكان أن أردشير زاهدى قد نجح فى النهاية أن يقنع الشاه وقادة الجيش لاعتقال أمير عباس.

بعد سماع هذا الخبر اتصلت فوراً بأخى فى طهران وطلبت منه أن يغادر إيران فى الحال ، ولكنه قال لى بلهجة معتدلة جداً: "لا ، مطلقاً، الفرار من شيمة الجبناء".

والآن عندما أعيد ذكرياتى الماضية أرى أنه كان قد قدر أن يبقى أمير عباس فى طهران ويتقرر مصيره على هذا النحو.

الحواشى

حاشية المقدمة:

١ - توجه الإمام الخمينى إلى باريس يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٨ (١٤ مهر ٥٧ هـ.ش) وليس فى ٣ أكتوبر.م

٢ - كما تم التوضيح من قبل، وكان يوم وصول الإمام الخمينى إلى باريس السادس من أكتوبر ١٩٧٨ (١٤ مهر ٥٧) وليس الثالث من أكتوبر-م.

٣ - كان على أمينى رئيساً للوزارة فى مرحلة الإصلاح الزراعى، وليس هناك شك أبداً فى فرضه من قبل الأمريكان - باعتراف الشاه نفسه- فهل يمكن قبول الادعاء السابق من مؤلف الكتاب؟ وغير ذلك يجب السؤال: هل شخص مثل فريدون هويدا جاهل إلى هذا الحد بالمسائل السياسية للنظام السابق ولايعرف أن الإصلاح الزراعى للشاه كان فى الوقت نفس خطة "الاتحاد من أجل التقدم".لجون كنيدى (للحيلولة دون ثورة الشعوب فى العالم الثالث ضد أمريكا) والذى كان ينفذ في إيران على شكل إصلاح زراعى وثورة الشاه البيضاء، وبعدها فى شيلى تحت عنوان "الاتحاد من أجل الحرية" (لمنع نجاح سلفادور النيدى فى انتخابات سنة ١٩٦٤)؟.

كانت خطة كنيدى فى الواقع نوعاً من رد الفعل الدفاعى السريع لأمريكا بعد هزيمتها النكراء فى هجومها على خليج الخنازير فى كوبا، والذى حدث يوم ١٧ إبريل ١٩٦١ الموافق ٢٨ فروردين ١٣٤٠، وبعده بتسعة عشر يوماً على وجه الدقة، تولت حكومة "علي أمينى" فى إيران (١٦ أرديبهشت ١٣٤٠) تنفيذ خطة "الاتحاد من أجل التقدم" فى شكل إصلاح زراعى.م.

٤ - للأسف يجب القول: أن فريدون هويدا فيما يتعلق بالحوادث التاريخية إما جاهل بها لايبالى كثيراً فى نقلها (واحتمالاً مغرض)، ولعل أقل إنسان يعرف أن الإمام الخمينى قد اعتقل يومين قبل انتفاضة ١٥ خرداد ٤٢ وليس بعدها، ولم يكن سبب قيام هذه الانتفاضة سوى كفاح الشعب مع ديكتاتورية الشاه بسبب سجن الإمام وإعلان تأييدها لبيانات الإمام فى مجال تحذير الشاه .....عن الإجراءات المضادة للإسلام والامتناع عن الارتباط بأمريكا وإسرائيل، ولكن يريد المؤلف أن يربط معارضة الإمام الخمينى لنظام الشاه بمسألة الإصلاح الزراعى يجب إدراك أيضاً أن هذا الأمر ليس إلا إثارة الهوى لأنه ليس لديه سبب آخر ، وهكذا فإن الاعتراض على السياسات المضادة للإسلام والشعب وميول الشاه للأجانب قد شكلت أساساً لمعارضة الإمام.م

٥ - تم نفى الإمام الخمينى بسبب أحاديثه الثورية وبيانه فى ٤ آبان ١٣٤٣ ضد الموافقة على معاهدة الصداقة وامتيازات المستشارين الأمريكان.م

٦ - حدث أنه عندما أجرى أنور السادات استفتاءً فى مصر حول مسألة رئاسته للجمهورية مدى الحياة، وافق أكثر من ٩٥٪، ولكن بعدها عرف أن عدد الآراء الموافقة لم تكن أكثر من ٩٥٠ ألف، ولما كانوا قد حددوا أن عدد المشتركين فى الاستفتاء قرابة مليون شخص، لكى نعرف كيف كان الأمر فى استفتاء ٦ بهمن ١٣٤١؟ من الأفضل أن ننظر فى الإحصاء الرسمى لحكومة الشاه الذى ذكر أن عدد الآراء الرافضة (أى ٥٪ من المشتركين) فقط ٤٥٠٠ صوتاً، بناء على ذلك إذا كان ٤٥٠٠ صوتاً يشكلون ٥٪ من المشتركين فى الاستفتاء. فالمطلوب إذن تحديد عدد ٩٥٪ من المشتركين؟ م.

٧ - كم كان جميلاً لو أوضح المؤلف ما منظوره "لتحديث البلاد"؟ وبأى دليل حدد أن موافقة الشعب على الجمهورية الإسلامية يعقبه معنى المعارضة مع تحديث البلاد-م.

الحواشى

حاشية المقدمة:

١ - توجه الإمام الخمينى إلى باريس يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٨ (١٤ مهر ٥٧ هـ.ش) وليس فى ٣ أكتوبر.م

٢ - كما تم التوضيح من قبل، وكان يوم وصول الإمام الخمينى إلى باريس السادس من أكتوبر ١٩٧٨ (١٤ مهر ٥٧) وليس الثالث من أكتوبر-م.

٣ - كان على أمينى رئيساً للوزارة فى مرحلة الإصلاح الزراعى، وليس هناك شك أبداً فى فرضه من قبل الأمريكان - باعتراف الشاه نفسه- فهل يمكن قبول الادعاء السابق من مؤلف الكتاب؟ وغير ذلك يجب السؤال: هل شخص مثل فريدون هويدا جاهل إلى هذا الحد بالمسائل السياسية للنظام السابق ولايعرف أن الإصلاح الزراعى للشاه كان فى الوقت نفس خطة "الاتحاد من أجل التقدم".لجون كنيدى (للحيلولة دون ثورة الشعوب فى العالم الثالث ضد أمريكا) والذى كان ينفذ في إيران على شكل إصلاح زراعى وثورة الشاه البيضاء، وبعدها فى شيلى تحت عنوان "الاتحاد من أجل الحرية" (لمنع نجاح سلفادور النيدى فى انتخابات سنة ١٩٦٤)؟.

كانت خطة كنيدى فى الواقع نوعاً من رد الفعل الدفاعى السريع لأمريكا بعد هزيمتها النكراء فى هجومها على خليج الخنازير فى كوبا، والذى حدث يوم ١٧ إبريل ١٩٦١ الموافق ٢٨ فروردين ١٣٤٠، وبعده بتسعة عشر يوماً على وجه الدقة، تولت حكومة "علي أمينى" فى إيران (١٦ أرديهشت ١٣٤٠) تنفيذ خطة "الاتحاد من أجل التقدم" فى شكل إصلاح زراعى.م.

٤ - للأسف يجب القول: أن فريدون هويدا فيما يتعلق بالحوادث التاريخية إما جاهل بها لايبالى كثيراً فى نقلها (واحتمالاً مغرض)، ولعل أقل إنسان يعرف أن الإمام الخمينى قد اعتقل يومين قبل انتفاضة ١٥ خرداد ٤٢ وليس بعدها، ولم يكن سبب قيام هذه الانتفاضة سوى كفاح الشعب مع ديكتاتورية الشاه بسبب سجن الإمام وإعلان تأييدها لبيانات الإمام فى مجال تحذير الشاه .....عن الإجراءات المضادة للإسلام والامتناع عن الارتباط بأمريكا وإسرائيل، ولكن يريد المؤلف أن يربط معارضة الإمام الخمينى لنظام الشاه بمسألة الإصلاح الزراعى يجب إدراك أيضاً أن هذا الأمر ليس إلا إثارة الهوى لأنه ليس لديه سبب آخر ، وهكذا فإن الاعتراض على السياسات المضادة للإسلام والشعب وميول الشاه للأجانب قد شكلت أساساً لمعارضة الإمام.م

٥ - تم نفى الإمام الخمينى بسبب أحاديثه الثورية وبيانه فى ٤ آبان ١٣٤٣ ضد الموافقة على معاهدة الصداقة وامتيازات المستشارين الأمريكان.م

٦ - حدث أنه عندما أجرى أنور السادات استفتاءً فى مصر حول مسألة رئاسته للجمهورية مدى الحياة، وافق أكثر من ٩٥٪، ولكن بعدها عرف أن عدد الآراء الموافقة لم تكن أكثر من ٩٥٠ ألف، ولما كانوا قد حددوا أن عدد المشتركين فى الاستفتاء قرابة مليون شخص، لكى نعرف كيف كان الأمر فى استفتاء ٦ بهمن ١٣٤١؟ من الأفضل أن ننظر فى الإحصاء الرسمى لحكومة الشاه الذى ذكر أن عدد الآراء الرافضة (أى ٥٪ من المشتركين) فقط ٤٥٠٠ صوتاً، بناء على ذلك إذا كان ٤٥٠٠ صوتاً يشكلون ٥٪ من المشتركين فى الاستفتاء. فالمطلوب إذن تحديد عدد ٩٥٪ من المشتركين؟ م.

٧ - كم كان جميلاً لو أوضح المؤلف ما منظوره "لتحديث البلاد"؟ وبأى دليل حدد أن موافقة الشعب على الجمهورية الإسلامية يعقبه معنى المعارضة مع تحديث البلاد -م.

حاشية الفصل الأول

١ - خص "إستانسفيلد ترنر" رئيس جهاز السى آى إيه فى عهد كارتر فى مذكراته هذه المسألة بفصل ، وأبدى أموراً مثيرة خاصة بأسباب جهل السى آى إيه وبقية المسئولين الأمريكان بمسائل الثورة الإيرانية.

٢ - السبب الحقيقى لاختلاف موقف الدول مثل الروس والإنجليز والألمان وآخرين كان عدم معرفتهم بقوة زعامة والنفوذ المعنوى للإمام الخمينى، وليس جهلاً بفساد جهاز وقوى المعارضة لنظام الشاه، ولما كان فى كثير من الدول حكومات أكثر فساداً من الشاه، وكانت أيضاً تصدم بقوى أقوى من المعارضين السياسيين، ولكن نرى أن أغلبهم لايخضون الماء بالماء.

بعد قيام المسيرة العظيمة والمثيرة فى تاسوعاء وعاشوراء سنة ٥٧ (١٩ - ٢٠ آذر) والتى أظهرت فى الحقيقة بوضوح المذهب كأقوى قوى معارضة للشاه أمام العالم، توجهت من جديد دول مثل الروس والإنجليز و......نحو أهمية ودور زعامة الإمام وقوة المذهب فى إيران، وتراجعت واحدة تلو الأخرى عن مواقفهم السابقة، لأنهم أدركوا صحة التقارير والأخبار المنشورة فى ذلك الوقت عن هذه المسألة. م

٣ - المقصود من "ثوريو ذاك الوقت" هو وقوع مظاهرات المعلمين والطلاب ضد حكومة شريف إمامى التى أدى قتل معلم يدعى "دكتور خانعلي" إلى سقوط حكومته وقيام حكومة "على أمينى" ببعض الإصلاحات الشكلية، وبعدها عمل الشاه بمقولته وجعل نفسه ثورياً من أجل طلاب الثورة وتحت أمرهم. م

٤ - سعى الكاتب فى كتابه دائماً على أن يطرح مسألة لاأساس لها، تصور عداوة شخصية للإمام الخمينى مع الشاه، وهذه المسألة فى الوقت الحاضر بعد مرور سنوات من قلب نظام الحكم قد فقدت رونقها وتبدل فرض أمر الجميع يعرف

بطلانه ، ولكن لما كان هذا الكتاب قد طبع فى سنة ١٣٥٨ بعد انتصار الثورة الإسلامية بفترة قصيرة فمن الطبيعى أن يتأثر بالشائعات المنتشرة ضد الثورة ويتبع هذه الشائعات للتقليل من قداسة الثورة الإسلامية، ليظهر المسألة علي أنها ليست حركة شاملة لتحطيم الطاغوت بل على أنها تصفية لحساب خاص.

٥ - هذا الادعاء أكثر خواء من أن يكون إجابة ولكن كان ومازال المشايخ الأغراب يأخذون الحقوق من شعوبهم الذين أخذوا الحقوق حتى من الإنجليز والأمريكان والروس والحكومات العميلة بهم، وهؤلاء يشكلون نفس وعاظ السلاطين الذين لا هدف لهم إلا التفرقة بين الأمة الإسلامية وعرقلة وحدة المسلمين وإشاعة فصل الدين عن السياسة. م

٦ - بينما يعمل كل مؤلف على الأقل أن يحفظ الأمانة عند نقل مضمون أقوال وكتابات الآخرين حتى ولو كان يحمل عداوة قديمة للمتحدث أو الكاتب ولايلعب فى الجمل والأرقام التى استخدمها، كان فريدون هويدا يزور ويحرف فى نقل بيانات الإمام الخمينى بشكل يثير الدهشة، فهو الذى كان قد أقام ادعاءه على عداوة الإمام مع الشاه،ولم يعتقد أن كتابه من الممكن أن يترجم يوماً ما فى إيران، ويأخذ المترجم بعقاله، فقد اكتفى من بين حديث إحدى عشر صفحة للإمام (كان قد أورده فى ٦ خرداد ١٣٥٠ فى النجف) نقل فقط عدة جمل (محرفة أيضاً) مثلاً يشير إلى أن الإمام يعادى فقط شخص الشاه فلو نظرنا إلى ما قاله الإمام حول الاحتفالات الشاهنشاهيه يتضح تماماً أن الإمام فى حديثه لم يفضح فقط محمد رضا بل فضح أيضاً جميع ملوك وسلاطين إيران...فقد قال:

"...... الملكية الإيرانية منذ ولدت فى البداية حتى الآن قد سودت وجه التاريخ.....(بأمرها) أبادوا وقطعوا رؤوس الأهالى وبعدها جعلوا للملوك برجاً.. نحن أمة الإسلام يجب أن نعرف لأى سلاطين نحتفل؟ لأى سلاطين يسعد الشعب؟ أنحتفل

لاقا محمد خان قاجار؟ ونحتفل بالأشخاص الذين أعملوا القتل فى المسلمين فى مسجد جوهر شاد؟ أو نحتفل بـ ١٥ خرداد حيث قال لى أحد علماء قم: إنه قد قتل فى قم ٢٠٠ شخص ويقال: أنهم قتلوا ١٥ ألف من الشعب؟ أحد هؤلاء الذين يحاسبونه جزاء محاسنه (ناصر الدين شاه) لأنه ذات وقت تجرأ فريق من الجوعى على عربته (الحانطور) فى طريق حضرة عبد العظيم - جماعة من الجياع تطالب بالخبز ألقت حجراً واحداً نحو عربته، يقال إنه علق الجميع فى حبل..هذه محاسنهم، وبلواهم أعم مصيبة..".

والنقطة الهامة التى أهملها هذا الجزء هو تحريف الأرقام على يد المؤلف الذى بدل عدد قتلى قم (خلاف قول الإمام) من ٤٠٠ إلى ١٠٠ وذكر ١٥٠٠ فقط بدلاً من ١٥ ألف شخص. م

٧ - لم يكن سبب نشر المقالة المهينة الخاصة بالإمام الخمينى لأى سبب والتى أشار إليها المؤلف، ولهذه المسألة حديث مفصل يجب أن يذكر فى مكانه، ولكن هنا يجب أن يتضح فقط أن المقال المذكور كان منشوراً فى عدد السبت ١٧ دى ١٣٥٦ بصحيفة إطلاعات وليس فى ١٨ دى. م

٨ - المظاهرات التى كانت فى تبريز لتأييد الشاه، وكانت فى يوم ٨ إبريل ١٩٧٨ الموافق ١٩ فروردين ١٣٥٧، وليس الثانى من أبريل، وفيما يتعلق بسبب هذه المظاهرات التى أبدى بشأن إقامتها فى ذلك الوقت رأياً عجيباً، يجب التوضيح:

إن خدعة السافاك والحيلة التى تمت بسحب الأهالى خاصة فلاحى الأرياف إلى تبريز لإيجاد تجمع فى وسط المدينة كانت على هذا النحو: منذ عدة أيام سابقة سارت عناصر السافاك ورستاخيز في المدينة والقرى وأشاعوا فى كل مكان أنه فى يوم ١٩ فروردين سيأتى جمشيد آموزجار (رئيس الوزارة) مع السيد سيد كاظم شريعتمدارى (الذى كان محل ثقة أهالى آذربايجان فى ذلك الوقت) إلى تبريز، ليتحدثا فى جموع الأهالى، ويوضحا لهم أسباب ما حدث ٢٩ بهمن ٥٦، حقيقة من الواضح أن سماع

خبر حضور شريعتمدارى فى تبريز استطاع أن يجمع الأهالى إلى محل الاجتماع، وتم تثبيت عدسات المراسلين على الجمع الغفير كمؤيدين للشاه، وليس لزاماً ذكر أنه فى اليوم المحدد حضر جمع من عناصر رستاخيز أمام الأهالى ورفعوا الشعارات لصالح الشاه، وصفقوا ووقف فى أقصى الساحة شيخ من رجال البلاط بجوار جمشيد آموزجار وجعفريان ليوهم الأهالى من بعيد أنه نفسه شريعتمدارى.

الآذربايجانيون الغيورون الذين عرفوا فى نهاية هذ المراسم بمؤامرة الشاه واستغلال دعايات النظام لهم أسوأ استغلال والاستفادة من معتقداتهم المذهبية من أجل مطامع الشاه، ولذا غضبوا لدرجة أنهم عقدوا العزم ألا يهدأوا حتى يقضوا على هذا العنصر الفاسد المحتال. م

٩ - لترجمة الأجزاء التى نقلها المؤلف من حديث الشاه، أستعين مباشرة بأصل الحديث الصحفى المذكور الذى نشر فى صحيفة كيهان المؤرخة فى ٨ ابان ١٣٥٥ -م.

١٠ - تم الاستعانة بالأصل فى ترجمة الأجزاء التى ذكرها المؤلف فى كتاب "نحو الحضارة العظمي"-م.

١١ - بعد المطابقة عُرف أن المؤلف قد اختار أمثلته المذكورة من صفحات ٨٥-٩١-١٧١ - ٣١٥ من كتاب "نحو الحضارة العظمي" ونُقلت فى الترجمة فقط نفس الأمثلة التى أوردها المؤلف فى المتن الإنجليزى. م

١٢ - خوان كارلوس (ملك أسبانيا الفعلى) الذى تقلد زمام الأمور فى سنة ١٩٧٥ بعد موت الجنرال فرانكو (ديكتاتور أسبانيا)، ولكنه منذ بداية الأمر أعلن أنه يعتبر نفسه فقط ملكاً ولن يتدخل لأى سبب فى أمور الحكومة م.

١٣ - كان الشاه فى حديثه مع "أوليويه وارن" (الصحفى الفرنسى) الذى نشر ترجمتها الفارسية فى كتاب تحت عنوان "الشمس والأسد" فى سنة ١٣٥٦ قد اعترف بنفس المضمون (صفحة ٢١٤). م

١٤ - بمبى من المدن العتيقة فى روما القديمة التى انهدمت تماماً إثر بركان. م

١٥ - عندما كتب فريدون هويدا هذا الكتاب أوائل سنة ١٣٥٨ وفى وقت كان مهندس بازرجان لايزال يتولى رئاسة الحكومة المؤقتة، لذا علق أفعال ذلك الوقت به، وفيما يتعلق بوجهة نظر المؤلف والذى طبق وضع أخيه مع المهندس بازرجان، ومثلاً أراد بهذا الخداع أن يبرئه من جرائمه وفساده ١٣ سنة فى التعاون مع الطاغوت، يجب القول: هذا قياس مع الفارق فليس هناك أى تشابه بين بازرجان وهويدا بل إن الاختلاف بين عمليهما أيضاً هو فارق بين الأرض والسماء.

أولاً : بازرجان رجل مؤمن، مقدس وطاهر ليس لديه روح الثورة وبسبب أفكاره المسالمة وسلوكه غير الثورى لم يستطع أن يستمر فى حكومة ثورية، ولكن هويدا.....

ثانياً: هويدا لم يستقل مطلقاً، وعزله الشاه فى مرداد ٥٦ ولو لم يكن راضياً لترك كرسى الرئاسة.

ثالثا: مهندس بازرجان بعد استقالته من رئاسة الحكومة انتُخب نائباً بالمجلس والآن يحضر فى كل مكان بحرية وكل مايريده يقوله ولكن الشاه أخذ هويدا وألقاه فى السجن ليصبح درع بلاء له ولم يتمكن من أن يفشى فسق وفجور النظام. م

١٩ - خلافاً لادعاء المؤلف لم تقم مظاهرات قط يوم ٢٧ خرداد ٥٧ لا فى طهران ولا فى أى مدينة كبرى أو صغرى، ويلاحظ خلال فصول هذا الكتاب دائماً أن فريدون هويدا يخطىء فى تاريخ الوقائع المختلفة، لذا يمكن أن يحسب ما سبق ذكره أحد أخطائه، ويعفى من ذلك، ولكن المسألة هنا ليست تعمده للاستفادة من هذا الخطأ فى التقليل من أهمية بيانات الإمام خمينى بأى وجه من الوجوه، ويجب التوضيح فى هذا الشأن أنه: صدر بيانان فقط من قبل الإمام طوال شهر خرداد ٥٧ (الأول فى تاريخ ١٠ خرداد وكان يتضمن بياناً له بمناسبة ذكرى ١٥ خرداد ، والثانى

رسالة له فى يوم ٢٠ خرداد بمناسبة الأربعين لشهداء حادثة ١٠ أرديبهشت فى قم) وخلافاً لادعاء المؤلف لم يرد ذكر "الثورة المزلزلة" و "الانفجار العظيم" فيها، ولكن منذ شهرين ونيف قبل ذلك (يعنى فى الرابع من فروردين ٥٧) أشار الإمام فى قسم من رسالته الخاصة بوجوب إقامة الأربعين لشهداء تبريز بل استند إليه فريدون هويدا، وقال حول مذبحة الأهالى فى تبريز فى يوم ٢٩ بهمن ٥٦: "...إن المذبحة الجماعية لأهالى تبريز قد هزت أمة إيران الغيورة لدرجة أنها على وشك الانفجار، انفجار بعون الله تعالى لقطع يد الأجانب، انفجار ينتقم للمظلومين من الشاه، ويمحو أسرة بهلوى الكالحة من تاريخ إيران، ويمحق العار عن صفحتها....".

واستمراراً لهذا الأمر يجب التوضيح أنه قد أأقيمت مظاهرتان فقط فى إيران طوال شهر خرداد ٥٧، الأولى كانت بمناسبة ذكرى ثورة ١٥ خرداد، وخلالها أغلقت الأسواق والمحلات فى أغلب المدن، وقامت المظاهرات، والثانية كانت فى ذكرى تجليل شهادة دكتور شريعتى والتى أقيمت مظاهرات وتجمعات للأهالى فى المسجد ومجالس تأبين خلال أيام ٢٨و ٢٩ خرداد، والمسألة التى ذكرها فريدون هويدا بصورة "منع تجمع الأهالي حول المساجد علي يد قوات الأمن" كان متعلقاً بمجلس التأبين فى مسجد أرك طهران بمناسبة تجليل مقام دكتور شريعتى، الذى ظل هذا المسجد فقط فى محاصرة قوات الأمن طوال المراسم، وليست جميع المساجد. م

١٧ - يجب تذكر أن الشاه لم يعلن فى رسالته يوم ١٤ مرداد ٥٧ مسألة مطلقاً بهذه الصراحة لأن أقواله السابقة لم تكن مقبولة لدرجة أن أحد الإيرانيين لم يكن عضواً فى حزب رستاخيز ولهذا السبب طرح الأمر على النحو التالى: فى هذه الانتخابات حتى الأشخاص الذين يخالفون توجه إيران "نحو الحضارة العظمي" يستطيعون أن يشاركوا. م

١٨ - ١٤ سنة ليس صحيحاً، لأن هويدا كان رئيساً للوزارة ١٢ سنة و ٧ أشهر. م

١٩ - كان شهر رمضان سنة ٥٧ قد بدأ يوم ١٥ مرداد ١٣٥٧. م

٢٠ - أورد المؤلف هذا الشعار عينه بنفس الشكل، وتعمد أحياناً أن يوضح أن كفاح الثوار فى أصفهان مع نظام الشاه كان أكثر فحشاً وبذاءة ولم يكن أصيلاً. م

٢١ - على الرغم من أنه فيما بعد فى عهد حكم الجمهورية الإسلامية حوكم المذنبون درجة ٣،٢ فى الحادثة المروعة لسينما ركس فى عبادان وحكم عليهم، ولكن لمعرفة المحرض الحقيقى على هذه الجريمة المروعة أفضل طريق هو مراجعة متن رسالة الإمام الخمينى فى تاريخ ٣١ مرداد ١٣٥٧ (٣ أيام بعد وقوع الحادثة) والذى بين للأمة المقصر الحقيقى والمحرض الأصلى، بذكر نقطتين من كلام الشاه السابق؛

قول الشاه إنه " يتوعد المتظاهرين ضده بالوعيد" وكرر هذا بعد الحادثة أن " هذا ما كان قد وعد به"، والشاهد الثانى على المؤامرة، أليس الشاه فيه متنبئًا كبيراً؟! حديث الشاه السابق الذى يقول"سأبيد إيران مع الأمة" دليل أيضاً على هذا الادعاء، وإظهار الأسف والندم فى أبوقة الدعايات من قبل أشخاص كانوا يغمسون أيديهم كل يوم حتى المرافق فى دماء مواطنيهم، شاهد كبير على دور الشاه الشيطانى ورفاقه....فهل استفاد من هذه الجريمة إنسان سوى الشاه والمقربين له؟.

وأيضاً فى غد يوم إحراق سينما ركس عبادان، استطاع نظام الشاه، مستفيداً من الهلع الذى كان قد ظهر ليوافق المجلس بكل هدوء على لائحة إقرار الحكومة العسكرية في أصفهان. م

٢٢ - لم يخرج الشاه بعد زيارة قام بها أواخر أرديبهشت ٥٧ إلى المجر إلى أى دولة أخرى، ولذا قول المؤلف إن "الشاه بعد حادثة عبادان عاد مسرعاً إلى إيران "ليس صحيحاً. م

٢٣ - أعلن الإمام الخمينى لأول مرة فى حديث صحفى مع صحيفة "فيجارو" فى باريس (٢٢ مهر ٥٧) شكل حكومة المستقبل في إيران "الجمهورية الإسلامية". م

٢٤ - خص المؤلف هنا قرابة صفحة فى كتابه لوصف تاريخ التشيع، ولما كان قد كتبه فقط لاطلاع الأجانب، فالأمر ليس جديداً للقراء الإيرانيين، لذا صُرف النظر عن ترجمته. م

٢٥ - كان مكان وفاة دكتور شريعتى فى مدينة "ساوث همبتون" جنوب انجلترا وليس فى لندن (٢٩ خرداد ١٣٥٦). م

٢٦ - من المثير أن فريدون هويدا فى بداية كتابه كان قد اعتبر أن الحركة الثورية للشعب الإيرانى فقط قد نشأت من الخلاف والخصومة الشخصية للإمام الخمينى مع الشاه، ولكن هنا يقدمها على الرغم من فرضيته السابقة- "كثورة حقيقية وأصيلة". م

٢٧ - مع أن مؤلف الكتاب هو أخو أمير عباس هويدا، بالطبع لايجب أن نستبعد إطراءاته وامتداحه لأخيه، ولكن للوقوف على مهارات هذا "العقل السياسي" من الأفضل العودة إلى دفاع هويدا فى محكمة الثورة، وكيف أنه اعتبر نفسه جزءاً من "النظام" ولابد أن يتبع "النظام" وعلى هذا الأساس أظهر مفهوم كونه "عقلاً سياسياً". م

٢٨ - كان السبب الأساسى لعزل جمشيد آموزجار عن رئاسة الوزارة النتائج المترتبة على حريق سينما ركس عبادان، والتى أسفرت عن فضيحة خلاف ماكان ينتظر النظام، وتسببت في أن الشاه لم يكد يمر أسبوع واحد على هذه الحادثة المروعة حتى تم تغيير الوزارة ليبعد الأذهان عن التفكير في مسألة سينما عبادان ويلقى جميع الاتهامات التى كانت مصوبة نحوه ضمنياً فى رقبة حكومة آموزجار. م

٢٩ - لايوجد في إيران وزارة "النساء"، ولكن كان قد وجد منصب "وزير دولة لشئون النساء" فى وزارة جمشيد آموزجار والذى كان فى الحقيقة خلفاً لنفس "جمعية نساء إيران" الخاصة بأشرف بهلوى. م

٣٠ - لقد جاء هذا الشعار فى المتن الأصلى للكتاب "ديننا حسيني - وملكنا خميني" وليس معلوماً هل أورده المؤلف بهذا الشكل عن جهل أو حرفه متعمداً؟ م

٣١ - فى هذه المراسم وأشباهها مثل توزيع سندات ملكية الأرض على الفلاحين من قبل الشاه- كان عادة يشترك فيها أفراد كممثلين عن العمال أو الفلاحين الذين كانوا يعدون من عناصر النظام من قبل تحت التدريب حتى يعلنوا من موقعهم "شكرهم العميم". م

٣٢ - د. جواد سعيد (الأمين العام لحزب رستاخيز) بعد أن أعلن أن "رستاخيز ليس حزباً موجهاً "استقال من منصبه يوم ٩ مهر ٥٧، وبعدها انحل حزب رستاخيز رسمياً أيضاً بعد عقد آخر جلسة لهيئته التنفيذية يوم ١١ مهر. م

٣٣ - منذ يوم ١٧ مهر ٥٧ لم يعمل أى فصل دراسى على الرغم من بداية السنة الدراسية بالجامعة. م

٣٤ - احترق المسجد الجامع فى كرمان يوم ٢٤ مهر ٥٧، وأوضحت التحقيقات فيما بعد أن هذا العمل قد تم على يد رجال النظام ومساعدة المأجورين. م

٣٥ - ذكر فريدون هويدا خطأ مجلة كانت قد انتشرت تحت عنوان "المجتمع الجديد من قبل هوشنگ نهاوندى ورفاقه كنشرة ناطقة باسم الجناح الثالث لرستاخيز (جماعة بحث مسائل إيران فى ضوء ثورة الشاه والشعب)، على أنها "حزب المجتمع الجديد". م

٣٦ - عين هوشنگ نهاوندى كوزير للعلوم والتعليم العالى فى وزارة شريف إمامى، ولكن بعد قرابة شهر ونصف اضطر للاستقالة بسبب اختلاف وجهة نظره مع بعض أعضاء الوزارة (٢٤ مهر ٥٧) ويجب معرفة أنه بين وزراء حكومة شريف إمامى كان هناك ستة أشخاص مرتبطين بجناح هوشنگ نهاوندى فى رستاخيز (جماعة بحث مسائل.....). م

٣٧ -إستخدم المترجم متعمداً كلمة "راديكال" ليصل مفهوم الجملة أفضل، مع أنه فى اللغة الفارسية يمكن أن تعنى "راديكال": أصلى - عميق - أساسى، ولكن يجب إدراك أنه أى منها لا يمكن أن يدلل على المفهوم الواقعى لراديكال. م

٣٨ - حقيقة لم تستطع "الخطوات المنطقية" فى نظر السادة - إلا أن يتحقق تقدم الكفاح على الأقل بجلب تأييد إحدى القوتين العظميين (ترجيحاً أمريكيا) والاستفادة من إرشادات المخططين السياسيين، وإذا قصد تشكيل حكومة إسلامية وسط، فمن المؤكد أن تكون على شاكله الحكومات الإسلامية التى تتبنى وجه نظر الغرب أو الشرق حتى لا تسبب غضب السادة وتفتح مجال الصراع والهجوم العسكرى والانقلاب.

٣٩ - في رأى أحمد ميرفندرسكى حول بيانات الإمام الخمينى أنه لايعرف قبلها مطلقاً كلام وبيانات الإمام، ولم يعرف أنهم يحددون دائماً وجهات نظره السياسة والاجتماعية دون إبهام وبشكل واضح تماماً وأظهروا رأيهم فى الأحاديث العامة والرسائل والبيانات الخاصة بالمسائل السياسية حتى المسائل الدينية، مع أنه ما من شخص يستطيع أن يحكم على الإمام كما هو منتظر إلا عندما علم بنهاية أمر نظام الشاه، وظل بمنصب بوزير الخارجية لشهرين بعدها فى حكومة بخيار.

الفصل الثانى
جــــذور الأزمــــة

الفصل الثانى

جـــذور الأزمـــة

.........إننى لا أكرر أخطاء الغرب أبداً

(من حديث الشاه لجاكلين جرابن صحيفة لوموند ٧ مارس ١٩٧٦)

لفتت سرعة تداعى الأحداث والمشاكل التى حدثت فى إيران طوال سنة ١٩٧٨ (١٣٥٧) أنظار العالم، وكان الجميع يتساءل كيف غيَّر هذا الشخص أوضاع إيران فجأة بهذا الشكل.

الحقيقة هى أن دلائل الأزمة كانت قد ظهرت منذ فترة، ولكن لم يهتم بها أحد، وفى هذا الصدد يمكن أن ينطبق على ما حدث القصة المعروفة لـ "أدجار آلان بو" التى كان فيها الجميع يبحثون عن رسالة، وقد بحثوا فى كل مكان حتى تحت الفراش. فى فتحات الجدار وأماكن خفية لإيجادها لكن الرسالة؛ مجال البحث؛ كانت على شكل برواز على الجدار أمام أعين الجميع.

فى سنة ١٩٦٠ (١٣٣٩) كان الميدان مهيئاً لإيجاد اتحاد بين طبقات الشعب المختلفة في إيران من اليمين واليسار والعمال والموظفين حتى من التجار وأصحاب رءووس الأموال ورجال الدين وغير رجال الدين، ولكن الكبت- الناجم عن أعمال السافاك وإثارة جو الهلع بين الشعب قضى على إمكانية وجود مثل هذا الاتحاد، وظهر فقط جو من السكون والهدوء السطحى والظاهرى فى المجتمع ليبرهن أن إيران دولة آمنة (*) ومستقرة وسط منطقة الشرق الأوسط المضطربة.

(*) وصف كارتر إيران في أثناء زيارته لها فى ١٧ دى ١٣٥٦ هـ.ش "بجزيرة الأمان" (پاسخ به تاريخ ٤٥٨).

عقب ذلك، عندما استطاع الشاه سنة ١٩٦٣ (١٣١٤) بإعلانه برامجه الثورية أن يحيى الآمال لإيجاد إصلاحات (*)، ويظهر بهذا التصرف أنه يسير إلى الأمام فى الطريق الصحيح، ومال كثير من المثقفين والتنكنوقراطيين أيضاً للاشتراك فى برامج التمدن إلى جانب الشاه.

فى ذلك الوقت أدركت مع عدد من الأصدقاء -كنا قد شكلنا جماعة- أنه إذا كان الهدف من برامج الشاه أن يوجِد تطوراً اقتصادياً مطلوباً فإنه يجب عقب ذلك أن تشيع الديمقراطية، ولذلك أحسسنا بأنه يجب أن نصل فوراً إلى التوحد الاقتصادى (لكوموتيوى) الذى بدأت حركته، ونريد من سرعته نحو التنمية الاقتصادية والتوجه صوب الديمقراطية.

لما كنا قد تصورنا أن الشاه قد أدرك فى النهاية أنه لايمكن أن يحكم المجتمع مطلقاً بالسيطرة وإصدار القرارات المختلفة، ووصل الأمر فى نظرنا إلى أنه يعرف أنه طالما لا تتغير الظروف الاجتماعية فإن الشعب لن يستجيب أبداً لأوامره.

كان أصدقائي يعتقدون أن سقوط نظام الإقطاع الحاكم كفيل بتقدم المجتمع، وكانوا ينظرون إلى تنفيذ برنامج الإصلاح الزراعى بنظرة إيجابية، وكانوا يعتبرونها خطوة ضرورية لدرجة أنهم لم يعنهم قط أن يقوم الشاه بالإصلاحات أو تقوم بها حكومة ثورية.وقد أثارت انتباهى أكثر الإجراءات التى كان الشاه بصدد القيام بها، وقد تذكرتها عند قدومى إلى إيران بعد انتهاء دراستى واطلعت على الأوضاع المؤسفة المسيطرة على البلاد والحياة الصعبة للفلاحين، وكان ذلك أواخر سنة ١٩٤٤ (١٣٢٣) وخلال الحرب العالمية الثانية وعند الاقتراب من نهايتها.

(*) يقصد به "إنقلاب سفيد - الثورة البيضاء" التى أعلنها الشاه فى ١٧ دى ١٣١٤ هـ.ش، وقد أعلن الشاه أن أهداف الثورة البيضاء - الخبز والمسكن والملبس والصحة والتعليم للجميع (پاسخ به تاريخ ١٦٦).

إيران - ديسمبر ١٩٤٤ (آذر ١٣٢٣ هـ.ش)

لن أستطيع أن أمحو من ذاكرتى أبداً خاطرة اليوم الذى وصلت فيه إلى الوطن مرة ثانية بعد ١٥ سنة من الغيبة.

فى نقطة معبر خرمشهر (*) كان رجل الجمرك شاحب الوجه مجعد الملامح فى فمه عقب سيجارة مشغول بالبحث عن حقائبى، وعندما نفذ صبرى من سماجته، احتججت عليه لماذا تعطلوننى كل هذا؟ أجابنى على الفور: اهدأ! ألا تدرى أنه يجب اتباع القانون!".

عند ذلك همس الحمّال الذى كان يقف بجوارى بلباسه البالى، فى أذنى: "أعطه نقوداً ليخلصك سريعاً" ولما كان مالدى من نقود يجب أن أستأجر بها للسفر إلى طهران، اضطررت أن أعطيه نصف كيلو برتقال كنت قد اشتريته قبل عبور النهر من مدينة البصرة وتخلصت من قبضته.

ركبت سيارة قديمة ذات نوافذ خشبية فى طريق ملىء بالمطبات، ووصلت إلى محطة سكك حديد الأهواز، وكان مكتوب أمام شباك التذاكر: "نفذت التذاكر"، ولم يكن معروفاً لعدة أيام أخرى هل سيكون هناك تذاكر، اشتد هطول المطر، وفى خارج ساحة المحطة كان هناك كاسحة طين للجيش الأمريكى مشغولة بتنظيف ساحة الشارع.

بينما كنت أتجول فى حيرة وقلق نثرت الكاسحة كمية من الطين والوسخ على رأسى ووجهى، ولما لم يكن لدى طاقة للتحمل بسبب تعب السفر ومرارة الإهمال نظرت إلى حالى وانخرطت فى البكاء.

ترجل سائق الكاسحة فوراً عند مشاهدة ما حدث، وقام بالمساعدة حتى أصلحت

(*) هى مدينة المحمرة عاصمة عربستان (خوزستان) الواقعة على مصب نهر كارون فى شط العرب.

حالى، وعلم بأمر قلقى، فسلمنى لملازم كان مسئولاً عن شئون حمل ونقل الجيش الأمريكى (*) فحجز لى مكاناً على الفور فى قطار كان يحمل جنوداً أمريكان إلى طهران.

استطعت أن أنام فترة أثناء الطريق بسبب التعب المفرط- على الرغم من كثرة الجنود الأمريكان الذين كانت رائحة التبغ والبيرة تفوح منهم، وعندما وصل القطار إلى أنديمشك فى الصباح الباكر لاحظت تواجد مئات الرجال والنساء والأطفال حفاة فى المحطة ينتفضون من شدة البرد بلباسهم المهلهل وكانت عيونهم تنظر إلىّ.

فى ناحية من ساحة المحطة كان نواب مركز التعيينات للجيش الأمريكى يوزعون الافطار على الجنود الأمريكيين راكبى القطار، وكان على هيئة شطائر ملفوفة فى ورق ومعها فاكهة وفنجان من القهوة، وعندما أكل هؤلاء الجنود إفطارهم فى هذا المكان، وقبل ركوب القطار جمعوا ما تبقى داخل براميل وألقوها بجوار الحائط.

عندئذ هجم فجأة جموع من الإيرانيين الحفاة الذى كانوا ينتظرون فى المحطة على البراميل، وتلقفوا كل ماوجدوه من قطع الخبز أو البرتقال أو قشر الموز مما تبقى من غذاء الأمريكان، ودسوه فى أفواههم على الفور وبلعوه.

وصلت إلى منزل ابن عمى فى طهران، ولما كان المكان غير كاف، كنا ننام الليالى أربعة أشخاص سوياً فى غرفة صغيرة.

كان الفقر والشقاء والمرض يعم طهران كلها، كانت الشوارع مملوءة بالمتسولين لدرجة أنه فى كل شارع نسير فيه يتعقبنا على الأقل عشرة أشخاص، ويستعطفوننا ليأخذوا نقوداً، وكانت تشاهد أمام باب دخول نوادى اللهو لجنود الحلفاء لافتة مكتوب عليها "ممنوع دخول الإيراني وكلب المعصرة".

فى ربيع سنة ١٩٤٥ (١٣٢٤) ذهبت برفقة عدد من الأصدقاء إلى أملاكهم

(*) كانت إيران فى نهاية الحرب العالمية الثانية تحت سيطرة الحلفاء.

التى كانت قرب سارى على شاطىء بحر الخزر، لنقضى عطلة السنة الإيرانية الجديدة هناك، كان القرويون الذين يعيشون فى تلك النواحى يعيشون فى أكواخ من الطين، كانوا لايأكلون أكثر من مرتين فى اليوم لايتعدى ما يأكلونه الخبز الجاف واللبن الرائب، كان المُلاّك يأخذون كل محصول أرز القرويين ورجال الحكومة يراقبونهم عن كثب حتى إذا امتنع أيهم عن دفع حق مالكيه يؤدبونه.

إن مجلس الشورى الوطنى؛ على الرغم من إجراء انتخابات حرة، لم يزل تحت سيطرة الملاك وأصحاب رءوس الأموال وكان الوضع العام فى إيران كأنما تمطر شؤماً وأسى من كل جانب، ولا يمكن التخيل قط أن أوضاع البلاد يمكن أن تتحسن فى يوم من الأيام.

غادر إيران إلى البلدان الغربية أغلب أصدقائي، الذين كانوا قد عادوا إليها بعد انتهاء دراستهم، عندما شاهدوا الوضع المسيطر على البلاد بعد توقف قصير نظراً لتحسن سبل الاتصال فى نهاية الحرب.

استمرت الظروف المسيطرة على البلاد حتى بدأ الشاه إصلاحاته بعد إجراء الاستفتاء، وبدأ إثر ذلك ظهور آمال كثيرة لنا برغبتنا فى تحسن أوضاع البلاد.

ومنذ ذلك الوقت وما بعده أيضاً، مع أن الشاه قد دحر تمرد سنة ١٩٦٣ (١)، وواصلت حكومته برنامجها ، ولكن منذ بداية ١٩٦٥ وما بعدها (بهمن ١٣٤٣) ظهر تطور فى البلاد خاصة فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية، والتى إذا أردنا أن نحكم عليها من خطة النظام خلال السنتين الأخيرتين لحكم الشاه، فهى ظالمة (٢) .

خلال المرحلة التى بدأت منذ عام ١٩٦٥ ابتعد الشاه قليلاً عن الغرب فى مجال السياسة الخارجية وتقارب إلى حد ما مع جارة إيران القوية، وبناء على ما أسماه "بالسياسة الوطنية المستقلة" ووقّع عدة اتفاقيات تجارية وثقافية مع السوفيت وقال خلالها أيضاً الروس: إننا لن نسمح لأى دولة أجنبية بإقامة قواعد عسكرية في

إيران[١].

كان الشاه وزعماء السوفيت قد ضربوا المثل في أحاديثهم دائماً عن العلاقات بين الدولتين كأفضل نموذج لعلاقة الجوار، وبعدها وفي سنة ١٩٦٦ (١٣٤٥) عقدت اتفاقية إنشاء مصنع صهر الحديد في أصفهان بين إيران والسوفييت وقد شاهدت شخصياً الشاه وكان يصفق إظهاراً لسعادته لمثل هذه الخطوة.

وكان تعيين أخي رئيساً للوزارة (*) قادراً على أن يوقف حركات الجماعات السياسية في المملكة، ويصل بالنمو الاقتصادي إلى رقم ما بين ٩ و ١٢ في المائة وتزايد الدخل السنوي ببطء ، ولكن بشكل مطمئن.

في ذلك الوقت كان وضع البلاد مصدر سعادة للشاه الذي قال ذات مرة في جلسة الحلف المركزي "لدين راسك" (وزير خارجية أمريكا في ذلك الوقت)": لاحظ! أن وضعنا جيد لدرجة أن رئيس الوزراء الرجل المتواضع مع أخيه؛ وهو مثقف يساري؛ يعملان سوياً في خدمة الشعب.....".

في سنة ١٩٧٧ عندما قرر الشاه تنحية أخي بعد قرابة ١٢ سنة من رئاسة الوزارة، وكان أكثر من ٦٥٪ من الشعب أصحاب منازل (١) إرتفع الدخل الكلي في السنة من ٣٠٠ دولار سنة ١٩٦٥ إلى ٢٢٠٠ دولار، انخفض تعداد الأميين من ٨٥٪ إلى ٥٥٪ [١] والدخل القومي الذي كان يعتمد في سنوات الخمسينات بنسبة ٩٠٪ على بيع البترول اعتمد فقط على ٣٥٪ على البترول (١) [٣].

من الانتقادات الحقيقية للنظام في إيران في فترة رئاسة أخي للوزارة هي أنه حصر الصناعة في البلاد فقط في "إعادة التركيب" وكان يقول دائماً عن الزراعة: على الرغم من أن هناك فاصل بين وضع الزراعة في إيران والحد المطلوب فعلاً، لكن يجب

(*) تولى رئاسة الوزارة في ٧ بهمن ١٣٤٣ وأقيل منها في ١٦ مرداد ١٣٥٦ هـ.ش.

تقدير التطورات الملموسة (١).

ومعروف أنه فى عهد الانقلاب على الرغم من توقف توريد المواد الغذائية للبلاد فإن المحاصيل الزراعية المنتجة فى الداخل كانت كافية لدرجة أنه لم يكن هناك أى نقص فى طهران أو فى أى مدينة من مدن البلاد (تضاعف خلالها الإنفاق السنوى أربع مرات فى الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٧٧) (٤) .

لقد اتخذت خطوات مؤثرة فى مجال الاتصالات والتأمين الاجتماعى والصحة والتربية والتعليم و.....ولم يكن هناك فقط سوى التضخم الذى كان حالة مقبولة حتى سنة ١٩٧٥، ولكن بعد ذلك أخذ يتزايد بسرعة حتى أنه فى اعتقاد الجميع لم يكن إلا نتيجة للتدفق المفاجىء للدخل المتزايد للبترول.

وقد أسهم تحسن الظروف المادية فى إيران خلال سنوات ١٩٧٠ حتى ١٩٧٢ فى التحرك صوب الديمقراطية، ولكن الشاه أضاع فرصة الاستفادة من الظروف المثالية التى تجمعت لديه، وجرَّ الأوضاع السياسية للبلاد أيضاً بارتكابه أخطاء كثيرة نحو الفساد وبقدر المستطاع، ولم يستمع الشاه لجرس الخطر الذى كان قد يدق فى واقعة سياهكل(*)، ولم يتنبه عند مشاهدة حركة الفدائية التى كانت تظهر بمقياس صغير (٥).

في العاشر من إبريل ١٩٧١ (٢١ فروردين ١٣٥٠) هاجمت جماعة فدائية كانت تتخفى فى هيئة السافاك. بشكل مفاجىء على مخفر قرب قرية سياهكل (٦)، وفضَّل رجال الأمن بدلاً من البحث عن أسباب وأصول الحادثة بعد أن تمكنوا من

(*) فى فبراير ١٩٧١ (١٩ بهمن ١٣٤٩) هاجمت جماعة مسلحة أحد المخافر فى سياهكل قرب بحر الخزر، وعلى الرغم من أن رجال الدرك قد أجبروهم على الانسحاب، ولكن قُتل عدد من الجانبين، وقد فر المهاجمون واحتموا بالغابات، وقبض السافاك على كثير من زملائهم فى طهران وسجنوهم وأعدموا بعضهم (شكست شاهانه ١٣٧).

القبض على سبعة "إرهابيين" بمساعدة الفلاحين- أن يعتبروها قضية مجردة ويصفونها كحادث لا علاقة له بمشاكل البلاد.

وبعدما حدث فإن الفدائيين عندما لم يجدوا سوقاً لشعاراتهم بين الفلاحين غيَّروا تكتيك العمليات وبدأوا جهوداً داخل المدينة.

في خريف ١٩٧١ (١٣٥٠) اغتالوا اللواء فرسيو المدعى العام فى المحاكم العسكرية فى طهران، ونفَّذوا عقب ذلك عدة هجمات مختلفة من هذا القبيل على الفور.

خلال مثل هذه الصدامات وبدلاً من أن يتوجه الشاه إلى ضرورة إقرار الحريات السياسية أمر السافاك بتشديد الضغط أكثر من ذلك، ونتيجة لتلك الخطوات التى اتخذها فإن سيطرة الشاه زادت أكثر وجعلت الشاه المثقف (١) حاكماً مستبداً وظالماً.

وكان قد طرأ تغيير على نفسية الشاه تقريباً أواخر سنة ١٩٧٠ (١٣٤٩) فى ذلك الوقت، قال لى أخى ذات مرة بعد عودته من لقائه الأسبوعى مع الشاه:"لاأعرف ماذا حدث ، إنه لايسمع أصلاً أى كلام ولا يأتى التباحث معه، لعصبيته؛ إلا بنتيجة عكسية...".

لماذا حدث مثل هذا التغيُّر فى نفسية الشاه؟...هل إعلان خروج القوات الإنجليزية من الخليج (الفارسى) (*) وملء فراغ الوجود الإنجليزي بواسطة إيران،

(*) يقصد به انسحاب القوات الإنجليزية من إمارات الساحل المهادن - أبوظبى وقطر البحرين ودبى والشارقة وأم القيوين ورأس الخيمة وعجمان وذلك فى سنة ١٩٧١.

(**) كان أردشير زاهدى زوجاً لشهناز ابنة الشاه وعمل وزيراً للخارجية وكان سليط اللسان (پشت پرده' تخت طاووس- مينو صميمى- ترجمة' دكتر حسين أبو ترابيان - چاپ سوم ١٣٦٩ ص ٥٧).

كان من الممكن أن يؤدى إلى استعلاء وغرور الشاه حتى يخرج عن طاقة تحمله؟ أم هل وصول صديقه - ريتشارد نيكسون - إلى البيت الأبيض كان قد بعث فى نفسه الإحساس بالقوة؟ أم هل تغيّرت أفكاره بسبب مخالطته لأردشير زاهدى(**)؟ إنّ عرقا من عروق عقله قد انفجر.

يمكن أن نخمن أن التاريخ الدقيق لتحول نفسية الشاه. كان قد ظهر بشكل أوضح أثناء زيارة نيكسون لطهران سنة ١٩٧٢ وكذلك نشير إلى مسألة ظهور هنرى كيسنجر على ساحة السياسة الأمريكية أيضاً.

الثلاثاء ٣٠ مايو ١٩٧٢ (٩ خرداد ١٣٥١) طهران:

اختار الرئيس نيكسون (*) بعد زيارته لروسيا (التى وقّع خلالها عدة اتفاقيات هامة مع برجنيف) طريقاً طويلاً لسفره إلى بولندا ليرى الشاه فى طهران.

كانت زيارة نيكسون لطهران تبين مسألة حساسة جداً مع الإشارة إلى الطريق الطويل الذى كان من المفترض أن يقطعه مابين موسكو ووارسو عن طريق طهران، خاصة أنه فى السنة الماضية كان الرئيس نيكسون قد توقّف فى طهران خلال سفره إلى بكين وتباحث مع الشاه خلالها مباحثات طويلة.

من وجهة نظر المطلعين أن نيكسون قصد من زيارته لطهران أن يصيب هدفين بسهم واحد، الأول هو أنه يريد أن يعتذر للشاه عن عدم اشتراكه فى احتفالات الذكرى ٢٥٠٠ للملكية وإيفادته لنائبه "إسبيرو إجينو" بدلاً منه قد يعتبره الشاه نوعاً من الإهانة، والثانى؛ أنه أراد أن يظهر للشاه مسألة أهمية إيران بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، ويعرب له أنه يعتبر الشاه أكثر أهمية وينظر إليه بعين الرعاية.

(*) كان ذلك بصحبة وزير خارجيته هنرى كسينجر والذى وعده بأن يبيعه أى نوع من السلاح ما عدا الذرى (شكست شاهانه ص ١٣).

الصدد؛ إن الروس كان لهم موقع خاص حيث بدأوا هجمات شديدة عن طريق إذاعتهم غير الرسمية" رسول إيران (بيك إيران)" التى كانت تقع في إحدى دول أوربا الشرقية" (٨).

ولكن الشاه كان سعيداً بالمكانة التى وصل إليها ، وعمل على تنفيذ برامج استعلاء فى شئون التسليح ، وواصل هذا الأمر لدرجة الإفراط (*) حتى صارت بعد مدة تلتهم الميزانية الاقتصادية والسياسية للبلاد ، ولم يدرك أن الطريق الذى اختاره سيكون نقطة الضعف الحقيقية للنظام لأنه يجعل المملكة تحت حكم شخص واحد ، وعندما يدرك الأمر سيفقد كل ما ورثه وسيعم الوضع السيء البلاد .

ولما كانت الاتفاقية السرية بين إيران وأمريكا فيما يتعلق بالحفاظ على أمن الخليج (الفارسى) والمحيط الهندى قد جعلت الشاه ينحرف عن طريقه الطبيعى لأنه تعجّل تذوق ثمرة الفاكهة الفجة قبل الوصول إلى شجرتها ، ولإظهار القدرة التى تحققت له اقتحم الميدان فوراً دون وزن العواقب، وواصل طيرانه لدرجة أنه حفر قبره بنفسه.

بعد زيارة نيكسون لطهران، حدثت حادثتان كان هو سببهما، وأظهرتا مدى ضعف موقف الشاه، واقترابه أكثر من حافة السقوط، إحداهما حدثت عند ارتفاع قيمة النفط سنة ١٩٧٣، والأخرى حدثت سنة ١٩٧٧ بعد اختيار جمشيد أموزجار رئيساً للوزارة.

ديسمبر ١٩٧٣ (آذر ١٣٥٢) قصر نياوران - طهران

كان الشاه يفرك يديه سعيداً عندما كان ينتظر بداية حديثة الصحفى المثير مع مندوبى الصحافة الأجنبية.

وكان يريد أن يخبر الجميع خلال حديث صحفى تضاعف الدخل الناتج عن نفط إيران إلى أربعة أضعاف، وينبه شعب إيران أيضاً دخوله ساحة السياسة العالمية (*)

(*) أراد الشاه أن تكون إيران القوة الخامسة فى العالم (پاسخ به تاريخ ٢٢).

التى يجب دائماً أن يكونوا مدينين له بالفضل.

وعلى حد زعم الشاه فإنه بهذه الخطوات- خلافاً لمصدق الذى أمّم النفط فقط بالاسم- قد قلب الأمور داخل البلاد بالأموال الوفيرة من حصيلة بيع البترول، وبالمليارات التى حصل عليها يمكن أن يحقق النمو والتقدم للبلاد بسرعة ليشهد فى حياته تحويل إيران إلى "خامس قوة صناعية وعسكرية في العالم" (!) وكان فى تصوره أنه بمثل هذا العمل فإن الجميع سيعتبرونه سياسياً كبيراً، لأنه استطاع أن يجعل "أخوات البترول السبعة" يركعن، ويفرض مطالبه على الشركات البترولية العظمى التى لها اليد الطولى على القوى العظمى فى العالم أيضاً (!) (٩).

وسعى أخى ووزيران من وزرائه (هوشنگ أنصارى وعبد المجيد مجيدى) بمساع غير مجدية لكى يجعلوا الشاه يستفيد من الطفرة المفاجئة للدخل الإضافى للبترول فى سوق البلاد، وكانت مقترحاتهم هى أنه من الأفضل أن يدخل السوق فى البداية بـ ٥٠٪ فقط من هذه الأموال والباقى يصل إلى يد الشعب بالتدريج سنة بعد أخرى، ولكن الشاه لم يكن لديه أذن صاغية لقبول اقتراحهم، فقد قرر فى جلسة المجلس الأعلى للاقتصاد والتى عقدت بعد عدة أيام برئاسته أن يعيد النظر فى برنامج الخطة الخمسية الخامسة (التى لم يكن قد مر عليها أكثر من سنة) ويمنح الأولوية للصناعات الثقيلة وشراء الأسلحة.

قال لى أمير عباس فيما بعد إنه ألح عدة مرات فى أوقات مختلفة سواء فى جلسات المجلس الأعلى للاقتصاد أو غيرها على الشاه أنه من الأفضل أن يقلل من نفقات التسليح وبدلاً منها ينفق دخل البترول فى المجالات الاجتماعية وأن يمتنع أيضاً عن الاستمرار فى البرامج المسماه اصطلاحاً "الوجاهة" ولايسمح لأسرته ورجال البلاط أن يمارسوا الوساطات أكثر من هذا.

(*) كان التضخم قد وصل إلى ٤٠٪ فى سنة ١٩٧٥ باعتراف الشاه نفسه (پاسخ به تاريخ ٢٤٠).

كان الشاه طبقاً لما قاله أمير عباس واقعاً تحت تأثير الطفرة المفاجئة للاقتصاد في ذلك الحين لدرجة أنه كان يؤمن أكثر من أى وقت آخر بميزة تكديس الأموال وزيادة القدرة الشرائية، وجميع الأفكار التي سيطرت عليه واعتقد فيها أنه "يمكن إنهاء كل أمر بالمال" ولكنه خلال ذلك لم يكن يفكر في القوانين الاقتصادية ولم يهتم بعواقب الزيادة المفاجئة في القدرة الشرائية في المجتمع، وخلال عدة سنوات أوصل ميزانية الدولة من ٢ مليار دولار إلى ٥٠ مليار دولار،وبعدها حدث أيضاً تضخم (*) كان من غير الممكن اجتنابه في الواقع (١٠).

مع تدفق الأموال على إيران تدفق سيل المتعاملين والتجار الدوليين أيضاً على إيران كهجوم الذباب على الحلوى وتحلقوا حول عدد من الإيرانيين وحول البلاط ورجاله لعلهم يلبسونهم قبعة من هذا اللباد.

نمت الواسطة كالسرطان، وتبودلت الأموال الكثيرة في هذا الصدد حتى استطاع الأجانب الجاهلين بأمور إيران من الاتصال بمسئولين رفيعي المستوى كانوا يقومون بتنفيذ برامج الوجاهة للشاه، وخلال ذلك تردد أعضاء الأسر الملكية الأوربية المعزولة على بلاط الشاه، واستطاعوا أن يتوسطوا لعقد بعض الاتفاقيات المشبوهة بين حكومة إيران والشركات الأوروبية.

ظاهراً كانت السعادة ترفرف على الإيرانيين، ولكن ما من أحد يعرف أن المظالم والتفرقة والفساد بمختلف أنواعه في الطريق خلف هذا كله.

وبعد فترة امتلأت الخزانات الاحتياطية للدول الغربية من البترول إثر زيادة استخراجه للاستفادة من أمواله، وعلى الرغم من تنبؤات الشاه المتفائلة لم ترتفع صادرات البترول عن حد معين، في نفس الوقت كانت نفقات البرامج الطموحة وشراء الأسلحة قد زادت إلى درجة أنها بلعت جميع الأموال الناتجة عن زيادة دخل البترول

كليـة، ولذا عـمل الشاه على توفير نفقات جميع برامج المملكة برفع صادرات النفط، ولكن لما امتلأت الخزانات ولم يبد المشترون رغبة فى شراء المزيد، اضطر مرة ثانية أن يعيد النظر فى الخطة الخمسية للبلاد.

استـطاع أخى على الرغم من ذلك أن يوفر فى فـترة رئاسـته للوزارة ١٢ مليـار دولار عـملة صعبة للبـلاد، بالإضافة إلى الكميـات التى تقـرر وضعـها كـقرض تحت تصـرف البنك الدولى ودول العـالم الأخرى التى استـفـاد منها النظام بالفـعل فى إيران ونفس هذه القروض التى استطاعت حتى الآن أن توقف البلاد على أقدامها (١١).

فى ذلك الوقت على الرغم من إصرار أمير عباس،لم يخفض الشاه من نفقات التسليح، وفى المقابل جرى ترشيد الإنفاق فى النفقات العامة بأمره، ولم يكن لهذا الأمر تفسير إلا أن عاش الشاه فى سراب الأمانى، وضل طريقه.

فى صيف ١٩٧٥ (١٣٥٤) خلال لقائي بالشاه، طرحت لزوم حفظ مكانة إيران بين دول العـالم الثالث، ولكنه قـاطع كلامى بحدة وقـال: "ألا نعتبر أنفسنا إلا جزءاً من الدول النامية....." كـان أسلوب حديثه يوحى إنه يتصور من وجهة نظرة أن زيادة سعر البترول. على الرغم من تضاؤل مستوى صادراته-سوف يجبر عجز الميزانية الذى ظهر بسبب نقص دخل البترول - سريعاً.

ولكن لما كان الشاه لايرى الحقيقة، فإنه فى أواخر سنة ١٩٧٦ اضطر أن يغير موقفه، وأجبر بسبب ضغط المشاكل العديدة أن يرفع شعار "الثروة للجميع" وفى شهر أكتوبر ١٩٧٦ (٨ آبان ١٣٥٥) اتخذ خطوة خلال حديث صحفى مع صحيفة كيهان، أشار فـيه أنه يجب على الشعب أن يتحـمل الصعـاب أكثـر حتى يعـيش الحيـاة فى الظروف الواقعة بالفعل وقال:

".......حان الوقت الذى نواجه فيه الحقائق بشجاعة...قبل كل شىء يجب أن نعتبر أننا الآن نعيش وضعاً استثنائياً، فى كل المجالات والمتطلبات (إثر تطور

المملكة) الاستثنائية كثيرة، والمعروض قليل، المطالب كثيرة، ولاحدود لمواد الاستهلاك والغذاء والبناء والوحدات السكنية، سمعت أن الأسمنت وصل فى الوقت الحاضر عشرة أضعاف سعره الرسمى، هذا دليل على عدم التوازن بين العرض والطلب ويجب أن أقول إذا لم نعد النظر فى برامجنا سننتهى.

هذا التبذير فى هذا الوقت سيوصل الأمر إلى درجة أن نأخذ على يد الشعب، وكان سبب ظهور مثل هذا الوضع أننا لدينا مال، ولكننا لانستطيع أن ننفقه..لايجب أن نغسل بطوننا بالصابون ولندع من يجمعون الجيف ويطرحونها للدخل الإضافى، فعل فلان كما يفعل علان.

عندما لم يكن لدينا أسمنت ولا طوب ولا حوض ولا عامل، ولا طرق كافية ولا قدرة جذب اقتصادى، من البديهى ألا نكرر أخطاء الماضى، مرت فترة قصيرة، والآن إذا كان لدينا دخل إضافى فعلينا أن نعوض (ولا عجز الميزانية، وثانيا نقوم بالأعمال مثلما فعلنا فى الأسبوع الماضى، اشترينا ٢٥٪ من أسهم مجموعة كروب (الألمانية)، أؤكد أن كل قدر إضافى لدينا من المال يجب أن ننفقه ثانية، وننفق جميع ما زاد؟! فهل إنفاق المال عبثاً فن؟...انتهى ذلك الوقت، من الآن وبعد، سيكون الإنفاق محدداً والإمكانيات واقعية، يجب أن ندخر كل مال إضافى لمستقبل المملكة، مثلاً فى أشياء مثل كروب..وحزب (رستاخير) أيضاً مؤسس لإيجاد هذه الروح، الحزب هو لتعليم شعبنا الأصول الاجتماعية والسياسية وحتى الفلسفة- ألبتة فلسفة الشورى ولا شىء آخر.." (١٢).

ولكن أقوال الشاه فى هذا الحديث الصحفى لم تتمكن فى الواقع من أن تعبر بصدق، لأن النظام كان يستميل حماية الشعب.

(*) أقيل أمير عباس هويدا فى ١٦ مرداد ١٣٥٦ هـ.ش (پاسخ به تاريخ ٤٥٨) (أغسطس ١٩٧٧ (شكست شاهانه ١٧٩).

٥ اغسطس ١٩٧٧ (١٤ مرداد ١٣٥٦) (*)، نوشهر

كان الشاه يرتدى قميصاً بنصف ياقة عندما استدعى أخى للحضور فى صالة الاستقبال بقصر نوشهر، وفى المجلس أطلع أمير عباس أنه لما كان يريد أن يولى جمشيد آموزجار رئاسة الوزارة بدلاً منه فمن الأصلح أن يقبل شغل وزارة البلاط بعده، واطلع أمير عباس أيضاً أنه قد عمل أعمالاً جليلة خلال منصب وزير البلاط، وسوف يتمكن من أن يساهم كثيراً فى الأمور الداخلية وأيضاً فى السياسة الخارجية.

حقيقة لم يكن أخى بالشخص الذى يخادع، ولم يدرك أن الشاه يقصد بهذه الحيلة أن يبعده عن الساحة، معرفته أيضاً أن وزير البلاط عادة يختار من بين أفراد أهل ثقة، لذا لم يشغل نفسه بحقيقة ما حدث، ولكن عندما دخلت الشاهبانو فرح الصالون واطلع الشاه وزوجته على القرار الذى اتخذه وقال لها :".....سيصبح السيد هويدا جزء منا فيما بعد وأنا مطمئن أنه يمكن أن يسيّر وزارة البلاط طبقاً لرغباتنا"، فى المقابل ابتسمت أيضاً وقالت: "حسن جداً ولكن بشرط ينظف بالجاروف الذى يمسكه بيده البلاط من الأفراد الفاسدين الذين عششوا فيه"....أحس أمير عباس عند سماع هذا القول بالراحة وقبل المهمة الجديدة.

كان مستاءً من استمراره فى رئاسة الوزارة لدرجة أنه كان قد قال لأحد أصدقائه منذ عدة شهور سابقة: "كل ليلة أذهب فيها إلى الفراش أطلب من الله أن يقبض روحى أثناء النوم ويخلصنى من كل هذا الهم، وكلما أضغط على نفسى، حمّل الشاه سفينة الحكومة فوق طاقتها، ويريد منى أن أتقدم بها، ولكن هذا الأمر ثقيل ومرهق لدرجة تفوق طاقتى".

ولكن جمشيد آموزجار من الناحية النفسية والسلوك، كان يستقر فى الحقيقة فى مواجهة أمير عباس، كان سريع الملل، حاد الطباع، عصبى المزاج، غير منسجم (مع الناس ورفاقه) حيث لم يستطع خلافاً لأخى أن يساير هذا وذاك حتى يوازن

ويهدىء بين القوى المختلفة الموجودة فى البلاد.

اعتبر آموزجار الاقتصاد مقدماً على السياسة ولهذا السبب عندما فرق السياسيين المجربين من حوله وأحل محلهم التكنوقراطيين الشباب حديثى العهد، لذا اتخذ منذ البداية عدة قرارات غير مدروسة وارتكب أخطاء كثيرة.

ولكن مع كل هذا اعتبر آموزجار خطاءً، وألقى جميع الأخطاء فى عنقه، وعندما قرر الشاه أن يغير أسلوب الحكومة عزل أخى الذى كان منحازاً للقوى المعارضة.

كان أمير عباس يسعى دائماً للارتباط بالجماعات المعارضة للنظام بواسطة بعض أصدقائه مثل "غلا محسين مصدق" (ابن رئيس الوزراء الأسبق) أو شخص آخر كان له اتصال بالأوساط الدينية (امتنع عن ذكر اسمه للمصلحة) وكان يوصى الشاه عدة مرات أنه من الأفضل أن يفتح باب الحوار مع معارضيه.

كان إصرار أخى على مكافحة فساد المسئولين رفيعى المستوى بالبلاد من المسائل التى كانت تؤذى الشاه دائماً، وأوصل الوضع إلى درجة أن الشاه كان قد قال لأمير عباس قبل تغيير الوزارة بشهر: "الصدق فقط ليس كافياً".

كان الشاه يهدف من عزل أمير عباس أن يسلك مسلكاً عنيفاً فى إدارة أمور البلاد، وكلام جمشيد آموزجار فى جلسة المكتب السياسى للحزب (رستاخيز) أيضاً بعد المظاهرات التى قامت فى ١٩ يناير في قم (١٩ دي ٥٦) (*) يؤيد هذه النظرة، على الرغم من أنه يحب معرفة أن الشاه قد ضاق ذرعاً منه لما يفعله، وكانت القرارات التى أصدرها فى مجال الشئون الاقتصادية التى كانت أكثر مغالاة وغير عملية على سبيل المثال كان مطلبه أن يصل التضخم إلى الصفر.

وقد حدد آموزجار عقب قرار الشاه- ميزان الاعتماد ،وخفض كثيراً من

(*) قامت هذه المظاهرات إثر نشر مقال إهانة الإمام الخمينى فى صحيفة إطلاعات.

المصروفات العامة، ولكنه لم يستطع أن يتقدم خطوة نحو تخفيض نفقات التسليح التى كانت محصورة فى يد الشاه.

تركت خطوات آموزجار آثاراً سلبية كثيرة بين أصحاب الصناعات الصغيرة وتجار التجزئة خاصة التجار الذين كانوا يواجهون قطع اعتماداتهم القليلة الفائدة.

ولم تؤثر القرارات الموضوعة من قبل الحكومة للتخفيض الاجبارى لقيمة تأجير المنازل على أصحاب المال الذين كان لديهم موارد كثيرة، (طالما أنهم كانوا يستطيعون أن يستفيدوا من ثرواتهم فى مكان آخر ويستريحون تماماً من تأجير منازلهم للأشخاص) ولكن أتت هذه الخطوة بأثر سلبى على الطبقة المتوسطة والأفراد الذين كان لديهم وحدتين سكنيتين (إحداهما للإقامة الشخصية والأخرى للإيجار والاستفادة من نقودها لدراسة الأبناء فى الخارج) لدرجة أن هؤلاء الجماعة اضطروا لتأمين نفقاتهم بالتوجه إلى النزلاء ليقترضوا منهم الأموال اللازمة، للاستفادة منها.

وأدى ضغط الدولة فى مسألة الأرض إلى آثار سيئة، ومع توقف نشاط البناء، أصابت الصناعات المرتبطة بالإسكان بخسارة فادحة.

وقطع آموزجار - ضمن تنفيذ برامجه الشديدة- الميزانية التى كان أخى قد أمر بها للإنفاق على الأمور الدينية، وكانت تبلغ ١١ مليون دولار سنوياً.

هذا المبلغ الذى وفره من الميزانية السرية لرئيس الوزارة لتأمين نفقات الحفاظ على المساجد فى كل أنحاء البلاد والمدارس الدينية ويخص مصاريف نثرية فى هذا المجال، وسعى أخى عن طريقها ضمنياً أن يعوض رجال الدين عن الخسارة التى لحقت بهم من جراء تنفيذ الإصلاح الزراعى الذى كان قد أدى إلى خروج إدارة شئون بعض الأراضى من أيديهم [١٣].

عقب ذلك أعلن آموزجار مايلى : تنظر الحكومة لتخفيض ضغط المرور فى طهران فى خطة يتم بمقتضاها إنشاء شارع من شمال إلى جنوب المدينة عن طريق سوق

طهران، وعلى الفور شاع بين التجار أن الشاه يريد أن يخرب السوق ويحرم التجار من أعمالهم ومكاسبهم.

كان قد ظهر نفور واسع بين المؤسسات الدينية والطبقة المتوسطة والتجار من أعمال آموزجار، وكان أحياناً يقوم بالأعمال بفرعنة وغرور حتى جعل مؤيدى النظام فى صف المعارضين ورأى الأغلبية أنه بعد اتخاذ القرار، الأمر يرجع للحكومة، لكنه كان ينفذ القرار قبل الموافقة على اللائحة المتعلقة بالمجلس.

بعد أحداث اضطرابات تبريز (فى ١٩ بهمن ١٣٥٦) عندما سأل "نبي أحمد" نائب تبريز فى المجلس آموزجار، بدلاً من أن يجيب عليه هو، هاجمه (غلام رضا كيانبور) وزير عدله، ووصل الأمر إلي حد أن أهين كثير من نواب المجلس.

لم يكن لجمشيد آموزجار داخل حزب رستاخيز من شيء سوى الشجار مع رؤساء الأجنحة الثلاثة للحزب، وأنهم دائماً يثيرون الاضطراب والتلفيق ضد الحكومة، وكان دائماً فى حالة عراك مع المنضمين إلى أى من الأجنحة الثلاثة.

بعد عدة شهور من رئاسة آموزجار للوزارة بدأت مظاهرات ضد النظام واتسع نشاطتها، وواجه رجال الأمن الشعب مواجهة مسلحة، ونجم عنها خسائر فادحة.

هذا كله فى الوقت الذى لايعرف أحد مطلقاً سبب تغيير الوزارة ويدرك بصدق علة مجيء آموزجار، حتى لو كان الشاه قد قصد تخفيض تزايد المعارضين السياسيين، فإنه كان يجب أن يعين شخصاً رئيساً للوزارة يتمتع على الأقل بقبول شعبى، ولا يدع مقام الصدارة لشخص توزر ١٦ سنة فى وزارات مختلفة منها وزارة أخى، وإذا كان هناك خطأ قد حدث فى هذه الوزارات فهو كان أيضاً شريك جرم بها، ولما كان فى مقام النقد للحكومات السابقة فلن يكون مطلقاً أهلاً لكسب الثقة.

لم تنجح السياسة الجديدة التى كان الشاه قد اتبعها فى أى مجال أبداً، وبعد سنة من بداية رئاسة الوزارة لآموزجار وصل الوضع الاقتصادى للبلاد درجة أن توقفت

الأمور التجارية، وتضاءلت رءوس الأمور بشكل مفجع وظهرت مشاكل اجتماعية وخيمة.

وبعد ذلك عندما قدموا أمير عباس لمحكمة الثورة، خاطب قاضى المحكمة الذى كان النقاب على وجهه وقال : "هل سألتم لماذا أقالنى الشاه فى سنة ١٩٧٧ عن رئاسة الوزارة وبعد ذلك أيضاً عزلنى سنة ١٩٧٨ من وزارة البلاط؟" وكان يقصد من سؤاله أن يشرح القضية ولكنه عندئذ مُنع من الاستمرار فى كلامه (١٤).

وضح لى أخى فى فترة إقامته بالبيت أن السبب الرئيسى لعزله من رئاسة الوزارة كان عدم اتفاقه مع الشاه فى عدة قضايا كان أهمها؛ إصراره على وجوب مكافحة الفساد على مستويات عليا فى البلاد خاصة فى الأسرة المالكة وحاشية الشاه وأيضاً الحوار مع المعارضين.

قال أمير عباس فيما يتعلق بسبب إقالته من وزارة البلاط أيضاً:كانت الإقالة بسبب اظهار المعارضة لأمر الشاه الخاص بإطلاق الرصاص على الناس فى أوائل سبتمبر ١٩٧٨ (١٧ شهر يور ٥٧ (*)) (١٥).

الشاه الديكتاتور

يمكن أن نعتبر الحوادث الثلاث التى شرحتها (زيارة نيكسون لطهران سنة ١٩٧٢، زيادة سعر البترول سنة ١٩٧٣، تغيير الوزارة فى سنة ١٩٧٧) أسباب تسارع الأزمة، ولكن السبب الأصلى للأزمة يجب أن يوجه نحو الطابع الديكتاتورى لنظام الشاه.

(*) تظاهر الأهالى فى ميدان جاله (ژاله) (الشهداء) فأطلق رجال الحرس النار عليهم وقتلوا عدة آلاف، وقامت مظاهرة دعا إليها آية الله نورى (دائرة المعارف تلاش اطلاعات عمومى - چاپ جديد- تهيه وتدوين: تقى كاغذچى- تبريز ٥٥٢).

كان أسلوب حكم الشاه نوع من الحكم يتخذ أكثر القرارات بنفسه ولهذا السبب خلق جواً لا يسمح لأحد قط حتى المقربين من مستشاريه أن يجرؤ على انتقاده، وظل أيضاً وزراء الحكومة فى أمان من غضب الشاه وفضلوا فى مواقف متعددة أن يخبروه مقدماً بكل أمر مهما كان صغيراً وحقيراً لدرجة أن وزير الصحة فى ذلك الوقت فى سنة ١٩٧٧ (١٣٥٦) قال لى: "عندما زاد عدد الكلاب الضالة فى طهران زيادة كبيرة، قدمت تقريراً للشاه لاستأذنه فى قتل هذه الكلاب، وعندما صدر الإذن وأراد أن يعد للأمر عدته، فجأة استدعاه الشاه إلى قصره، وقال: "حقيقة عليك بالحذر، لما كانت أختى (شمس) تحب الحيوانات كثيراً، وإذا علمت بهذا الأمر ستصدعنى من الأفضل أن تصبر فترة فهى تسافر إلى أوربا الشهر القادم وبعدها ابدأ عملك".

من وجهة نظر الشاه، كان الأمر طبيعياً جداً أن يتشاور وزراء الحكومة معه فى أمور جزئية وتافهة، وينفذوا قراره بعد أخذ أوامره السامية.

ابتعدت أفكار الشاه عن ماهية النظام الملكى فى الماضى، واتضح هذا فى كتابه "نحو المدنية العظمي" واعتقد بأن:"......الوضع الخاص للملكية في إيران يوجب المقولة المشهورة لكريستن سن: الملك الحقيقى فى هذه البلاد، ليس فقط رئيس الدولة بل هو فى نفس الوقت مرشد ومعلم قوميتها..." (١٦).

وتأصلت هذه المسألة فى ذهنه لدرجة أنه قال ذات مرة خلال حديث صحفى مع مراسل فرنسى (أوليويه وارن)"....فى الواقع الشاه فى بلدنا رئيس السلطات الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية"(١٧) وبعبارة أفضل، كان الشاه يكرر مقولة لويس الرابع عشر منذ ثلاثة قرون من أن "الدولة يعني أنا".

سمعت ذات يوم من الشاه أنه قال فى جماعة من رجال البلاط "سلطة تعيين

(*) كان أسد الله علم وزيراً للبلاط فى عهد رئاسة هويدا للوزارة مابين سنة ١٩٦٥ إلى ١٩٧٧ (١٣٤٤ - ١٣٥٦ هـ.ش) وكان من أصدقاء الشاه فى فترة الطفولة وكان أكثر الناس قرباً للشاه وظل مرتبطاً به حتى مات بسرطان الدم (شكست شاهانه ٨ - ٤١ - ٤٣).

وعزل جميع الموظفين معى" وبعدما جرى من اعتقال لأمير عباس سنة ١٩٨٨، سنحت الفرصة أن أجرب قول الشاه شخصياً عندما صممت أن أستقيل من عملى(ممثل إيران فى منظمة الأمم المتحدة) بسبب القلق الناجم عن اعتقال أخى، وزارنى ذات يوم شخص (كنت أعرفه من قبل ولكن لم أكن أعرف أنه يعمل لصالح السافاك)وحذرنى:"أنت تتكلم كثيراً! أحذرك! فطالما أخوك فى السجن الآن،يجب أن تفكر في أسرتك وأولادك..".

دولة داخل الدولة

الواقع أنه لم يكن هناك دولة واحدة فقط فى نظام الشاه، كانت شئون البلاد تدار بواسطة عدة قوى كانت جميعها تحت إشراف الشاه مباشرة،ورؤساء كل منها أيضاً يرتبطون بالشاه بعلاقات مباشرة.

أمير أسد الله علم (*) الذى تولى وزارة البلاط حتى أغسطس ١٩٧٧، (مرداد ١٣٥٦) اتخذ عدة قرارات كانت جميعها خارج نطاق وظيفته، ولكن بعد أخذ موافقة الشاه كان يقوم بتنفيذها.

وعمل منوچهر إقبال (*) نفس العمل وقت رئاسته لشركة البترول، وكان الجيش مستقلاً إلى درجة كبيرة فى أعماله، والسافاك على الرغم من أنه كان ظاهراً ملحقاً بمكتب رئيس الوزراء، لكنه كان يأخذ الأوامر من الشاه مباشرة.

فى مثل هذه الظروف، من الطبيعى ألا يوجد تعاون مطلقاً بين الوزارات المختلفة فى البلاد، وكل نظام حكومى أيضاً يُدار على نحو كأنما يسيطر عليه نوع مثل ملوك الطوائف.

كان أخى وقت رئاسته للوزارة دائماً يسعى للاستفادة من أصدقاء يشاركونه

(*) كان منوچهر إقبال من المقربين للشاه وقد شكل حزباً أسماه حزب مليّون (شكست شاهانه ٤٣٤).

الهم فى الوضع الذى يجعل سفينة الحكومة تتقدم بهدوء فى هذا البحر المتلاطم، ولكن سلوك الشاه كان كأنما يسير يوماً بعد يوم أكثر من ذى قبل صوب الإهمال وعدم رعاية نصائح الآخرين، على الرغم من أنه قد صكت مسامعى أحياناً شكاوى أخى، ولكن كان فى المقابل انتقادات وشكاوى الآخرين كرد فعل لما يبدو منه من حدة وخشونة، لدرجة أنه فى سنة ١٩٧١ (١٣٥٠) أقال المشير جم من قيادة أركان الجيش فقط بسبب ما سمعه من نتقادات منسوبة لبعض خططه التكتيكية.

المبادرات العظيمة:

كانت أكثر خطط وبرامج الشاة ملهمة من مباحثات كان قد أجراها مع جنسيات وأشخاص أجانب.

على سبيل المثال التقى به ذات مرة أحد الإيرانيين الأمريكان، وعدد له مزايا تأسيس هيئات زراعية وصناعية، وعلى الفور قرر الشاه أن ينفذ رأيه حتى تتمكن إيران من أن تدخل سلك مصدرى المواد الغذائية، وأمر عقب هذا القرار بأن يخصص الأراضى ناحية السد العظيم جنوب البلاد للزراعة والصناعة (١٨).

الفلاحون الذين كانوا يعملون فى المنطقة، وتسلموا عقود الملكية حديثاً واعتبروا أنفسهم ملاكاً لأراضيهم، فجأة واجهوا وضعاً بموجبه سحب العقود من أيديهم، ومنحهم بدلا منها سهماً "زراعي صناعي"، وسجلهم ضمنياً كعمال أجراء فى برنامج الزراعة الواسعة.

لم يكن سهلاً هضم هذا التوجه الجديد للفلاحين الذين كانوا قد تخلصوا حديثاً من مساوىء عهود الإقطاع السوداء، واعتبروا أن سند الملكية أجر ملموس، ولم يعتبروا السهم " الزراعي الصناعي". مطلقاً أكثر من ورقة كبيرة، بالإضافة إلى ذلك أحس الفلاحون أن هذا كان ارتداداً إلى نقطة البداية مرة أخرى بعد الإصلاح الزراعى،

بدلاً من أن يرعى المالك ملكه يجب أن يرعوا الهيئة التى أصلاً لايعرفون لها وجهاً.

كان الوضع بالنسبة للفلاحين الذين اضطروا للخدمة فى هيئات تعاونية ريفية يرون أنفسهم كمن سُلبت حريته، واضطروا من أجل الإيفاء بسهمهم فى برنامج تحديث البلاد أن يهجروا الأرياف ويتوجهوا إلى المدينة.

وعلى هذا النحو واجهت برامج الشاه الزراعية بسرعة جداً مشاكل كثيرة، ولم يستطع مستوى الإنتاج الزراعى أن يحقق الحد الأدنى للمستهدف منه.

فى نطاق الصناعة حدث وضع مشابه وظهرت مشاكل كثيرة واحدة تلو الأخرى بسبب عدم صبر الشاه وبرامج وجاهته، وتطلب إقامة مراكز للصناعات الثقيلة، البتروكيماوية والطاقة الذرية، خبراء، ولما لم يكن بين الإيرانيين أمثال هؤلاء المعدودين، استقدم الشاه سيلاً من الخبراء الأجانب إلى داخل البلاد لتحقيق أهدافه الطموحة.

فى الشهور الأخيرة من عمر النظام وصل إلى أذنه هذا الكلام الكاذب من أن برامج تمدن الدولة على يد الشاه تعادل تاجه وعرشه، ولكن من وجهة نظرى أنه فى الواقع لم تتجمع للشاه قط علة لسقوطه سوى أخطائه الأساسية.

الفساد المالى :

رفعت كل حكومات إيران خلال خمسين سنة على رأس برنامجها **"مكافحة الفساد"**.

ولكن الفساد الذى ظهر فى إيران بعد ارتفاع سعر النفط سنة ١٩٧٤ كان مسألة أكبر من الجميع وفاقت جميع المعايير المقبولة.

تذكرت أننى سألت أخى خلال لقاء به فى شهر أغسطس ١٩٧٦ ،(مرداد ١٣٥٥) لماذا لا يساعد التجار ورجال الصناعة فى إيران بأى مساعدة مالية لتنمية

النشاط الفنى والثقافى؟ فأجابنى أمير عباس بلهجة تنم عن غضب: "لسنا فى حاجة إلى أموالهم، إنهم إن أرادوا أن يساعدوا يكفى فقط أن يكفوا عن السرقة.."، وعند سماع هذه الإجابة طرحت مسألة بديهية جداً، سألته: "إذا كان كذلك لماذا لا تحاكمونهم؟"نظر إلىّ أخى نظرة تبين اليأس والضجر ثم قال: "لماذا تظن إننى لن أحاكمهم؟ هل يمكن عمل شىء آخر غير المحاكمة؟،لكن ما الفائدة! طالما أن الماء ملوث على سطح العين، وإذا أردت الصراع مع المفسدين يجب أن تبدأ من أعلى، وأولها جميعاً أن يحاكم الشاه وأسرته وحاشيته، وكل عمل آخر إذا عمل لا نتيجة له وعلى كل حال طالما فرت سمكة الشاه من الشبكة فمن العيب أن نصطاد السمك الصغير....".

الفساد الذى ظهر فى بلاط الشاه كان فى الواقع قد أخذ أبعاداً مؤسفة، كان إخوة وأخوات الشاه يتقاضون عملات كبيرة للتوسط لعقد الاتفاق بين حكومة إيران والشركات التى كانوا هم أنفسهم مؤسسين رئيسيين فيها، ولكن المصيبة الحقيقية فى هذه القضية ليست مسألة الرشوة أو الحصول على العمولة من قبل أسرة الشاه ولكن تصرفاتهم دفعت الآخرين لتقليدهم، وأخذ الأمر شكلاً لوث المجتمع على كل المستويات.

تدفق الثروات الكثيرة فى جيب هذا وذاك من جراء عقد الاتفاقات أحياناً كان يؤدى إلى فضائح منها أنه ذات مرة أعلنت لجنة تحقيق من مجلس الشيوخ الأمريكى أنه خلال أحد المعاملات مع الشركات الأمريكية تلقى عدد كبير للرشوة، منهم: زوج

(*) المشير خاتمى قائد القوات الجوية هو الزوج الرابع لفاطمة بهلوى وكان طياراً خاصاً للشاه تزوجها سنة ١٣٣٨ هـ.ش وقد قتل فى حادثة مشكوك فيها فوق بحيرة سد دز (زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٧٤).

(**) شهرام ابن الأميرة أشرف بهلوى من زوجها الأول على قوام ابن قوام الملك، وكان شهرام يعمل نائباً لقائد القوات البحرية (زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٣٦).

أخت الشاه وقائد القوات الجوية الإيرانية (المشير خاتمى) (*) بالاتفاق مع الابن الأكبر للأميرة أشرف (شهرام) (**) وأعلن أيضاً فى موقف آخر أن ضابط البحرية "رمزى عطائي"، قائد القوات البحرية قد تلقى رشوة بمقدار ثلاثة ملايين دولار عمولة تسليح.

فى سنة ١٩٧٧ قال لى أحد وكلاء وزارة الصحة إن الطبيب الخاص للشاه (سپهبد أيادى) كان له يد طولى فى أمور الدولة فقد طلب منه بشكل سرى أن يعهد إليه مسئولية كل مايتعلق باستيراد وتوزيع الدواء فى البلاد، وذات مرة أمر الشاه بتأسيس بنك لتأمين الاعتمادات الخاصة بإنشاء مستشفيات فى كل أنحاء البلاد، وفوراً واجه نفوذ أفراد الأسرة الحاكمة الذين كان كل منهم مسئولاً عن جزء من العمل، وكانوا يوقعون بناء على موافقتهم على اتفاقيات بالعمولة.

فى سنة ١٩٧٧ تقرر بأمر الشاه أن يتم توزيع الغذاء المجانى على التلاميذ بإشراف "فريده ديبا" أم الملكة؛ واستغلت هذا أسوأ استغلال لدرجة أن أحد أصدقائي قال لى: إنه فى أحد المدن الساحلية لبحر الخزر رأى بعينه شاحنات حاملة للمواد الغذائية لمدارس هذه المدينة، كانوا يبيعون حمولاتها فى السوق.

قرر الشاه فى سنة ١٩٧٦ ليقلل من الانتشار السريع للفساد، أن يتعقب عدة أشخاص من التجار الكبار وأصحاب الصناعات، ولكن هذا الأمر على الرغم أنه لم يدين بعضهم فى المحكمة لكنه قلل سوء ظن الشعب فيما يفعله النظام، ولما كان الشعب لم ينس الأعمال السابقة، وكان يتذكر أنه فى سنة ١٩٧١ (١٣٥٠) وعقب حادثة الاغتيال الفاشلة لشاه مراكش، قرر الشاه (بناء على طلب أخى) أن يحاسب الأسرة المالكة، وعقب ذلك نفى أحد أبناء إخوته إلى خارج البلاد، ولكن لم تستمر هذه الخطوة أكثر من عدة أشهر، وعاد ابن الأخ المنفى مرة ثانية إلى إيران، واستأنف نفس العمل والنشاط السابق.

وشكل بعد فترة برئاسة أخي لجنة تحقيق لتبحث أمر العمولات غير القانونية من قبل الشركات الأجنبية للمسئولين رفيعي المستوى في البلاد، في نفس الوقت كان قد وصل إلى طهران أحد الأشخاص رفيعي المستوى لشركة أجنبية له سوابق كثيرة في تقديم الرشوة للمسئولين الإيرانيين، وفوراً أرسلوا له استدعاء ولذلك لم يستطع أن يهرب من إيران، ووضعوا اسمه أيضاً على قائمة الأفراد الممنوعين من الخروج، ولكن هذا الشخص لم يهتم بالاستدعاء واستطاع أن يخرج بسهولة من إيران، وعلم أخي بعد تحقيق أنهم أوصلوه عند الخروج من البلاد بسيارة خاصة بالبلاط إلى سلم طائرة كانت جاهزة للطيران، وقيل: إن أعضاء أسرة الشاه لم يمروا عند الخروج من البلاد مطلقاً بنقطة الجمرك ومسئولي جوازات المطار.

لقد أثارت أمور مثل فساد ورشوة مسئولي المملكة حساسية المجتمع، وطبيعي أن يختلط الباطل بالصحيح أيضاً، وسواء سعى المرء بسوء نية أو حسن نية فإنهم يشيعون عنه، ويوضع اسمه في القائمة لذا فإنه بعد فترة أصبح من العسير تحديد المذنبين والأبرياء ووصل بالأمر درجة أنه لا يمكن مكافحة الفساد مرة أخرى بسهولة، لهذا كتب مراسل "لوموند" في العدد المؤرخ ٣ أكتوبر ١٩٧٨ من الصحيفة مشيراً إلى أحداث مكافحة الفساد في إيران: "ويبدو هذا الأمر غير ممكن تقريباً طالما للجميع يد بأي شكل كان".

ولكن على كل حال لما كان بعض أفراد الأسرة الحاكمة والمسئولون رفيعو المستوى في المملكة لهم يد في أخذ الرشوة، كان للمجتمع حق أن ينظر نظرة شك وريبة لصدق الشاه أيضاً، ويعتبرون على الأقل وجود "مؤسسة بهلوي" (*) شهادة

(*) بنياد بهلوى.

(**) Armed Forces Journal

على وجهة نظرهم، وكان أحد الخبراء . الأمريكان قد أشار فى عدد يناير ١٩٧٩ من مجلة "القوات المسلحة" الأمريكية(آرمد فورسز جورنال(**)- صحيفة القوات المسلحة): ".....ان مؤسسة بهلوى كانت وسيلة قانونية لزيادة ثروة الأسرة الحاكمة فى إيران....".

خلال ذلك لما كان الشاه يسعى دائماً لتوجيه الأمر إلى نحو ما ، لذا كان يبدو أحياناً بمظهر مضحك وعجيب وغريب، وقد نقلت قوله إلى أخى فيما يتعلق بالفساد الموجود فى المملكة من قبل، ويجب هنا أن أشير إلى الحديث الذى أجراه الشاه فى هذا الصدد مع "أولويه وارن" المراسل الفرنسى.

سأل المراسل الفرنسى الشاه: "يقال: إن الفساد لن يدع جماعة من حاشيتك فى أمان" أجابه الشاه: ".....كل شيء ممكن، ولكن يجب أن أقول فى هذا الصدد إنه ليس فساداً ، ولكنه مثل بقية أساليب العمل (!) يعنى مثل الأشخاص الذين لهم حق العمل والتعامل، وبعبارة أخرى حاشيتى لها الحق أن تعمل قانونياً فى ظروف مشابهة مع الآخرين، وتعمل من أجل تدبير أمور الحياة....(!)- (١٩).

الكبت :

قلت من قبل: إن السافاك (*) كانوا فقط اسماً تابعين لرئيس الوزارة، ولكنهم يعملون مستقلين، ويأخذون أوامرهم من الشاه مباشرة.

كان السافاك (**) يقومون بكل أعمالهم بشكل سرى وخفى ليثيروا الخوف بين الجميع، وبذلك العمل سيطر جو مسموم فى المجتمع كله من الصدر إلى العجز

(*) سازمان أمنيت واطلاعات كشور ويعنى جهاز أمن واستخبارات الدولة وهو يماثل جهاز ك.ج.ب الروس والسى آى إيه الأمريكى وجهاز الاستخبارات ومكافحة التجسس الفرنسى SDECE.

(**) تأسيس جهاز السافاك عقب مقتل مصدق سنة ١٩٥٣ وتولي إدارته الجنرال بختيار وتدرب رجال السافاك على يد المخابرات المركزية الأمريكية (پاسخ به تاريخ ٣٣٨).

لدرجة أنه لم يجرؤ أحد قط أن يتحدث فى حضور آخرين بكلام حتى إذا طلب أحد أصدقائى عرض أمر حملنى فى العادة إلى زاوية خالية فى حديقة المنزل، وتحدث هناك بصوت خفيض.

وتصادف أننى توسلت إلى أخى عند معرفتى باعتقال بعض معارضى النظام على يد السافاك أن يمكننى بوساطته عند الشاه لأنقذ أرواح كثيرين من الموت [٢٠] وأيضاً عندما نشرت منظمة العفو الدولية والمنظمات العالمية الأخرى عدد المعتقلات غير القانونية ومعتقلات التعذيب فى إيران، استطعت عن طريق أخى أن ألتقى بممثلى هذه المنظمات، وبعد ذلك هيأت زيارة لممثلى العفو الدولية والصليب الأحمر العالمية واللجنة الدولية للمعوقين، للمسجونين الإيرانيين، وأدت نتائج تقاريرهم أيضاً إلى تخفيف التعذيب وتقليل الاعتقالات التعسفية من قبل السافاك.

وصلت سيطرة رقيب السافاك إلى درجة أنه أحياناً يمنع نشر الكتب التى طبعت من قبل عدة مرات.

ويقال: إنه منع نشر مسرحيات مثل " هملت" أو "مكبث" فقط لأن فيها قتل الشاه أو الأمير.

كان السافاك يخضعون الأفلام لميولهم الشخصية وذات مرة منعوا عرض فيلم أنتجه أحد أصدقائي يدعى "إبراهيم جلستان" كان يطرح قصة رجل اغتنى حديثاً، وفى نظر السافاك أن هذا الذى حدث يمكن أن يستدعى ذهن المشاهد حول قضية الشاه بعد ارتفاع سعر البترول.

وفى موقف آخر سجن السافاك مؤلفاً عدة أيام فى السجن بحجة أنه لماذا نقل فى كتابه عبارة مكتوبة من كتب أحد معارضى النظام؟!.

فى النهاية حل يوم أصدر فيه الشاه قراراً ظاهره إنهاء تعذيب المسجونين ، ولكن هذا الأمر لم يستطع أن يخفض من سوء الظن العام فيه، خاصة أن الشاه قد رد على سؤال خلال حديث صحفى مع مايك والاس"أذيع يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٦ من

تليفزيونات أمريكا" يقول :"إذا أدركت أنه يلزم استعمال التعذيب، هل ستعمل ذلك؟ "أجاب" ..... حقيقة إننا لم نقم مطلقاً بالتعذيب بكسر اليد أو أعمال مثل ذلك منذ زمن، ويوجد فى الوقت الحاضر أساليب أكثر تعقلاً لدفع السجين للاعتراف...."!.

كان إعلان إعدام المعارضين للنظام يعلن فقط عندما ينفذ، وفيما يتعلق بالفدائيين المعارضين للنظام الذين يسجنهم الشاه دائماً بدلاً من السجين السياسى" "الإرهابي" وكان القانون يسمح بإعدام مهربى المواد المخدرة دون تأخير، وكان منع إقامة مراسم العزاء من قبل أسرهم قد أدى إلى إثارة بغض ومقت عظيمين ضده بين الناس.

كان ظلم الشاه يتزايد يوماً بعد يوم، وكان سلوكه مع المعارضين قد أخذ شكلاً وصفه لى أواخر سنة ١٩٧٦ أحد زملائى فى وزارة الخارجية خلال زيارته لى فى نيويورك بقوله "الشاه تزداد قسوته كل يوم".

المواد المخدرة:

من المسائل المحيرة بالنسبة لشعب إيران كان تدخلات بلاط الشاه فى الأمور المتعلقة بالمواد المخدرة.

كان قد سمح لمحمود رضا (*) أحد أخوة الشاه بممارسة نشاط زراعة الأفيون وبيع محصوله، ولذلك ذكر أهل طهران أن محمود رضا كان يستولى كل سنة على مقدار كبير من الأفيون المصادر، بسبب عدم جودة المحصول، وبعد ذلك يعرضه فى السوق السوداء للبيع بأسعار باهظة.

والأهالى أيضاً لا ينسون فضيحة سنة ١٩٧٢ (١٣٥١) التى حدثت فى

(*) محمود رضا بهلوى،ولد سنة ١٩٢٦ (١٣٠٥ هـ.ش) درس فى جامعة كاليفورنيا وميتشجان، رافق أباه فى المنفى، تزوج من مهرى زنگنه ثم من مريم إقبال ابنه منوچهر إقبال رئيس الوزراء الأسبق ورئيس مجلس إدارة شركة النفط البريطانية الإيرانية.

عودة إلى "أمير هوشنگ دولو" أيضاً، يُقال: إنه أخفاه عدة شهور عن الأنظار ولكن عاد إلى الظهور فى البلاط مرة أخرى، واستأنف عمله السابق.

كان الأفيون يقل ويكثر بين حاشية الأسرة المالكة ، ولكن عندما انتشر تناول الأفيون بين عدة أشخاص فى البلاط أقلق الشاه بعض الوقت ، واضطروا إلى نقل برنامجهم إلى مكان آخر، حتى يقللوا غضب الشاه ويستطيعوا أن يمدوا مرة ثانية بساط دخانهم وأنفاسهم.

الفساد الأخلاقي:

أغلب أفراد الأسرة الحاكمة والمسئولين والكبار فى البلاد كانوا يعيشون حياة على شاكلة يمكن على الأقل أن يقال عنها: إنها حياة لا تتناسب مع قواعد المذهب الرسمى للبلاد ولا تتوافق مع الأصول الأخلاقية.

أمر الشاه بتحريض أمير أسد الله علم (وزير البلاط) والمتحلقين الذين كانوا يلتفون حول علم بإنشاء عدة كازينوهات قمار وأماكن للهو فى إيران، والسبب الذى تذرع به أن مثل هذه الأماكن لازمة لجذب الشيوخ الأغنياء للخليج (الفارسى) وأن لإقامتها أسباب سياسية واقتصادية أكثر.

عقب هذا الأمر ظهر العديد من صالات القمار فى المدن المختلفة للبلاد ، وشارك فيها أيضاً أفراد من أسرة الشاه، وبعد فترة حُولت جزيرة كيش (*) إلى مقر للهو بإنفاق مبالغ طائلة واختلاس أموال من خزانة المملكة، ليتمكن أصحاب المليارات من الاستفادة منها لقضاء عطلاتهم، وهكذا شاع أن شركة طيران "إيرفرانس" تستقدم خلال الرحلات التى ترد إلى الجزيرة بطائرة كنكورد من باريس دائماً عدداً من النساء الجميلات من عند "مدام كلود" المشهورة.

(*) جزيرة صغيرة فى مدخل الخليج العربى ، وهى فى الأصل جزيرة قيس.

السبب الأصلى لإقامة منشآت باهظة التكاليف فى جزيرة كيش كان "جلب السياح" ولكن عُلم فيما بعد أن نفقات هذا الأمر تجاوز المتوقع ، بينما الأهداف المتوقعة لم تتحقق، واتخذت خطوات حتى تباع منشآت الجزيرة بواسطة شركة البترول الوطنية الإيرانية وشركة الطيران الوطنية.

وقال لى أحد معارفى الذى كان قد حضر الجلسات الخاصة بالمباحثات المتعلقة بكيفية بيع منشآت كيش، فيما بعد خلال حديثه عن هذا الأمر: إنه عند ما كان رئيس الطيران الوطنى يرى أنه من الأفضل قبل دفع النقود أن نقيم فوائد رأس المال من قبل الخبراء، تلقى توبيخاً وتحقيراً من الشاه.

ومع أن الإسلام قد حرم التبذير ولعب القمار، فمن الطبيعى أن التهليل لخطوات مثل إنشاء صالات القمار وأماكن اللهو مثل كيش كان من الممكن أن يأتى بصفعات كثيرة على وجه الشاه والأسرة الحاكمة، وجرت فى هذا الصدد شائعة علي الألسنة من أن الاميرة أشرف (*) قد خسرت مبالغ طائلة فى أحد الكازينوهات الأجنبية وقال البعض أيضاً : إن الأميرة شمس قد ارتدت عن الإسلام واعتنقت المذهب الكاثوليكى.

كانت عاصمة إيران فى الحقيقة مقسمة إلى مدينتين، إحداها فى القسم الشمالى وهى مدينة الأغنياء التى كان يعيش فيها سكانها فى "فلل لوكس" على النمط الأوروبى، فكانت تعج بالمطاعم وصالات الديسكو والكباريهات، والأخرى فى القسم الجنوبى للعاصمة بها أماكن سكنى الفقراء الحارات الضيقة والهواء الملوث والسكان المساكين.

هجوم التقنية الأجنبية- المدنية والعسكرية- علي إيران قد قاد المدن الكبرى بأسرع ما يمكن نحو التغريب، وقد ظهر تغلغل الثقافة الغربية وبدت آثارها فى جميع الشئون الاجتماعية.

(*) تعيش أشرف بهلوى الآن فى شقة فخمة لى نيويورك وتبلغ من العمر ٧٢ سنة، وهى امرأة نموذج للفساد الخلقى (زندكى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٣٥).

أنفقت ملايين الدولارات من قبل الحكومة فقط لإعداد خطط خرائط "شهستان بهلوي" التى كان بناؤها على هيئة مدينة صغيرة حديثة تبنى فى قلب طهران بناطحات سحاب حتى ٦٠ طابقاً، ولكن حدث خلال تنفيذها اختلاس وسوء استغلال لدرجة أنهم اضطروا لصرف النظر عن تنفيذها.

وامتد نطاق تقليد السلوكيات الأمريكية لدرجة أنه ترك آثاراً حتى في إدارة حكومة الشاه، ويقال فى هذا الشأن أنه فى سنة ١٩٧٨ بعد عزل نصيرى عن رئاسة السافاك أرسله الشاه كسفير للبلاد فى باكستان، وفى هذا الخطوة قلد نيكسون، الذى كان قد عين أيضاً "ريتشارد هولمز" رئيس جهاز السى آى إيه، بعد عزله، كسفير لأمريكا فى إيران.

الإفراط فى شراء الأسلحة:

لم يتجاوز مجمل ما اشترته إيران من أسلحة من أمريكا مليار دولار فى خلال عشرين سنة (من ١٩٥٠ إلى ١٩٧١) ولكن خلال ثمانى سنوات فقط من ١٩٧١ إلى ١٩٧٨ (*) آخر فترة حكم الشاه تزايد مستوى شراء الأسلحة من أمريكا سرعة لدرجة أنه بلغ رقماً فلكياً ١٩ مليار دولار، وكان قد خصص خلال سنة ١٩٧٨ (١٣٥٧) قرابة ٦٥٪ من مجمل ميزانية الدولة فى أمور التسليح وصناعة الحديد والمفاعل النووى وصناعة البتروكيماويات.

الحقيقة أن عين الروس لم تغفل قط الحجم الكبير لشراء الأسلحة من أمريكا، ولم يسمح الشاه للأمريكان بإنشاء شبكة تصنت إلكترونية على الحدود الشمالية لإيران (لمعرفة تجارب الصواريخ الروسية) ليرعى للروس موقفهم.

(*) عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ أنفق ٢٠٩٦ مليون دولار
عام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ أنفق ٥٥٠٠ مليون دولار
عام ١٩٧٤ - ١٩٧٥ أنفق ٨٨٠٠ مليون دولار
عام ١٩٧٥ - ١٩٧٦ أنفق ٩٥٠٠ مليون دولار
(النشرة الاستراتيجية - مركز العالم الثالث للدراسات والنشر فى لندن العدد ٢٣ لسنة ١٩٨٠).

فى سنة ١٩٧٦ (١٣٥٥) أثناء عودة أخى من زيارته لمنغوليا توقف لفترة قصيرة فى موسكو للقاء "الكسي كوسيجن" (*) والتى خلالها انتقد رئيس وزراء روسيا بشدة تكديس الأسلحة الأمريكية فى إيران.

قبل هذا قام الشاه بزيارة خاصة إلى موسكو بناء على دعوة برچنيف، وفى هذا الصدد أخبرنى أحد أعضاء الوفد المرافق للشاه فيما بعد أن الروس طالبوا خلال مباحثاتهم السرية من الشاه أن ينهى بأسرع مايمكن مبيعاته للأسلحة من أمريكا، ولكن لما كان الشاه غير قادر لقبول هذا المطلب فإن مباحثاتهما وصلت إلى طريق مسدود وانتهت بدون نتيجة.

وفى سبتمبر من نفس السنة قال: "جروميكو" (وزير الخارجية الروسى آنذاك) خلال لقائه مع وزير خارجية إيران فى نيويورك بلهجة صارمة:"كل هذه الأسلحة التى تكدسونها فى إيران قد أثارت تفكيرنا" وعندما رد عليه وزير خارجية إيران "إن هذا الأمر له أهمية للدفاع عن إيران، ويجب أن تعلم أننا لن نتقدم خطوة ضد جيراننا فى الشمال، وطالما تعرفون هذا الأمر فإن قواتنا لن تتجه نحوكم مطلقاً.."رد عليه جروميكو على الفور: "طبعاً وتعجبنا أيضاً هو أنكم تحتاجون كل هذه الأسلحة لمواجهة أى دولة؟ ضد العراق؟(وهى دولة صغيرة ولم تصل إلى مستواكم) ضد شيوخ العرب؟ (الذين ليس لديهم من الناحية العسكرية أية قوة) ضد العربية السعودية (التى لا تستطيع بأى حال من الأحوال أن تهدد إيران)...ثم ضد من؟ "وفى مقابل قول جروميكو ولما لم يقدم وزيرنا إجابة مقنعة اضطر لتعديل موضوع البحث.

فى السنة التالية قال لى أحد الدبلوماسيين الروس الكبار أثناء انعقاد جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة"..إنكم لعدة سنوات سابقة كنتم توازنون فى سياستكم حتى كان لها الأثر المطلوب لتوطيد العلاقات ، وطالما أدركنا موقفكم لمنح امتيازات

(*) رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى.

للولايات المتحدة الأمريكية وقد اعتبرنا أن خط سياستكم ممكن، ولكن فى هذه السنوات بدت شهيتكم مفتوحة للحصول على أسلحة متقدمة والتى تظهر أنكم تريدون نقض هذا التوازن.....".

بصرف النظر عن مسألة نقض التوازن، أصلاً يجب القول إن نفقات التسليح غير المدروسة للشاه قد بلعت أموالاً طائلة من دخل بترول البلاد وجلبت مخاطر كثيرة لاقتصاد البلاد.

تشير محاضر جلسات المجلس الأعلى للاقتصاد الذى تشكل برئاسة الشاه شخصياً أن أخى وعدداً من وزرائه كانوا يسعون دائماً خلال هذه الجلسات لتعديل الرغبة المحمومة للشاه لشراء الأسلحة، ولكنه كان قد غرق فى أفكاره ورؤيته لتحويل إيران إلى قوة عسكرية لدرجة أنه أصلاً لم يهتم بنصائحهم.

بال أردمن مؤلف كتاب "سقوط ٧٩" قال أخيراً خلال حديث صحفى مع مجلة "بنتهاوس" (العدد يونيو ١٩٧٩) رافضاً النظرية التى ترى أن تسارع الشاه فى تنفيذ برنامج تحديث البلاد هو سبب سقوطه، ذاكراً الأسباب الحقيقية لسقوط الشاه قال: إذا لم يتلف الشاه مصادر ثروة البلاد فى شراء كل هذه الأسلحة؛ وإذا لم يستول الشاه على مليار دولار لنفسه. ويعنى مليار لقواده، واستغل بقية دخل البترول الإيرانى فى تطوير وتنمية البلاد، كان من الممكن حتماً أن يجلس ابنه بعده على عرش السلطنة!".

ونحن بدون قبول نظرية "أردمن" نستطيع أن نقبل هذه الحقيقة غير القابلة للإنكار وهى أن النفقات الباهظة للتسليح كانت واحدة من الأسباب الأساسية لظهور المشكلات الاقتصادية، ولايمكن أن يكون هناك سبب لسرعة سقوط نظام الشاه إلا هذا.(٢٢)

في صيف ١٩٧٧ (١٣٥٦) حيث تحدثت مع أخى حول الأمور الخاصة بمبيعات أسلحة الشاه. قال لى أمير عباس " نح هذا الأمر عن ذهنك تماماً لأن رئيس الوزراء فى إيران يرى كل شىء ويطلع على كل الأمور......فى هذه البلاد أمور مثل السافاك

والجيش وهى مقتصرة على الشاه، ومن المعتاد أنه بعد الاتفاقيات العسكرية التى يأمرنى بها الشاه وبأمر الحكومة بأن تحدد الميزانية لفلان ليؤمن الإنفاق على اتفاقه الجديد، على سبيل المثال بالإشارة إلى التدخل العسكرى الإيرانى فى ظفار (*)، علمت فقط بالأمر حين سمعت أن قواتنا تقاتل هناك.

كان أمير عباس ينتظر رد فعل منىّ، وعندما رآنى صامتاً ، وأنا أستمع لكلامه، استمر فى حديثه: "....إننى أصلاً لا أعتبر نفسى مقصراً فى الأحداث التى تجرى، وطالما لم أكون ثروة خلال فترة رئاسة الوزارة ولم أصدر أمراً بقتل أحد، ولم تتلوث يدى بدماء، فإن كل جهودى كانت لخدمة وطنى بأى شكل (!) وظللت أؤدى هذه المهمة على الرغم من جميع الظروف الطاحنة" (٢٣).

التدهور الاقتصادى:

فى موازاة سيل أموال النفط على إيران، توجه جماعة من الإيرانيين فى مجموعات إلى الدول الأجنبية للتمتع والاستجمام، خلال هذه التوجه الذى ضم أيضاً كثيراً من أفراد الطبقة المتوسطة من غير الأغنياء تم شراء عقارات كثيرة في أوربا وأمريكا لصالح الإيرانيين، وما حدث قد اتسع لدرجة أنه فى سنة ١٩٧٦ عند مشاهدة مدينة "نيس" (فى جنوب فرنسا) وعندما رأيت كثرة الإيرانيين اقترحت أنه من الأفضل أن يسموا شارع "متنزه الإنجليز" (٢٤) فى نيس "متنزه الإيرانيين".

ولكن فى نفس الوقت لم يستمع الشاه لتوصيات أخى ومستشاريه الاقتصاديين الذين حثوه على منع خروج ثروة الشعب من البلاد، وكان دائماً يذكر هذه النقطة لأمير عباس: الناس أصحاب أموال، دعهم يعملوا بأموالهم مايريدون" ! حقيقة عندما اشترى الشاه أملاكاً فى سويسرا كان لأفراد أسرته أيضاً أملاك واسعة فى أوربا وأمريكا، وطبيعى ألا يمنع الناس مطلقاً من السير على نهجه.

(*) أرسل الشاه قواته لمساندة عمان فى حربها ضد القبائل الثائرة فى إقليم ظفار المتاخم لليمن الجنوبى.

وبناء على هذا فإن زيادة نفقات المعيشة، الحصول على منافع ضخمة، شيوع سوء استغلال المال، زاد يوماً بعد يوم من فقر وحرمان الطبقات الدنيا للشعب، وفى المقابل منح ثروة أكبر للطبقة المتوسطة "الجديدة".

خلال المناقشات التجارية بين إيران وأمريكا والتى عقدت فى مايو ١٩٧٧ (خرداد ٥٦) فى نيويورك باشتراك" ويليام ساليوان" (سفير أمريكا الجديد فى طهران) انتهت المباحثات إلي نتيجة ....أنه طالما أن برامج التسليح والصناعة خالية تماماً من أى نوع من حماية الشعب ، لذا فالفرصة ضئيلة جداً فى أن تتمكن إيران من أن تتحول من دولة ذات اقتصاد قائم على قاعدة واحدة (قائم على بيع النفط) إلى دولة صناعية متقدمة، وجاء حينئذ فى صحيفة نيويورك تايمز المؤرخة ٣٠ مايو ١٩٧٧ (٩ خرداد ٥٦): فى ختام هذه الحلقة اقترح أيضاً "ساليوان" أنه من الأفضل أن يعرض نتيجة المناقشة على الشاه دون تعمية، ليتم هذا الأمر بأى ثمن حتى اعتبره الشاه "عنصراً غير مرغوب فيه" (٢٥).

ولكن كانت كل هذه الأمور فى الوقت الذى كان فيه المواطنون الإيرانيون العاديون يشاهدون تدهور اقتصاد البلاد ويدركونه عند مشاهدة الانقطاع المتكرر للكهرباء ونقص المواد الغذائية ونمو السوق السوداء، كما أن مرحلة النمو الاقتصادى قد انتهت.

نظام الحزب الواحد:

الأمر الذى أدى إلى الوضع المتردى للاقتصاد والثورة الجماعية ضد النظام كان منع الشاه مشاركة الشعب فى تخطيط أمور المملكة.

ولما لم يكن لأى طبقة من المجتمع وشئون الشعب المعيشية تحت سيطرة الشاه، لذا لم يكن هناك من وجهة نظر الأشخاص أى نجاح لمطالبهم، طالما كان ظل الشاه يخيم على كل البلاد ، ولم يثمر هذا الوضع إلا إثارة حالة من الاغتراب.

ألاحظ عند مراجعة مذكراتي أنني في ٩ يناير **١٩٧٥** (**٢٠ بهمن ١٣٥٢**) **قد** كتبت في هذا الصدد...." لقد وصل إهمال وعدم رغبة الشعب للمشاركة في الأعمال درجة أنهم اجتثوا أفكار الولاء وظهر وضع القلق لدرجة أنه لم يثر أي رغبة في الاستمرار في الخدمة......كل أمور المملكة بها الكذب والتصنع، بدا الشعب كأشباح تتلوى على خشبة مسرح غير واقعي وأظن أنني أوصلت نفسي إلى مرحلة الدوران وأدرك أننا جميعاً لسنا إلا جماعة من الممثلين لمسرحية هزلية محزنة".

إن حل جميع الأحزاب السياسية وإيجاد "رستاجيز" كحزب سياسي وحيد في البلاد سنة ١٩٧٥ (*) يعد آخر مشهد من هذا العرض المحزن، ومع أن كثيراً من الأشخاص كانوا يؤمنون أن الشاه بهذه الخطوة قد ارتكب خطأ فاحشاً ، ولكن جبروت الشاه لم يسمح لأحد أن يظهر رأيه في مواجهة رغبته.

في نظر الشاه أن حزب رستاخيز قد فتح الباب للإعراب عن الرأي وانتقادات العناصر الرافضة واستطاع بث عناصر لسماع أقوالهم من قبيل الأمن- والحقيقة تحت رعاية الشاه وكذلك كان يعتقد أن الحزب يستطيع أن يُستخدم كوسيلة للتربية السياسية للمجتمع (٢٦).

ولكن لما كان حزب رستاخير قد تشكل من أعلى لذا لم يستطع أبداً أن يكون له قاعدة شعبية، وقام الإيرانيون فقط بتنفيذ الأمر الذي صدر لهم بأن يسجلوا أسماءهم في الحزب، ولما كانوا يخشون أن يشار إليهم كمعارضين للنظام ويصدعون أنفسهم (٢٧).

وعندما وصل برنامج الحزب من قبل وزارة الخارجية إلى مكتب تمثيل إيران في منظمة الأمم، أرسلت بدوري ورقة إلى جميع موظفي المكتب، وطلبت منهم أن يكتب كل من له رغبة اسمه كعضو في حزب رستاخيز ويجب أن أقول : انه على الرغم من أن

(*) تم تأسيس حزب رستاخير في الرابع من مارس ١٩٧٤ (١٣ أسفند ١٣٥٢ هـ.ش) پاسخ به تاريخ ٣٠٥).

جميع أعضاء الوفد قد وقعوا الورقة ولكن كان معلوماً تماماً أنهم يقومون بهذا العمل عن كره، حيث أخبرونى فيما بعد وبالتدريج بشكل خاص عن عدم رغبتهم فى الالتحاق إجبارياً بالحزب.

من المسلم به أننا لو نظرنا إلى المسألة من وجهة نظر الشاه فإن تصوره لم يكن إلا أن تأسيس حزب رستاخير سيقرر الديمقراطية الموجهة فى البلاد، ولكن هل إعداد الشعب إجبارياً وتهيئته لمجرى الحدث السياسى الذى أراد ألا يتدخلوا في إيجاده هل أثمر بالثمرة المرجوة؟!.

ما ارتآه الشاه للشعب أن يكون البحث والمناصرة حول "ثورته" محدوداً ولم يكن هدفه أبداً تعقب المسائل والمشاكل الموجودة فى مملكته التى تثير اهتمام الشعب، أو أنه فى الحقيقة كان هدفه مشاركة الشعب فى شئون البلاد ولكن دون حضورهم.!.

أشار جمشيد آموزجار - الذى اختير مرتين أميناً عاماً لحزب رستاخيز- فى حديث صحفى مع صحيفة "وول ستريت جورنال" (بتاريخ ٤٠ نوفمبر ١٩٧٧) أن العدد الحقيقى لسكان إيران ٣٤ مليون سيتضاعف خلال ٢٥ إلى ٣٠ سنة قادمة، وقال حول سبب وجود حزب رستاخيز: ".....رأى الشاهنشاه أنه طالما لن يكون لأحد بمفرده فى المستقبل قدرة أن يحكم قرابة ٦٠ مليون شخص إيرانى لذا يجب أن يعرف الشعب كيف يشارك فى شئون الحكم...." وعندما سأل المراسل:"لماذا لا يسمح فى نفس الوقت للشعب أن يسير فى هذا الاتجاه؟ "أجاب آموزجار: "الواقع أن ٥٥٪ من الشعب جاهل، ولوأعطيت المسئولية لهذا العدد الكبير من الجهلاء الذين لايعرفون شيئاً تقريباً عن أمر الحكم، فمن الطبيعى ألا يكون نتيجة هذا الأمر إلا الفوضى...." [٢٨].

حقيقة كان طبيعياً أن يثير سماع هذا الكلام المهين من فم نخبة نظام الشاه، غضب الطبقات الدنيا للشعب ضد الأشخاص الذين ظنوا أنهم أسمى منهم.

ولكن قريب من هذا الأمر، كان الاهتمام بأقوال الشاه- الذى جعل بعد أقواله وقراراته الخاصة بحرية الرأى- داخل حزب "منحصر في شخصه" فجأة تتخذ شكلاً آخر، قال: "لاينبغى بأى حال من الأحوال أن يسمع من أى شخص داخل الحزب كلاماً معارضاً، وبناء على هذا التناقض فى أقواله فقد أضعف التشكيلات التى لم تكن أصلاً لها قاعدة بين الشعب أكثر من المتوقع.

على الرغم من مثل هذه الأوضاع يقال تقريباً: لايوجد فى أى قسم من أقسام المجتمع دلائل لايظهر القلق والاضطراب فيه، وجميع الأجانب الذين كانوا يأتون لزيارة إيران ضمن اهتمامهم بالتقدم المادى للبلاد ،كانوا دائماً تحيرهم هذه المسألة، لماذا يكون أهل إيران بلامبالاة واهتمام بأوضاع البلاد والمشاركة فى أمورها ؟!.

كان من أخطاء نظام الشاه الغفلة عن الاهتمام بالمثقفين فى وقت كانوا لم يزالوا غير غاضبين، وكان النظام يثير فى المجتمع الرغبة أكثر للاعوجاج والفلتان.

سلكت وزارة الثقافة والفنون التى كانت تحت مسئولية زوج أخت الشاه (مهرداد بهلبد) (*) سلوكاً مع المثقفين لم يكن له من نتيجة سوى الاستخفاف بالأفكار الأخلاقية، وكان المكتب الخاص للملكة فرح أيضاً يستخدم المثقفين فى الأنشطة الثقافية بشكل لم يترك أثراً بيناً على عموم الشعب.

ولكن الاستخفاف بالكُتاب وأعمال الرقابة كانا سبباً فى حرص أكثر أبناء المجتمع على تتبع آثار هؤلاء الكتاب، وقاد المفكرين.......أيضاً مع مرور الأيام إلى الناحية التى فى النهاية فى صف معارضى النظام (٢٩).

في سنة ١٩٧٧ حين بدأ متحف الفنون المعاصرة أعماله بمساعى الشهبانو، انتقد أحد الفرنسيين ويدعى **"أندرو فرميجيه"** فى مقال له فى صحيفة لوموند بتاريخ ٢٧

(*) مهرداد پهلبد هو الزوج الثانى لشمس بهلوى ، وكان اسمه عزت الله مين باشيان (زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٢٢).

أكتوبر ١٩٧٧ الهدف من تأسيس مثل هذا المتحف الذى لم يكن إلا نشراً للفنون الغربية المعاصرة فى إيران، وكتب: ".....كان من الأفضل بدلاً من السير على نهج الغرب الذين لا أمل فى مستقبل ثقافتهم، وقد لخصوا كل مميزاتهم فى عروض كروت البوستال لآثار الماضى، وقد سقطت بعض الدول فى فكرة الاستفادة من ميراث فنها، وقبل الاقدام على تقليد الآخرين؛ كان عليهم أن يبحثوا ليعرفوا ما لديهم فى جعبتهم من آثار فنية..حقيقة لاشك أنه لو أن الدول المصدرة للنفط تصبح مستوردة لآثار الغرب الفنية، فإن دهاليز أوربا ستتمتع بجمال باهر، والنقاشون الغربيون الإيرانيون من الطبيعى ألا يتمكنوا من الوصول إلى مستواهم.

الاضطرابات المذهبية:

بينما كنت أسير ذات يوم من أيام ربيع ١٩٧١ (١٣٥٠) في سوق يزد لفت نظري كارت صغير كتب عليه "ظهور امام الزمان قريب" دق جرس الخطر في أذني عند رؤيته ، ولكن كنت ادرك أن الشاه غارق في عالم مجهول لدرجة انه لا يعير اهتماما لمثل هذه التحذيرات، بل لا يسعي بالتوجه نحو المسجد مثل أنور السادات (*) ويؤدي الصلاة إلي جوار المسلمين.

لم يكن لرجال الدين أيضا في أي وقت علاقة حميمة مع النظام ، وكان هذا الأمر قد وصله منذ عهد سلطنة والد الشاه.

لم يهتم رضا شاه في وقت بالتشكيلات المذهبية للدولة، لدرجة أنه ذات مرة دخل حرم (السيدة) فاطمه (ع) في قم بالحذاء، وعندما تجرأ الشيخ وانتقد فعلته، ظهر علي وجهه فورا انفعال شديد [٣٠].

(*) اعتاد الرئيس أنور السادات أن يظهر كل يوم جمعة وهو يصلى فى المسجد خاصة فى مسجد قريته بميت أبو الكوم.

وكف محمد رضا شاه يده كثيرا عن سيطرة رجال الدين ، وعرض -حول هذا الأمر خلال حديث صحفي مع "اوليفيه وارن" (المراسل الفرنسي) -الأسباب التي كانت تبين أسلوب تفكيره في هذا الشأن:

المراسل: هل تتضايق الآن من الشيوخ ؟

الشاه : اليوم لا أظن أنه يمكن التحدث عن ضيق من الشيوخ ، ربما يهمسون أحيانا ، ولكن لا يؤثر هذا التصرف مطلقا فينا.

المراسل : فيما يتعلق بآية الله خميني الذي يقضي وقته في العراق ماذا يكون الأمر ؟

الشاه : لقد أبعدناه علي وجه الخصوص.

المراسل : ألا تعتقد أن هناك جماعة من رجال الدين الإيرانيين يسيرون خلفه ؟

الشاه : لا (!) لا شأن لأحد هنا به ، إلا "الإرهابيون" (!) أو أشخاص يسمونهم احيانا باصطلاح "الماركسية الإسلامية" (!) فقط.

المراسل : بصرف النظر عن هذا الأمر، هل علاقتكم بجماعة رجال الدين الشيعة في إيران طيبة ؟

الشاه : أتريد الحقيقة، بنظرة شاملة هنا لا وجود لمجتمع رجال الدين الشيعة والجماعات المذهبية (!) هنا فقط عدد من رجال الدين، هم أنفسهم !.. وعلاقتي برجال الدين حقيقة، طيبة جدا (!) وعددهم في إيران كثير جداً وأحيانا كان الشيوخ يخصون أنفسهم بالعلم ليقووا سيطرتهم، والآن تلاشت كليا، وما بقي ليس إلا هاجس (٣١).

علي الرغم من أن حديث الشاه في ذلك اليوم يثير الحيرة ولكن يجب أن نعي هذه الحقيقة أيضا أنه في نفس الوقت - علي الرغم من ادعاء الشاه - فإن الأوساط الدينية في المساجد والمدارس كانت تنتقد النظام انتقادات كثيرة ، واستمر خميني في منفاه في النجف بنشاط د ءوب -لتعليم الناس .

قوي نفوذ خميني داخل البلاد علي يد طلاب،كانوا يذهبون لزيارته سرا ،وعند العودة إلي إيران كانوا يحضرون معهم آوامره ومنشوراته ليوزعوها داخل البلاد بين الشعب.

أخذ الانفصال عن الحوزات المرتبطة برجال الدين تتزايد أكثر يوما بعد يوم لصالح الاتجاهات الإسلامية في إيران منذ أواسط العقد ١٩٦٠ (١٣٤٥ وما بعدها)، وخلال ذلك لا يجب نسيان دور "على شريعتي" استاذ الاجتماع بجامعة مشهد الذي استطاع أن يمنح الأفكار الشيعية لونا جديدا ، للاستفادة منها في تحقيق أهداف الثورة ومكافحة الإمبريالية، ويخلق موجة من الوعي المذهبي بين الطلاب في أنحاء البلاد.

الحقيقة هي أنه بعد حوادث سنه ١٩٦٣ (١٥ خرداد ١٥٤٢) اهتم أكثر الناس المعارضين للنظام بالحوزات الدينية، وتوجه هؤلاء الذين أرادوا اقتلاع النظام، إلي آيات الله للمشورة في أعمالهم .

ولهذا السبب توجه تيمور بختيار(*) إلي العراق سنه ١٩٦٧ (١٣٤٦) للاتصال بخميني، والحقيقة أنه لكي يحقق هدفه استفاد من مساعدة المسئولين العراقيين الذين كانوا يرتبطون بعلاقات عداء مع الشاه في ذلك الوقت ، ولكن عناصر السافاك في العراق استطاعت فيما بعد أن يقضوا على تيمور بختيار (٣٢).

علي كل حال فإن هذا الأمر غير قابل للكتمان ؛ لأنه كان سببا لاستمرار الاضطرابات المذهبية، التي دقت ناقوس الموت لنظام الشاه ، واستطاع الشعب خلال هذه الأحداث التجمع تحت لواء التشيع، وتكاتفوا من أجل اقتلاع أحد أقوي الحكومات الدكتاتورية في التاريخ ، ولم يكن المذهب فقط كافيا للشعب لكي يحرر مسيرة حياته العادية و يضرب عدة شهور ويتحمل مصاعب جمة .

(*) كان تيمور بختيار مرتبطاً بحميد رضا بهلوى ابن رضا شاه وقد تآمرا ضد الشاه فطردهما الشاه من البلاد (زندگى پرماجراى رضا شاه ج١/٧٢).

ومع قبولنا لأهمية المذهب فإنه يجب أن نحسب حسابا لكثرة عدد الشباب في إيران كجزء من الأسباب الرئيسية، والذي تسبب في رفع موجة الثورة في شهور الخويف والشتاء الي درجة عالية .

طبقا لإحصاء سنة ١٩٧٧ (١٣٥٦) فإن الأشخاص أقل من ١٦ سنة كانوا يشكلون قرابة نصف عدد السكان، وقرابة ثلثي الشعب تحت ٣٠ سنة .

ويعتبر هؤلاء الشباب العمود الفقري لجميع المظاهرات والمسيرات وكانوا أنفسهم هم الأشخاص الذين استطاعوا أن يقفوا في مواجهة القوي العسكرية المجهزة للنظام بيد خالية .بالنظر إلي الامتزاج الذي حدث بين المذهب والشباب في إيران فإنه يكشف السر الحقيقي لسقوط الشاه ، وإذا أدرك الإنسان أهمية دور "الشهادة " في مذهب الشيعة أيضا ، فمن المؤكد أن يعرف جيدا أنه في هذا المذهب إذا قُتل شخص فإن قدرته تفوق الشخص الذي قتله ولذا كتب "آندرو جلوكمان" الفيلسوف الفرنسي المعاصر في هذا الصدد مقالة في مجلة "نوفل ابزفاتور" (بتاريخ ١١يونيو ١٩٧٩): " .... خلافا للاعتقاد العام فإن القدرة لا تطاول طول ماسورة البندقية ولكنها القدرة التي تخص الشخص المستعد لأن يقتل ...."

وللوقوف أكثر علي هذه المسألة يكفي أن ننظر في إطار امتداد الثورة في إيران، كيف كانت تقوم المظاهرات كل مرة بسبب الأربعين لجماعة من القتلي بعد حادثة يناير ١٩٧٨ (١٩ دى ٥٦ قم) واستمر هذا الحدث يتجدد حتي انتهي بثورة عارمة ضد النظام.

السياسة الخارجية:

كانت شئون السياسة الخارجية لإيران منحصرة فى يد الشاه، وكان مستاءً ومتضرراً من الروس أكثر من أى شيء آخر، وقلق أكثر عندما تقارب الهند والروس سنة ١٩٧٠ ، وبعد ذلك تمخضت الحرب بين الهند وباكستان ١٩٧١ عن تأسيس دولة بنجلاديش، ولم يعد لديه شك من أن الجار الشمالى يستعد لهجوم واسع ضد إيران.

هذه المسألة التى كانت تشغل فكر وذهن الشاه طوال سنة ١٩٧٢ جعلته بحق يوجه جل اهتمامه لشراء الأسلحة وتحويل إيران إلى قوة عسكرية، ويتضح أيضاً أنه لماذا لم يكن الشاه يستمع إلى وصايا مستشاريه الذين كانوا يرغبونه فى اتخاذ سبل معتدلة (٣٣).

وحقيقة يجب القول: عندما تعرضت إيران لنوع من التهديد من القوى الأجنبية، وخضع شمال إيران آنذاك لضغط دائم من الحكومات العنصرية الروسية، وبعدها حتى الحرب العالمية الثانية دخلت البلاد بأجمعها كمنطقة نفوذ للإنجليز، وخلال الحرب العالمية أيضاً إحتل الروس والإنجليز إيران بالاتفاق، لينقلوا عن طريقها مساعدات الحلفاء الحربية للجيش الأحمر.

كنت فى ذلك الوقت طالباً بالجامعة الفرنسية ببيروت، وجاء عدة أشخاص من أولاد رضا شاه بعد نفيهم من البلاد إلى بيروت، ليستمروا فى دراستهم هناك، وقال أحدهم (أحمد رضا) (*) فيما يتعلق برد فعل رضا شاه: إن الإنجليز كانوا قد وعدوا أباه أنه يستطيع أن يقيم فى الهند بعد خروجه من إيران، ولكن عندما وصلت السفينة التى أقلها وعائلته ميناء بمباى منعوه من دخول الهند وأخبروه أنه يجب أن يسافر إلى جنوب أفريقيا، وسب رضا شاه الذى كانت غاضباً جداً عند مشاهدة هذا الوضع، وصاح: "...إننى أعرف من البداية أنه لايجب الاطمئنان للإنجليز" (!) (٣٤).

لقد وصل تأثير نفوذ القوى الأجنبية فى إيران خلال عهد النظام البهلوى درجة أنه حتى الآن لايصدق بعض الإيرانيين أن سقوط نظام الشاه قد تم دون مساعدة

(*) أحمد رضا بهلوى، ولد فى طهران ١٣٠٤ هـ.ش وتلقى تعليم الابتدائي والإعدادى فى طهران، ورافق والده فى جزيرة موريشيوس وجوها نسبرج، وواصل تعليمه فى كاليفورنيا، تزوج سيمين بهرامى سنة ١٩٤٤ وأنجب ولداً وبنتاً ثم تزوج من روزا بزرگ نيا سنة ١٩٥٨ (زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٦٥ - ٦٧).

الأجانب، ويرى هؤلاء أن ماحدث لانقلاب ١٩٥٣ بزعامة جهاز السى آى إيه أدى إلى سقوط حكومة مصدق.

ولكن فى نظرى أن هؤلاء المحللين لا نتيجة لتحليلهم سوى الابتعاد عن الواقع ولا يمكن لهذه المسألة البعيدة عن الذهن لن تكون موضع قبول إلا بتآمر أحد أو عدة قوى أجنبية لإسقاط الشاه.

ولا يمكن إنكار أن كل واحدة من القوى الأجنبية لها تأثير وسيطرة على بعض العناصر الغاضبة فى الداخل سواء من اليمين أو اليسار، ولكن الحقيقة هى أن مساعيهم لم تكن موجهة مطلقاً لإسقاط الشاه [٣٥].

على الرغم من أن سياسة حقوق الإنسان المعلنة من قبل كارتر استطاعت أن تخرج بعض المعارضين من الخفاء، أو أن جيران الشاه خاصة الروس كانوا قلقين من الشراء السفيه للشاه للأسلحة، أو أن بعض الأحاديث المتسرعة والانتقادات المتعالية للشاه للغرب كانت تؤذى الزعماء الغربيين، أو أن أسلوب هجوم الشاه فى منظمة الأوبك (*) قد سبب قلق الشركات البترولية الكبرى[٣٦]، ولكن مع ذلك لا يمكن قبول هذا الفرض بأى حال من الأحوال لأن القوى الأجنبية كانت تريد أن يكون لها وضع إثر وقوع انقلاب فى إيران لتحقق الاستقرار فى المنطقة بأسرها، ولايصدق أبداً أن المستشارين المقربين من الشاه وبينهم أهم المهمين - سفير أمريكا- كانوا يقودونه عمداً إلى جهة يرتكب فيها أخطاءً فادحة، وفى نظرى أن الشاه ارتكب كثيراً من الأخطاء ولدرجة أنه لم يكن هناك حاجة لارتكاب أخطاء أكثر لإسقاطه.

وقد أشرت من قبل أن اتباع الشاه سياسة وطنية مستقلة قد أدى إلى حالة موازنة نسبية فى السياسة الخارجية لإيران من وجهة نظر القوى العظمى، ومن هذا المم

(*) منظمة الدول المصدرة للبترول وتضم إيران والكويت والسعودية وقطر والإمارات العربية المتحدة وعمان والبحرين والعراق والجزائر وليبيا وفنزويلا وإندونيسيا ونيجيريا.

تمسك الشاه بموقف الوسطية بين القوى العظمى، على الرغم من أنه بعد الاعتراف بحكومة جمهورية الصين الشعبية وإقامة علاقات مع كوبا وألمانيا الشرقية فى سنة ١٩٧١ قد أدى إلى أن يعتقد الشاه أنه يعمل على تنفيذ سياسته الإبداعية، ولكن فى أواسط عقد السبعينات فى مواجهة التغييرات التى واجهته، اختلط التوازن الموجود فى السياسة الخارجية الإيرانية أيضاً.

كان الشاه فى ذلك الوقت طبقاً للمعتاد، يسير حتى بين المقربين له دون دليل وبلا دوافع، فجأة اتخذ قراراً بأن يوسع منطقة دفاعه، وعقب ذلك أعلن خلال إعلان ارسال قوات للحرب ضد ثوار ظفار أنه سيتولى الدفاع عن الصومال فى مواجهة التهديدات الروسية (٣٧).

من إجراءات الشاه فى ذلك الوقت يجب الإشارة إلى توطيد وتطوير علاقته بجنوب إفريقيا، وكان تنفيذها مصادفاً بالتحديد وقت التواجد لإفريقيا السوداء فى ساحة السياسة الدولية لمحاربة نظام جنوب إفريقيا والتى كنت أسعى جاهداً عدة مرات سواء بإرسال التقارير أو فى حضور اللقاءات للفت نظر الشاه إلى سوء عاقبة تقوية العلاقات مع جنوب إفريقيا ضد إفريقيا السوداء، ولكن لم يعر ماكتبته وقلته أدنى اهتمام.

وكان سلوك الشاه فى الدول العربية أيضاً شبيهاً بالدول السوداء، بمنتهى التكبر والغرور، لدرجة أنه استاء منه الجميع، ولما كنت قد قضيت كل سنوات شبابى فى الدول العربية لم أستطع أن أفهم سبب مواقف الشاه ضد العرب، بالإضافة إلى إننى لم أر مطلقاً اختلافاً بينه وبين العرب، وكنت أدرك دائماً أننى مرتبط بهم بعلاقات مشتركة وأواصر ثقافية متينة.

ذات مرة فى سنة ١٩٧٧ جرت على لسانى كلمة مرتبطة بمنظمة العفو الدولية فى حضور الشاه، فجأة واجهت غضباً شديداً منه، لأنه كان يطلق على أعضائها "حفنة

من الشيوعيين"، وبعدها جرى قبل عام عندما أمر الشاه بإطلاق الرصاص صوب الأهالى العزل، وعرضت مرة ثانية منظمة العفو الدولية، ونجحت هذه المرة بمساعدة أخى من فتح الطريق لأنشطة "مارتين انالز" (سكرتير عام منظمة العفو الدولية) فى إيران (٣٨).

فى سنة ١٩٧٦ عندما حدث انتقادات صحفية- لما فعله أردشير زاهدى فى أمريكا- من إفراط فى أعداد موائد الضيافة، قال لى الشاه عند لقائى به "...إننى حقيقة لاأعرف أن عقد مثل هذه المجالس ضرورى أم لا؟ ولكن على الأقل أدرك أن جميع أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكان مثل شمع رقيق فى يد أردشير" حقيقة فضلت أن ألتزم الصمت تجاه رأى الشاه ولم أحر جواباً.

اتخذ الشاه فى السنوات الأخيرة لحكمة خطوة كان يهدف من ورائها إثارة غضب الروس، ولهذا أذاع يوم ٧ إبريل ١٩٧٨ (١٨ فروردين ١٣٥٧) بشكل مثير: وأنه قد قضى على شبكة تجسس خاصة للجار الشمالى، وبعد عدة أسابيع أعدم أحد جنرالات الجيش (اللواء مقربى) رمياً بالرصاص بجريمة عضوية هذه الشبكة.

وعندما تفاقم الوضع الداخلى فى البلاد يوماً بعد يوم ، أثار تمسك الشاه بمثل هذه السياسة التساؤل، ولكن إلى حد ما ظن أن وقوع انقلاب يسارى فى أفغانستان (٧ أرديبهشت ١٣٥٧ على يد نور محمد تره كى) قد أعاد الشاه مرة أخرى إلى الكابوس القديم للخوف من الروس.

وسمعت فيما بعد من شخص مطلع جداً ،أن الشاه كان قد أعد مسرحية التجسس هذه، للضغط على الكنجرس الأمريكى، ليظهر لأعضاء مجلس الشيوخ الأمريكان أنه على الرغم من معارضتهم لبيع طائرات الأواكس لإيران- خشية استيلاء الروس عليها- فإن أجهزة مكافحة التجسس الإيرانية قادرة على القيام بهذا العمل وكشف كل جاسوس روسى بسرعة (٣٩).

ولا يمكن الشك فى أن القوى الأجنبية كانت تسعى دائماً لإشاعة الدعايات المختلفة لتستفيد من المعارضين داخل البلاد لصالحهم، بالإضافة إلى دور الأجهزة

السرية، وقد ظهرت أسباب عديدة يمكن الإشارة إلى الحملات الليبية ومنظمة التحرير الفلسطينية ضد الشاه، وانتقادات الإذاعة الشيوعية "پيك إيران" لسياسة الشاه الخارجية، وأيضاً انتقادات بعض الصحف الغربية والمنظمات الدولية للكبت الموجود داخل البلاد.

ولكن فى نفس الوقت لايمكن أن يظهر دخان بدون نار، لم يكن ممكنا لأزمة إيران ألا يكون لها مورد فى داخل البلاد، وهذا ماأدركناه فى بحث مختصر للسنوات الأخيرة لحكم الشاه، فقد كانت الأسباب الموجبة لإسقاط حكم الشاه قد ترعرعت فى الداخل أيضاً، وتلاحمت علي الرغم من أنه كان من المفروض أن يكون سقوط الشاه فى الواقع فى سنة ١٩٥٣ (١٣٣٢) ولكن الانقلاب - قد تأجل تاريخ وقوعه عدة سنوات على يد جهاز السى آى إيه.

دعا أمير عباس عدداً من أصدقائي ذات ليلة فى شهر يوليو ١٩٧٦ (تير ١٣٥٦) قبل عدة أيام من إقالة أمير عباس من رئاسة الوزارة علي العشاء وعرفوه أثناء تناول العشاء، وأخبروا أمير عباس أن الحرس الشاهنشاهى قد اعتقل شريك أجنبى لإحدى أخوات الشاه فى بناء الشقق بأمر منه، وكان سبب ذلك أن أخت الشاه عندما أحست أن شريكها قد ترك القبعة علي رأسه، ودون النظر فى الناحية القانونية للعمل أمر بنفسه الحرس الشاهنشاهى ليعتقل هذا الشخص وبعد أن أحالوه إلى رجال الشرطة، قرروا أن يدفع مليون دولار لسموها لإطلاق سراحه.

قال أصدقائي: إن أمير عباس فى تلك الليلة بعد أن اتصل تليفونياً بهنا وهناك، عاد إلى مائدة الطعام مضطرباً، واسترخى على الكرسى، وهمهم: "إن النظام يفسد من الداخل".

نعم كان نظام الشاه فى الواقع محكوم عليه بالفناء، ومعرفة أسباب سرعة سلوكه طريق التقهقر، يستوجب بحث التغييرات التى طرأت فى شخصية الشاه، وبداية معرفتنا الكثير عنه هو الإطار الحقيقى لسقوط نظامه.

حاشية الفصل الثانى

١ - المقصود الثورة التاريخية لشعب إيران المسلم فى يوم ١٥ خرداد ١٣٤٢- م

٢ - يجب التنبيه إلى أن فريدون هويدا هنا قد برأ بمهارة بالغة فقط حكومة أمير عباس هويدا من أى نوع للفساد والضياع، واعتبر الفاصل الزمنى بهمن ١٣٤٢ إلى سنتين قبل نهاية عمر نظام الشاه- حيث كان هويدا رئيساً للوزارة، عصر تقدم وتطور إيران، فى نظر المؤلف أن عمل حكرمة إيران فى عهد رئاسة أخيه كان خالياً من الفساد إلى درجة أنه أظهر محاسن حكومة الشاه على الرغم من كل الانتقادات التى وُجهت إليه- طوال هذه الفترة الزمنية، وفصل ١٢ سنة ونيف من رئاسة أخيه هويدا للوزارة كلية عما قام به الشاه قبل وبعد هويدا، ولتحقيق هذا الهدف ذكر بياناً بحقائق الأوضاع المؤسفة والمخزنة لإيران قبل رئاسة هويدا وبعد إقالته، حتى يستطيع أن يصل إلى نتيجة تؤكد وجهة نظره من أنه لم يكن هناك إلا خطوات إيجابية فى عهد رئاسة أخيه للوزارة، بينما كان من الأفضل أن ينقل كلام أمير عباس هويدا فى محكمة الثورة أيضاً حتى لايعلق أيّا من القرارات فى عهد رئاسته للوزارة، ولايعتبر نفسه جزءاً من "نظام" هو نظام مقصر، وفى الحقيقة لم تأت أى افتخارات مما عددها فى هذا الكتاب لأخيه بفائدة- م

٣ - أكثر هذه الإحصائيات مخالفة للواقع، وتوضح أن المؤلف فى بحثه عن فترة رئاسة وزارة هويدا بدلاً من ذكر الحقيقة يتمسك بأرقام وأحصائيات لا تنطبق مع الواقع أصلاً إلا فيما يتعلق بما ادعاه من أن الدخل السنوى ٢٢٠٠ دولار، وواضح أنه كان بسبب الدخل الناجم عن بيع النفط، وليس لتطور الإنتاج الداخلى، ولكن فى بقية الموضوعات خاصة مسألة كون ملاك البيوت ٦٥٪ من الأهالى أو اعتماد ٣٥٪ من الدخل القومى غير الخالص على أموال النفط (الذى كان أكثر من ٩٠٪) أو انخفاض عدد الأميين إلى ٥٥٪ فإن موضوعات فريدون هويدا أكثر إثارة للضحك حتى إعلان الأرقام- م

٤ - طوال فترة الكفاح الثورى لم يظهر نقص في واردات المواد الغذائية فى البلاد مطلقاً إلا فى فترة قصيرة، ولعدة أيام بسبب إضراب الحّمالين فى الموانىء (الذى ألغى بسرعة بعد صدور أمر الإمام للجميع بعدم الإضراب فى مراكز تأمين المواد الغذائية) (ولعلها تقريباً بعد سنة من انتصار الثورة بسبب المقاطعة الاقتصادية لأمريكا بعد حدوث الحرب المفروضة) وغير هذا يجب سؤال مؤلف الكتاب: إذا كان أمر الزراعة متقدماً هكذا فى عهد حكومة أخيه، لأن البلاد بعد الشلل الذى إدعاه فى مجال الواردات لم تواجه النقص.

لماذا لم تتولى وزارة هويدا فى ذلك الوقت واردات المواد الغذائية حتى تظهر التقدم الملحوظ والبارز للنظام فى أمر الزراعة؟ (من الأفضل لإظهار صحة رأى المؤلف- انظر رأيه فى وضع الزراعة في إيران فى ص ٨٩)- م

٥ - عندما قدم فريدون هويدا نفسه "كمثقف يساري" لذا كان لابد ألا يرى إلا القيمة الحقيقية لما حدث فى سياهكل والثورة الحقيقية المزلزلة ١٥ خرداد ١٣٤٢- أنها كانت جرس إنذار حقيقى لنظام الشاه، ويصفها فقط بالتمرد الذى أخمد بسهولة على يد الشاه!- م

٦ - تم هجوم هذه الجماعة الفدائية يوم ١٩ بهمن ١٣٤٩، وليس ٢١ فروردين ١٩٥٠، ويجب التوضيح أنهم هاجموا إدارة الأمن فى سياهكل وليس مركز شرطة!- م

٧ - لم تكن نظرية "نيكسون" التى كونها فى الظاهر "لترغيب وجذب الدول الصديقة والمتحالفة مع أمريكا للدفاع عن نفسها"، لم تكن إلا إرسال أسلحة ومعدات إلى مقر القوات العسكرية الأمريكية بالدول المختلفة فى العالم، وعلى هذا الأساس استطاع نيكسون أن يعطى للاقتصاد الأمريكى رونقاً، ويعوض عجز ميزانية سنة ١٩٧١، ويجعل القوة العسكرية الأمريكية فى الخليج الفارسى وريثة للإنجليز، ويتحاشى خسائر الجنود الأمريكيين من أجل الحفاظ على المصالح الأمريكية فى المناطق الغنية بالبترول (التى كانت تحظى فى ذلك الوقت بموجة معارضة في

الرأى العام لأمريكا شبيهة بفيتنام) عقب هذا البرنامج حلت مسألة نقص السيولة النقدية لشراء المعدات الحربية الأمريكية مع زيادة قيمة النفط بسهولة، وأدت نظرية "نيكسون" إلى حصول أمريكا على بترول دول الخليج الفارسى هدية، واستولت ثانية على الأموال الناتجة عن شرائها، وزادت بذلك ازدهار إنتاجها وتجارتها، وجعلت جميع رؤساء الدول الغنية بالبترول يوماً بعد يوم أكثر ارتباطاً بأمريكا- م

٨ - يجب التنبيه إلى أن سفر نيكسون إلى طهران قد تم عقب زيارته للروس ومباحثاته وعقد اتفاقيات مختلفة مع برجنيف، وطبعاً كان الروس قد اتخذوا قراراهم أثناء تنفيذ "نظرية نكسون" لذا فإن ادعاء الكاتب فيما يتعلق بمعارضة الروس للشاه غير جدير بالقبول، خاصة أن الشاه فى لقاءه يوم الأحد ٥ شهر يور ٥١ مع وفد اقتصادى يابانى قال حول علاقاته بالروس: "..علاقتنا بالاتحاد السوفيتى ممتازة جداً، وفى الحقيقة نحن نطلق على حدودنا مع الروس حدود الصداقة والتعاون والسلام..." بعد ذلك أيضاً وخلال سفر الشاه لدولة بلغاريا أنهى ترتيبات إذاعة" پيك إيران" أيضاً من هذه الدولة، وبشكل عام بدت علاقات حسنة جداً بين الشاه والدول الشيوعية التى أعقبها تطور الوضع إلى درجة أفضل، عقب سفر الكسى كوسيجن فى إسفند ٥١ إلى طهران وسفر هويدا فى مرداد إلى روسيا، واستمر الأمر كذلك حتى أواسط آذر سنة ١٣٥٧- م

٩ - على الرغم من أن الشاه قد أعلن خلال حديثه الصحفى قيمة برميل النفط ١١,٦٥ (كانت ضعف السعر السابق ٤ مرات) وأثارت هذه الخطوة معركة دعائية لإبراز أهميته، ولكن بعد ذلك علم أن أمور زيادة سعر النفط كان فى الحقيقة طرحاً أمريكياً، حتى توفر بهذه الوسيلة أموالاً كافية للدول الغنية بالبترول لشراء الأسلحة، ولإيجاد عوامل جذب كافية لعمليات اكتشاف

واستخراج البترول داخل أمريكا، ويغير بالأرباح الباهظة الشركات البترولية الكبيرة داخل أمريكا حتى يمكن عن هذا الطريق تحسين الاقتصاد الأمريكى المتأزم قليلاً (يقال فى هذا الصدد : انه بعد رفع سعر البترول بسنة، زادت الأرباح الخالصة لشركة "إكسون" بمقدار ٨٠٪ والأرباح الخاصة لشركة "جالف" بمقدار ٩١٪).

مع هذه الزيادة فى سعر البترول ليس هناك سبب قط إلا طلب أمريكا، ولكن أمريكا سعت فى مواجهة الرأي العام للدول المستهلكة للبترول أن تبرز أنها ضحية لزيادة سعر البترول، وبينما كانت أمريكا معروفة لمنظمة أوپك باعتبارها المذنبة الحقيقية لزيادة السعر، كانت تحافظ أمريكا على وجودها خلف هذه المنظمة سراً.

ولمعرفة أكثر حول هذه المسألة يمكن مراجعة الكتاب القيم "النفط - الفرصة الوحيدة والأخيرة للشرق الأوسط" مؤلفه "نيقولا سركيس" (خبير بترولى للدول العربية) ترجمة "دكتور أرسلان ثابت سعيدي" منشورات أمير كبير (١٣٦٣) صفحات ٥٢ - ٥٦ - ٥٩ - ٨١.

١٠ - لو كان أمير عباس هويدا فى عهد رئاسته للوزارة قد عرض مثل هذه الأمور على الشاه فى الواقع (احتمال ضعيف جداً) فيجب اعتباره شخصاً منافقاً أيضاً ونلاحظ عند مراجعة حديثه فى إسفند ٥٥ أثناء الدفاع عن ميزانية ٥٦ فى المجلس أنه لم يعارض قط أفكار الشاه، بل اعتبر أن دفاعه عن برامج الوجاهة والتخريب الشاهنشاهية فرض عليه، وقال هويدا فى هذا الحديث: "....نحن لا نخشى المصاعب والمشاكل وسنقضى عليها ولاينبغى وضع القرارات أمام مبادرات الشعب (أى شعب؟!)..وسر بقاء إيران فى قيادتها ومساعى شعبها (أى شعب؟!)..."وسُمع أيضاً خلال أحاديث صحفية تليفزيونية لهويدا منه أنه قال: "....مع أن الأهالى ينفقون أكثر، يزدهر الاقتصاد أكثر"-

م

١١ - لما كان فريدون هويدا قد كتب هذا الكتاب فى أوائل سنة ١٣٥٨، لذا تصور أن استرداد قروض نظام الشاه للدول مثل انجلترا وفرانسا وإسرائيل ومصر والأردن وجنوب إفريقيا و.....هى أحد المصادر الهامة لتأمين دخل الحكومة الإسلامية، وبينما كان نظام الشاه دائناً إلى هذا الحد فقد كان مديناً لدول أخرى لأن الجمهورية الإسلامية كانت تدفع قروض إيران إلى الآخرين بانتظام ولكن أكثر الدول المدينة امتنعت عن دفع قروضها إلى إيران بحجج مختلفة، والآن بينما إيران دائنة بعدة مليارات لآخرين ليس عليها سنت واحد دين خارجى- م

١٢ - لترجمة حديث الشاه أستعين بالنص الأصلى الذى كان قد نُشر فى العدد المؤرخ بـ ٨ آبان ١٣٥٥ بصحيفة كيهان، ولما كان فريدون هويدا قد سعى فى نقل حديث الشاه بتحفظ شديد وأسقط نقاطاً مهمة، لذا فقد أُضيف إلى النص بعض المسائل المطروحة من قبل الشاه أيضاً كى يستطيع إظهار حقائق كثيرة فى مجال تعقد أمر النظام بالقياس إلى تصريحات السنتين السابقتين، حتى يقف القراء الأعزاء على هذه الحقيقة المرة ومعرفة أكثر بالشخص الذى صاح قبل سنتين من إتمام هذا الحديث" ستصبح إيران غنية إلى درجة أنها ستعمل فقط أربعة أيام أسبوعياً، وتقضى بقية الأيام فى سرور ومرح" لأن الشاه على الرغم من اعترافه بنقص وقلة الأموال والنفقات "غير المرشدة" يدفع أموالاً كثيرة لشراء ٢٥٪ من أسهم شركة "كروپ" المفلسة، وفى نفس الوقت يتحدث عن إلغاء النفقات الزائدة- م

١٣ - منح هويدا جماعة من المعممين حقوقاً وأرزاقاً مستفيداً من ميزانية الأوقاف حتي جعلهم في عداد الشاكرين للشاه، أو علي الأقل منع انضمامهم لصف مؤيدي الإمام الخميني، وتسبب كشف قائمة بأسماء هذه الجماعة بعد انتصار الثورة الإسلامية إلي أن خلع كثير منهم لباسهم وانزوي عدد منهم أيضا ولزم

الصمت لإدراك عدم سوء نيتهم ولم يجدوا سبيلاً آخر للدخول في مجتمع رجال الدين - م

١٤ - ولكن المؤلف في الفصل الأول من كتابه في قسم تحت عنوان "آخر لقاء بأخي" عرض الأمر علي هذا النحو أن: أخاه خلال محاكمته كرر أموراً حول أسباب عزله من قبل الشاه مرات ومرات في محكمة الثورة ...والآن غير معلوم كيف نسي ما كتبه من قبل، ويظهر هنا أن أمير عباس هويدا منع من مواصلة الحديث في محكمة الثورة - م

١٥ - المؤلف يناقض نفسه مرة أخري فبينما كتب من قبل "..بعد تعيين الشاه لجعفر شريف إمامي مكان آموزجار ولاثبات أن هناك تغييراً في التوجهات السياسية عزل كثير من المسئولين من مناصبهم وكان من بينهم أخي أمير عباس.." (صفحة ٤٥) وهنا طرح أمراً نقلاً عن أخيه ليوضح الأمر من أن أمير عباس هويدا عندما كان مستاءً من قتل الأهالي يوم الجمعة السوداء! لذا استقال من وزارة البلاط، ولكن نسي قوله الذي كان قد قاله من قبل: "في نظري يجب أن يعتبر تعيين شريف إمامي رئيسا للوزارة وعزل أمير عباس عن وزارة البلاط من عداد أخطاء الشاه في أواخر عهد حكمه..."(صفحة ٤٥) - م

١٦ - الترجمة مستقاة من النص الأصلي (به سوي تمدن يزرگ صفحة ١٧)- م

١٧ - أصلح الشاه في نفس حديثه الصحفي جملته علي الفور وقال: "...ولكن بموجب الدستور- يصبح الشاه رئيسا للسلطة التنفيذية.."(الترجمة الفارسية لكتاب "شيروخورشيد" (الأسد والشمس) تأليف "اوليويه وارن" منشورات أمير كبير ١٣٥٦- صفحه ١٣٢)- م

١٨ - يدعي هذا الشخص "هاشم نراقي" الذي كان من التجار الإيرانيين ذوي الجنسية الأمريكية، وعلم فيما بعد أنه لا هم له إلا ملء جيبه من أموال البترول، ولما كان

بعد فترة نشاط وقبل ذلك طبقاً لزعمه وادعاء الشاه: "أن يحول خوزستان إلى كاليفورنيا" - فر من إيران، وعندما وصلوا إلي حسابه عرف أنه قد أودع ملايين التومانات وديعة في البنوك الإيرانية ثم أخذ أمواله وفر، في ذلك الوقت قال الناس عن هاشم نراقي: حصد المواد الغذائية المنتجة في مزارعه ومصانعه وطبخها وأكلها وهضمها و...!- م

١٩ - مستفيداً من نص الترجمة الفارسية لمحادثة الشاه مع "اوليويه وارن" التي كانت قد طبعت في كتاب بعنوان "الأسد والشمس-شيروخورشيد"(طبعا بعد موافقة رجال الرقابة في وقتها)(منشورات أمير كبير ١٣٥٦-صفحه ٢١٤)- م

٢٠ - بناء علي الاعتراف السابق للمؤلف: وساطة هويدا لإطلاق سراح معارضي النظام من قيد السافاك كان يشمل في الأساس العناصر اليسارية (صفحة ٣١)- م

٢١ - مسألة إقالة هويدا في سنة ١٣٥١ بسبب أحداث "امير هوشنگ دولو" في سويسرا غير مقبول، وعند فحص جميع أقوال وأحاديث ولقاءات أمير عباس هويدا الصحفية التي قام بها سنة ١٣٥١، لا يري أبداً نقطة تظهر عدم رضائه ورفضه لسلوك الشاه بل العكس من ذلك، لقد بالغ هويدا خلال سنة ١٣٥١ بسلوك وعمل وقول الشاه درجة لم يكن له مثيل من قبل، مضافاً إلي ذلك أن أمير عباس هويدا نفسه منذ ٢٥ سنة قبل ما حدث (يناير ١٩٤٧-يهمن ١٣٢٥) عندما كان سكرتير أول بسفارة إيران في فرنسا وتصادف وقبض علي جماعة منهم حسن علي منصور ومحمد حجازي والمقدم غلا محسين اسفندياري (الياور الخاص للشاه) وكنجه اي (مدير صحيفة بابا شمل) وهاب زاده وصالحي و....بجريمة التهريب فإنه أنقذهم فوراً من الموت بوساطة الشاه ، ولهذا السبب فإنه بعيد جداً أن يكون هويدا بمثل هذا التصرف قد ضايق الشاه في إنقاذ "أمير هوشنگ دولو" لكي يتخذ قرار إقالته (يمكن مشاهدة الوثائق الخاصة بتهريب

هويدا ورفاقه في فرنسا في صحيفة كيهان أعداد ١٤، ١٩ بهمن ١٣٢٥؛ مجله خواندنيها السنة السابعة العدد ٤٩ صفحات ٢، ٦ مجلة مرد امروز السنة الخامسة العدد ٩٣ صفحة ٢ والعدد ٩٤ صفحة ٣) .

٢٢ - طالما قدم فريدون هويدا نفسه فى هذا الكتاب بأنه "مثقف يساري" فإن تحليلاته بالطبع ليس بالضرورة أن تكون أقرب لإطار "مفكر يساري" فهو يحلل التحولات الاجتماعية دون النظر فى "الاقتصاد كأساس للبناء" ولا يشكل أساس بناء حركة شعب إيران الثورية إلا المسائل المذهبية والمعنوية والأخلاقية والثقافية، وطبقاً لما كان مطروحاً من مسائل اقتصادية فهى فقط حالة فرعية- م

٢٣ - أمير عباس هويدا - الذى كما قالوا من أهل المعرفة - لابد أنه قرأ سيرة الرائد "كيسلينج" كيف أنه تعاون من أجل خدمة الوطن (!) طوال فترة احتلال النرويج على يد الغازين- معهم، وعلى الرغم من الظروف المهلكة (!) لم يكف عن تأييد المعتدين والمحتلين،ولكن بعد نهاية عهد الاحتلال، مع أن كيسلينج لم يضع نقوداً فى جيبه، ولم يقتل أحداً ومع هذا حُكم عليه بالموت من- قبل محكمة الشعب، وتذوق عقاب خيانة الوطن (الذى كان بزعمه فى خدمة الوطن (!)- م

٢٤ - Peromenadedes Anglais

٢٥ - بالإشارة إلى هذا الأمر البديهى من أن أمريكا لا تهتم أبداً بحماية الشعب من الأنظمة فى الدول التى تحت سيطرتها، وأصلاً لاتتبع هدفاً إلا السيطرة على اقتصاد مثل هذه الأنظمة، من الطبيعى ألا تتجاوز توصياتها فى اللقاءات (إذا كانت حقيقية) مرحلة الكلام، والدليل على هذا الادعاء أيضاً السفر ستة أشهر بعد چيمى كارتر إلى إيران (١٠ دى ٥٦) الذى بدلاً من عرض الحقائق على الشاه على العكس مدح قراراته أكثر، وليرغبه أكثر لقب إيران "بجزيرة الاستقرار"- م

٢٦ - وهكذا كما جاء أن الشاه قد قال فى حديثه مع محرر صحيفة كيهان أنه "لايجب أن يتجاوز التعليم الأساسى والاجتماعى والفلسفى على يد حزب رستاخيز إطار فلسفة "الثورة البيضاء" (صفحة ٨٠)- م

٢٧ - ما عدا عدد من المنافقين المحترفين الذين تجمعوا للمراءاة والنفاق فى حزب رستاخيز فقد سجل بقية الأعضاء غالباً أنفسهم مضطرين فى الحزب، وأسماء الأشخاص الذين فشلوا فى هذا الأمر لأسباب مختلفة قد وضعوا فى لائحة أعضاء رستاخيز دون موافقتهم ومن قبل رءوسائهم- م

٢٨ - قول جمشيد آموزجار هذا يشابه نمط تفكير، "ناصر الملك" (وزير المالية ورئيس الوزراء (صدر أعظم) ونائب السلطنة فى العصر القاجارى) والذى خلال ثورة الشعب للمطالبة بالدستور فى رسالة للسيد "سيد محمد طباطبائي" اعتبر أن تشكيل بيت العدالة والمجلس لأمة أمية وليست آدمية أمر مضر للغاية، ووصف "الحرية" للإيرانيين بأنها "أساس للاضطراب والخراب والمذلة وعدم الأمن وآلاف المفاسد الأخرى، وفى اعتقاد "ناصر الملك" أن طلب مجلس المبعوثين والإصرار على إيجاد قانون المساواه والكلام عن الحرية والعدالة فى إيران كأنما تقدم فخذ جمل نصف مطهى لفم مريض، لأنه "بسبب طول المرض وعدم الغذاء جفت أمعاءوه وأحشاءوه" (تاريخ مشروطه إيران- أحمد كسروى - الطبعة التاسعة ٩١)- م

٢٩ - حقيقة هذه الجماعة من "المفكرين النخبة" عندما التحقوا بصف المعارضين كانت فقط مهمتهم الطعن والشكوى فى المحافل الدولية، وسلكوا بعدها سياسة حقوق الإنسان "كارتر" ولم يقوموا بأمر آخر غير الكلام والبيانات المتفرقة فى مجال مزايا حقوق الإنسان ووجوب إجراء الدستور- م

٣٠ - كان ما حدث على النحو التالى أن رضا شاه طبقاً للمعتاد قد أرسل؛ متظاهراً بتأييد المذهب؛ أسرته إلى قم عند تحويل السنة ١٣٠٦ شمسى، ولما لم ترع تاج الملوك (زوجته وأم محمد رضا) الحجاب فى الحرم المطهر، ذكرها أحد رجال الدين ويدعى " الشيخ محمد تقي بافقي" بأن ترعى حرمة هذا المكان المقدس، ولكن لم تهتم الملكة، فهب الشيخ معترضاً، ونتج عن ذلك أن خرجت الملكة من الحرم بعصبية، وأخبرت رضا شاه هاتفياً بما حدث وعلى الفور (ولابد مع شيء من الكذب) عند سماع هذا الخبر، لم يكن قد مر أكثر من سنة وثلاثة أشهر من بداية حكمه، فتوجه مسرعاً بسرية من الجيش إلى قم، وعند الدخول فى بداية الصحن جرح عدة طلاب باللكز ثم دخل الحرم بالحذاء، ووجد هذا العالم المجاهد، فضربه بالعصا، وأرسله فى حراسة إلى طهران ليسجن، ورفع ما حدث النقاب عن وجه رضا شاه، وأظهر للجميع ما هى صفته الحقيقية وكان كل شيء حتى هذا الوقت يتم بناء على رغبة المذهب، ما عدا الكذب والخداع- م

٣١ - ترجمة الحديث الصحفى مستقاة من نصها الفارسى - المندرج فى كتاب "شيروخورشيد" (صفحات ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١)- م

٣٢ - سعى تيمور بختيار فى العراق مؤيداً من المسئولين البعثيين - مساعي كثيرة ليتقرب من الإمام، ويستطيع عن طريق التظاهر بجلب تأييدهم أن يهيىء مجالاً لأهدافه فى إيران.

٣٣ - ولكن الإمام كان يعرف معرفة تامة الطينة السيئة لتيمور بختيار، ولم يسمح له بأى حال أن يدخل منزله حتى أنه قال ذات مرة: "لو أن (تيمور) بختيار تملك زمام الأمور يوماً في إيران، فإن مهمة جميع المسلمين هى أن تحاربه وتمنعه من الوصول إلى السلطة....".

كان تيمور بختيار قد استطاع فقط مرة واحدة ودون معرفة مسبقة ودون تقديم نفسه أن يدخل منزل الإمام فى تاريخ ١٠ آذر ١٣٤٨ مع رفاق محافظ كربلاء،

ولكن لم يتحدث الإمام خلال هذه الزيارة مع بختيار بأى كلمة، ولم يجب على أسئلته، وأمر الإمام بعدما حدث أحد مسئولى مكتبه: "من أجل ألا يسىء آخر استغلال مثل هذا الموقف، فى نظرى، فى كل وقت يطلب محافظ كربلاء لقائي اشترط عليه ألا يرافقه أشخاص غير عراقيين.....".

وفي يوم ٢١ خرداد ١٣٤٨ حُمل الحاج السيد مصطفى خمينى على يد رئيس الأمن وحاكم النجف إلى بغداد ليلتقى مع أحمد حسن البكر وهناك شاهد تيمور بختيار بجوار رئيس جمهورية العراق آنذاك ، ولكن كلما أراد حسن البكر فى هذا اللقاء أن يجعل ابن الإمام يقبل التعاون مع النظام العراقى وتيمور بختيار للكفاح ضد الشاه لم يرضخ لهم (الأمور المنقولة من كتاب "نهضت أمام خمينى" المجلد الثانى- تأليف سيد حميد روحانى-مستخرجة من صفحات ٤٢٠- ٤٢٩ - ٤٣٠)- م

٣٣ - كان خوف الشاه من الروس وحرصه على التسلح دافعاً له للتوجه نحو الأمريكان، وطالما يكون من اتباع القوى العظمى من أجل النفوذ وبيع الأسلحة لدول العالم فإن الخوف يكون من القوى العظمى الأخرى، وسوف يمتد هذا الأمر حتى إذا زالت إحدى القوتين - أمريكا أو روسيا ، فالأخرى ستواجه ضعفاً بسبب فقدان مجال النفوذ وبيع الأسلحة وستلحق بالأولى، وفى هذه الحالة- حتى بين البلدان المجاورة- عندما ترغب فى التغذية بالسلاح من هما- من أمريكا أو روسيا (أى منهما بقى) فإنه سيظهر احتمال ضعيف لحرب شاملة- م

٣٤ - للاطلاع أكثر على المشاكل التى وجهها رضا خان وأسرته عند دخول ميناء بمباى وحملهم إلى جنوب إفريقيا ، يراجع كتاب " شترها بايد بروند" (يجب أن ترحل الإبل) نشر نو - الطبعة الثالثة ١٣٦٤)- م

٣٥ - عملت العناصر المعارضة تحت سيطرة القوى الخارجية في إيران أكثر كجماعات ضغط، ومن هنا اختلطت على الصحافة والمنظمات مثل العفو الدولية، لأنها

كانت عندما تنتقد الشاه تأخذ منه الإتاوة أو تحصل على منافع أكثر لحكوماتها فى إيران بتهديد وإرهاب النظام-

٣٦ - حول المسألة التى ذكر المؤلف خطأ "دور الشاه الهجومى في أوبك وكراهية الشركات البترولية له، سبق التوضيح (صفحة ٧٦) أن هذه الشائعة كذب فى الحقيقة وكانت من صنع الأمريكان ليتمكنوا من الاستفادة منها، ويخفوا دورهم فى رفع سعر بترول أوبك عن الرأى العام للدول المستهلكة، وتقديم أوبك كمتهم حقيقى، ويخفون وجودهم خلف الشاه وأوبك.

٣٧ - خلافاً لادعاء المؤلف، لم تكن هذه الخطوة فقط سبب بعثرة الموازنة بل تعد نوعاً من إقرار الموازنة السياسية للقوتين العظميين فى المنطقة أيضاً، وبهذا السبب سمح الشاه فى نفس الوقت للطائرات العسكرية الروسية أن تعبر أجواء إيران وتوصل سيل الأسلحة والعتاد لتثبت الوجود الروسى فى أثيوبيا وأوجادين، وعندما اتفقت القوتان العظميان فى ذلك الحين سوياً أن تسيطر روسيا علي أثيوبيا وتجعل أمريكا الصومال عوضاً عنها، ويتم القضاء على ثوار ظفار دون خوف من رد فعل معارض لروسيا.

٣٨ - فيما يتعلق بعلاقات الشاه مع منظمة العفو الدولية وكيفية سكوت هذه المنظمة عن جرائم نظام الشاه، جاءت أمور مفصلة وجامعة فى كتاب خواطر پرويز راجى "خدمتكزار تخت طاووس" (من منشورات مؤسسة إطلاعات ١٣٦٤).

٣٩ - خلافاً لادعاء المؤلف، وقع إعدام اللواء مقربى بجريمة التجسس لصالح الروس فى ٤ دى ١٣٥٦ وكان هذا الأمر قرابة ٤ أشهر قبل وقوع الانقلاب اليسارى فى أفغانستان، ولكن يمكن قبول الأمر الذى سمعه فريدون هويدا من ذلك "الشخص المطلع جداً" وطالما يطابق ٤ دى ٥٦ مع يوم ١٠ دى الذى كان موافقاً لسفر كارتر إلى إيران فإنه يدلل على صحة قوله.

الفصل الثالث
المتغيرات التى طرأت على الشاه

الفصل الثالث

المتغيرات التى طرات على الشاه

« .. قوتي سواء من وجهة نظر القانون أو المقربين هي الروح الخاصة التي لدي مع الأمة (!) في أسمى درجة يمكن أن تبدو بها هذه الدولة".

محمد رضا بهلوي

كتاب نحو الحضارة العظمى

الجمعة ١٥ اكتوبر ١٩٧١ (٢٣ مهر ١٣٥٠) تخت جمشيد (*)

بينما كانت أعمدة تخت جمشيد تتلألأ بلون ذهبي تحت أشعة الشمس في نهاية الخريف، ويتأنق الحراس الملكيون في عظمة، وقد اصطفوا في زي جنود العهد الهخامنشى (**) علي مسرح عريض بحرابهم التي كانت تبرق فى أشعة الشمس، وكان الشاه والشاهبانو يجلسان بين الملوك ورؤساء الجمهوريات ورؤساء وزارات العالم كله، على مكان معد علي مقربة من أطلال تخت جمشيد.

عندما وصلت فرقة خيّالة - كانت قد تحركت من طهران قبل يوم - مقابل هذا المكان، نزل قائدها عن فرسه ليقدم متن مبايعة، كرسالة الأمة للشاه، وقال الشاه الذي كان يرتدي زياً عسكرياً بصوت أجش، عندما كان يلقي كلمته عبر مكبر الصوت - قال فى رده على هذه الرسالة : « ... وفى هذا اليوم التاريخي أُشهد التاريخ بصفتي امبراطوراً لإيران أننا ورثة ميراث كوروش (***) خلال هذه الحقبة الطويلة وبقينا أوفياء

(*) تخت. جمشيد فى برسبوليس

(**) أسس كوروش العظيم الدولة الهخامنشية أو الأكمينية، وقد أقام دولته على العدل والمساواة بين الأديان ورعاية حقوق البشر، وقد خلفه ملوك آخرون منهم دارا وخشيارشا وكمبوجيه (قمبيز) وقد قامت هذه الدولة في القرن السادس والخامس قبل الميلاد. (دائرة المعارف - إطلاعات عمومى - مهرداد ومهرين ص ١٤١).

(***) كوروش هو مؤسس الامبراطورية الهخامنشية.

لرسالته المعنوية ولن ننسى مطلقاً العهد (*) الذي قطعه للبشرية منذ ٢٥٠٠ سنه من قبل ......» وبعدها قدم برنامجا يتشابه كثيرا مع عرض فيلم من آثار "سيسيل ب دوميل" وخلاله عرض نماذج من جنود العصور المختلفة في تاريخ إيران أمام الحاضرين.

وعند انتهاء هذه المراسم توجه الضيوف المشاهير في الاحتفال خلف ضيفهم إلي خيامهم الفخمة المصنوعة والمطرزة على يد الفرنسيين، وكان قد أنفق مبالغ هائلة بلغت مئات ملايين الدولارات لإعداد مكان إقامة رؤساء الدول وشخصيات عالمية.

وكان الشاه في اليوم السابق أيضا في بازركد(**) قد قال خلال خطابه علي قبر كوروش الخالي " .... كوروش ! لقد اجتمعنا اليوم أمام ضريحك الأبدى لنقول لك: نم مستريحاً، لأننا يقظون وسنظل يقظين دائما لحراسة ميراثك العظيم" (١).

ولكن في نفس الوقت الذي يحدث فيه هذه البرامج في تخت جمشيد وخارج نطاق حاشية الشاه والمتملقين الذين يحيطون به، كانت الانتقادات تنهمر عليه في إيران حول مثل هذه الاستعراضات.

ومراعاة للسلامة سعى الناس فقط لطرح الانتقادات في المنازل والمحافل الخاصة، ولكن بعض المطبوعات الأجنبية صرحت بلا خوف لماذا تنفق دولة نامية ما هو بخزائنها بدلا من تحسين ظروف معيشة شعبها في إقامة مثل هذه الضيافات المكلفة والعروض المتنوعة؟ (وبعد سبع سنوات أقام بوكاسا (***) أول امبراطور فى شرق أفريقيا حفل تتويج، ونشرت الصحف بشأنه مثل هذه الانتقادات).

(*) وهو حرية العبادة واحترام حقوق وقوانين وعقائد البشر.

(**) بازركد مدينة قديمة إطلالها فى إقليم فارس.

(***) جان بودل بوكاسا امبراطور جمهورية أفريقيا الوسطى.

ورد الشاه على مطالب الصحف الأجنبية الناقدة : أن نفقات إقامة احتفالات ٢٥٠٠ سنة لم تكن كما هو متصور زائدة وغير ضرورية مثيلها مثل تنفيذ بعض الخطط العمرانية. بناء مدرسة، توصيل الكهرباء إلي القرى، تعبيد الطرق، تطوير الاتصالات، وستستخدم الخيام المنصوبة في تخت خمشيد أيضا لإقامة مراسم مختلفة في المستقبل [١] والأهم من كل هذا أن إقامة مثل هذه الاحتفالات قد زاد أيضا من مكانة إيران (!) كما تحول تخت جمشيد خلال ثلاثة أيام إلى مجتمع عالمى استطاع أن يجمع فيه رؤساء الدول وحكومات العالم، ليستعرضوا قضاياهم فيما بينهم.

موعد مع التاريخ

كان الشاه لديه إصرار عجيب فرضه علي جميع المدعوين في احتفالات ٢٥٠٠ سنه، وهو أن إقامة هذه المراسم لا يفهم منه بعث حياة إيران بل حراسة الميراث الامبراطورى لعهد الهخامنشيين، وكان أحيانا خلال ذلك يقول للمحيطين به : "ثورتنا البيضاء ليست فقط مستمدة من عهد سلطنة كوروش بل فتحت لنا الطريق لنستطيع أن نتحرك مباشرة صوب برامج كوروش" !.

كان الشاه فى نفس الوقت يسعى لإبراز احتفالات ٢٥٠٠ سنة أمام شعب إيران كموعد مع التاريخ. كان راغباً أكثر أن يعتبره الشعب علامة عن مولد ثان للبلاد، ولكن يقال : إن الشعب أصلا لم يحضر هذه الاحتفالات ؛ لأن قوات الشرطة والجيش كانت قد التفت حول تخت خمشيد لحراسته لدرجة أنه لم يسمح لأحد بالاقتراب، خاصة أن هدف الشاه من هذه الاحتفالات والعودة إلى إيران القديمة لم يكن مقبولا عند رجال الدين الذين يعتقدون فقط فى تعاليم النبى ﷺ .

قال الشاه في حديثه الصحفي مع "كارنجيه" (مراسل صحفى هندى) وكان مفتوناً إلي درجة كبيرة بإيران القديمة : "اليوم تأسس على أرض إيران القديمة أم الحضارات أول امبراطورية في العالم، وهى شاهدة على مولد حضارتها الزاهرة ثانية، وثورتنا البيضاء

لها أصل فى هذه الثورة التى حدثت قبل ٢٥٠٠ سنة على يد كوروش (!) وعلى أساسها استطاع كوروش أن يحول امبراطوريته فقط خلال جيل واحد إلي هذه القوة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لتصبح نبراساً للحياة وقيماً للبشرية وأخلاقاً اجتماعية للعالم ....".

بعد سنة ١٩٧١ زادت مساعى الشاه للتأكيد على "آرية" إيران والأهمية خاصة للجنس الإيراني، ووصل الإفراط فى هذا الشأن درجة أنه طرح هذا الأمر في آخر كتبه "نحو الحضارة العظمى" على النحو التالى :

".... الحضارة الإيرانية - هي "الحضارة العظمى" التي سيكون بريقها غداً أبهي، تعبر تعبيراً كاملاً عن الحضارة الآرية العظمى، سير تطور هذه الحضارة صوب الكمال لن يتوقف أبدا ولن يجد الفتور إليها سبيلا (!) إذا كان الجنس الآري دائما يقفز في سبيل تقدمه صواب الكمال في حضارته الآرية، إن لأساس هذه الحضارة جذور راسخة لمفكري وأذكياء هذا الجنس ..... وعندما وضع دارا العظيم علي حجره المشهور، وقرأه "آرى ابن آرى - إيراني ابن إيراني" ليتباهى في الواقع بكل القيم التى لا تحصى والتي تعبر عنها صفتا آرى وإيراني تعبيرا كاملاً، الحضارة الآرية - في مفهومها الحقيقى - هى الحضارة التي وضعت أساساً للحياة والخليقة (٢).

بالاطلاع على العبارات التي استخدمها الشاه في هذا الكتاب لا يشك أحد قط أن هذه الكلمات لاتعبر إلا عن ديكتاتور على وشك السقوط، ومما أثار الحيرة أيضا أن الشاه كان يصر إصراراً على نفس ارتباط الشعب الإيرانى ارتباطا شديدا بالإسلام والمعتقدات المذهبية.

دقت الإشارات المتكررة للشاه لعصور ما قبل الإسلام في إيران - في السنوات الأخيرة لحكمه - ناقوس الخطر لرجال الدين، وعندما أدركوا هذا الخطر كان الشاه قد

أصدر أمره بتغيير تقويم إيران الذي كان قائماً منذ زمن هجرة الرسول من مكة إلي المدنيةإلى تقويم (*) كانت بدايته تتويج كوروش (٣).

الابن النجيب

مع أن الشاه كان يؤمن في الواقع بأمجاد وقيم الأصل الآري، ولكن لاشك أنه من وجهة نظر علم النفس أن تأكيداته المتكررة على هذه المسألة قد أظهرت مفهوم "العنصرية" وضمنياً من المسلم أنه كان يريد أن يعطي لحكمه صفة الوراثة الشرعية عن طريق مد جسر بينه وبين ملوك ايران القدامى، وكان أبوه قد أبدى فى الحقيقة قبول هذا التصرف باختيار اسم العائلة "پهلوى" ليصل سلسلته بسلسلة الملوك على طول التاريخ.

ومنذ أوائل عقد الستينات كان هذا الفكر قد شغل رأس الشاه لدرجة أنه لكى يربط أصوله بسلاطين ما قبل الإسلام تتطلب هذا عقد مراسم فخمة وبعدما أقام احتفالات ٢٥٠٠ سنة في تخت خمشيد، أحس أنه يعمل هذه المراسم ليتمكن من أن يثبت لرؤساء العالم استمرار الملك طول تاريخ إيران، بينما لا يصل جميع الملوك ورؤساء الجمهوريات وحكام العالم بحكوماتهم اليوم مطلقا إلي العصور القديمة، ويؤكد أن محمد رضا شاه بعد ٢٥٠٠ سنة وارث لحق كوروش مؤسس الملكية الإيرانية.

ويكفي لمعرفة سبب التعطش الشديد للشاه لإثبات هذه القضية أن ننظر إلى وضع أسرته ونعرف أن أباه - رضاخان- عندما لم يزد عن سبع سنوات وضع على رأسه التاج ونسبه لم يكن يصل إلى أى من ملوك إيران (لدرجة أنه يقال : إن رضاخان كان فى أوائل أمره يعمل علافاً للخيول (**) وبناء علي هذا فمن الطبيعي جداً أن يشغل ذهنه تماما البحث عن أصل ونسب عظيم حتي قبل أن يفكر في اتصاله بكوروش،

(*) عام ١٩٧٩م هو عام ٢٥٠٨ شاهنشاهى.

(**) أهملت كثير من المصادر وظيفة رضا شاه وذكرت التحاقه بفرقة القزاق.

ويذكر أن أسرته جزء من طائفة باوند (*) التى تعد من طوائف مازندران الأصلية والقديمة، ويقولإأن جده وجد جده كانا يعملان أيضا كضباط في "جيش إيران القديم".

ولكن الحقيقة أن الشاه لم يسع قط لتوضيح الغموض الذي يكتنف أصل ونسب أسرته، ويبين خاصة حياة أبيه قبل التحاقه "بفرقة القزاق".

ترقى رضا خان بعد ذلك في سنة ١٩١٦ إلي رتبة ملازم، وتزوج من ابنة أحد الملاك(**)، وعندما نال المقام والجاه منح آخر ملوك القاجار له لزوجته تاج الملوك (***).

كانت تاج الملوك في سنة ١٩٦٨ تقول عن رضا خان لمراسل مجلة "كنفيدانس" (طبعة باريس العدد ١٠٩٤). كان والداه من الرعايا العاديين، وهو نفسه لم يكن أصلاً متعلماً، ولكنه بسبب قوة مثابرته استطاع أن يلتحق بقوة القزاق ليصعد على سلم الترقي درجة درجة- علي الرغم من أميته- حتي وصل الي رتبة مقدم".

عندما هاجم رضا خان في سنة ١٩٢١ (الثالث من اسفند ١٢٩٩) طهران كان في منصب قائد حامية قزوين، وبسبب عزله رئيس الوزراء نال درجة مقدم، ولكن عقب ذلك مباشرة منحه أحمد شاه (****) رتبة عميد ولقب "سردارسپه" (قائد الجيش).

(*) أراد رضا شاه اختيار لقب يربطه بآل ساسان فأختار له فروغى اسم بهلوي الذي ورد ذكره كثيرا في الشاهنامه فاطلق مرسوماً بأن يدع من يحمل لقب بهلوى هذا اللقب (زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ حاشية ص ١٦)

(**) زوجته الأولى كانت تدعى صفيه وهي من همدان وقد تزوجها أثناء عمله في آترياد همدان وطلقها بعد عام واحد.

(***) زوجته الثانية هي تاج الملوك أم محمد رضا وهى من إحدي الأسر المهاجرة من آذربايجان بعد الانقلاب الشيوعي في روسيا واحتلال آذربايجان،أبوها تيمورخان تزوجها سنة ١٢٩٤هـ ش وأنجب منها شمس ومحمد رضا وأشرف وعلي رضا.(زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ١٨)

(****) أحمد شاه قاجار آخر سلسلة آل قاجار.

استولي رضا خان الذي جلس علي عرش السلطنة فيما بعد على أملاك كثيرة من الأهالي، وأدخلها فى ملكيته حتي صار أكبر ملاك إيران.

ولما كان معيار الشرف في إيران في ذلك الوقت مرتبط بمساحة الأرض، لذلك فإن رضا خان قصد من هذه الخطوة أن يدخل في سلك الأشراف ويجعل سلطته مشروعة، ولكن الحقيقة أن صفة الجندية كانت سببا في أنه علي الرغم من امتلاكه لأملاك كثيرة أن يكون بخيلا وممسكاً جداً (٤).

بينما كان محمد رضا عكس أبيه، ولما لم يستطع الإشراف علي الأملاك والأخذ بزمام الإشراف بنفسه، وقنع بتقسيم أملاك رضا خان بين الفلاحين أو الإنفاق وإقامة احتفالات الضيافة.

احتفل سنة ١٩٦٠ احتفالا عظيماً بالذكري الخامسة والعشرين لحكمه (التي فيها تقلد من مجلس إيران أيضا لقب "آريامهر" (*) وفي سنة ١٩٦٧ أقام مراسم باهظة التكاليف للتتويج، وأقام في سنة ١٩٦٩ احتفالاً بذكري الثلاثين للحكم وفى سنة ١٩٧١ مراسم ٢٥٠٠ سنة للملكية، وفي سنة ١٩٧٦ ذكري الخمسين للحكم البهلوي، خاصة أنه استطاع خلال أحداث احتفالات تخت جمشيد أن يقدم نفسه لرءوساء دول العالم كوراث لعرش إيران؛ بعد سنوات من الانتظار لينجح فى توطيد مشروعية سلطنته بشكل يفهم منه الجميع أن استمرار تاريخ إيران قد تجلى فى وجوده!

ولكثيرين اعتقاد بأن شخصية الشاه قد طرأ عليها بعد إقامة احتفالات تخت جمشيد تغيير عميق، ورافق هذا إفراط في الأبهة والعظمة، ولكن الأمر المحير في الحقيقة وكنت قد طرحته فى أوساط مختلفة، هو أنه ماحاجة الشاه لإ قامة مثل هده المراسم والاحتفالات المكلفة حتى يحقق عن طريقها الاعتبار والحيثية؟ ... ألم يستطع أن يحقق لنفسه الاعتبار والحيثية من تنفيذ البرامج العمرانية وتخفيض الفقر وإقامة المصانع وترك الأراضي للمزارعين، وتقليل البطالة وزيادة الدخل القومى؟

(*) آريامهر : شمس الآريين.

إنني شخصيا أقبل رأي الشاه فيما يتعلق بسبب تأخير تتويجه ٢٦ سنة والذي قال : إنه قد صبر هذه المدة ليتم تتويجه بعد تحسين وضع معيشة الشعب.

ولكن أتساءل بعد ذلك هل هذا التحسن الذي كان قد بدا في وضع الشعب بزعمه لا يمكن أن يمنحه الشخصية والاعتبار ؟.

للأسف لقد بدا غروره وتكبره خلال مراسم التتويج حتي أنه بدلاً من أن يضع علي رأسه التاج ممثل من قبل الشعب، رفع هو التاج ووضعه علي رأسه، وكان من الممكن- بذلك العمل- علي الأقل أن يظهر في أبسط حال أنه بالإضافة إلى مقام الإرث فهو أيضا اختيار الأمة (٥).

في أوائل عقد السبعينات (١٩٧٠) حيث كانت المملكة تتهيأ للتوجه صوب الليبرالية. وبدلاً من إبراز التشكيلات الديمقراطية وجه كل همه نحو إقامة احتفالات عظيمة في تخت جمشيد، وبدلاً من تقوية علاقته مع الشعب علي العكس من ذلك قطعها، وإثر ارتباطه بالماضى البعيد غفل تماما عن التوجه إلي واقع الأحوال.

لقائي الأول مع الشاه

كان أول لقاء لي مع الشاه في سنة ١٩٤٨ (١٣٢٧) خلال زيارته إلي دولة فرنسا.

عند لقائي بالشاه - الذي كان لا يزال شابا يافعاً - أتذكر أنني رأيته ذات مرة في بيروت قبل سنوات أيضا في ١٩٣٨ (١٣١٧) وبدا في نظري شاب خجول، وكان قد توقف في بيروت في طريقه من طهران إلى القاهرة للزواج من فوزية(*) (أخت الملك فاروق).

(*) فوزية هي الزوجة الأولي لمحمد رضا شاه والتي تزوجها في اسفند ١٣١٧ هـ.س وطلقها بعد ست سنوات ولم ينجب منها سوي ابنة واحدة، وقد غادرت طهران ولم تعد إليها احتجاجاً علي نزواته (شكست شاهانه ٢٢/٢٤)

وعندما قدم الشاه إلي باريس وكنت أعمل في سفارة إيران كمستشار، ولما كنت أعرف اللغة الفرنسية جيداً لذا كنت أتولي مهام مختلفة بالإضافة إلي عملي مثل مرافقة الإيرانيين في المطار، المباحثات التجارية مع وزارة الخارجية الفرنسية، تحرير مكاتبات السفارة - الاتصالات التليفونية (أكثرها دعوات للغذاء) وأعمال أخرى من هذا القبيل التي كان أكثرها وقت الفراغ ودون أجر.

استدعاني علي سهيلي سفير إيران فى فرنسا (رئيس الوزراء الأسبق - وصاحب سياسة القمع) قبل وصول الشاه بأسبوع إلي مكتبه، وقال: " ..... إن الشاه مثل أبيه لديه حساسية مفرطة من كتابات الصحافة ويجب ألا ننسي أن مقالين انتقاديين فى "لوس آموال" و "كانار آنشنه" (٦) كانا سبباً لقطع علاقات إيران وفرنسا، ولهذا السبب مهمتك أن تبلغ جميع الصحف وتطلب منهم ألا يكتبوا حول زيارة الشاه الى فرنسا مايسئ إليه ..."

وبدأت فور أمر السفير في العمل، وحقيقة يجب أن أقول: إنه لم يكن فى ذلك الوقت "سافاك" ولم تكن أمور إيران تجذب انتباه الصحف إليها، لذا لم يكن العمل الموكول اليّ في هذا الشأن صعباً، بالإضافة إلى إنني لدى أصدقاء في أغلب الصحف الفرنسبة، وأعلم ضمنيا أنه لا يستاء من الشاه إلا الصحف اليسارية؛ لأنه بعد سقوط الحكومة المؤقتة "لجمهورية آذربايجان" (التي كانت قد تشكلت في سنة ١٩٤٥ قبل مغادرة القوات الروسية شمال إيران) قامت حكومة الشاه بتصفية جميع الجماعات السياسية اليسارية في البلاد (٧).

ولكن لما كنت لا أعرف أحدا في إدارة مجلة "كانار آنشنه" عرضت الأمر مضطرا علي أحد أصدقائي في وزارة الخارجية الفرنسية وأخذت وعداً منه بالمساعدة وبعد صدور هذه المجلة رأيت أنها فقط قد كتبت عدة أسطر لا ضرر منها حول زيارة الشاه مضمونها تقريبا كان على هذه الشاكلة (نظرا لأنني ليس بين يدي النص (المكتوب):

......دق جرس الهاتف وحذرنا أحد المسئولين المعتمدين ألا نكتب شيئاً عن ضيف الدولة...وعندما اعترضنا واعتبرنا أن مثل هذا الأمر مغاير لحرية التعبير، أجاب: "لماذا لا تركبون سياراتكم ولا تذهبون إلى مكان ما لقضاء عطلة آخر الأسبوع؟ "ثم قال: "عندما تريدون أن تكتبوا شيئاً عن إيران حتماً يجب أن تتذكروا أن إيران لديها بترول".

وفى الختام نصحنا نصيحة أبوية لنفكر إلى أى حد تحتاج فرنسا للبترول (فى ذلك الوقت كانت المحروقات فى فرنسا بالكوبون).

عند زيارته لفرنسا بدأ الشاه وكأنه لايثق بنفسه كثيراً، وكان مرافقوه يذكرونه ما يجب أن يقول، ومع أن السفير سعى ليهتم بالتشريفات لكن سلوكه معه كأنما يهتم بطفل.

أدركت عند مشاهدة سلوك وقول الشاه : إنه يجب أن يكون شخصاً خجولاً لأنه يستمع إلى أحاديث الآخرين بدقة، ولكن عند الإجابة كان أكثر تردداً وكان يتفحص وجوه معارفه.

وخلال زيارته لباريس زار خلال يومين عصراً فى وقت فراغه عدة ملاهى ليلية، وقضى فترة فى التحدث إلى البنات المعروفات لأصدقائه ومنحهن هدايا قيمة أيضاً.

وبعد عدة أيام تناولت الغداء فى مجلس ضيافة مع واحدة من هؤلاء البنات اللائي قضين وقتاً مع الشاه، وأظهرت لى بكل فخر خاتماً من الماس كان الشاه قد أهداه إليها.

عندما جلس الشاه على عرش الحكم فى سنة ١٩٤١ استأنف السياسيون ورجال الدين نشاطهم، وبدأ كل منهم توجهه إلى الشاه.

فى ذلك الوقت على الرغم من إقامة انتخابات حرة شغل أكثرية المجلس الإقطاع وأتباعهم الذين قصروا جهودهم على أن تسير أمور البلاد تبعاً لهواهم، ومع ذلك كان

الشاه فى بداية حكمه غير راض تماماً عن هذا الوضع، مع هذا كان يدرك أنه لن يخرج الأمر من يده أبداً، ولما كانت إدارة شئون البلاد فى الواقع فى يد الإنجليز، وكان المال القليل الذى يقدمونه للحكومة مقابل امتياز استخراج البترول لم يكن كافياً مطلقاً لمحو الفقر والفاقة من المملكة.

إثر احتلال إيران - الشمال على يد الروس- والجنوب على يد الإنجليز - ظهرت ظروف لم تكن مختلفة عن أوضاع البلاد قبل وقوع الحرب العالمية الأولى. ومع أن المجلس قد أكد ثقته فى الوزراء، إلا أن أكثرهم كان له علاقة مع إحدى القوى العظمى، ليعمل الشاه مضطراً تحت نظرهم، وأدخلوه تحت سيطرتهم كأنما يواجه إخفاقاً.

كان هذا الوضع لا يمكن للشاه تحمله، وانتظر الفرصة المناسبة ليعتمد على نفسه ويستطيع أن يوضح للشعب أن هذه الفرصة قد سنحت له فيما حدث فى آذربايجان.

كان النظام المستقل قد استقر فى آذربايجان بحماية الروس الذين اضطروا لإخلاء المناطق التى تحت نفوذهم من الجيش الروسى بعد ضغط من قبل الأمريكان، وعقب ذلك أمر الشاه قيادة القوات العسكرية لإعادة تسخير آذربايجان، واستطاع فى سنة ١٩٤٧ أن يُبرز لأول مرة نفسه (٨) .

من اغتيال الشاه لسقوط مصدق:

استطاع الشاه فى سنة ١٩٤٩ (١٥ بهمن ١٣٢٧) أن ينجو من حادثة اغتيال (*)، ونجح فى القيام بمناورات ليحمي نفسه من طلقات قاتلة أطلقت عليه من مصور صحفى فى مراسم افتتاح الجامعة، وتركت فقط جروحاً طفيفة فى أذنه وكتفه وعضده.

(*) أطلقت خمس طلقات من مسدس صوب الشاه، أطلقها طالب جامعى يدعى فخر آرابى ، وذلك أثناء الاشتراك فى مراسم تأسيس جامعة طهران، وقد لجا منها (پاسخ به تاريخ ٨٦ - ١١٤) وكان ذلك فى فبراير ١٩٤٩ الموافق ١٥ بهمن ١٩٢٧. (الثورة الإيرانية د. إبراهيم شتا ص ١٧٩).

وبعد عدة سنوات أيضاً في ١٩٦٥م (*) (٢١ فروردين ١٣٤٤) نجا مرة أخرى من الموت بالصدفة عندما أطلق أحد جنود الحرس الرشاش صوب الشاه، هاتان الحادثتان كانتا سبباً في أن يعتقد الشاه في أن الله حاميه (١) وأن لديه شجاعة نادرة (١).

كان بين حاشية الشاه أشخاص يعتقدون أن مجلساً قادراً بأكثرية قوية في مواجهة حكومات ضعيفة يمكنه فقط أن يفتح الطريق أمام تسلل الشيوعيين، واستطاع عدد منهم الاستفادة من حادثة اغتيال الشاه سنة ١٩٤٩، ويجعلونه يقبل بأنه يجب أن يقلد والده، ويعمل على زياده قدرته الشخصية، ولما كانت الأحزاب اليسارية مقصرة في حادثة الاغتيال ، لذا استفاد الشاه من هذا الفرصة وعمل على القضاء وإلغاء شرعية أحزاب اليسار.

كان الإقطاع أحد الأسباب الرئيسية المحرضة للشاه للقضاء على أحزاب اليسار، وفي نفس الوقت سارعت أيضاً الحكومة الإنجليزية لمساعدة الشاه عن طريق "شركة نفط إنجلترا وإيران" واعتبروها بمثابة ورقة رابحة حتى يستفيدوا من وجوده لمد امتياز النفط دون مشاكل (وكان على وشك الانتهاء) (٩).

عندما حدثت مباحثات الحكومة مع شركة النفط الإنجليزية برزت مشاكل عدة منها عدم الاتفاق حول قيمة السهم الإيراني.

عندئذ نهض جماعة من النواب الوطنيين في المجلس بزعامة الدكتور محمد مصدق لمعارضة تهاون الحكومة في مباحثاتها مع شركة النفط الإنجليزية، وأعلنوا بأنه يجب تأميم صناعة البترول في إيران.

عقب هذا الأمر، أثار مصدق (**) المعارضة ضد عقد اتفاقية جديدة مع الإنجليز - بين الشعب وخاصة التجار- بإعلان بنود الحكومة في مباحثات البترول

(*) في ١٠ أبريل ١٩٦٤ هجم جندي يدعى شمس آبادي على الشاه وجرح اثنين من حراس الشاه وأصاب اثنين آخرين من حراس الحديقة، وقيل انه كان من اليساريين، وتم هذا في قصر المرمر في ٢١ فروردين سنة ١٣٤٤ هـ.ش (پاسخ به تاريخ ٣٢٧).

(**) انظر رأى الشاه في پاسخ به تاريخ ص ١٢٣ - ١٢٤.

ومؤامرات الإنجليز، ونهض رجال الدين أيضاً حتى لا يتكرر سيطرة الإنجليز على الأوضاع مرة ثانية كما كان فى عهد رضا شاه، لتأييد تأميم النفط (١٠).

استطاع الشاه عندئذ أن يسيطر تماماً على قوة الجيش، ولتهدئة الأوضاع أمر أحد ضباط الجيش الأقوياء ويدعى اللواء رزم آرا لتشكيل الوزارة، ولم يمر وقت لرئاسة رزم آرا للوزارة حتى اغتيل أثناء اشتراكه فى مجلس عزاء فى مسجد شاه.

واختار الشاه بعد قتل رزم آرا فى البداية أحد أتباعه ويدعى حسين علاء لرئاسة الوزاره، ولكن أحس فيما بعد أن الاضطرابات كل لحظة تأخذ أبعاداً خطيرة واضطر للرضوخ للضغوط التى تعرض لها من كل جانب من أن يستدعى الدكتور مصدق على الرغم من أنه كان فى الواقع مستاءً منه- ليشكل الوزارة (شدة استياء الشاه من مصدق وصلت إلى درجة أننى سمعت الشاه عدة مرات فى مواقف مختلفة يصفه بأنه "مسخرة آكل حق الإنجليز").

أجبر مصدق المجلس ليوافق بإجماع الآراء على قانون "تأميم النفط" (*) وبعدها آثار موجة من الفرح بين الشعب بإجبار الشاه بتوقيع هذا القانون (١١).

إن سلوك مصدق الملتوى مع استمرار أعمال الغش المتوالية، وقد كان من عادته الظهور وقت الراحة فى حجرة النوم، ولبس "البيچامة" عند استقبال الشخصيات الهامة، وكان إدوارد هريو" يقول عنه "مصدق مريض- صحيح تماماً" (١٢).

حقيقة أن بعض الإيرانيين أثناء تأميم النفط قد نظروا نظرة شك لاعتقادهم أن القوى العظمى تمسك بطرف خيط الأمور فى يدها، وكانوا يقولون: إن الشركات البترولية القوية غير الإنجليزية قد حركت إيران لفسخ اتفاقية بترول الجنوب- للسيطرة

(*) وافق المجلس الوطنى على التأميم فى ٢٩ (سفند ١٣٢٩ هـ.ش) (پاسخ به تاريخ ٤٥٤) يوافق ٢٠ مايو ١٩٥١.

لى سوق النفط، وليس هذا مستبعداً لأنه عندما وصلت اضطرابات مصدق غايتها، توجهت الطبقة الحاكمة وبعض القوى الأجنبية إلى الشاه لإنهاء ما حدث (١٣).

لتحقيق هذا الهدف فإن السى آى إيه دخل الحلبة لتدبير انقلاب، وفى بداية الأمر جاء "كرميت روزفلت" إلى طهران من قبل السى آى إيه ليبحث الإمكانات المتوفرة، ويجد الشخص المطلوب لخلافة مصدق.

بدأ روزفلت بعد تهيئة اللواء زاهدى كشخص أهل للثقة، وإعداد مؤامرة يتم خلالها خروج الشاه من البلاد بعد توقيع أمر برئاسة الوزراء لزاهدى، بتوزيع الأموال علي أشخاص مثل "شعبان بي مخ" ليهيىء جماعة من الأهالى العاديين لمصاحبة الجيش للقيام بالانقلاب.

لم تطل عمليات الانقلاب أكثر من يوم واحد وبعدها عاد الشاه إلى إيران عودة الفاتحين، وأسرع نفس الأشخاص لاستقباله في المطار واصطفوا لتقبيل حذاءه ؛ لأنهم كانوا حتى آخر لحظة يؤيدون دكتور مصدق! (١٤).

بعد ذلك ودون مراعاة للحقائق، على الرغم من إعلان الأمريكان أن الانقلاب قام على يده، أعلن أن "ثورة وطنية" قد حدثت، وبعد ذلك ليس هناك شاه بالوراثة بل بانتخاب الأمة.

عقب ذلك اتسعت دعايات الشاه حول هذا الأمر لدرجة أنه صدق نفسه، وبناء على ذلك ازدادت الرغبة للهروب من الحقائق التى تشور فى نفسه كل لحظة، وابتعد أكثر عن الواقع الموجود فى المملكة.

نحو الديكتاتورية:

ولكن نجاح انقلاب ١٩٥٣ (*) (٢٨ مرداد ٣٢) لم يحقق كل آمال الشاه المرجوة وعلى هذا لم تسر الأمور وفق مراده.

استولى المرض على اللواء زاهدى، وطغى الفساد مرة أخرى على كل مكان، وبلغ الضغط خاصة على الشيوعيين بين حزب توده إلى درجة لاتصدق (١٥) وأمسك الشاه بزمام الحكومة ليتخلص من شر زاهدى، ولكن الحقيقة أنه فى ذلك الوقت كان "لأردشسير" ابن اللواء زاهدى دور فعال فى مجال تنفيذ الانقلاب، وكان عاشقاً لـ "شهناز" (**) ابنة الشاه، وعرض بلطف عن طريق والده الزواج منها، وعقب ذلك أرسل الشاه صهره للاستفادة منه بدلاً من "علي أميني" فى سفارة إيران فى واشنطن(١٦).

وبعد ذلك وعندما داهم مرض قلبى اللواء زاهدى طلب منه الشاه أن يستقيل من منصبه، واختار مكانه أحد خدام البلاط اسمه دكتور إقبال كرئيس للوزارة (١٧).

كان دكتور إقبال شخصاً يذيل رسائله الموجهة للشاه دائماً بـ "العبد المخلص" وكان الشعب قد لقبه بهذه المناسبة بلقب "العبد- حلقة في الأذن".

أرسل الشاه اللواء زاهدى بعد إقالته كمندوب دائم لإيران فى المركز الأوروبى لمنظمة الأمم المتحدة فى جنيف ولم يبد زاهدى أبداً عدم رضاه لمنصبه الجديد، ولما كان له علاقة وطيدة بصالات القمار الموجودة فى جنيف، فقد اشترى أيضاً منزلاً بأموال الشاه هناك له واختيار موقعاً مناسباً له، ليجمع حوله أصدقاءه ليل نهار، ولم يتوجه مرة واحدة إلى مقر عمله فى "قصر الأمم" فى جنيف.

(*) انقلاب ١٩٧٣ يقصد به الانقلاب الذى قام به جهاز المخابرات المركزية الأمريكية للقضاء على مصدق وإعادة الشاه إلى الحكم.

(**) شهناز هى ابنة الملكة فوزية.

لقد دخل زاهدى مرة واحدة طوال فترة مهمته إلى "قصر الأمم" كان سببها فقط تقديم أوراق اعتماده إلى أمانة المركز الأوروبى لمنظمة الأمم، وعلى هذا ذكر عمله بأن تصدى بعض المسئولين الرسميين بواسطة الأفراد لا معنى له إلا إذا أراد النظام أن يبعدهم عن البلاد أو يمنحهم جائزة لخدماتهم.

ولكن عزل اللواء زاهدى عن رئاسة الوزارة قد أساء إساءة بالغة لأردشير، ذكر أحد أصدقائى- يرفض ذكر اسمه- أن أردشير بعد معرفة إقالة أبيه شرب كثيراً وأساء للشاه فى حضور جماعة وهو فى حالة سكر، وأسماه "جاهل بحق الملح" وقال: لدى وثائق ضد الشاه لو نشرت ستمحو كرامته، وقد أودعت هذه الوثائق أيضاً بنك سويسرى أمانة لاستخدامها عند الفرصة المناسبة (١٨).

على الرغم من إقالة زاهدى ساءت الأوضاع الاقتصادية للبلاد أكثر يوماً بعد يوم، على الرغم من أنه بعد سقوط مصدق تولى مسئولية استغلال نفط إيران مؤسسة مكونة من شركات غربية، لم يتعد دخل إيران من بيع البترول (بتسلم نصيب ٥٠٪) أكثر من المعدل السابق، ولكن بسبب الفساد الواسع وتعطل شئون البلاد ذهب كل دخل البترول هباءً، وأوشكت البلاد مرة أخرى على الإفلاس.

وكان ظهور استئجار العقارات والأراضى، قد أضر الاقتصاد، واستعرضت الطبقة الجديدة التى كانت قد أثرت عن هذا الطريق قوتها فى مواجهة قوة الإقطاع، كانت ميزانية الدولة تعتمد على المساعدات المالية الأمريكية، وكان أصحاب الأعمال الحرة يتلافون نقص العملة الحرة بالاقتراض من تجار السوق بفوائد باهظة، وتزايدت البطالة، وعقب ذلك تزايدت أيضاً الاضطرابات السياسية والاجتماعية، فى ذلك الوقت عين الشاه تحت ضغط الأمريكان وعلى أمل الحصول على مساعدات أكثر منهم - على أمينى رئيساً للوزارة، بدأ أمينى الذى لم يستطع مشاهدة تمركز السلطة فى يد الشاه- التوجه نحو الإصلاحات، ولكن بمجرد أن خطا "إرسنجاني" وزير الزراعة بوزارة أمينى)

خطوات نحو إصلاح الأراضى أثار عمداء الملاك الكبار والمستفيدين من الأرض، لذا لم يستطع أمينى أن يستمر طويلاً ، واختار الشاه بدلاً منه أحد مؤيديه الطائعين واسمه "أسد الله علم" لرئاسة الوزارة (١٩) .

أظهر الشاه منذ ذلك الوقت وما بعده أسلوبه الديكتاتورى، وخلالها قبض بنفسه على مهمة عزل وتعيين الأشخاص فى المناصب الهامة للملكة، وبدأ جهوداً لتنفيذ برامج الإصلاح أيضاً- التى تم إقرارها بالفعل على أساس الدراسات المقدمة من وزارة أمينى.

فى ذلك الحين على الرغم من أن بعض الرجال القدامى كانوا ضمن أعضاء الوزارة وحاشية الشاه، وحذروه من الاندفاع، ولكن الشاه نحاهم عن طريقه، وأحالهم للتقاعد، واستمر هكذا فى طريقه حتى ثار رجال الدين والتجار معاً ضد إصلاح الأراضى سنة ١٩٦٣ (١٥ خرداد ١٣٤٢) (*) وبعد أن سحق الشاه هذه الثورة بقسوة، سجن خمينى الذى كان المحرك الأصلى لها، ثم نفاه (٢٠).

وبعد فترة سحق تمرد عشائر القشقائى أيضاً على يد الجيش ونفى زعماءهم، ونال الشاه تأييد الشعب خلال الاستفتاء بأغلبية ٩٥٪ على برامجه الإصلاحية وهو مستريح البال (٢١). وعقب ذلك أيضاً ولكى يسد الطريق أمام نفوذ الرجال القدامى سلم الحكومة لجماعة من الشباب التكنوقراط على رأسهم "حسن علي منصور".

وأخضع الشاه خلال فترة رئاسة حسن على منصور الوزارة جميع الجماعات السياسية والاجتماعية التى تواجهه، ومثله مثل جميع الديكتاتوريين اعتمد أصلاً على جيش مطيع، وجهاز أمن عنيف ، وجماعة من الرجال السياسيين والمطيعين له وسلط منهجه التكنوقراطى على جميع الأمور الإدارية فى البلاد.

(*) ١٥ خرداد ١٣١٢ - تظاهر أعداد غفيرة من أهالى طهران وقم ورامين لاعتقال الإمام خمينى وهتفوا ضد الشاه (پاسخ به تاريخ ٤٥٧).

رافق تنفيذ هذا الأسلوب أن الشاه كان يفكر فى نظرة أخرى لا اختلاف فيها وذلك بالتفكير فى الرقابة بجميع مستوياتها على المثقفين والسياسيين والصحف ونواب المجلس وأخيراً على كل شعب.

كان الشاه لديه فرصة لاستمرار سيطرته بلا منازع وهى بأن يمسك بزمام تنفيذ البرامج الإصلاحية، واستطاع- دون كسب تأييد الشعب أن يبرىء علي الأقل نفسه فى نظر الأمة بسبب جميع قراراته، فى بداية الأمر يبدو أنه يستفيد من سيطرته وسطوته فى الطريق الصحيح، لذا على الرغم من إنه فى الظاهر مستبد ، ولكن فى الباطن هو ملك مثقف [٢٢](١).

اللقاء الثانى والثالث مع الشاه:

خلال التغييرات التى ظهرت على الشاه بعد الانقلاب التقيت بالشاه مرة ثانية فى فرنسا.

اللقاء الأول (الذى كان فى الوقت ثانى لقاء لى بالشاه) كان خلال زيارته لباريس فى سنة ١٩٥٩ (١٣٣٨) والتى تمت بناء على دعوة الجنرال ديجول.

فى ذلك الوقت على الرغم من مرور عدة سنوات على استقالتى من طاقم وزارة الخارجية، عملت بمنظمة اليونسكو، مع هذا التقيت بالشاه فى باريس لسببين، أحدهما بناء على طلب "نصر الله إنتظام" (سفير إيران فى فرنسا) لأعد له مسودة كلمة الشاه باللغة الفرنسية، وثانيهما كان لابد أن أحضر بصفتى نائب "الجمعية الإيرانية الفرنسية" وأشارك فى الاحتفالات الرسمية.

ذات مرة ذهبت مع فرنسيين أعضاء باللجنة التنفيذية "للجمعية" للتعرف على الشاه، ولما لم يكن يعرفنى ومثل الجميع عند المصافحة تكلم بالفرنسية ، لذا فضلت ألا يعرفنى، بعدها تحدث الشاه بعده كلمات حول أهمية العلاقات الثقافية بين إيران وفرنسا ، وعندما انتهى اللقاء، كنت مستعداً للخروج من صالة الاجتماع، رأيت الشاه

ينظر إلى نصر الله إنتظام، وقال باللغة الفارسية بلهجة المعجب بنفسه: "أترى كيف أذهلتهم بحديثى حول الأمور الثقافية؟!".

كان اللقاء الثالث مع الشاه فى سنة ١٩٦٢ خلال زيارته لباريس مع الملكة فرح (*) لافتتاح معرض "سبعة آلاف سنة للفن الإيراني" والتى خلالها قدمنى المدير العام لليونسكو للشاه كموظف إيرانى بالمنظمة بالإضافة إلى إعدادى لكلمة الشاه بالفرنسية، ثم اشتركت مرة فى حفل عشاء كان قد أعد من قبل الشاه على شرف الجنرال ديجول وحرمه، ولكن لم تسنح الفرصة لى خلالها للتحدث مع الشاه.

هذه المرة أحسست عند رؤية الشاه أنه أكثر ثقة بنفسه بالقياس للزيارتين السابقتين لفرنسا، ولماكنت فى ذلك الوقت قد ابتعدت عن إيران فترة وبالطبع لم أستطع أن أعرف أمور المملكة عن كثب لذا لم أهتم بما لدى الشاه من استعداد لتنفيذ برامجه الإصلاحية، وأنه على وشك السيطرة على الدولة والحكومة، ولكن اتضح فى زيارته الأخيرة لفرنسا من خلال سلوكه أن تغييرات كثيرة قد طرأت على شخصيته.

بعد ذلك عندما التحقت بطاقم وزارة الخارجية مرة ثانية، كنت أرى الشاه كثيراً سواء فى لقاءات خاصة أو مراسم رسمية، وخلال هذه اللقاءات أدركت أنه على الرغم من موقعه كحاكم بلا منازع لم يزل يستمع لآراء الآخرين وأحياناً لا يتضايق من تدليل حاشيته، ولكن منذ بداية عقد السبعينات ١٩٧٠ (١٣٥٠) طرأ تغيير على شخصية الشاه حتى لم ير منه فى نهاية عهد سلطنته إلا استبداد الرأى والغرور.

اوضاع البلاط فى سنة ١٩٦٥

فى سنة ١٩٦٥ (١٣٤٤) التقيت بالشاه بعد عدة أيام من عودتى من إيران وخلال هذا اللقاء الذى تم فى فيلا الأميرة أشرف (**)، تحدث معى الشاه عن مزايا ثورته البيضاء.

(*) الملكة فرح ديبا الزوجة الثالثة والأخيرة للشاه.

(**) أخت الشاه التوأم.

بينما كان يجلس على مائدة من المرمر وضع يديه تحت ركبته ولف قدميه على بعضهما وقال لي:"......يجب أن ننسى سوء الظنون السابقة ونضع أيدينا في يد بعض لننقذ المملكة من التخلف.." ثم أضاف: "عندما أصمم على أن أسير في الطريق الذي كنت قد حددته بأسرع من اليساريين، بناء على هذا كله يجب أن ترافقوني جميعاً وتعرفوا أن الاقتصاد والسياسة القائمان على الإقطاع قد وصلا للنهاية وبعدها يجب أن يجني كل شخص ثمرة عمله (١)".

وعندما ترك الشاه إليّ المنضدة ليلحق برفاقه في لعبة البلياردو نظر إليّ وقال كأنما هو مشغول بالحديث مع زعيم شيوعي: "يجب على جميع الشباب أن يقوموا بدور في تنفيذ هذا العمل العظيم".

في نفس تلك الأيام كانت الأميرة أشرف أيضاً قد بدأت نشاطات لجذب العناصر اليسارية، ولتطويع هؤلاء الذين أحسوا أن إبعادهم عن الساحة أمر باطل ومرفوض، خاصة أنهم مثل الآخرين قبلوا استمرار النظام ، وكانوا يرون أن على الشاه أن يهتم بالمعسكر الشرقي بالإضافة إلى توجهه نحو الغرب، ولهذا السبب لا يرون سبيلاً آخر سوى الارتباط بالنظام، وعلى الأقل يأملون أنه ربما عن هذا الطريق يستطيعون أن يهيئوا المجال لإقرار الديمقراطية من داخل النظام (٢٤).

في سنة ١٩٦٥ كانت أوضاع البلاط لم تزل قابلة للتحمل، وكان من الممكن مشاهدة نعيم الحياة عادة على الأشراف.

كانت الليالي التي يعقدها أغنياء إيران والدول الأخرى لإخوة وأخوات (*) الشاه لا تختلف كثيراً عن بعضها ، وعادة ما كان الضيوف خلالها يقوم بعضهم بعد تناول العشاء يلعب الورق والبقية ينشغلون بمشاهدة الأفلام.

(*) إخوة محمد رضا هم : غلام رضا وعلي رضا وعبد الرضا وأحمد رضا ومحمود رضا وحميد رضا ، والأخوات هن: همدم السلطنة وأشرف وشمس وفاطمة.

ولكننى كنت سابقاً انتقد الأعمال السينمائية، ودائماً كنت متحيراً من مزاج الشاه فى مشاهدته لأفلام العنف والرعب وأعمال "لويس دوفونس".

ذات ليلة كانوا يعرضون فيلم "زد" (عن قصة لثورة القادة فى اليونان) من أعمال "كوستا-جاروس" فى استراحة الأميرة فاطمة (*) ولم تكد تمر نصف ساعة من بداية الفيلم، الذى أثار عصبية الشاه عند رؤيته ، وأمر بإيقاف عرض الفيلم، ولهذا السبب منع مستورد فيلم "زد" أيضاً فيما بعد من عرضه فى دور عرض طهران حتى لاتأخذ نتائج عرضه بخناقة.

فى أحداث تلك الليلة كان مسئولو المملكة جميعاً مستعدين وتحت إبط كل منهم ملفٌ، ومنتظرين الفرصة ليستطيع أن يعرض خلال عدة دقائق مطالبه على الشاه، ويأخذ أوامره فيما يعترضه من أمور، وعند مشاهدتى الوضع الذى اختاره الشاه لإدارة شئون البلاد ، أصابتنى الحيرة.

على الرغم من أن الاتحاد والتضامن الظاهريين كانا ملاحظان بين أخوة وأخوات الشاه ، لكنه لاوجود لأى نوع من المحبة بينهم وبين بعضهم، لأنهم كانوا من أمهات مختلفات (**) وكان أكثرهم يذم الآخر فى جلساته الخاصة علانية وأنا شاهد على مثل هذه المواقف، وكنت أظن فى بداية الأمر أن المسألة نوع من المزاح ، ولكن بعد ذلك أدركت بقلق شديد أن عواقب هذا الاختلاف بين أفراد أسرة الشاه سيترك آثاراً سيئة على أوضاع البلاد.

(*) ابنة عصمت الملوك دولتشاهى وآخر بنات رضا شاه تلقت دراستها فى إيران وأمريكا وتزوجت من خسروخان قشقائى ولم ينجح هذا الزواج فتزوجت من أمريكى أسلم وسمى على هيلر ثم انفصلا وتزوجت من محمد خاتمى (زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٧٣-٧٤-٧٥).

(**) تزوج رضا شاه من صفية وتاج الملوك وتوران أمير سليمانى وعصمت الملوك.

كان لكل واحد من أمراء بهلوى تشكيلاً بمثابة بلاط صغير فيه خدم وحشم كثيرون ، وكان أتباعهم يتحلقون بهم، وكانوا لايكفون عن السعى لإشاعة أحساسيس الكراهية ضد أفراد الأسرة الحاكمة الآخرين.

فى البداية لم تكن أسرة الشاه تتدخل مباشرة فى الأمور التجارية والمعاملات إلى هذا الحد، ولكنهم كانوا متعاونون فقط مع أفراد فى جانب خاص، ودخلوا عن هذا الطريق، وكان الشاه أيضاً فى العادة مطلعاً على أمورهم.

ولكن مع مرور الوقت- وبشكل خفى- تغير هذا الوضع، حين تزايد سعر النفط وضعف تحكم الشاه على أسرته، فجأة ارتفع نهم الأمراء البهلويين للحصول على الثروة أيضاً كأنما لن يشبعا أبداً، وعقب ذلك عندما أثارت تصرفات الأسرة الحاكمة الطبقات المختلفة، وصل الأمر إلى إنه منذ سنة ١٩٧٧ ومابعدها جعلوا إيران مثل قطعة لحم بين قطيع من الكلاب الجوعى.

نقاط ضعف الشاه:

بينما كنت مشغولاً بتنظيم مذكراتى لفت نظرى وجود نقاط ضعف كثيرة عند الشاه، التى يجب أن يعد أهمها إحساسه بالحسد.

فى سنة ١٩٦١ (١٣٤٠) كان على أمينى أهلاً لبغض وحسد الشاه، بسبب علاقته مع جماعات سياسية مختلفة داخل وخارج البلاد، وبعدها فى سنة ١٩٦٧ شاعت شائعة تنامى قدرة على أمينى ثانية فى طهران، وقد شاهدت هذا الأمر على الشاه فى أحد لقاءاتى، ولكنه هون منها بلا مبالاه وقال:"أميني ليس سياسياً حقيقياً"، وعندما عينته على رئاسة الوزارة كان أول كلامه للشعب إعلان إفلاس المملكة، بينما السياسى لايجب أن يتكلم كى لايقلق الناس دون جدوى..." وأضاف مقطباً الجبين: "الأسوأ من كل هذا أنهم عندما أراهم فى أمريكا يسألوننى فى كل مكان أصل إليه أولاً عن حال وأحوال رئيس الوزراء، وكأنما لايحسبون لمعاملاتهم حساباً".

ومن نقاط ضعف الشاه الأخرى، إعطائه أهمية للأمور الفرعية جداً والتافهة لدرجة أنه كان يتصورها أحياناً كارثة.

فى سنة ١٩٦٨ عندما كنت منهمكاً فى الحديث مع الشاه ، وكنا نبحث خطة عقد مؤتمر حقوق الإنسان لمنظمة الأمم المتحدة- الذى سيعقد فى شهر مايو من نفس السنة فى طهران- فى البداية هز الشاه كتفه وقال: "لم لا؟" ولكن بعد لحظات من الصمت قال ثانية : "الحقيقة يجب أن تعرف هذا الظلم لأن الناس لايعرفون دورهم جيداً، ففى سنة ١٩٥٠ وقت رئاسة نصر الله انتظام للجمعية العامة للأمم المتحدة، ذهبت إلى هناك، سلك معى سلوكاً كأنما رفعه منصب رئاسته وأبعده ولم يعد يؤدى مهمته ويقبل يدى..".

إنه كان يعتقد أن إثنين من رؤساء أمريكا يستوجب انتقادهما ، أحدهما " فرانكلين روزفلت" الذى أجبر الشاه فى زيارته لإيران سنة ١٩٤٣ أن يذهب للقائه (بينما كان ستالين فى نفس الوقت يتجشم الصعاب للقاء الشاه"؛ والثانى "جون كنيدي" لأنه لم يكن يصف الشاه فى أى وقت بأنه شخصية هامة.

وكان الشاه مستاءً من جمال عبد الناصر أيضاً لأنه كان يهاجمه فى خطبه،وإذا جرى اسم عبد الناصر على لسان أحد فى مقابلته بدا عليه حاله عصبية على الفور.

فى عهد نظام الشاه كانت إيران الدولة الوحيدة التى كان لديها "وزارة حرب" (*) بدلاً من وزارة دفاع، وسبب ذلك ليس إلا لبغض الشاه لمصدق، لأنه كان فى عهد رئاسته للوزارة قد غير اسم هذه الوزارة إلى "وزارة الدفاع" ولم يستطع الشاه أن يتقبل الاسم الذى اختاره مصدق.

لم يكن لدى الشاه عيناً ليرى إنساناً يحبه الناس، وقد أغضب حب الناس لمصدق نجاحه فى تأميم بترول إيران الشاه، وأيضاً فيما يتعلق بحسن على منصور فقد

(*) لم تكن إيران فقط هى التى لديها وزارة حرب بل كان هناك العديد من الدول ، ومنهم مصر وظلت وزارة الحربية قائمة حتى عقد اتفاقية السلام مع إسرائيل.

ورد فى بعض الأوساط أن قتله بقدر ما سبب للشاه قلقاً أراحه ، لأن سلوك وأقوال منصور كانت من الممكن أن تجذب الكثيرين حوله.

وكانت حاسة الحسد عند الشاه قد بلغت حداً أنه كان يحسد زوجته أيضاً وأحياناً فيما تفعله، ومن الأفضل أن أشير إلى ما حدث، وعلمته أنا شخصياً:

فى سنة ١٩٧٣ انتقدت الشهبانو (*) خلال كلمة - كانت تذاع بالراديو والتلفاز- المتملقين والمنافقين، وأشارت إلى ضرورة إقرار حرية التعبير، ولكن الشاه استدعى أخى على الفور بعد هذا، وأمره: "قل للشهبانو فوراً : لايجب أن تتحدث مرة أخرى بمثل هذا الكلام" وقال لى أمير عباس قبل أن يتخذ أى خطوة : " قل لى ماذا أفعل؟ وكيف أسمح لنفسى بالتدخل فى أمور لا تخصنى؟ طالما الشاه لا يجد فى نفسه جرأة للفعل، وعندما يرى شخصاً آخر قادراً على فعل هذا الأمر لايستريح".

بالإضافة إلى ما ذكرته، فى شخصية الشاه، يلاحظ تناقضات كثيرة سببها أن كثيرين ينظرون إليها نظرات مختلفة عن الآخرين ، دين راسك (وزير خارجية أمريكا الأسبق) يعتبر الشاه أحد الرجال الأكثر معرفة فى العالم بعد رؤساء أمريكا، هنرى كيسنجر يعتبره ملكاً مستبداً ولكن "مثقفاً"، وليم سايمون (وزير خزانة أمريكا الأسبق) كان يعتقد أن الشاه أحمق، وطبقاً لما قالته: "سينتيا هولمز" (زوجة ريتشارد هولمز رئيس السى آى إيه وسفير أمريكا فى طهران): تتكون شخصية الشاه من عدة متناقضات (نيويورك تايمز بتاريخ ١٧ يناير ١٩٧٩) وأسباب أخرى من هذا القبيل...مع أنها أكثر مما قيل ، ولكن الحقيقة هى أن العيوب الموجودة فى شخصية الشاه وحتى أواخر عهد حكمه- وخاصة فى الشهور الثمانية الأخيرة، كان يجب ألا يسقط عنها الحجاب (٢٥).

عندما أنظر إلى الماضى، أدرك أنه يجب بحث واحدة من أهم نقاط ضعف الشاه وهى فى علاقته بأسرته وأصدقائه وأيضاً ، يجب الاهتمام بأن سلوك وأعمال أفراد

(*) فرح ديبا.

الأسرة الحاكمة وأصدقاء وأتباع الشاه لم يكن له تأثير فى تخريب قوائم سلطنته، وعندما كان هؤلاء يميلون لعمل شيء يقومون به وكان الشاه دون تفكير فى عواقب أعمالهم دائماً يغض الطرف عن أخطائهم.

بالإضافة إلى ذلك أنه كان ينظر إلى جميع أفراد الأسرة، وحاشيته ورجال الدولة وقواد الجيش أيضاً نظرة تأفف، وإذا أراد أن يذكرهم كان يحيل فى العادة هذه المهمة إلى آخرين، ذات مرة أثناء إجراء مناورة عسكرية استاء الشاه عند مشاهدة الشارب الكثيف لغلامرضا (*) (أخوه) وبدلاً من أن يعرض الأمر مباشرة عليه نظر لوزير بلاطه "علم "وطلب منه أن يقول لغلامرضا: إما أن تحلق شاربك أو تستقيل من الجيش.

فى موقف آخر، عندما أخبروا الشاه، أن رئيس التشريفات الملكية قد نال أموالاً طائلة لتلقيه هدايا غالية عند تسليم الميداليات والنياشين للأفراد فأصدر أمراً على الفور بعزل وحبس رئيس التشريفات، ولكن لما توسطت أم الشاه (**) ألغى الشاه أمره وقال: عند إطلاق سراح رئيس التشريفات للاستمرار فى أعماله، فقط هذه الجملة الكافية أنه": من الأفضل ألا تقع عينيه عليه مرة أخرى (٢٦).

عمى الذى التحق فيما بعد بالبلاط كان مرافقاً للشاه عند زيارته لإحدى المستشفيات الحديثة البناء منذ عدة سنوات، وعرف أنه فى هذه المستشفى جميع الأسرة مشغولة بالمرضى، وكان الأطباء والممرضات يعملون بجد، وبعد زيارة الشاه، كان عمى قد ترك قبعته فى المستشفى فاضطر للعودة ليأخذها من مكان الملابس، ولكن اندهش كثيراً لأن جميع الأسرة خالية وهؤلاء الذين كانوا يمددون على الأسرة كمرضى قد اختفوا!..قال عمى: عندما علم الشاه بما حدث هز كتفه بلا مبالاه تماماً وقال: لا تهتم كثيراً! إننى لا أقلق من هذه الأشياء !".

(*) كان غلام رضا شخصاً لايحب التسلط وكان مثقفاً وقد عهد إليه بولاية العهد قبل إنجابه لولى عهده، وقد شغل عدة مناصب فى الجيش (زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٥٣-٥٤).

(**) تاج الملوك.

فى حين لم يكن والد الشاه - على عكسه- لايهتم بمثل هذه الأمور، وفى هذا الصدد يذكرون: أن رضا شاه عندما جعل جميع المحافظين يعملون للزراعة فى أماكن محدودة لمحافظاتهم، توجه ذات مرة إلى نواحى عبادان بسيارة ليرى بعينه مزرعة نخيل جديدة قد تم زراعتها على جانب الطريق، أمر بالتوقف ومشى عدة خطوات بحجة دفع التعب حتى وقف بجوار إحدى النخلات واتكأ عليها بيده ، ولما لم تتحمل النخلة وسقطت، فهم الجميع أن محافظ خوزستان لكى يسعد رضا شاه اقتلع عدداً من النخل من مكان آخر وغرسها فى الرمال بجوار الطريق.

لكن لايوجد اختلافات كثيرة بين الأب والابن فى أمور أخرى، وكلاهما متشابهان فى جوانب كثيرة.

التشابه بين الأب والابن:

سعى الأب والابن ليجعلا المؤسسة العسكرية الموجودة تحت سيطرتهما ، مع أن كلامنهما أحياناً كان يمنح الأوسمة ويصدر أوامر العفو عن المسجونين أيضاً، لكن لم يكن سلوكهما فى كثير من أعمالهما إلا تعبيراً عن القسوة والعنف، مثلما سجن الشاه عدداً من مساعديه السابقين وقتلهم بعد ذلك، ونفى أيضاً جماعة من معارضيه، ومات بعضهم فى المنفى.

ويشابه محمد رضا بهلوى (*) أباه فى هذه الناحية، ولكن الإعدامات التى حدثت في عهد حكمه فاقت ما كان فى عهد رضا شاه، ويجب إضافة إعدام بعض معاونيه بعد الثورة أيضاً فى حسابه، لأنه قبض عليهم وسجنهم وبعد ذلك لجا بنفسه وتركهم.

(*) يقول محمد رضا فى كتابه مأموريت براى وطنم ص ٧٠: إن أبى كان خلافاً لما يظن ، رجلاً طيباً ورقيق القلب.

كان محمد رضا انطوائياً أكثر من أبيه (*) على الرغم من أن سنوات حكمه طالت، وكان يبتعد عن محادثة الآخرين- حتى عائلته، ولكن عوضاً عن ذلك كان يرغب أكثر فى محادثة الأجانب، ولهذا الأمر أدى إلى أن يزيد أكثر فى مراسم البلاط ويضفى عليها حالة من السرية.

كان لرضا فى آن واحد ثلاث زوجات (**)، وتزوج محمد رضا شاه أيضاً ثلاث (***)، ولكن تزوج كل واحدة بعد طلاق الأخرى.

سمعت فيما يتعلق بزوجتى الشاه الأولى والثانية (فوزية وثريا) أنهن كن يشتكين من خيانته وغدره، ويذكرون أن فوزية كانت أكثر إيذاء من الشاه ، والدليل على ذلك أنها رأته ذات مرة فى سنة ١٩٤٤ فى خلوة مع امرأة أخرى، ولهذا السبب عندما سافرت فوزية فى ربيع سنة ١٩٤٥ (١٣٢٤) لزيارة أسرتها فى مصر، لم ترجع إلى إيران ثانية، حتى صدر بيان رسمى من البلاط بطلاق الشاه من فوزية.

ويجب أن أذكر ما يتعلق بزواج الشاه من ثريا، ففى سنة ١٩٤٩ (١٣٢٨) عندما كنت أعمل فى سفارة إيران فى فرنسا، وذهبت ذات يوم إلى المطار لاستقبال الأميرة شمس وزوجها اللذين كانا قد وصلا مع عدد من الكلاب إلى باريس (يجب أن أضيف حول ذلك أيضاً أنه طبقاً لما كتبته الصحف أنه فى كل مكان سافرت إليه الأميرة شمس بالطائرة، كانت عادة تحجز كرسيين لتأمين راحة الكلاب التى برفقتهما) رأيت فى مطار باريس مع مرافقى الأميرة فتاة جميلة خجولة وطبقاً لما هو معمول كانت

(*) تقول زوجته الثانية ثريا : إن رضا شاه كان شخصية قوية، وكنا جميعاً نخافه، وكان كافياً أن ينظر إلى أحدنا ، كنا نخشاه كثيراً ومضطرين لإطاعته واحترامه حتى لو لم يكن لديه حق. (خاطرات ثريا ص ٦٣-٦٤).

(**) تاج الملوك وتوران وعصمت الملوك.

(***) فوزية وثريا إسفندياری وفرح ديبا.

مسئولية استقبالهم منوطة بى، ظل اسمها الذى كان مكتوباً فى جواز سفرها «ثريا إسفندياری بختیار عالقاً فى ذهنى، وبعدها أخبرنى سفير إيران أن ثريا ستكون زوجة الشاه القادمة.

قال السفير أيضاً : طالما أن أم ثريا ألمانية فإنها تعتبر أيضاً ألمانية، ويجب أن أشترى عدة قصص باللغة الألمانية وأرسلها لها إلى طهران، واخترت لها مع عدة كتب مؤلفات "توماس مان" أيضاً وأرسلتها إلى طهران، ولكن استدعانى السفير بعد فترة، وقال لى بلهجة قلقة مضطربة "لماذا كانت بعض الكتب التى أرسلتها لكتاب شيوعيين؟!" وحقيقة لم يكن هناك من فائدة لإخبار السفير بالأسباب، طالما أن رجال إيران فى ذلك الوقت كان أغلبهم يجهلون الأعمال الأدبية العالمية.

أحيت مراسم زواج الشاه وثريا فى قصر الجلستان أساطير "ألف ليلة وليلة" فى الذكريات، ولكن حين غادرت ثريا إيران فى سنة ١٩٥٨ (١٣٣٧) جرت الشائعات حول سبب انفصالها عن الشاه على الألسنة.

الشائعة التى انتشرت من قبل البلاط تذكر أنه لما كانت ثريا عقيماً ويريد الشاه أن يتزوج من أخرى لينجب ابناً لخلافته، ولكن البعض الآخر كانوا يعتقدون أن علاقات الشاه بالنساء الأخريات قد أدى أيضاً إلى فضيحة، ولما كنت فى ذلك الوقت لا أعرف شيئاً عن الحياة الخاصة بالشاه لم أهتم كثيراً بمثل هذه الشائعات.

بعد ذلك سمعت كثيراً عن نزوات الشاه من هذا وذاك، وأخبرنى عدد من معاونى أن أردشير زاهدى وأسد الله علم مسئولان عن إعداد مجالس اللهو له، ولكن مع هذا لم أستطع أن أصدق هذا الأمر فى ذلك الحين، حتى التقيت فى سنة ١٩٥٩ فى نيويورك مع امرأة أمريكية كانت تدرس الإنجليزية لسنوات فى طهران، وسمعت منها أنها خلال فترة إقامتها فى طهران دعاها علم ذات ليلة للاشتراك فى ضيافته فى منزله، وهناك أحسن استقبالها وتكريمها وقادها إلى غرفة استقبال لم يكن فيها أحد، وبمجرد أن خرج علم من الغرفة فتح باب آخر ودخل الشاه، ولكن لما لم يستطع الشاه بعد مدة أن يهدئها، غادر الغرفة وذهب.

ثروة أسرة بهلوى:

كان رضا خان محباً جداً لجمع المال، وكما ذكرت من قبل أنه استولى طوال فترة حكمه على أملاك كثيرة من الشعب، وضمها إلى أملاكه، ولكن ما قدر ثروة محمد رضا؟ يجب أن أقول أنه فيما يتعلق بمقدار ثروته فقد نشرت الصحف أرقاماً فلكية.

على سبيل المثال، ادعت صحيفة نيويورك تايمز فى عددها المؤرخ فى ١٠ يناير ١٩٧٩ استناداً إلى ماقالته مصادر بنكية عالمية أن:"....الأوراق المالية الخاصة بالشاه فقط تقدر بمليار دولار، وقد نُقل أيضاً مبلغ ما بين ٢ إلى ٤ مليار دولار فقط خلال السنتين الأخيرتين على يد الأسرة الحاكمة من إيران إلى أمريكا....".

طبقاً للشائعات المنتشرة أن "مؤسسة بهلوي" كانت تشكل أهم جزء من ثروة الشاه لأن هذه المؤسسة كانت كلها فى إقطاعاته، وقد أشار التقرير الذى نشره معارضو النظام فى خريف سنة ١٩٧٨ (١٣٥٧) أن مؤسسة بهلوى وأسرة الشاه من المساهمين الرئيسيين لأكثر المؤسسات والشركات الموجودة في إيران:

وفى هذا التقرير، ليس فى مقدورى أن أؤكد كل ما جاء فيه، وقد أشار الفهرس بارتفاع رؤوس أموال أسرة بهلوى لدرجة أن ما يتعلق بمؤسسة بهلوى وأفراد أسرة الشاه على النحو التالى: الأسهم الرئيسية لـ١٧ بنك وشركة تأمين، ٢٥ مصنع، ٨ شركات استخراج المعادن، ١٠ مصانع لمستلزمات البناء، ٤٥ شركة مقاولات للطرق والبناء، وكثير من المؤسسات الأخرى فى إيران.

وأورد التقرير أمراء بهلوى القائمين بالدلالة والوساطة أو الشراكة من أجل العمولة من الشركات المختلفة، وقد نشر هذا القسم من التقرير فى طهران فى أواخر ديسمبر ١٩٧٨ (آذر ١٣٥٧).

استطاعت الأميرة أشرف عن طريق ابنها الأكبر (شهرام) (*) أن تحصل على عملات ضخمة نظير عقد اتفاق مقاولات مع عدد من الشركات العالمية الكبرى، ومبيعات شركة "داسو" الفرنسية لإيران، ومشروع محطة الطاقة الحرارية ببناء شركة "براون باوري" السويسرية ، ومقاولة منشآت ميناء چاه بهار على يد شركة "براون أندروت" ونجحت الأميرة شمس من استعمال نفوذها لتعدل خط سير طريق طهران - كرج حتى يمر وسط أملاكها لتتمكن من أن تبيع أراضيها بسعر مضاعف عما هو معمول به لمشترين معروفين، كما كانت تحصل على نفقات سفرياتها الباهظة أيضاً من ميزانية "منظمة الشمس والأسد الحمراء" (الهلال الأحمر).

وفى هذا القسم الذى أفشى مسائل كثيرة، جاء فيه: أن محمود رضا على الرغم من حصوله على امتياز زراعة الأفيون، كان يبيع إنتاج أملاكه فى السوق السوداء، وفى جنوب مدينة طهران كان غلام رضا يعمل فى بناء الشقق وبيعها للناس، وتلقى الأمير عبد الرضا (**) رشوة من الشركات اليابانية ليهيء لهم فى إيران تسهيلات تجارية، كما تلقى أيضاً عمولات فى تأسيس مصنع لصناعة الورق ومترو طهران.

وقبل ذلك كان قد أشيع فى أوائل سنة ١٩٧٥ (١٣٥٤) فى كل أنحاء المملكة أن أسرة الشاه لها مصالح بشكل مباشر أو غير مباشر فى أكثر من نصف الأنشطة الاقتصادية للبلاد.

(*) شهرام بهلوى نيا ابن على قوام وكان يعمل فى القوات البحرية، وعمل نائباً لقائد القوات الجوية وفر إلى باريس بعد قيام الثورة الإسلامية حيث تم اغتياله.

(**) عبد الرضا ابن عصمت الملوك- وصفته التقارير السرية للسفارة الأمريكية فى طهران أنه أفضل آل بهلوى ثقافة وفكراً وكان هذا سبباً فى حسد الشاه له. (زندگى پرماجراى رضا شاه ج١ ص ٦٤).

فى ذلك الحين على الرغم من أنه يبدو وجود رقم مبالغ فيه أكثر فيما يتعلق بمصالح أسرة بهلوى، الحقيقة أنه لم يكن متوفراً وسائل إدراك صحة أو خطأ هذا الرقم، ومع هذا اتضح أن رجال البلاط لا يمكنهم مطلقاً أن ينفقوا بدخول معتادة بمثل هذا البذخ.

أرانى أخى فى سنة ١٩٧٧ (١٣٥٩) وثائق تثبت أن أفراد أسرة الشاه يشتركون فى معاملات غير قانونية، حقيقة فى نظرى أن عدم قانونية أنشطتهم كان متعارضاً مع الأمر الصادر من قبل الشاه سنة ١٩٥٩، والذى على أساسه لايحق لأى من موظفى الدولة وأفراد الأسرة الحاكمة حق الاشتراك فى المعاملات الحكومية.

قال أمير عباس: فى سنة ١٩٧١ (١٣٥٠) عرض هذه المسألة على الشاه وعلى الرغم من أن يده كانت مغلولة تماماً أمر بأن يوقف رئيس الوزراء نشاط عدة مؤسسات لبيع العقارات التى تتعلق بالأمراء وأعضاء البلاط ولكنهم استطاعوا بعد فترة قصيرة أن يستأنفوا عملهم ثانية وأدى نتيجة هذا إلى أن ناصب جميع الأفراد والتابعون للبلاط العداء، لأمير عباس.

بعد تعيين أخى وزيراً للبلاط، اهتم بالوضع الذى كان يسود كازينوهات إيران وصمم على أن يتدخل فى شئونها، وبعدها سمعت منه أنه كان يهدف فى الواقع أن يمنع استمرار عمل الكازينوهات.

وبدأ أمير عباس فى أغسطس ١٩٧٨ (أواخر مرداد ٥٧) خطواته بشأن الكازينو الذى كانت الأميرة أشرف شريكة فيه، وقبل عزله من وزارة البلاط بعدة أسابيع سلم صورة لقرار مرتبط بإدارة أمور صالة القمار- لبحثه عن طريق الخبراء لبحث النقاط المتعارضة مع القانون فى نص قرار عمل الكازينو- ليجد طريقه للإغلاق، ولما كان أخى يؤمن بأن لعب القمار مخالف لقانون الإسلام (!) وأن استمرار عمل صالات القمار استطاع أن يلحق الضرر بالشاه والمملكة (!) ولكن بعزله عن وزارة البلاط تم إهمال هذه القضية [٢٧].

على كل حال لم يكن هناك سر خفى لكى تضرب أسره الشاه، بتدخلها فى شئون التجارة والسيطرة على المعاملات المختلفة، عرض الحائط، ومع أن جميع الشعب الإيرانى تقريباً كان يعرف مايحدث، ولكن رجال البلاط كان فى تصورهم أن مثل هذه الأمور لايمكن أن تصيب مكانة الشاه بأقل أذى.

فى نفس هذا الوقت سمعت خلال لقاء لى مع تاجر هندى فى منزل أحد أصدقائي الأمريكان- أن لديه معلومات كثيرة عن أحوال إيران وهى أن: "أسرة الشاه بسيطرتها وحصر المعاملات ذات الفائدة فى إيران لصالحها، قد أبعدت جماعة من مساعديهم كأعداء لهم، وعندما يسعى شخص منفرداً للاستفادة من المعاملة، يتدخل أمراء بهلوى فوراً فى الأمر، ويحرمونه المنفعة.......".

ويشبه التاجر الهندى ما يحدث فى بلاط إيران بمعاملات "سنجاى غاندى" (*) فى الهند.

الابوة :

كانت حالة الأبوية من الخصوصيات الأخرى البارزة فى شخصية الشاه والتى رأيت آثارها خلال زيارة الشاه لنيويورك فى خريف سنة ١٩٦٩ (١٣٤٨) رأى العين.

فى ذلك الوقت كنت أعمل ضمن أعضاء وفد إيران فى منظمة الأمم المتحدة وكان أردشير زاهدى أيضاً قد جاء إلى نيويورك بصفته وزيراً للخارجية مع الشاه.

خلال لقائى الذى تم فى مطعم برج فندق "والدورف آستوريا" مع أردشير زاهدى تحدث معى معرباً عن سعادته البالغة من استضافة الشاه الخاصة على شرف "أوثانت" (الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة آنذاك) قال لى:"....أتعرف كم كان مهماً عقد مثل هذه الضيافة، حتى يقوم جلالته بإظهار الرضا السامى ليشملنا برعايته، ولكن يجب

(*) ابن انديرا غاندى وكان طياراً ، وقد سقطت به طائرته ومات.

أن أعترف أنه على الرغم من عدم تقديم الحلوى ، لكن الأشياء الأخرى كانت نور على نور، عندما رأيت أنه بعد الغذاء قدمت الحلوى مع العلم أن جلالته لايحب الحلوى ويفضل الحليب المجمد، لذا نبهت هما (زوجة مهدى وكيل - سفير إيران فى منظمة الأمم)إلى هذا الأمر بإعطائها ورقة على الفور، ولكن بعدها تعجبت تماماً لأن الخدم قدموا الحليب المجمد لجلالته فقط، وكان السيد أوثانت شاهداً لذلك، ومع ذلك تظاهر بعدم الاهتمام، حقيقة فى نهاية الضيافة قلت للخدم لماذا أحضرتم الحليب المجمد فقط لجلالته وأهملتم أوثانت؟...ويجب إن أقول أن غير هذا الأمر صار كل شيء حسناً وطيباً ، وسر جلالته من هذه الضيافة، ولكن فيما بعد يجب أن أهتم بالخدم الملمين بالآداب والأكثر خبرة....".

عندما انتهى أردشير زاهدى من وصف ما حدث فى الضيافة، سألته عن مباحثات الشاه وأوثانت على مائدة الغذاء، ولكنه لم يستطع أن يعطى جوابا سليما، ووجه إلىّ فقط هذا الكلام من أنه : طالما كانت كل حواسه موجهة نحو الحفاوة فلم يعلق بذهنه شئ حول مباحثاتهما.

وفى نظرى لم يكن أردشير زاهدى فى الواقع على استعداد لفهم الأمور السياسية، ولو اختار وظيفة تقديم الخدمات كان من المؤكد أن يترقى أكثر، ولا أنسى فى يناير ١٩٧٠ أنه عندما كنا معه ومع عدة أشخاص آخرين لبحث مسألة البحرين(*) فى حضور الشاه، أبدى أردشير زاهدى وجهات نظر رد عليها الشاه بلهجة قاسية وقال: أنت لا تعرف شيئاً كم أنت تشبه دون كيشوت؟"وبعد أن انتهينا من هذه الجلسة نظر إلى أردشير وسأل باستنكار" حقيقة ماذا يعنى جلالته من تشبيهى بدون كيشوت؟ هل كان دون كيشوت رجلاً ظالماً؟!.

فى ذلك اليوم الذى تحدثت فيه مع أردشير زاهدى فى مطعم فندق "والدورف

(*) كان الشاه يعتبر البحرين جزءا من إيران.

آستوريا" أبلغنا "مهدي وكيل" (سفير إيران فى منظمة الأمم) بنفسه، وقال لنا والبسمة فوق الشفاه: "ألا تعلمون أن جلالته كم أكرمنى وأبدى رضاه من أفعالى؟ "وبعد لحظة لحق بنا قنصل إيران فى نيويورك، فقال بسرورجم "أتظنون لماذا أنا سعيد إلى هذا الحد، أتعلمون أن جلالته مسرور من مشاهدة أعمالنا فى القنصلية لدرجة أنه باركنى وأبدى سعادته من أفعالى.....".

كانت هذه الحركات حقيقة مثل حركات الأطفال الصغار، لأنه إذا مسح الأب يده عطفاً على رؤوسهم، فإنهم من شدة السعادة لا يعرفون الرأس من القدم، مستعدين أن يعملوا بأى شكل ليستمعوا إلى كلمة عطف من الأب.

كان الدخول إلى البلاط شبيهاً جداً بالعودة إلى مرحلة الطفولة، وكانت حالة أبوة الشاه قد أظهرت هناك حالة لدرجة أن كل شخص عمل عملاً لا يهدف منه إلا جذب نظر الشاه وكسب رضاه، وكانت هذه المسألة قد امتدت بالإضافة إلى البلاط، وعمت أيضاً المجتمع، وبدأ أكثر الناس وكأنما يؤدون الأعمال فقط لإرضاء من هم فوق.

وكانت ثورة الشباب الإيرانى ضد الشاه أيضاً -وفى الحقيقة- ثورة ضد نفس هذه العلاقة.

التغيير الكبير:

حاولت فى هذا الفصل إلى حد ما أن أحلل شخصية الشاه استناداً إلى بعض الأمور والخواطر، وما توفر لدى، وأيضاً رسم صورة له مركبة من التناقضات والقسوة ونقاط الضعف التى ظهرت فى ذلك الحين فى سلوكه وأفكاره، ومنها ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أن الشاه أيضاً له طبع مثل باقى الناس، وطبعاً فى مسيرة حياته مثل الآخرين يمكن أن تظهر جوانب ضعف وقوة.

ولكن المشكلة هنا هى أنه فى بحث سلوك وشخصية الشاه على الأقل حتى بداية عقد السبعينات ١٩٧٠ (١٣٥٠) علينا ألا نهمل الأسباب التى هى علامة ضعفه

المفرط فى حل المشكلات المحيطة به، وبينما كان الشاه منذ بداية حكمه حتى ذلك الوقت مثل جميع البشر كان يغير مواقفه وأفكاره مرات، وبسبب موقعه الخاص فإن هذه التغييرات كانت تترك أثراً على شئون الحكومة والبلاد ، وهذه المسألة كانت أمراً بديهياً بالنسبة له قياساً مع حكام العالم، لكن اختيار العزلة والابتعاد عن المقربين والانفصال عن الناس أيضاً كانت من الخصائص غير القابلة للاجتناب من شخص فى موقع الشاه.

ولكن فيما يخص الشاه كان واضحاً على وجه الخصوص أن شخصيته بعد إقامة مراسم الاحتفال بذكرى ٢٥٠٠ سنة فى تخت جمشيد قد تغيرت تماماً، ولا يمكن تحديد تاريخ دقيق لهذا التغيير النفسى، لكن على الأقل يمكن أن تعتبر زيارة نيكسون لإيران في سنة **١٩٧٢** نقطة تحول له، كما تعتبر الأحداث المنتهية بمضاعفة سعر البترول إلى أربعة أضعاف في سنوات **١٩٧٣** و **١٩٧٤** أيضاً كسبب آخر لتسريع تغيير الشاه.

وقبل ظهور مثل هذا التغييرات فقد هيأت بعض الأسباب الواضحة أيضاً فى سلوك الشاه مجال تغييره فيما بعد وإذا أردت أن أصرف نظرى شخصياً عن الحكم، يجب أن أقول : إن بعض المصاعب، وعدم الاهتمام بالواقع واللامبالاه بالرأى العام كان لها دخل فى هذا الأمر، هذه العوامل الثلاثة أيضاً هى البلاء الذى يأخذ عادة بخناق الديكتاتوريين، أو بطول عهد سيطرة السياسيين.

بالإشارة إلى الأحاديث الصحفية التى أدلى بها الشاه بعد سنة **١٩٧٤** (**١٣٥٣**) كان هذا السؤال مطروحاً هل كان يعانى من جنون السلطة، أم أنه كان أسيراً قبيل تصلب شرايين المخ؟ لست واثقاً من أيهما! ولكن إذا لم يكن مثل هذا، فكيف أمكنه أن يقول : هل نحن في إيران بدلنا المتاعب البدنية بالمتاعب النفسية؟ أو يهاجم الغرب ويتهمهم بالجهل؟ أو يجرى على لسانه كلاماً بذيئاً ضد النساء ورجال الدين؟ أو يتهم مصدق بأنه "عميل الإنجليز"؟ أو يبدى آراء فجة لا يمكن سماعها وتصديقها على لسان رئيس مملكة؟

كان الشاه يقلل قدر المستطاع من تعاطفه واهتمامه بأقوال الشعب والرأى العام، ويتعمق أكثر فى دنيا الأوهام والخيال التى يصنعها لنفسه، والأشخاص المشابهون لذلك يعانون من داء العظمة أو الشيزوفرنيا.

إننى هنا لاأقصد أن أشخص نوع مرض الشاه ، ولكن لأعرف تحليل حالاته النفسية للوقوف على أسباب التغيير فى شخصيته، وطبقاً لما أراه فى كراسة مذكراتى فإنه فى يوم ٢ أكتوبر ١٩٦٩ (١٠ مهر ١٣٤٨) بعد سماع الكلمة العجيبة والغريبة للشاه قد كتبت عنها مايلى:

....هكذا يبدو أن الشاه قد أصبح فى الواقع أسيراً لأفكار ما يراه، أفكاره الخيالية يصل تصديقه لها كأنها عين الواقع، منذ يومين قال الشاه فى جمع من الضباط: "عند الهجوم على إيران يجب علينا أن نكون مستعدين للدفاع التخريبى" عنها، ونقوم بتنفيذ سياسة "الأرض المحروقة" ولو كنا قد قمنا بهذا الأمر فى شهر يور ١٣٢٠ فمن المؤكد ما استطاع الحلفاء الاعتداء علينا (٢٩).

فى نظر الشاه أن الحلفاء كانوا قد دخلوا إيران لاحتلال الأرض، بينما لم يكن هجومهم علي إيران إلا بهدف تأمين خط الاتصال لتوصيل الإمدادات والمعدات إلى جبهة القتال، وغير معلوم ماذا يجب أن يخرب إيران من أشياء حتى لا تسقط فى يد الحلفاء (٣٠).

لقد وصلت الأفكار الخيالية للشاه درجة أنه لايتعفف حتى عن تحريف الوقائع الماضية، وعندما يدرك أن مركزه قد تعرض للخطر من قبل البعض فإنه بناء على هذه الأفكار يوضح أنه أصلاً غير قادر على تحمل الأمور المخالفة لأفكاره الخيالية.

إن اعتماد الشاه على القيادة الأبوية فى الحكومة قد قادته أكثر من قبل نحو التشريفات وإقامة مراسم معقدة، ومع ذلك فقد شغل ذهنه وفكرة بألا يبعد فكره وجود

"الأب" أس المملكة ويلغى الأسباب المختلفة المرتبطة بذلك، وهذا نفسه علامة الهم الذى يتكرر فى العالم الثالث دائماً، ويجبر الشعب على قبول مثل هذا الأمر ، وإذا أرادوا التنمية والتطور، فهم مضطرون أن يبحثوا عن الأبوة لتهيىء مجال انسجام واتحاد الشعب....

وقد رأيت مدى انطباق أفكاره سنة ١٩٦٩ وما بعد هذا التاريخ عن الأوضاع والأحوال الجارية فى إيران، ويجب أن أقول: كان هدفى أصلاً من الارتباط بالنظام فى سنة ١٩٦٥ (١٣٤٤) فقط مشاهدة الوضع الذى ظهر مرتبطاً بتنفيذ إصلاح الأرض فى البلاد، وكان سبباً فى تقوية هذه الفكرة فى داخلى من أنه طالما أن الشاه كان يسير فى الطريق الصحيح لماذا أرغب أصدقائي أيضاً على الرغم من اختلاف وجهات النظر السياسية لنشترك فى التنمية الاقتصادية وفى الأنشطة الاجتماعية.

وبالعودة إلى سلسة التحقيقات التى انتشرت في سنة ١٩٤٥ (١٣٢٤) تحت عنوان "أزمة الإقطاع فى إيران" وبالإشارة إلى المضمون الذى ملأ كل تاريخ إيران من الصراع بين الإقطاع والسلطة المركزية الحاكمة، كنت قد كتبت: "إن هذا الصراع فى بعض الأحوال المعينة وبشكل لا يمكن تجنبه قد أصبح سبباً لإقرار نوع من توازن القوى في البلاد ، ولكن تكثر وتقل الاضطرابات في بقية مجالات تنظيم وتنسيق الأمور" وبعدها طرحت هذا السؤال وهو " هل سيكون لدى سلطة حكمت ٤٠ سنة الأخيرة في إيران مثل سابقتها راسخة ومغامرة ؟ أو على العكس من ذلك إنها ستواجه طفرة كيفية، مع إيجاد وضع أفضل وتوازن جديد للمجتمع في طريق التنمية والتطور، وسيتلافى قرون تخلف البلاد ؟ " (٣١) .

ولكن بعد مدة انتهى ارتباطي وأصدقائي بالنظام ، وكنت للأسف قد شاهدت كثيرا من التغييرات المختلفة التي بدأت تظهر في شخصية الشاه، وأبعدت ظنونه خاصة فيما يتعلق بالسير على نمط الهخامنشيين - كلية عن الطريق الصحيح .

وبالعودة الى آخر كتاب للشاه (نحو الحضارة العظمى)(*) يوجد أسباب عديدة توضح بجلاء أفكاره وادعاءاته الجنونية ، يقول:

" إن المشاركة الوطنية في جميع أمور المملكة وحكم الشعب بالشعب، تحققت الآن في جميع مستويات الحياة الاجتماعية من أدنى المستويات الى أعلى المستويات، الشعب الإيراني ينتخب نوابه بحرية ، ويعبر عن آرائه من خلال المؤسسات الحزبية وعن طريق وسائل الإعلام بحرية تامة، ومنطقيا أن هذا هو أكمل أنواع الديمقراطية التي يمكن أن توجد " (٣٢) .

في نظرى أن نقل أجزاء من كتاب " نحو الحضارة العظمى " ليس كافيا لمعرفة القصص الخيالية للشاه في السنوات الأخيرة لحكمه ، ولا يوجد سبيل أفضل من مطالعة جميع أجزاء هذا الكتاب.

ولكن الأمر الأكثر إثارة هو توجهات القرارات السياسية للشاه التي كانت سببا في إثارة تشاؤمه عامة، طبقا لذلك إنه في سنة ١٩٧٥ وبعد عدة سنوات من النزاع مع العراق حول قضية تقسيم مجرى شط العرب، وصل الشاه بشكل مفاجيء وخلال نصف يوم فقط خلال حضوره جلسة رؤساء أوبك الذي عقد في الجزائر الى اتفاق مع صدام حسين، وقام عقب ذلك بالكف عن حماية أكراد العراق مؤيدى "ملا مصطفي البرزاني" خلال ليلة واحدة مما أثار دهشة الجميع حتى هنرى كيسنجر ومعاونيه (٢٣) وعقب ذلك أيضاً عندما اتهمه الرأى العام العالمى بنقض العهد، هز كتفه بلا مبالاة ورد بلهجة كمن لا يقيده قيود: لما كان الأكراد قد تبعوه،لذا لم يعد لديهم رغبة في استمرار الحرب مع حكومة العراق.

ما حدث مثال بارز عن سياسة إدارة الشاه لشئون البلاد ، وتوضح أنه كيف اتخذ هذا القرار من جانب واحد دون اهتمام برأى مستشاريه أو حتى عرض المسألة على

(*) سوى تمدن بزرگ.

الشعب، ونفذه ، وكان الشاه دائماً يفضل رأ يه ومطالبه التى كانت عادة تتعارض مع مصالح البلد- على كل شيء ، وفى الحقيقة يمكن القول: كانت عقيدته هى: أن الشاه يتخذ القرار والبقية يطيعون.

بعد تزايد سعر البترول، عندما أدرك الشاه أنه سيكون قادراً بامتلاكه المال الكثير لفعل كل شيء، ومع مرور الأيام تحول أمره إلى أن أصبح واحداً من أغنى أغنياء العالم، وأحياناً كان ينطوى على نفسه طويلاً ليفكر فى المستقبل، وفى كل وقت يخرج من هذه الحالة كان يطرح برامج متنوعة.

على هذا الأساس طرح الشاه فى سنة ١٩٧٦ (١٣٥٥) خطة "الحضارة العظمي"وكتب فى وصفها: "....الحضارة العظمى تعنى المدنية التى فيها يستخدمون أفضل عناصر العلم والمعرفة البشرية لتأمين أعلى مستوى للحياة المادية والمعنوية لجميع أفراد المجتمع....." (١).

عموماً فإن كتاب "نحو الحضارة العظمي" هو نوع من حل عقد الشاه السابقة وترديد المطالب التى كانت قبلاً قد كررها مرات: من جملتها أيضاً يجب أن أشير إلى أنه قال فى حديث صحفى مع صحيفة "فيجارو" (طبعة باريس) فى سنة ١٩٥٩ (١٣٣٨): ".....امنحونى فرصة عشر سنوات لأحول إيران مرة أخرى إلى إحدى القوى العظمى فى العالم (العدد المؤرخ بتاريخ ٩ يوليو ١٩٥٩ الفيجارو).

إن أوهام العظمة قد أبعدت الشاه عن الحقائق لدرجة أن جهاز السى آى إيه أيضاً كان قد وصفه فى تقرير سرى فى سنة ١٩٧٦ (١٣٥٥)" كرجل تهدده الأخطار الناجمة عن عقدة العظمة".

كان الشاه أسيراً لأوهامه الخيالية حتى أنه لم يكف عن تكرار هذا المطلب حتى نهاية سنوات حكمه من أنه قد أدخل إيران حتى قبل بداية الألف الثالثة ضمن "القوي الصناعية الخامسة في العالم"، وسيعمل على أن يجعلها مثلاً للحضارة العظمى للعالم

الثالث، والدول الغربية التى فى رأيه فى حالة اندثار (!). ولكن العقبة الرئيسية للشاه للوصول إلى "الحضارة العظمي" كانت أنه خلال تنفيذ برامج تصنيع إيران لم يحقق التوازن الاقتصادى للبلاد ، وبلغت رغبته المحمومة لشراء الأسلحة دخل النفط لدرجة أنها لم تدع مجالاً آخر لشئون الإنتاج الأخرى.

كان الشاه يؤمن بأفكاره إيماناً أعمى، وكانت أفكاره ساذجة لدرجة أنها كانت تشكل خطراً حتى لدرجة أنه كان يتصور- دون دليل مقنع أن"دخل إيران سيتزايد أكثر يوماً بعد يوم، وكل من لديه مقدرة مالية من الممكن عمل كل شيء له....وكلما أراد أخي وكثير من الخبراء الاقتصاديين إظهار عدم رضاهم عن هذين الرأيين، كانوا يواجهون بسوء ظنونه، بالإضافة إلى ذلك فإن سرعة تطور عقدة العظمة قد أوصل الشاه إلى درجة أنه كان أحياناً يعبر عن الأفكار السخيفة بجدية تامة، من جملة مايجب الإشارة إليه أنه ذات مرة صرح فى حديث صحفى لصحيفة "أخبار أمريكا وتقارير العالم" إلى مدى ضعف وهوان القوى المعارضة له، قال حول ذلك: " إلى مدى ضعف وهوان القوى المعارضة له قال حول ذلك: "إن السبب الرئيسى لقلق واضطراب معارضىّ هو أنهم ليس لديهم وسائل إعلامية" (العدد المؤرخ في ٢٢ مارس ١٩٧٦).

ذات يوم من أيام صيف ١٩٧٦ (١٣٥٥) عندما كان الشاه مع أخى يطير بطائرة هليكوبتر فى سماء مدينة جالوس على شاطىء بحر الخزر، أشار أمير عباس للشاه على بقعة بها عدة فلل حديثة كانت قد بنيت لصالح رئيس السافاك ، وكانت تُباع بأسعار عالية، وعقب موضحاً أن هناك شائعات كثيرة حول هذه الفلل تنتشر بين الناس، ولكن الشاه رد على أخى: "لايهم (!) طالما استثمر أمواله فى هذا العمل، وفى نظرى أن هذا العمل طيب جداً...."حقيقة أن الشاه عند هذه اللحظة تذكر أنه كان قد وضع الأرض المطلوبة لبناء هذه الفلل تحت تصرف رئيس السافاك، طالما لم يكن أصلاً لايسره نمط فكر أخى الخاص بالاعتدال فى الحياة، وذات يوم تحدث عن وضع أمير عباس فقال له:" أنت مثل من يسره العيش فى عش حمامة؟".

كان للشاه أيضاً أفكار خاصة حول مسألة حقوق الإنسان، لم تكن أصلاً متفقة على النمط العام لتفكير العالم، ففى سنة ١٩٧٦ عندما علا صوت عدد من المساجين السياسيين المعارضين للنظام فى كل مكان، نظر إلى المسألة من نافذة أفكاره المحدودة كعادته دائماً ودون السماع لما يقولون، لقب معارضى النظام بأنهم حفنة من المخربين الإرهابيين المتآمرين الأوباش.

لاأنسى أبداً أنه ذات يوم من أيام صيف ١٩٧٧ (١٣٥٦) تحدثت الملكة فرح فى حضور جماعة من المثقفين حول مسألة حقوق الإنسان فى إيران،وكانت كلمتها مثيرة للاهتمام لدرجة أن جميع الحاضرين صفقوا لها ، ولكن فى نفس الوقت سألنى عدد من أصدقائى "......إن فرح ملمة بالموضوع ، فلماذا لاتذهب وتستعرض ما قالته لنا مع زوجها ؟...".

كانت آراء الشاه لعدة شهور قبل سقوطه دائماً كأنما قد وضع بينها وبين الحقيقة حاجزاً حديدياً، كان ينظر إلى شئون المملكة من وراء نافذة ضيقة،أو يعرف عن طريق رجال البلاط المتملقين والمنافقين أحداث الوطن، ولهذا السبب استطاع فى سنة ١٩٧٦ أن يعلن ببال مستريح أنه قد اقتلع الفساد من المملكة (!).

عندما سأل "أوليويه وارن" فى حديثه الصحفى: "هل من الممكن إقامة حكومة جمهورية فى إيران؟" أجابه الشاه: "سيستمر تاريخ إيران فى مجراه العادى، وطوال ثلاثة آلاف سنة من تاريخ البلاد ،، لم يحدث مثل هذا الوضع، حتى فى الوقت الذى كانت فيه الحكومات الجمهورية محبوبة كان اختيار الشعب، وقد فُسرت الديمقراطية أيضاً بأنها شيء يماثل استمرار السلام والمساواة الاجتماعية، ولكن اليوم إننى لا أستطيع فى الواقع أن أفهم ماهو السبب الذى يجعل الإيرانى يفكر فى أن تغيير النظام سيكون لصالحه...".

فى موقع آخر رداً على هذا السؤال الذى سأله "وارن": "....يقال : إن السبب

فى عدم وجود معارضة علنية للنظام فى إيران أنه من المعتاد أن جميع المعارضين قد اختفوا ؟!" أجاب الشاه:"....يجب معرفة المعارض مع من ولم؟ إننى أحس أحياناً أنه من الأفضل أن أقول : إننى نفسى معارض حقيقى، فعندما أستطيع مع أجهزة الاستخبارات والتحقيق أن أقف على أصل ومنبع كل خطأ، لذلك فأنا فى النهاية أقف فى الجناح المعارض: "للجلالة الهمايونية" (٣٤) .

ولكن مع هذا لايمكن القول : إن الابتعاد عن الواقعية كان فقط منحصراً فى شخص محمد رضا شاه، فأكثر الأشخاص الذين يدورون فى فلكه زمناً طويلاً دخلوا فى نفس هذه الحالة فى آخر الأمر- وصلوا إلى درجة أنهم لايقدرون على تشخيص ظاهر وباطن الأمور لينغمسوا فى الجزئيات وينسوا أصل الأمر.

كنت فى سنة ١٩٥٨ مشغولاً بعمل فيلم حول أصفهان، وذات يوم صعدت على سقف قصر "عالي قابو" برفقة المنتج، وأثار انتباهى كم لهذا القصر من بناء معمارى جميل ومثير فى منظره، ولكن المعماريين قد بنوا أعمدة المبنى الأساسية من جذوع الشجر الرقيق غير المهذب وهذا الوضع قد أظهر تماماً أنه حتى شاه عباس- أعظم ملوك الصفوية لم ير شيئاً إلا ظواهر الأمور.

كل من جلس أعلى....!

ابتعاد الشاه عن الواقع مع الأفكار الناجمة عما ينسجه خياله قد تزايد أكثر من سابقه إلى حد التمسك الشديد بأفكاره التى لا أساس لها.

كان الشاه يقول دائماً بثقة : إن الله مؤيده (!) وكان فى مواقف كثيرة يعلن الحاضرين من الناس أنه أثناء مرضه فى طفولته ظهر له على صهر النبى والإمام الأول، وشفاه، وذات مرة سقط من فوق الحصان فى هوة، وجاء حضرة عباس، مشمر الذراعين، وأمسك بيده حتى ينقذه من السقوط على كومة أحجار،وبعدها أدعى أنه رأى حتى الإمام الغائب، وكان يؤكد دائماً إننى منظور ولا يمكن لأحد أن يلحق بى ضرراً" (!).

فى رأى الشاه أن مقام سلطنته اقتضى أن ينفصل دائماً عن الشعب ويطلع على المعلومات المطلوبة فقط عن طريق الأجهزة الأمنية، لهذا السبب كان فى العادة يهون من شأن الاعتراضات ضده، وتفاهة الجماعات المعارضة للنظام، وكان يتصور أن كل شىء يسير وفق مراده، والشعب أيضاً طالما لديه ملك، فهو فى الواقع سعيد من كل قلبه (١).

آمن الشاه بحظه وأفكاره إيماناً راسخاً لدرجة أنه ظل غافلاً حتى عن الفرص المواتية للتوافق مع الجماعات المعارضة المعتدلة، وعندما فكر فى المصالحة معهم كان الوقت قد تأخر تماماً.

عندما أخذت المعارضة ضد الشاه أبعاداً واسعة النطاق فى سنة ١٩٧٨ (١٣٥٧) أصابته الحيرة من مواجهة الواقع، وكاد أن يفرغ قلبه من الخوف،فى ذلك الوقت وضمن إحساسه بالفراغ عندما رأى جميع أفكاره تذهب هباءً،عجز عن اتخاذ خطوة كرد فعل مناسب.

تعثر الشاه كان سبباً فى أن ينطوى ساعات النهار الطويلة على نفسه ليختار الأساليب المختلفة لمواجهة الاضطرابات، أو يبحث فيما اقترحه عليه حاشيته وسفراء انجلترا وأمريكا، وبعدها علق الشاه جميع أخطائه فى رقاب حاشيته والمقربين، وبقى فقط عاجزاً ليستقر فى أحضان القوى الأجنبية، وبهذا العمل أيضاً تسبب فى أن يسقط سريعاً من فوق سلم الأمان إلى الهاوية.

اتفق- تقريباً جميع الأشخاص الذين التقوا به طوال الأشهر الثمانية فى آخر حكم الشاه من أن الشاه كان فى تلك الأيام قد أصبح شخصاً مضطرباً حيرانَ، عند التحدث مع الأشخاص كان يستمع لكلامهم- ولكن أصلاً لايفهم المطلوب، وكان يُلاحظ أيضاً أثناء الحديث أنه كثيراً مايتلعثم فى الكلام ويصمت.

فى ذلك الحين عندما فقد زعيم النظام القدرة اللازمة لتقييم الأحداث والقيام برد الفعل المناسب، سارت الأوضاع أيضاً أكثر من ذى قبل نحو السوء.

بناء على هذا فإن فترة ديكتاتورية الشاه قد علّمت جميع رؤساء المصالح فى الدولة بألا يبادر أحدهم بعمل شىء بنفسه، وقد فضلوا أن ينتظروا حتى عند وقوع أزمة أيضاً، حتى ينفذوا قرارات الشاه التى كانت تصدر متأخرة وبطيئة، ويجب الإشارة إلى هذه المسألة أيضاً وهى أنه لم يُر بين حاشية الشاه فى الواقع أى شخص يستطيع أن يتولى إرشاده ، لأنه كان قد شتت أثناء صعوده على السلم قوتهم جميعاً- بعيداً عنه.

فى ذلك الحين وبينما كانت القوى المعارضة تتحد وتتوافق كل يوم أكثر، كان چنرالات الجيش ورجال الدولة يظنون فى بعض ظن السوء وكل واحد يتهم الآخر بارتكاب الأخطاء، وبينما الشاه يزداد ضعفاً يوماً بعد يوم فى مقابل توحد واستحكام معارضيه.

الشاه الذى حكم سنوات طويلة كزعيم بلا منازع، خلال مدة وجيزة صار كأنه دمية مسرح العرائس التى من أجل مشاهدة حركتها يجب أن يشد الآخرون خيوطها.

ذكر لى أحد أصدقاء شاهبور بختيار أنه فى الشهور الأخيرة لحكم الشاه كانت الملكة فرح تلعب دوراً أساسياً فى تشكيل الوزارة الجديدة والشاه لا وظيفة له أخرى سوى أن يكون مشاهداً.

بحلول نوڤمبر ١٩٧٨ (أواسط أبان ٥٧) كان مؤكداً أن سلطنة الشاة تطوى آخر أيام عمرها، وفى ١٦ يناير ١٩٥٩ (٢٦ دي ٥٧) غادر الشاه البلاد، وكان قد بلغ ضعفه وعجزه حد النهاية، ولما كان الشاه ليس لديه قدرة لينقذ معاونيه السابقين الذين كانوا قد سجنوا بأمره، كف يده عنهم، وسقطوا تحت سيطرة الأعداء وفر بنفسه من إيران.

ذكر لى پرويز راجى- الذى كان رئيساً لمكتب رئيس الوزراء (هويدا) فترة- قبل تعينه سفيراً لإيران فى لندن: أشار أمير عباس يوماً فى حضوره لصورة الشاه وقال: "..رجل أنانى جداً، مايعرفه لا فائدة منه لأحد، ودون كلمة يسفه كلامك......".

فى الأيام الأخيرة من عمر النظام، بينما كان الشاه يقيم فى مراكش كان عدد من چنرالات الجيش فى طهران فى حالة حيرة وعجز، واتصلوا به هاتفياً ليأخذوا رأيه فيما يجب أن يفعلوه، ولكن بناء على قول شاهد عيان- أثق فى كلامه تماماً- امتنع الشاه أن يتحدث مع الچنرالات.

عندما أصبح خروج الشاه من إيران مسلماً به أرسل أحد المقربين منا، دون علم أخى رسالة إلى الشاه عن طريق أحد الوسطاء، وطلب منه أنه من الأفضل أن يخرج أمير عباس أيضاً من إيران فى طائرته، ولكن الشاه لم يجب على هذه الرسالة وترك للرجل الذى خدمه ١٤ سنة ليقتل عي يد النظام الجديد.

لم يتفوه الشاه حتى بكلمة واحدة فى اليوم الذى قتل فيه أمير عباس، وظل صامتاً لمدة ثلاثة أسابيع حتى تفوه كذباً يبرىء نفسه وقال: "إنى اقترحت على أمير عباس أن يخرج من البلاد، ولكنه شخصياً فضل أن يبقى في إيران"!.

بينما كنت علي اتصال مستمر مع أخى حتى لحظة تسليمه إلى رجال النظام الجديد، لم أعرف أبداً أن الشاه قد اقترح على أخى الخروج من البلاد بل إن بعض الأصدقاء والمقربين منا كانوا قد أرسلوا رسالة إلى أمير عباس بعد خروج الشاه من إيران، يريدون أن يرسلوا فرقة كوماندوز للهجوم على السجن لإنقاذه ويخرجونه من البلاد، ولكن أمير عباس بعد تسلم الرسالة رد عليهم "لست مستعداً أن أقبل عار هروبى، ولست جباناً فأنا قد جعلت نفسى فداءً لوطنى (!) ولدى القدرة أن أدافع عن نفسى جيداً أمام الجميع......".

أخبرنى أحد الأصدقاء المعروفين لى ولشاپور بختيار، فيما بعد هذه الحقيقة أن الشاه قبل خروجه من البلاد كان قد أعطى الضوء الأخضر لآخر رئيس وزراء بأن ينفذ كل مايقترحه كآخر فرصة لإنقاذ نظام الملكية ولم يكن هذا الاقتراح يهدف شيئاً إلا ليهيىء بختيار المجلس للتصديق على لائحة تشديد العقوبات على المتهمين بمادة ٨٢

من قانون العقوبات ليستطيع بناء على ذلك أن ينفذ عقوبة الإعدام على جميع الأشخاص الذين أرادوا الطعن فى الدستور ونقض الميثاق، وخاصة أنه بإعمال هذا القانون فإنه يحكم بالإعدام على جميع الذين كانوا مسجونين بأمر الشاه فى عهد أزهارى.

فى السيناريو الذى أعده بختيار وأيده الشاه كان يهدف أن يسلم أخى منذ الوهلة الأولى إلى جماعة الإعدام، وينفذ جريمته أيضاً "مستفيداً من السلطة الممنوحة له من قبل الشاه" وكان بختيار حقيقة قد أقنع نفسه تماماً أنه بإعدام أمير عباس سيتمكن من أن يحصل على رضاء الشعب، وينقذ النظام أيضاً من السقوط.

ويجب أن أقول : إننى لاأشك بصحة أقوال صديقى، فقد أكد فيما بعد "أريك رولو" فى مقال له فى العدد المؤرخ فى ٣ يونيو ١٩٧٩ بصحيفة "لوموند" هذه المسألة،وكتب نقلاً عن أحد رجال العدل الإيرانيين البارزين وهو عضو فى لجنة حقوق الإنسان فيما يتعلق بتصميم بختيار"...لاشك أن بختيار قد اختار طريقاً لتحقيق الهدف، ولم يدع مجالاً لاحتجاج الأوساط القضائية الغربية، وكان قد صوب هدفه بدقة نحو أمير عباس هويدا" (٣٥).

لمعرفة نمط التغييرات التى طرأت على شخصية الشاه طوال مدة حكمه الطويلة، هناك الكثير الذى يقال، وأسهم بدورى بأسباب عديدة، والتى يمكن أن يثبت خطأها حتى إنه يمكن أيضاً إغفال جريمة الشاه فى قتل أخى ويخرجها من مجال البحث، ولما كان هدفى قدر الإمكان أن أحاكم الواقع المرئى، لهذا السبب لاأعطى أهمية أصلاً لقرارات الشاه سواء لى أو للآخرين، ولكن يقال : إنه ثمل من خمر الغرور عقب نجاحاته الأولية فى تحسين الظروف المادية للبلاد ، وانحرف عن المسار الأصلى، ولم يخطُ خطوة فى طريق إقرار الدستور من جديد والذى كان قد عُلق منذ انقلاب ١٩٥٣ ، بل إنه ابتعد يوماً بعد يوم عن الواقع، وبعد سنة ١٩٧٦ (١٣٥٥) ظهرت أخطاء كثيرة حوله لم تثمر إلا بفساد المملكة.

والخلاصة أننى إذا أردت أن ألخص رؤية الشاه فى جملة واحدة يجب أن أقول: كانت أعماله كمن لايسير إلا فى طريق التخريب، أو بعبارة أخرى: كان الشاه يجلس على طرف فرع شجرة وكان يقطع فى الجذر، وفى هذا الشأن كان يستفيد من مساعدات إخوته وأخواته الفاسدة أيضاً.

حاشية الفصل الثالث

١ - فيما يتعلق بالخطط العمرانية الخاصة بادعاء الشاه أثناء استعراضات تخت جمشيد يجب القول "إنه في ذلك الوقت أثيرت دعايات واسعة (شبيهة بإعلانات ورق اليانصيب) من جماعة لجمع المال لبناء ٢٥٠٠ مدرسة، ولكن تم فقط بناء عدة مدارس معدودة بأسمائهم وأوصلوا الكهرباء إلى بعض القرى في نواحي شيراز والتي كانت قد بنيت كقرى نموذجية ليتفقدها الضيوف الأجانب، ووسعوا ومهدوا طريق شيراز- تخت جمشيد وباسارجرد الذي كان مكان مرور وعبور رؤساء الدول كما طوروا اتصالات المايكرويف بين شيراز والمناطق الأخرى لإقامة اتصال مباشر في وقت الاحتفالات والبث التليفزيوني المباشر أثناء المراسم - م.

٢- الترجمة مستقاة من أصل كتاب "به سوى تمدن بزرگ" صفحة ٢٢٣و٢٣٥- م.

٣- مع أن الشاه أصلا لم يستطع أن يثبت حقيقة وجود ملك باسم كوروش في إيران مائة في المائة، وليس معروفا كيف استطاع السادة أن يحددوا ذلك تحديدا صحيحا منذ ٢٥٠٠ سنة قبل جلوس محمد رضا شاه بهلوي على العرش (دون زيادة أو نقصان سنة) - م.

٤- نقل رضا خان جميع الثروة التي استولى عليها من اغتصاب الأملاك إلى البنوك الإنجليزية، ولكن بعد موته عندما طلب ابنه أن يأخذ أموال رضا خان، لم يحول له الإنجليز الأموال في البداية بسبب ظروف الحرب وبعدها أوصوا الشاه أنه من الأفضل أن تنقل أموال رضا خان إلى أمريكا على شكل سبائك ذهبية للأمان أكثر، وعقب هذه الخطوة أخبروه ذات يوم أن السفينة حاملة سبائك الذهب قد أصابها طوربيد غواصات ألمانية وغرقت (!)- م.

٥- عند قراءة مثل هذه الأمور يجب الاعتقاد بحماقة الشاه الذي لم يكن لديه شعور حتى يكف عن مثل هذه الملهيات وعلى الأقل لايجرح إحساسات أشخاص مثل

فريدون هويدا (١) ولعله لم يهتم قط بالشعب حتى يرتدي الشاه التاج بنفسه أو بواسطة نائب الأمة (الذي لن يكون إلا شريف إمامي أو عبدالله رياضي) - م

٦- Le Canard enchaine-Los amoelle

نشرتان طبعة فرنسا التي ثانيتهما تشبه توفيق

ويجب توضيح سبب قطع العلاقات الإيرانية الفرنسية في عهد رضا شاه أيضا أنه في نشرتين وصحيفة أخرى باسم "اكسلسيور" كانوا قد كتبوا "شاه إيران" بدلا من شاه فارس chah de perse: ولم يتقبل رضا شاه Chat de Perse (أى قط إيران" وقطع علاقات إيران بفرنسا سنة ١٣١٥ - م.

٧- لا يوجد في ذلك الوقت جماعة يسارية نشطة في إيران إلا حزب توده - م.

٨- فيما يتعلق بالمسألة التي كانت قد عنونت غالبا خطأ "إنقاذ آذربايجان على يد الشاه" يجب تذكر أن أهالي تبريز أصلا كانت قد داهمت قبل يومين من دخول الجيش آذربايجان عناصر الحكومة "المأجورة" وطردت جماعة الديمقراطيين من تبريز، لم تر القوات التي دخلت تبريز بعد ذلك يوم ٢١ آذر ١٣٢٥ ظاهرا "تحت قيادة الشاه" واطلقت عدة طلقات قرب مدينة متوسطة في "قافلانكوه" أى شخص مطلقا في مواجهتها لكى تحاربه من أجل "إنقاذ آذربايجان".

كان الخبر الخاص بـ "إنقاذ آذربايجان علي يد الشاه" في الحقيقة شائعة أشاعها الأمريكان والإنجليز للاستفادة منها ليكتسب الشاه أهمية واعتبارا ويستفيدوا من هذه هذه المنة التي منوها عليه لإعمال نفوذهم أكثر في شئون البلاد فيما بعد مع أن واقع الأمر هو أنه في "إنقاذ آذربايجان" لم تتدخل قيادة الشاه بل حدث سببان هامان هما :

(١) انسحاب القوات الروسية من آذربايجان.

(٢) ثورة الشعب المسلم في تبريز ضد الحكومة المأجورة.

فيما يتعلق بالسبب الأول، كان للتعامل السري للحلفاء في مؤتمر موسكو دورا هاما (على هذا الأساس كان يجب على الروس أن يسحبوا قواتهم من آذربايجان وكردستان في مقابل الحصول على حق التدخل في شئون الدول التي تحت سيطرته في أوربا الشرقية، وأن يمتنع عن التدخل في شئون الهند، وتعهدت أمريكا في المقابل أيضا أن تكف عن تأييد قوات شان كاى شيك في مواجهة القوات الشيوعية تحت قيادة ماوتس تونج بشرط امتناع الروس عن إرسال قوات إلى الصين، وفي المقابل تريح خاطرها من استمرار أعمال الروس لنفوذهم في دول الشرق الأوسط وأوربا الغربية وشمال أفريقيا واليابان) وكان الدور الفرعي لانسحاب الروس من آذربايجان متعلق بقوام السلطنة الذي أثر بالحيلة في ترغيب ستالين لإخراج الجيش الأحمر من آذربايجان (بوعده له بترك امتياز نفط شمال إيران لروسيا).

وفيما يتعلق بالسبب الثاني (الذي يعد أحد أسرار تاريخ إيران المعاصر وحتى الآن أشار إليه قليل من الأشخاص) يجب التنبيه إلى حادثة وفاة المرحوم آية الله "سيد أبو الحسن الأصفهاني" (المرجع التقليدي للشيعة في ذات الوقت) عندما منعت الحكومة المأجورة إقامة أي نوع من مراسم جماعة الديمقراطية ثورة كانت في الأصل سببا للتمهيد الحقيقي لثورة أهالي تبريز الذين داهموا عناصر الحكومة المأجورة قبل تحرك الجيش إلى آذربايجان.

ضمنياً فإن التاريخ المقدم من المؤلف يجب أن يكون ١٩٤٦ وليس ١٩٤٧، فإذا عرفنا أن تاريخ دخول الجيش إلى تبريز ٢١ آذر ١٣٢٥، فإن هذا اليوم كان موافقا ١٢ ديسمبر ١٩٤٦ - م.

٩- خلافا لقول المؤلف فإن امتياز نفط جنوب إيران الذي كان قد منح ومدد للإنجليز على يد رضا شاه في سنة ١٣١٢ لمدة ستين سنة قد انقضى في سنة ١٣٧٢ شمسى (وليس ١٣٢٧ تقريبا) ولكن لماذا كان الإنجليز يحتاجون لوجود الشاه في

ذلك الوقت في مسألة النفط؟ يجب القول: استنادا للقانون الذي وافق عليه المجلس في ٣٠ مهر ١٣٢٦. كلفت الحكومة الإيرانية لاستيفاء حقوق إيران من نفط الجنوب، ولذا بدأ الإنجليز مباحثات مبكرة مع حكومة "محمد ساعد" لإطالة حق امتياز النفط قليلا، واستحسنوا إثارة "استيفاء الحقوق" هذه المباحثات التي انتهت فيما بعد بالاتفاقية الملحقة" (المعروفة باتفاقية جس - جلشائيان)، ولما واجهت رد فعل سلبي للشعب، رأى الإنجليز لهذا السبب أن يستفيدوا من سلطة الشاه للموافقة على "الاتفاقية الملحقة" في المجلس (ولكن نفس رد الفعل السلبي للشعب قد تطور فيما بعد وطرح مسألة تأميم النفط) - م.

١٠- خلافا لما أعلنه المؤلف يجب القول أن إثارة الشعب - خاصة التجار - المؤيدين لتأميم النفط حدث فقط عندما ذكر آية الله كاشاني في رسالة للدكتور مصدق في تاريخ ٢٨ خرداد ١٣٢٩ (الذي قرأها مصدق بنفسه في الجلسة العلنية لمجلس الشورى) بوجود معارضة "الاتفاقية الملحقة" وعقب ذلك نشر السادة الآيات: سيد محمد تقي خوانساري وبهاء الدين محلاتي وعباس علي شاهرودي وسيد محمود روحاني قمي أيضا بيانات في هذا الشأن وطالبوا الأهالي بأن يؤيدوا مصدق - م.

١١- تم التصديق على قانون تأميم النفط قرابة شهر ونصف قبل رئاسة مصدق للوزارة (٢٤ اسفند ١٣٢٩ في مجلس الشورى الوطني و ٢٩ اسفند ١٣٢٩ في مجلس الأعيان) ولكن الشاه امتنع عن التوقيع على قرار المجلس حتى اضطر الشاه إلى التوقيع مكرها في أوائل أرديبهشت ١٣٣٠ عندما اشترط مصدق على الشاه لقبول رئاسة الوزارة التوقيع على القانون المذكور من قبل الشاه -م .

١٢ - "أدوارد هريو" سياسى وأديب فرنسى، رئيس الوزراء فى سنة ١٩٢٤- زعيم الحزب الراديكالى الاشتراكى فى سنة ١٩٤٥ رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية فى سنة ١٩٤٧- توفى فى سنة ١٩٥٧ - م.

١٣ - قام المؤلف بالإساءة خاصة فى تلويث ثورة تأميم النفط وإتباع الصغرى بالكبرى التى هى محل شك لتحقيق النتيجة التى يرغبها بينما نحن نعرف أصلاً حدوث ثورة ٢٨ مرداد قد تم فى وقت لم يكن لدى د. مصدق وزملاءوه الآخرون تقريباً كلاماً ليقولونه- وخلافاً لرأى المؤلف فإنه قد انقضت فترة من وقت تأجج هيجانهم، والمسألة الأهم هى أن الإنجليز بعد ثورة ٢٨ مرداد حصلوا على مزايا كانت تفوق مايتوقعونه، وفى اتفاقية مجموعة الشركات أصبح ٤٠٪ نصيب شركة النفط الإنجليزية و١٤٪ نصيب شركة نفط شل (التى كانت خاصة بالإنجليز أيضاً) يعنى خص الإنجليز ٥٤٪ والأمريكان ٤٠٪ وفرنسا ٦٪ حق استغلال نفط إيران، وبالإضافة إلى هذا تسلم الإنجليز ٣٠ مليون جنية من حساب غرامة تأميم البترول من إيران، بينما كان الإنجليز أنفسهم مستعدين لعرقلة تأميم النفط فى آخر أيام استمرار الحرب لكونهم شركاء فى نفط إيران بـ٥٠٪ فقط- م.

١٤ - حقيقة إن أشخاصاً مثل فريدون هويدا ليس بعيداً أن يكونوا عاراة من أى نوع من حب الوطن وعرق الوطنية، وبنشر مثل هذه الأمور لحساب جماعة المنافقين والمتملقين الذين هم مقبلو أقدام كل سلطان يحسبون على حساب كل الإيرانيين، ويظهرون مواطنيهم أمام العالم كأشخاص متملقين ومنافقين- م.

١٥ - بعد ثورة ٢٨ مرداد، أخذ التضييق وسحق المعارضين أبعاداً فى كل ناحية (ويجب أن يذكر فى هذا الخصوص حادثة ١٦ آذار ١٣٢ بجامعة طهران التى تسببت عقب حضور نيكسون إيران فى استشهاد وثلاثة طلاب على يد رجال الحكم العسكرى) ولكن فريدون هويدا (ربما اعتبر نفسه لهذا السبب مفكر يسارى!) أشار هنا وفى أغلب أجزاء كتابه غالباً عن تضييق النظام على حزب توده وسعى دوماً أن يظهر الشيوعيين أكثر من الجميع كضحايا لمظالم الشاه- م.

١٦ - لايتابع الكاتب توالى الأحداث، وفى هذا الصدد يجب توضيح أنه قد تم إقالة اللواء زاهدى من رئاسة الوزارة يوم ١٧ فروردين ١٣٣٤، بينما حدث إعلان خطوبة أردشير زاهدى لشهناز يوم ٢٢ آبان ١٣٣٥، وضمنياً فإن أردشير زاهدى الذى صار منذ أسفند ١٣٣٨ ولأول مرة سفيراً لإيران فى أمريكا كان خليفة لعلى مكى أردلان وليس على أمينى (لأن أمينى تولى هذا المنصب فقط منذ فروردين ١٣٣٧)- م.

١٧ - بعد إقالة اللواء زاهدى عين الشاه "حسين علا" رئيساً للوزارة، ووصل إلى رئاسة الوزارة دكتور إقبال بعد سنتين أى فى ١٥ فروردين ١٣٣٦- م.

١٨ - لو أن هذا الخبر صحيح، فليس بعيداً أبداً أن يكون أردشير زاهدى قد استغل مثل هذه المسألة لإهاب الشاه والاستفادة منه للزواج من ابنته والوصول إلى مناصبه التالية (حتى بعد طلاق شهناز) فطالما أنه على كل حال وبسبب تعاونه مع جهاز السى آى إيه قد حصل على وثائق كثيرة خاصة بالعلاقات السرية للشاه مع الأمريكان والإنجليز خلال ثورة ٢٨ مرداد - م.

١٩ - حدث عكس هذا الرأى، لم تواجه حكومة على أمينى مطلقاً بمعارضة الملاك الكبار (لعل اضطرابات جامعة طهران فى اليوم الأول من بهمن ١٣٤٠ التى عُلم منها فيما بعد أنها كانت نوعاً من حرب السلطة بين الشاه وأمينى وأسفرت نتيجتها عن نفى تيمور بختيار عن إيران) والسبب الحقيقى لعزل أمينى من رئاسة الوزارة والسفر السريع للشاه إلى أمريكا عقب تلقى خبر إرسال سيل من المساعدات الأمريكية لأمينى والذى تم يوم ٢١ فروردين ١٣٤١ وأثناءها تعهد الشاه للأمريكان أنه سيضع تحت سيطرتهم كل مايريدونه بشرط أن يكفوا عن دعم أمينى،عقب هذا اللقاء أيضاً، ولما كانت أمريكا قد امتنعت عن منح القروض الخاصة بأمينى، لم يستطع أن يستمر أكثر من ثلاثة أشهر فى منصبه، واضطر للاستقالة فى ٢٧ تير ١٣٤١ ورحل- م.

٢٠ - خلافاً لقول المؤلف كان اعتقال الإمام الخمينى قد تم قبل يومين من ثورة ١٥ خرداد ٤٢، ولم تكن أصلاً فلسفة هذه الثورة إلا احتجاجاً للشعب المسلم على اعتقال الإمام وتأييداً لكفاحهم، ولكن تحرف الدعايات الاستعمارية الوقائع، وتربط مسألة الإمام الخمينى- الذى كان يواجه استسلام الشاه لإسرائيل وأمريكا والسلوكيات غير الإسلامية- بمسألة لا أساس لها، معارضة الإصلاح الزراعى"- م

٢١ - حدث الاضطراب الدامى فى فارس بعد عقد استفتاء ٦ بهمن ٤١ (أى فى منتصف إسفند سنة ٤١) ويجب القول بصدد نتائج هذا الاستفتاء:طبقاً لزعم المؤلف كان قد سجل ٩٥٪ من المشتركين فى الاستفتاء بالموافقة، وبناء على هذا فمن الطبيعى أن يشكل ٥٪ بقية المعارضين، ولكن من ناحية أخرى وطبقاً للإحصاء الرسمى الحكومى، نرى أن عدد الآراء المعارضة فقط كان ٤٥٠٠ صوتاً، وعلى هذا الأساس فإنه لإيجاد عدد المشتركين- الذين كانوا قد وافقوا فى الإستفتاء فلو ضاعفنا ٤٥٠٠ عشرين ضعفاً لوصلنا إلى رقم ٨٥٥٠٠ شخصاً الذى يوضح عدد المؤيدين "لثورة الشاه البيضاء" فى ذلك الوقت- م.

٢٢ - جميع طغاة التاريخ، بدأ من نابليون وهتلر وموسوليني حتى ستالين ورضا شاه وماركوس وحتى نظام جنوب أفريقيا جميعاً كانو يقولون : إنهم يقصدون أن يستغلوا سلطاتهم فى سبيل تقدم البلاد - م.

٢٣ - تاريخ ١٩٤٢ غير صحيح، لأن سفر الشاه لفرنسا قد تم فى ١٩ مهر ١٣٤٠ الموافق ١١ أكتوبر ١٩٦١- م.

٢٤ - جميع الشيوعيين الذين عملوا مع مرور الأيام فى خدمة نظام الشاه، وجهوا قرارات الشاه إلى هذا الاتجاه، وحتى كثير منهم الذين شكلوا أركان السافاك (أمثال محمود جعفريان ومنوجهر آزمون وعباس شهريارى وكوروش لاشائى

وپرويز نيكخـواه.....) كـانوا يعتـقـدون أنه يمكنهم عن طريق التـسلل فى تشكيلات النظام خدمة عامة الشعب، ولذلك استطاع الشيوعيون القدامى أيضاً مثل: هوشنك نهاوندى ودكتور باهرى وآلموتى وإخوة هويدا من أتباع نفس هذه النظرية فى سلك خدم الشاه- م.

٢٥ - الأشخاص الذين أغلقوا عيونهم، ولم يرغبوا فى مشاهدة الوجه الحقيقى للشاه، سواء بسبب المنصب والموقع أو من ناحية المصالح المادية والرفاهية، واستفادوا منه خلال حكمه، ولعلنا نعرف الكثيرين ممن انكشف أمامهم منذ سنوات- العيوب الشخصية والحقيقية والسياسات المعادية للوطنية والإسلامية- من الشاه- م.

٢٦ - هذا الشخص من المحتمل أنه كان "هرمز قريب" الذى كان معروفاً لهذا وذاك وخاصة أصحاب رؤوس الأموال الأجانب، وكان يأخذ أموالاً كثيراً من أجل تحديد موعد اللقاء مع الشاه- م.

٢٧ - ليس معروفاً لماذا لم يهتم أمير عباس هويدا طوال ١٢ سنة وزيادة- وقت رئاسته للوزارة بالتوجه إلى قواعد الإسلام ويغير لعب القمار وصالات القمار ولكن بمجرد أن رأى خطراً على ملك الشاه ،فجأة أدرك أهمية القضية، مع أننا نعرف أن شريف إمامى أيضاً على الرغم من رئاسته لصالات القمار المتعددة فى مؤسسة بهلوى -تقريباً فى زمن هويدا ، وقف على ممنوعية لعب القمار في رأى الإسلام وبمجرد الجلوس على كرسى رئاسة الوزارة، أصدر أمراً بإغلاق الملاهى فى كل أنحاء الدولة، ولكن لماذا لم يشر فريدون لقرار شريف إمامى؟ لعله بهذا السبب لم يرد إيجاد منافس لأخيه من ناحية التوجه إلى "الأخطار الناجمة عن وجود الملاهي علي سلطنة الشاه"!- م.

٢٨ - "سنجاي غاندي" (ابن أنديرا غاندى- رئيسة وزراء الهند الراحلة) الذى أساء - فى الدورة الأولى لرئاسة أمه للوزارة- استغلال مركزها فى المعاملات المختلفة مع الشركات الأجنبية- م.

٢٩ - ذكر الشاه فى نفس كلمته التى ألقاها فى أكاديمية الدفاع الوطنى- قال أيضاً:
"........كما سنفقد فى الدفاع عن الوطن والحدود أشخاصاً، يزيلون أغراض هذه المملكة أيضاً حتى لايستفيد منها العدو...."وهنا تشابه بين نظرية "الدفاع التخريبي"و "الأرض المحروقة" للشاه وبين أحاديث صدام، الذى كرر أيضاً مرات:طالما أن الجمهورية الإسلامية تريد أن تسيطر على العراق سندمر جميع المنشآت والأغراض- م.

٣٠ - عند هجوم الحلفاء على إيران فى الثالث من شهر يور ١٣٢٠ كان رضا شاه تماماً تحت نفوذ العناصر الألمانية، ولما كان لزاماً أن يتم التخريب فمن المؤكد أن عقل الألمان قد أدرك هذا الأمر، هذا بينما كان رضا شاه لايدرى شيئاً عن هجوم الحلفاء على إيران ولم يكن قد وقف على نواياهم فى الإنذارات التى أنذروه بها قبل الهجوم- بوجوب طرد الألمان من إيران، ولذلك قال موجهاً الحديث لـ"كلارمونت إسكراين" (الضابط الإنجليزى المسئول عن نفيه إلى جنوب إفريقيا):........ولماذا لم يقل الإنجليز : إنهم فى حاجة إلى مساعدتى؟ لو أن رئيس وزرائكم (الإنجليز) كان قد أوضح أهمية تجييش جيش مملكتى لصالح الحلفاء ووجوب الاستفادة منها، كنت قد منحتكم فرصة طيبة لمساعدتكم......، لو أنكم أطلعتمونى من قبل عن الموضوع بدلاً من القيام بعمليات مؤسفة، كنت أستطيع أن أضع جميع طرق السكك الحديدة تحت أمركم فى كل أنحاء إيران" كتاب "شترها بايد بروند" الطبعة الثالثة- نشر نو ١٣٦٤ صفحة ١٦٢- م.

٣١ - تحليل المؤلف هو تحليل ماركسى فقط، وتعبيراً عن أصول المادية الجدلية التى تظهر مسألة الإصلاح الزراعى للشاه كنوع من النظرات الاجتماعية المتضادة وتعوض التاريخ الذى يواصل تقدمه، وحقيقة كان هذه النوع من التحليل أحد أسباب حزب توده وجماعة "المفكرين اليساريين" لتأييد برنامج الإصلاح الزراعى

للشاه، ولعلهم وهم يسعدون بهذا الموقف عديم الفائدة ربما لايعرفون أن الإصلاح الزراعى ليس "تغييراً كيفياً" وليس حركة نحو التقدم، بل هو قرار صادر من أمريكا فى إطار نظرية "جون كيندي" تحت عنوان "الاتحاد من أجل التقدم" لمنع الثورات الشعبية فى العالم الثالث- م.

٣٢ - تم الاستعانة بالأصل مباشرة في ترجمة الأمور المنقولة من كتاب "بسوي تمدن بزرگ"- م.

٣٣ - خلافاً لادعاء المؤلف كانت موافقة الشاه وصدام وعقد اتفاقية ١٩٧٥- الجزائر- نتيجة لموافقة أمريكا وروسيا وليس اتخاذ قرار متهور من قبل الشاه، ويجب أن يُشار فى هذه الصدد أنه قبل موافقة الشاه وصدام فى أواسط إسفند ٥٣ (فى الجزائر) تمت لقاءات لتهيئة المجال لهذا الاتفاق الذى كان أساساً نتاج وساطة بين إيران والعراق.

جاء هنرى كيسنجر إلى إيران أوائل آبان ٥٣، وبدأت فوراً مباحثات بعدها بين وزراء خارجية إيران والعراق أثناء انعقاد جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك.

أواخر آبان ٥٣ سافر الشاه إلى الأردن وهناك التقى مع "طارق ميخائيل يوحنا عزيز" (وزير إعلام العراق).

أوائل دى ٥٣ سافر الشاه إلى روسيا وأشار البيان المشترك بين الدولتين إلى وجوب السلام بين إيران والعراق.

أواسط دي٥٣ سافر الشاه ثانية إلى الأردن ثم من هناك إلى مصر وأعلنت وكالات الأنباء حول زيارتيه أيضاً أن الملك حسين وأنور السادات يتوسطان بين الشاه وصدام.

منذ أول بهمن ٥٣ بدأت مباحثات خلعتبرى (وزير خارجية الشاه) مع سعدون حمادى (وزير خارجية العراق- الذى قيل : إنه يفهم لغة الشاه أكثر من جميع العراقيين، فى مدينة استنابول، وبعدها سافر صدام إلى الأردن على الفور.

تحدث الشاه فى رحلته الترفيهية إلى سويسرا فى أوائل إسفند ٥٣ طويلاً مع هنرى كيسنجر وجوزيف سيسكو (وكيل وزارة الخارجية الأمريكى) وبعدها سافر على الفور من إيران إلى الجزائر ليشترك فى مؤتمر رؤساء أوبك، وفى هذه الرحلة أيضاً تم التوقيع بينه وبين صدام على اتفاقية ١٩٧٥ المعروفة بالجزيرة- م.

٣٤ - الترجمة مستقاة من النص الفارسى لحديث الشاه مع أوليويه وارن (كتاب "شيروخرشيد" صفحات ١٧١و ١٧٢)- م.

٣٥ - الأمر الآخر الذى يمكن أن يؤيد هذا القول هو كلام شاهبور بختيار فى حديث صحفى يوم ١٧ دي ١٣٥٧ الذى أعلن فيه "سيبدأ خلال عشرة أيام محاكمة العناصر الفاسدة، ومن المسلم به أن تؤدى أيضاً إلى إعدام عدد منهم".

الفصل الرابع
السقوط النهائي

الفصل الرابع

السقوط النهائي

"لا أقلق من الأمور الداخلية لحسن الحظ"

الشاه في حديث صحفي مع كيهان (بتاريخ ٨ آبان ١٣٥)

الأحد ٢٩ اكتوبر ١٩٧٨ (٧ آبان ١٣٥٧) آمل

كانت أحاسيس سكان آمل - هذه المدينة الصغيرة قرب بحر الخزر - تتصاعد كل يوم ضد النظام، وإثر مظاهرات ٧ اكتوبر (١٥ مهر) الذى اطلق خلاله رجال الأمن النار صوب الجموع، وقتلوا أعداداً، تزايدت الاضطرابات في المدينة مع تناثر الشائعات المختلفة كل يوم، وكانت المشكلة في بداية الأمر ناجمة عن تعاطف الأهالي فيما يتعلق بحادثة إشعال النار في سينما ركس في عبادان، ووصل إلي درجة أنه وضح أن أهالي آمل ليس لديهم شك في تدخل السافاك في قضية حريق السينما.

عقب ذلك عندما أشيع يوم ٢٧ أكتوبر (٥آبان) شائعات قائمة علي احتمال حرق سوق آمل علي يد السافاك، قام عدد كبير من طلاب وشباب آمل بحراسة الأهالي في الشوارع، حتي أن الأشخاص الذين لا يعرفون سلوك الشباب لا يمنعونهم عن هذا التصرف، ووصلت الأوضاع حالة أن جعلت رجال المملكة في حالة طوارئ، خاصة أن عدداً من عناصر السافاك قُبض عليهم وحولوهم إلى المسئولين المحليين لطمأنتهم، ومع مرور الأيام وصل دور الشباب في الحفاظ علي المدينة درجة أنهم أقاموا فى مناطق دخول آمل مسئولي حراسة سيطروا علي المرور، وكانوا ينفذون قرارات التفتيش الليلية في الشوارع.(١)

أخيرا، مع أن قوات الأمن تدخلت يوم ١٩ اكتوبر وقبضت علي جماعة خلال هجوم علي أهالي آمل، ولكن هذا التصرف لم يستطع مطلقاً أن يعيد وضع المدينة إلي حالته الأولي، لأنه في بداية الأمر كانت أكثر المظاهرات ضد النظام قد أخذت شكلاً

أصبح من الواضح أن روح الثورة قد بدأت تنمو بين أهالي آمل، وتعتبر مشكلة آمل مجرد أزمه بسيطة أو احتجاج للأهالي، وعندما تحركت شهدت ثورة واسعة في بداية طريقها.

علي هذا الأساس استطاع معارضو الشاه فقط أن يعملوا خلال عشرة أشهر يخرجوا الناس الساخطين والرافضين والمعارضين للنظام علانية، ويتقدموا نحو الهدف، ولكن جو النفاق والصراع القائم بين أتباع الشاه قد قادهم إلي إثارة الشقاق والدعايات الجوفاء بدلا من اتخاذ رد فعل مناسب تجاه الأحداث، وتسبب في أنه بدلا من البحث ومعرفة أسباب الإضطرابات جرت علي ألسنتهم إشاعات لا أساس لها من قبيل "الموسكويد في الأمر" أو "الفلسطينيون قد أثاروا الاضطربات" أو "تآمر رجال القذافى".

كان لدي الشاه في ذلك الحين سلطات كثيرة لإنقاذ النظام الملكي، مثلاً كان من الممكن أن يكف يده عن الحكم مدة قصيرة حتي لا تعم الثورة تماماً، أو يتخذ خطوات ليس فيها عنف أو سحق للمتمردين، فى أواخر أكتوبر ١٩٧٨ (أوائل آبان ٥٧) كان الموقف الي حد ما لم يزل الشاه يسيطر سيطرة تامة على الجيش، والأمريكيون كانوا يعطون الضوء الأخضر مع كل خطوة من خطواته، وبينما الروس يتابعون الأوضاع من بُعد، ويدركون دوما أنه لا يحق لأحد أن يتدخل فى الشئون الداخلية لإيران، بالإضافة الي ذلك تابعت الطبقة المتوسطة من الشعب الأوضاع بقلق، وقد كانت تنتفض عند مشاهدة الإضطربات، ولم يعرفوا وراء من يسيرون.

ولكن الشاه كمن توقف عقله، لم يستطع أن يظهر رد فعل مناسب ، ولهذا قال "بلومنتال" (وزير الخزانة الأمريكي) بعد زيارة لإيران :

إن حالة الشاه كحالة شخص نجا من الصرع، ودائما فى حيرة ينظر حوله مضطربا.

كلما كان الشاه يتخذ قراراً أو يتلفظ بأى مطلب كان غير مناسب وفى غير

متواضعه لدرجة أنه لم يرفع عن كاهله حملا، ولم يساعد علي تحسن الأوضاع، وأفضل دليل على هذا؛ أحدهما كان إعلان إلغاء إقامة مراسم عيد ميلاده (×-١) وثانيها مساعداته لمتضرري زلزال خراسان.

كان الشاه يحرص على الاستفادة من المواقف المناسبة لدرجة أنه كاد يفقد الفرصة تماماً، وفى هذا الصدد يجب الإشارة إلي توانيه في الحوار وتنحية معارضيه المعتدلين مما تسبب في أن يذهب "سنجابي" (زعيم الجبهة الوطنية) إلى باريس لمقابلة خميني، ليعلن تضامنه هناك مع مواقف آية الله، بنشر بيان.

بعد حوادث آمل ضغط بعض مستشاري الشاه - كانوا قد سمعوا أجراس الخطر - عليه، حتي يستعمل العنف أكثر لسحق المعاضين، لدرجة أن أحد أصدقاء البلاط قال: إن أردشير زاهدي كان دائما يردد علي مسامع الشاه أنه من الأفضل بأن يسلك طريق حل شبيه بـ "بينوشيه" في شيلى، باعتقال واسع وقتل المعارضين ، وعندما تخلق جوا من الرعب والخوف بين الناس لا يجرؤ أحد قط المعارضة.

بناء علي قول صديقي، أن أردشير زاهدى قد أشار إليه ضمن اهتمامه ويقرر الشاه لتوسيع الليبرالية فى البلاد ، لأنه من الأفضل أن يختار عددا كدرع بلاء للتضحية بهم، ويخلصهم من الموت.

أخبرني أحد المقربين لأردشير زاهدى أيضا فيما بعد أنه قبل سفر أردشير إلي طهران، وفي حضور عدد من أصدقائه الذين تجمعوا في صالة فندق "والدورف آستوريا" في نيويورك، رأى أنه فيما يتعلق بأوضاع ايران يجب على الشاه أن يعدم بسرعة عدة أشخاص؛ وفي قائمة الذين أعدهم "مجرمين " ذكر اسم أمير عباس، ووافق أحد رفاق أردشير زاهدي في هذا المجلس علي طريقة حل السفير - المتعطش إلى دم إيران في واشنطن.

(×-١) كان عيد مولده فى ٤ آبان الموافق ٢٦ أكتوبر حيث ولد فى سنة ١٢٩٨ هـ ش / ١٩١٩م.

ليس الهدف من هذا البيان الا أن أشير إلى وجود حالة من العداء بين أفراد الطبقة الحاكمة، وأشير أيضا إلى أنه علي الرغم من وجود خطر فإن هذه الجماعة كانت بسبب حقدها مثيرة للتفرقة.

وعلي العكس بدلا من أن تتحد العناصر الموالية لنظام الشاه مثل مؤيدي الخميني، أهدروا قوتهم حتي يبعدوا فقط المنافسين عن طريقهم، ويعملوا علي تحقيق أهدافهم الوصولية، خلال ذلك، طالما لم يكن لأردشير زاهدي لسنوات من هدف إلا الجلوس علي كرسي الرئاسة، لهذا السبب وجه كل همه لمعاداة أمير عباس بكل صلافة.

أدت الحوادث التى وقعت في مدينة آمل وانعكاساتها الواسعة في أنحاء البلاد الي استمرار الضغط من كل جانب علي الشاه، ليعزل بأسرع ما يمكن شريف إمامي [x-١]، ويعين مكانه أحد العسكرين كرئيس للوزارة، وعندما وصل الأمر الي أن شريف إمامي لم يكن لديه مقدرة علي تحسين الأوضاع، وبالامتيازات إلتي منحها للمعارضين سمح لهم بالتدخل أكثر في أموره، وعلي كل حال لم يكن للنظام مشكلة أساسية سوى أن عامة الشعب قد مالوا أكثر من قبل نحو خمينى، واتجهوا نحو الاستجابة لمطالبه.

خلال ذلك جرت بين الشاه ومستشاريه مباحثات متصلة في مجال إمكانية إقامة وزارة عسكرية، وكان هذا السؤال مطروحاً ماذا لو لم تستطع قرارات الحكومة العسكرية والقيادة القوية للقائد العسكري أويسى، أن تقوم باللازم؟ ..... وأثناء ذلك كان الشاه الذي لم يصل عقله بعد إلى درجة الهوس إما أن ينفذ رؤية "فرانكو" أو يسير سيرة "كارلوس"؟ [x-٢].

عندما علم شريف إمامى بضغط "الصقور" [x-٣] على الشاه لتشكيل وزارة

(x-١)عين شريف إمامى رئيساً للوزارة خلفاً لجمشيد آموزجار فى ٥ شهر يور ١٣٥٧ هـ. ش

(x-٢) انظر ياسخ به تاريخ ص ٣٦٣.

(x-٣) انظر : شكست شاهانه ٣٤

عسكرية ساعة قدر الإمكان للمقاومة، وأثنى الشاه عن اتخاذ مثل هذا القرار، **ولكن** العسكرين وصلوا في النهاية الى هدفهم واستطاعوا خلق وضع يهيئ شريف **إمامى** للتسليم.

الأحد ٥ نوفمبر ١٩٧٨ (١٤ آبان ٥٧) طهران

في ٥ نوفمبر بينما عم اضراب شامل أنحاء المملكة - خاصة المناطق **الغنية** بالبترول، اختفت جميع قوات الجيش المتمركزة في شوارع طهران فجأة، وكان **هذا** التصرف عاملا مساعداً جداً لظهور المتظاهرين، وعقبها انطلقوا بكثرة في الشوارع، **خلال** هتافات "الموت للشاه" كانوا يثيرون فوضى عظية مصحوبة بقلب وسائل **النقل** واحراق المبانى حتي أنهم خلال ذلك أشعلوا النار في قسم من السفارة الإنجليزية (×-١).

عندما سارت الأحداث سيرا سيئاً، اضطر شريف إمامى عصر يوم ٥ نوفمبر **بعد** قرابة شهرين ونصف في رئاسة الوزارة وعقب مرحلة من الكوارث أن يستقيل **من** منصبه، وبعد عدة أسابيع وعند مغادرة البلاد وبحذر شديد قدر الإمكان؛ قام **بنقل** ثروته، إلى البنوك الأجنبية.

فى نفس هذا اليوم أبدى سفير أمريكا فى طهران عن قلقه لأحوال **الأمريكان** المقيمين في إيران بإرسال رسالة إلى واشنطن، وطلب الإذن بأن يبدأ خطوات **بترحيل** أتباع أمريكا من إيران، ولكن كارتر رفض قبول طلب سفيره، حتى لا يسبب **السفر** الجماعى للأمريكان ذعر للشاه، وعقب ذلك قرر تأيده العلنى للشاه. أعلن صراحةً **أن** مساعيه فى طريق "إقامة الديمقراطية فى البلاد" بدأت تثمر (قبل عدة أيام من **إعلان** كارتر تأيده للشاه (×-٢)، كان قد التقى برضا بهلوى ولى عهده وأردشير زاهدي **كحركة**

(×-١) انظر : پاسخ به تاريخ ص ٣٦٣.

(×-٢) انظر: شكست شاهانه ٤٣

دعائية) وبعد كارتر أيد وزير خارجيته (سايروس فانس) أيضا "الخطوات التى اتخذها الشاه لإقرار النظام والهدوء في ايران.

كنت فى ذلك الوقت في نيويورك، وبعد الاطلاع علي التقرير بإعلان تأييد المسئولين الأمريكان للشاه، قلت لأحد أصدقائى من أصحاب المناصب في أمريكا: "لعلكم قد صممتم في الواقع أن تخلصوا أنفسكم من الشاه؟" وعندما اضطرب من هذا السؤال سألنى عن مقصودى ؟ أوضحت له أنه "كان من الأفضل أن تظهروا أسلوباً آخر لحفظ أعماله دون إعلان تأييده، لأن جميع الإيرانيين متفقون تقريبا أن الشاه عميل لكم، ولو لفت انتباهكم مضمون شعارات شعب إيران لرأيتم أن جميع المتظاهرين يرددون في نفس واحد :" الشاه دمية الامبرياليين الأمريكان".

بدأ الشاه مشاوراته مع علي أمينى وجميع الساسة فى الدولة عقب حوادث ٥ نوفمبر وإقالة شريف إمامى، وقام بمباحثات مع سفراء انجلترا وأمريكا، وفي النهاية اختار المشير أزهارى (رئيس أركان الجيش) رئيسا للوزارة (×-١).

بعد ذلك صرح الشاه للشعب خلال حديث تلفزيونى أن "... الأخطاء السابقة والظلم والفساد لن يتكرر ثانية، بل إن الأخطاء أيضا ستتلاشى من كل مكان :" وهكذا تعاهد أنه بعد الحكومة العسكرية "سيعين فى أسرع وقت حكومة وطنية لإقرار الحريات السياسية وإجراء انتخابات حرة .. " وأشار في خطابه للشعب إلى هذه النقطة أيضا أنه "... إننى استمعت لرسالة ثورتكم للأمة الإيرانية، وأقدر لكم كل ما قدمتموه من تضحيات .. " ! (٤).

إن الشاه- أو الشخص الذي قد كتب خطابه- لا شك أنه لم يفكر أنه تحدث مثل هذه الأحاديث وتعهد بالتعهدات نفسها من قبل، وعلي سبيل المثال في سنة ١٩٦٧ تحدث عن اقتلاع أس الفساد، وفي سنة ١٩٧٧ تحدث عن إقامة انتخابات حرة أيضا.

(×-١) انظر : ياسخ به تاريخ ٣٥٠

لم يأت خطاب الشاه بنتيجه سوى التقليل من شأنه، وكان هذا التصرف لا مجال له إلا أنه أضاف ما كان واجباً أن يحدث إلي سجل أخطائه التي كان قد ارتكبها منذ بداية ظهور الاضطرابات.

خلال ذلك لم يكن أمام الشاه مناص إلا الاعتراف بالأخطاء أمام الجميع، ولكن المسألة هى أنه كان قد وضع قدمه في المعمعة عند اختياره لطريق ملتو ، لأنه إذا كان يريد أن يكسب المحبة بمثل هذا التصرف ويبين للأمة أنه شخص شجاع ومستنير الفكر، كان من الواجب أمام الشعب أن يبحث عن المسببات، ويعدد النقاط الإيجابية في عصر سلطنته، وعند تحديد أخطائه فى السابق يتعهد شخصيا بمسئوليته التافهة ويعرض علي الجميع الحقائق الموجودة في النظام.

وإذا كان قد فعل هذا فإنه بذلك يكون قد أدرك بنفسه أن تكليف حكومة عسكرية لن يحقق الفائدة له أبدا ، وبذلك لا يكون له هدف إلا إقرار النظام والهدوء، وكان يجب أن يحل مجلس الحكم، ويعمل بأقصى سرعة لعقد انتخابات حرة.

ولكن بدلاً من ذلك الأمر، أهدرت الحكومة العسكرية التى عينها الشاه وقتها هباءً للحصول علي ثقة المجلس، وانشغلت هنا وهناك للبحث عن أشخاص لتضحى بهم كدرع واق للشاه.

عقب تعيين أزهارى رئيساً لوزارة الحكومة العسكرية (×-١)، أثار الجيش اضطراباً مرة أخري في الشوارع، وحاصر المدينة، وادعا اتباع شريف إمامي أن جمع القوات من شوارع طهران يوم ٤ نوفمبر (١٤ آبان) كان بالتأكيد بهدف إيجاد اضطرابات في المدينة وتهيئة رئيس الوزراء للاستقالة من منصبه.

بعد إقامة حكومة أزهاري؛ وعلي الرغم من أن حالة هدوء نسبي قد عمت طهران لعدة أيام، ولكن الاضطرابات استمرت فى بقية المدن الإيرانية علي حالها ، وفي مثل

(×-١) فى ١٥ آبان ١٣٥٧ هـ . ش

هذا الحال أعلنت أمريكا مرة أخري علناً تأييدها للشاه، وأوضحت وزارة خارجيتها أيضا - بنشر بيان - خطوة الشاه علي النحو التالي :" ...

لقد استخدم الشاه فقط سلطاته عند تشكيل وزارة عسكرية لأنه تبين له أنه في الوقت الحاضر ليس لديه فرصة قط لتعيين وزارة مدنية أخري حتي يتمكن عن طريقها إعادة النظام والهدوء اللازمين لعقد انتخابات في البلاد ..."

بالنظرإلي ذكر عبارة "وزارة مدنية أخرى" في بيان وزارة الخارجية الأمريكية بهذا الشكل أن مسألة تردد علي أمينى مرات بين البلاط والأوساط المعارضة للنظام ليس له أساس، وكان قد حدد ضمنياً تعسر أميني في تشكيل وزارة ائتلافية، لامتناع العناصر المعارضة للاشتراك فيها ما دام الشاه يستقر علي رأس السلطة - مما عرقل جلوسه علي كرسي الرئاسة .

إذا أردنا أن نتعرف علي الواقع يجب أن نقبل أنه في ذلك المنعطف الحساس كان لزاماً علي الشاه أن يتنحى عن الحكم ليمنح أميني الفرصة ليشكل وزارة ائتلافية باشتراك المعارضين، وكان فقط بهذا الشكل يستطيع أن يحفظ النظام الملكي في البلاد حتي لو طالب المخالفون باقامة استفتاء، وعلي الأقل كان القيام بهذا الأمر سبباً في ألا يزهق أرواح كثير من الشعب من أجل قلب نظامه.

ولكن الشاه بسبب أنانيته أكثر من اللازم وحبه المفرط للحفاظ على السلطة لم يهتم أبداً بالواقع، بل إنه سلم عنان سلطته أكثر من ذي قبل لأشخاص مغرضين كانوا قد التفوا حوله، وسعوا بالتوصيات التي أوصوه بها أن يحافظوا علي مصالحهم.

كان هذا في الوقت الذي كان فيه خمينى في نوفل لوشاتو قد قوي أكثر، وأعد نفسه بأن يقود ويتزعم الشعب حركة كانت قد بدأت، صوب الثورة.

كان آية الله العجوز يصر في حديثه دائما علي هذه المسألة أنه ليس مستعداً

أبداً للمصالحة مع النظام، وكان دائما يؤكد أنه إذا لم يؤد استمرار مظاهرات الشعب إلي سقوط الشاه من الممكن أن يدعو الشعب لثورة مسلحة ضده.

فى الوقت الذي لم يكن هناك أحد تقريباً يصدق أن الشاه كان صادقاً في سلوكه وأقواله، وفي هذا الشأن أدركت ذات مرة خلال حديث مع أحد تجار سوق طهران (الذي كان يستعد للعلاج في نيويورك) أن سلوك الشاه وصل درجة أن أصحاب رؤوس الأموال أيضا كانوا قد فقدوا الثقة فيه، وقال هذا التاجر : "أخيرا كيف يمكن أن يوثق بالشاه؟ إنه بضم عدد من البنوك والمحلات الكبري قد أفقد أعمالنا ومكاسبنا ازدهارهما تماماً .." وحقيقةً أدركت أنه قبل ظهور الوضع الاقتصادي الجديد في البلاد كان للتجار دور رئيسى فى التحكم في التجارة، ومنح أكثرهم القروض للناس التي كانت فائدتها أعلي من السعر المعمول به في المؤسسات المالية. (٥).

كان من بين المعارضين غير الدينيين للشاه جماعة كانت تأمل في أن تهيئ أمريكا الشاه ليعتزل الحكم لصالح ابنه، وبعدها يستقر الحكم في المملكة بدستور ١٩٠٦، ولكن الشاه؛ لما كان علي كل حال لا يستطيع أن يتنبأ بعواقب الأمر، كما كان أيضا ينظر الى خطوات أردشير زاهدي والجيش في غيابه، بسوء الظن، لذا لم يشر عن رغبته مطلقاً بترك مكانه ومنصبه، ومع استمرار قبول التوصيات المضللة لحاشيته وضعفه التام عن اتخاذ قرار مناسب قد ضيق الخناق عليه أكثر كل لحظة.

درع البلاء

طلب أزهارى من الشاه فور إبلاغه برئاسة الوزارة أن يتباحث مباحثات سرية مع أردشير زاهدى وقره باغى (الرئيس الجديد لأركان الجيش)، وقد أخبروني بذلك فيما بعد أنه فى هذه الجلسة استطاع أردشير زاهدي أن يقنع أزهاري أنه لتقليل شدة هجوم الشعب علي شخص الشاه من الأفضل أن يقبض علي عدد من رجال الدولة ويسجنهم، وبعد أن وافقوا علي الخطة قدموا قائمة بالأشخاص المطلوبين وكان اسم أخى موجوداً بينهم.

الهدف من ذلك كان أن يلقى بالتقصير عن جميع أعمال النظام فى رقبة هؤلاء الأشخاص، وكان يأملون تنظيف المساوئ المشينة للشاه بأن يحاكموا المعتقلين محاكمات سريعة.

أخذ أزهاري موافقة الشاه لتنفيذ هذه الخطة في غد ذلك اليوم، ثم أعلن في يوم ٧ نوفمبر (١٦ آبان) (×-١) أنه قبض علي ١٤ شخصاً منهم "نصيرى" (الرئيس السابق للسافاك) بجريمة سوء استغلال سلطاته وإشاعة الفساد.

في ٨ نوفمبر أيضا اعتقل ازهاري، بموافقة الشاه، علي أمير عباس، ولكنه امتنع عن اعلان التهمة الموجهة اليه، وكم سمعت أن الشاه أصر علي أن يحاكم أخي بأسرع ما يمكن ربما يستطيع عن طريق هذه المحاكمة أن يغير الرأي العام، لكن وزير العدل قال : إنه "علي أساس القوانين المرعية في البلاد، لا يمكن أن يحاكم رؤساء الوزارة السابقين بسبب أعمالهم وقت رئاستهم إلا بموافقة المجلس، سواء أكانوا متهمين بالفساد أو الاختلاس، ولهذا السبب لم يكن لدي وزير العدل صلاحية إعداد الجزاء المطلوب في حق أمير عباس، لذا كان يجب انتظار عدة شهور ليهيئ أسباب إقامة محاكمته على يد المجلس .." وأصدر الشاه أيضا حول هذا الأمر أوامره لكي يعد وزير العدل بأسرع ما يمكن لائحة في هذا الخصوص ليصادق عليها المجلس خارج جدول الأعمال.

بعد اعتقال أمير عباس أشيع أن الشاه والملكة قد طلبا من أخي أن يبدي تقصيره في كل المجالات لينقذ النظام الملكى بهذا الفعل من الخطر.

مع أنني لا أعتقد في صحة مثل هذه الشائعة الي حد ما ولكننى واثق أن النظام كان يبحث عن شخص يجعله درع بلاء له، وفي هذا المقام استند إلي أقوال الشاه التي صرح بها بعد مقتل أخى بثلاثة أسابيع خلال حديث صحفي مع صحيفة لوموند (بتاريخ ٢٧ ابريل ١٩٧٩) جاء فيه :

(×-١) ورد في كتاب الشاه "ياسخ به تاريخ" أنه فى الثامن من نوفمبر ١٩٧٨(١٧ آبان ١٩٧٨)ص٣٨٠.

عندما عُرض عليّ قائمة الأشخاص المطلوبين - للحصول على إذن باعتقالهم، وافقت عليهم جميعاً ما عدا هويدا [×-١]، وفي نفس يوم ٧ نوفمبر (١٦ آبان) استدعيت هويدا بعد ذلك الي القصر، واستعرضت معه الأمور بوضوح، وعندما أحسست أن روحه في خطر، طلبت منه تبعا لرغبته قبل أن يفوت الوقت أن يخرج من ايران بطائرة خاصة.

استمع هويدا الى كلامى بآذان صاغية، ثم قال : "ليس هناك سبب لكي أطلب الهروب من إيران، وطالما لم أقصر أصلا، وإذا لم يكن لديك سبيل إلا اعتقالي أتمنى أن تفعل هذا الأمر ..." ولم أكن حقيقة أنتظر جوابا من هويدا إلا هذا، ولما كنت أعرف أنه لم يكن مطلقاً خالياً من عبء تحمل المسئولية بالإضافة إلي كونه شخصاً لا يمكن أن يوجه إليه اتهام أبداً".

هذا الموضوع المتمثل في رفض أخي وقبول الفرار من البلاد حقيقة، فبينما كان خمسة رؤساء وزارة أخرين يعني : أميني وأموزجار وشريف إمامي وأزهاري وبختيار قد فروا من إيران فإن أمير عباس لم يستغل موقعه للفرار أبداً.

ولكن قول الشاه من أنه قد اقترح علي أخي بالخروج من البلاد ، وهو قول غير مقبول بالنسبة لي أبداً، واعتبره نوعا من "الوهم الشاهانى" وطبقا لم صرح به في صحيفة لوموند، أقول : "طالما أن الشاه كان واثقاً من أن " ما من اتهام يلحق بهويدا" لماذا أصدر أمراً باعتقاله؟ ألم يكن هذا التصرف من الشاه سوى استخدام أخي كدرع للبلاء؟ [×-٢] وإذا كان قد أحس أن "روح هويدا فى خطر" أليس هذا دليلا آخر علي معرفته لدور أردشير زاهدي لقتل أخي؟.

(×-١) لم يذكر الشاه ذلك فى كتابه ياسخ به تاريخ (انظر ص ٣٧٩ - ٣٨٢).

(×-٢) قال الشاه : إنه في خريف سنة ١٩٧٨ انهم جعلوا أمير عباس هويدا درعا للبلاء وهاجموه باعتباره مسئولا عن أمور الحكومة (ياسخ به تاريخ ٣٨٠) ولم يحدد الشاه من هم الذين جعلوه درعا للبلاء.

فى تلك الأيام التي كنت اتصلت هاتفياً بأمير عباس أخبرني أن الشاه قد قال له: يجب أن يعرف أن اعتقاله فقط خطوة لإنقاذ التاج والعرش، وعقب ذلك سيتمكن من الدفاع عن نفسه جيداً ولن تسفر نتيجة محاكمته إلا علي علو همته وتوفيقه.

عند سماع هذا القول، اقترحت علي أمير عباس: أن يرد علي طلب الشاه هذا علي الأقل بأن يبين للجميع مسئولية الشاه واتخاذه كدرع بلاء له ، ولكنه امتنع عن قبول اقتراحى، وقال رداً عليه : "لن يسفر هذا الأمر بنتيجة أخري إلا زيادة مشاكل المملكة.."

وعقب هذه المكالمة اتصل بى من طهران أحد المقربين بى في غد ذلك اليوم وحذرنى من أنه طالما أمير عباس فى وضع خطر فمن الأفضل لى أن أغلق فمى والا أتحدث مرة أخرى هذا الكلام.

وادعى الشاه فى نفس حديثه مع لوموند أنه "قد منح أمير عباس فرصة عند خروجه من إيران يوم ١٦ يناير ١٩٧٩ (٢٦ دي ١٣٥٧) ليغادر إيران بكل حذر" ولكننى أعلن مؤكداً أن قول الشاه هذا ليس إلا "كذبة كبري" لأن جميع الأشخاص الذين على اتصال بأخى فى هذه الأيام الحساسة يرفضون ادعاء الشاه هذا، وقد تحدثت أنا شخصياً مع أخى فى ١٦ يناير، ولم أسمع منه فى هذه المكالمة أبداً شيئاً خاصاً باقتراح ادعاء الشاه، بينما كنت أعرف منذ عدة أيام من قبل أن سيدة من المقربات لنا قد طلبت فى رسالة لها للشاه والملكة أن يخرجا أمير عباس فى طائرتهما من البلاد، ومع أن الشاه كان على علم بانتهاء عهده إلا أنه كان يستطيع حتماً أن يطلق سراح معاونيه الذين كانوا قد سجنوا بأمره، ويحملهم معه من إيران، ولكنه امتنع عن مثل هذا التصرف كيلا يكدر طلعته البهية، وأنقذ نفسه فقط من المهلكة، وأنا واثق أن محكمة التاريخ ستكشف الحجاب عن النوايا الحقيقية للشاه.

والأمر الذى صرح به الشاه فى حديثه الصحفى مع لوموند أن اعتقال هويدا

وآخرين كان ضرورياً "لتهدئة الثائرين" ولكن من ذا الذى لايعرف أن تصرف الشاه لم يستطع أن يترك أثراً على حركة الشعب ، ولما كان الهدف الحقيقى لهجوم الشعب على شخص الشاه، وليس أخى، والشاه نفسه عند مشاهدة الأوضاع المضطربة أطلق سراح سنجابى وآخرين من معارضى النظام بعد عدة أيام، وكان يجب أن يفهم أن سجن أخى لا تأثير عليه مطلقاً فى "تهدئة الثائرين".

بناء على ذلك وعلى الرغم مما قاله الشاه (×-١) فى حديثه للموموند، لم تعد أعمال سياسة،" درع البلاء" التى قام بها بالتهدئة فى البلاد ولم تمنع استمرار الاضطرابات، بل أن حيز المعارضة أخذ أبعاداً جديدة كل يوم، وتطور أكثر من مرحلة إلى أخرى حتى قامت الصحف بالإضراب وتوقفت عن النشر بسبب معارضة أعمال رقابة الحكومة العسكرية.

تحركات حكومة ازهادى العسكرية:

قامت الحكومة العسكرية بالضغط على المعارضين للنظام لإجبار رؤسائهم لمصالحة الشاه، واعتقلت فى البداية سنجابى وأحد مرافقيه، ثم حذرت الهيئة المنظمة لإضراب العمال- خاصة فى المناطق الغنية بالبترول أنه إذا لم تنه الإضراب سيعتقلون ويسجنون، ولكن هذا التصرف لم يكن له من أثر بل على العكس كان سبباً فى انسجام الشعب أكثر، وتزايد مطالب المعارضين للنظام.

ورأت الحركة نفسها منذ سبتمبر (شهر يور) وما بعده أنها أقوى من السابق ليس فقط فى مواجهة مثل هذه التهديدات الوحشية ، بل أدركت مجدداً مدى ضعف الحكومة العسكرية (حتى الشاه نفسه لم يهتم بهذا الأمر وأطلق سراح سنجابى بعد أسبوع واحد من الاعتقال).

عقب ذلك عندما أدرك الجميع أن حكومة أزهارى حكومة عسكرية فى الظاهر

(×-١) دافع الشاه كثيراً عن هويدا انظر: (پاسخ به تاريخ ٣٧٩-٣٨٠).

فحسب، وفى الخفاء ليس لها هدف إلا فتح مجال مصالحة المعارضين مع الشاه،لذا وضح ضعف الشاه أيضاً، واستمرت حركة الشعب فى طريقها تزداد قدرة واقتداراً، بينما كان هذا التصور شائعاً فى أذهان العامة كان الأمريكان ليسوا مستعدين مطلقاً لينقذوا الشاه بحجة وجود حرب أهلية، وبهذا العمل الذى كان قد أدى إلى مواجهة الجيش والشعب سبباً فى انفصال الجيش (٦).

كانت الوزارة العسكرية لأزهارى تلتقط آخر أنفاسها بينما لم يكد يمر على تشكيلها أكثر من عدة أيام، وعندما أدرك الشعب خواءها اتسع نطاق الحركات المناوئة للنظام أيضاً عنفاً ونشاطاً عن ذى قبل، وتحولت مطالب المضربين أكثر إلى النواحى السياسية، وقُتل وجُرح عدد كبير من المتظاهرين إثر هجوم القوات العسكرية عليهم فى مدن مختلفة مثل: عبادان، بهبهان، مشهد، أصفهان وسارى (٧).

بينما أخذت قوة معارضى النظام تزداد، وتوسيع دائرة النشاط الشعبى، كان الشاه يتمسك بخطوات فقط لإظهار رفعه للأخطاء فى الأوضاع ودفعه لخطأ فى الحسبان، على سبيل المثال، كان يوم ١٧ نوفمبر (١٧ آبان) يُعد "عيد الجيش" واستعرضت القوات العسكرية فى طهران، ولم يحضر الشاه لأول مرة هذه المراسم، وأراد بهذا التصرف أن يقف الشعب على غضبه ورفضه أكثر.

فى رأى كثير من المراقبين أن الشاه لو ظهر فى أحداث استعراض جيشه أمام العامة وأبدى سلوكاً من العنف والقوة، كان من الممكن أن يظهر للشعب عزمه وإرادته وهذا فى حد ذاته يقوى نفسية الجيش للاستمرار فى الوفاء للحكم (٨).

مثال آخر، كانت زيارة الملكة فرح يوم ١٨ نوفمبر (٢٧ آبان) لكربلاء والنجف- مدن الزيارة الشيعية فى إيران ومع أنها فى الظاهر كانت استجابة لدعوة من الحكومة العراقية، لكن الجميع كان يعرف أنها ليست إلا قضية إظهار التدين من قبل أسرة الشاه وإبراز ارتباطها بالمذهب الرسمى للبلاد.

ولما كانت هذه الخطوة أيضاً قد تمت متأخرة جداً عن المعتاد، فقد أثارت غضب البعض ضد الشاه، ولم يثمر برد فعل بين الآخرين إلا بصورة مختلفة ولو أن زيارة الملكة إلى كربلاء والنجف طبقاً لما هو مخطط لها قد تمت قبل يوليو (تير ٥٧) كان من المحتمل أن تأتى بنتائج إيجابية، ولكن هذه الزيارة فى ذلك الوقت لم تتم بسبب إقامة خمينى فى النجف وتم تأخيرها حتى تتم فيما بعد فى شهر نوفمبر بشكل غير مؤثر وبنتائج سلبية.

وفى نفس يوم ١٨ نوفمبر ارتكب النظام خطأ آخر، وقدم أزهارى وزارته العسكرية لأخذ ثقة المجلس، ولكن هذا التصرف فى نظر الشعب لم يعتبر حديث المعارضة والموافقة من نواب المجلس ليس إلا نوعاً من مسرحية دُمى، وكان ضررها الآخر هو أن حضور أعضاء حكومة أزهارى فى المجلس كان سبباً فى أن تفقد حكومته تماماً كونها "عسكرية".

الأهم من ذلك أنه فى يوم ١٨ نوفمبر قطعت موسكو لأول مرة صمتها تجاه أوضاع إيران، وأعلن برجنيف خلال حديثه أن الأمور الجارية فى إيران لها تماماً صفة التحرك الداخلى، وحذر بشدة أى تدخل أجنبى فى شئون إيران.

فى يوم ١٩ نوفمبر بينما أطلق الشاه سراح ٢١٠ أشخاص من المسجونين السياسيين كخطوة لتهدئة الوضع،كانت القوات العسكرية فى نفس الوقت وفى أماكن مختلفة من البلاد مشغولة بسحق المظاهرات السياسية للشعب، وأظهر الشاه بهذا التصرف أنه لم يزل يسلك سياسته الأولى منذ بداية الأزمة، ويتبع سياسة العصا والجزرة، ولما كان النظام فى ذلك الوقت بعد إعادة فتح السوق يعتبر هذا التصرف إظهاراً لقدرته، وفوراً أعلن أكثر التجار أنه "إذا تصورت الحكومة أننا قد سلمنا فإنها تخطىء...".

وبعد ذلك تتابع وقوع حوادث مختلفة فى المدن الإيرانية بالتوالى والتى منها: إطلاق النار من قبل القوات العسكرية صوب أهالى شيراز (١٩ نوفمبر)، هجوم رجال النظام على إحدى المستشفيات فى مشهد وقتل المرضى الجرحى فى المستشفى (٢٣ نوفمبر) (٩).

يوم ٢٦ نوفمبر (٥ آذر ٥٧) لبى الشعب أيضاً دعوة رجال الدين والجبهة الوطنية وقاموا بالإضراب الشامل احتجاجاً على حادثة مشهد فى كل البلاد وحتى فى المناطق الغنية بالنفط.

أوضاع إيران أواخر نوفمبر ١٩٧٨ (أوائل آذر ٥٧):

مع مرور قرابة ثلاثة أشهر من بداية الإضطرابات والإضرابات كان اقتصاد البلاد يتجه صوب الشلل الكامل، العمليات البنكية كانت تتم بشكل انفرادى، ونقص السيولة كان يحس فى كل مكان، كانت البضائع المستوردة، التى كان أكثرها قابلاً للتلف- قد ملأت منافذ الدخول والحدود بسبب اضراب عمال وموظفى الجمرك، وظهر فى المصانع حالة نقص العمل عن عمد، موظفو الحكومة إذا حضروا إلى الإدارات عادة يضعون أيديهم فوق بعضها، ولاينجزون عملاً، صاحب هذه الأمور أن الأغنياء كانوا مشغولين كما كان من قبل بنقل أموالهم خارج البلاد.

فى ذلك الوقت وبسبب انتشار قائمة مفصلة وإذاعتها بين الشعب، اتهم عدد من الأشخاص المعروفين- خاصة أفراد الأسرة الحاكمة-بإخراج أموالهم من البلاد خلال الشهر الماضى.

فى هذه القائمة، التى كانت بدون توقيع، يقال : إنها قد نشرت عن طريق موظفى البنك المركزى المضربين، ذكرت القائمة أسماء ١٤٤ شخصاً منهم جمشيد آموزجار وأردشير زاهدى ولكن كانت الأرقام المذكورة مبالغة جداً.

بعض الأشخاص الذين وردت أسماؤهم فى القائمة راجعوا رئيس الوزراء، وطالبوه أن يوضح الحقائق بنشر بيان، ولكن أزهارى رفض طلبهم بحجة المصلحة، ووجدت محتويات هذه القائمة قبولاً عند الناس لدرجة أن تأييدها أو تكذيبها لايحل المشكلة.

على هذا الأساس علم أن تحركات المعارضين تأتى بنتيجة أفضل من أساليب النظام، وأنهم قادرون عن جد على أن يطلقوا الحراب التى فى أيديهم فى مقتل مؤيدى الشاه ويقضون عليهم، بينما لم تثمر أفعال أزهارى من القبض على بعض الأشخاص المعروفين وإهانتهم من أجل منح الثقة للشاه، بنتيجة إلا استهزاء الشعب بالنظام، وكان الجميع يقولون: "طالما أن الشاه مضطرب فى أموره فإنه يسعى ليلقى بأخطائه فى رقاب الآخرين" ووسط هذا، عندما رأى المعارضون للنظام أن الشاه قد سقط بالعناصر التى أقامها نظامه، ويضرب بفأسه على جذره، أحسوا بالسعادة.

فى مثل هذا الموقف كان مؤيدو ومعارضو النظام منتظرين حلول شهر المحرم بخوف وأمل كبيرين لأنه منذ حل أول شهر ديسمبر والجميع ينتظر أيضاً يوم ١١ ديسمبرالذى كان يوافق "عاشوراء" ذكرى شهادة الإمام الحسين (حفيد نبى الإسلام) لما سيحدث فيه من صدامات شديدة بين الشعب والقوات العسكرية.

كان مؤيدو النظام يعتقدون أن الشاه لو استطاع أن يتجاوز حوادث يوم عاشوراء سينجو من الهلاك، ولكن المعارضين كانوا واثقين أن يوم عاشوراء ستتحول كل أمانى الشاه إلى يأس.

خلال ذلك عندما كان آية الله خمينى يسعى من قاعدته فى نوفل لوشاتو أن يثير الشعب أكبر ما يستطيع بزيادة خطبه وأحاديثه الصحفية، كانت أوساط البلاط وعواصم العالم تنظر إلى موقف الحكومة الفرنسية نظرة حيرة تامة، وفى الواقع لم يعرفوا لأى سبب يسمح المسئولون الفرنسيون خلافاً للقوانين الدولية فيما يتعلق

باللاجئين السياسيين، حتى يثير رجل دين منفى الثوار فى إيران[١٠] ولكنهم كانوا غافلين عن هذه الحقيقة وهى أنه بعد سفر خمينى من النجف إلى باريس، عرضت الحكومة الفرنسية الأمر على الشاه، وطبقاً لما صرح به بألا يقوم بأى عمل من شأنه إخراج خمينى من فرنسا.

فى نفس الحال كل من بين المسئولين فى واشنطن فقط "برجنيسكي" الذى سعى بكل وسيلة ليطمئن الشاه ويرغبه فى الاستقامة، ولكن بقية أعضاء الهيئة الحاكمة فى أمريكا فيما يتعلق بأوضاع إيران، كانوا يقيمون فرصة استمرار حكم الشاه بأى وسيلة، وهذا الأمر نفسه كان سبباً فى ظهور الوهم فى عقل الشاه من أن الأمريكيين ليس لديهم استعداد لمساعدته.

فى مثل هذا الوضع- على الرغم من أن عدداً من جنرالات الشاه قد لفتوا انتباهه إلى الضعف المفرط لحكومة أزهارى حتى ينتهز الفرصة المناسبة لحفظ النظام عن طريق انقلاب عسكرى، ولكن الأمور فى أواخر شهر نوفمبر قد أخذت شكلاً كان يظهر أنه لايوجد قط أمل لإنقاذ حكم الشاه سواء عن طريق إقامة حكومة قوية أوإقامة نظام دستورى.

فقد الشاه ومستشاروه جميع الفرص المتاحة التى تهيأت لهم طوال شهر سبتمبر (شهر يور) وحتى أواخر أكتوبر (أوائل آبان) والآن لم يكن للوزارة العسكرية لأزهارى أيضاً مستقبل إلا الاختفاء.

شهر المحرم:

ليلة الأول أو الثاني من ديسمبر ١٩٧٨ [×-١] والتى كان فى غدها يبدأ أشهر العزاء المذهبى (المحرم) [١١] تدفق المسلمون بعد نهاية المراسم التى كانت مُقامة فى

(×-١) ١٠ آذر ١٣٥٧ هـ.ش.

المساجد طبقاً للعادة المعمول بها ، فى الشوارع، وكانوا يهتفون "الله أكبر" دون مراعاة لقرارات الحكومة العسكرية بحظر التجول، مع أن هذه الأعداد توجهت إلى جنوب المدينة لاستقبال الأهالى الذين كانوا قد تجمعوا على الأسطح، ولكن فى هذا الموقف لم تبد القوات العسكرية المتمركزة فى الشوارع أى رد فعل لها.

فى يوم الأول من المحرم أيضاً بعد انتهاء ساعات حظر التجول تدفق آلاف (×-١) من الأشخاص فى الشوارع وكانوا يلبسون الأكفان، ولكن هذه المرة واجه المسئولون الناس برد فعل عنيف وُقتل إثر إطلاق القوات العسكرية النار قرابة ٦٠ شخصاً وجرحوا عدداً كبيراً، والتى على إثرها أضرب مئات الآلاف من العمال والموظفين فى كل أنحاء البلاد مرة أخرى.

أثناء وقوع هذا الحادث ولمدة أسبوع ظل الشاه منزوياً ولم يقابل أو يتصل بأحد إلا عدد من المقربين والتشاور مع إثنين أو ثلاثة من المعارضين المعتدلين والسفير الأمريكى.

وطبقاً للمعلومات التى أعطانى إياها أحد المقربين من الشاه، كان قلقاً جداً من احتمال صدام بين الشعب وقوات الجيش، وكان يبحث عن مخرج ليجد بأسرع ما يمكن جماعة ليشكلوا وزارة مدنية، ويجعلهم محل وزارة أزهارى التى كانت قد أظهرت عدم كفاءتها "لتهدئة الثائرين".

لم يكن لدى أعضاء حكومة أزهارى مقدرة على اتخاذ قرار بشأن الأعمال الجارية فى المملكة، وكانوا يسارعون إلى الشاه مع كل مشكلة ليأخذوا منه الأمر، ولم يكن الشاه أصلاً مستعداً لقبول حقيقة أنه سعى لسنوات ليفرغ ذهن جنرالاته من أى

(×-١) مسيرة ضمت مليونى شخص، فى ١٩ آذر ١٣٥٧ هـ.ش.

نوع من أنواع الاستقلال الفكرى، والآن يتوقع إدارة شئون البلاد من أشخاص قد أبعدوا أنفسهم عن حياة الشعب عمداً حتى لا يتلوثوا بأفكار الحرية (!).

قال أزهارى نفسه لأحد أصدقائي البارزين فى وزارة المالية: "وزرائى يتوقعون منى دائماً أن أنظر فى المسائل الاقتصادية المختلفة مع أننى عسكرى ولا أفهم أصلاً فى مثل هذه الأمور".

قال لى أحد الدبلوماسيين الأجانب -الذى كان قد جاء من طهران إلى نيويورك والتقى بى:"انتهى أمر الشاه تماماً ، وأنه لا يستطيع مطلقاً أن يسترد مكانته التى فقدها ثانية، وخطوة الشاه فى اعتقال أخيك بسبب عدم ثقته حتى فى حاشيته الآخرين، خاصة أن همهمات السخط تُسمع أيضاً بين جنرالات الجيش، وأغلبهم يدركون أن الشاه عندما ألقى أفضل أصدقائه وخدامه فى مثل هذه المذلة، فليس بعيداً أبداً أن يلحق بهم غداً نفس هذا البلاء......".

قال لى أحد رفاقى- ذاماً للوضع- عندما أرسله أردشير زاهدى مرة أخرى بسرعة إلى طهران حتى "يقوي نفسية الشاه" قال: "من المعلوم أن الشاه باختيار مستشار مثله فمن المؤكد أنه اختار السقوط".

ويجب أن أقول : إنه فى هذا الأوضاع والأحوال كان أكثر الناس يتحدثون ولايوجد خوف من مراقبة السافاك، والجميع كانوا يقولون ما يريدون بحرية وأس كلامهم لم يكن إلا أن نظام الشاه يحمى نفسه بالقوة.

وكان رفاقى فى نيويورك ينتقدون أعمال النظام بشكل واضح فى الغالب ، ولما كانوا أصلاً غير مستعدين لأن تسمع الأميرة أشرف- التى كانت رسمياً -تتولى رئاسة مندوبية إيران فى الجمعية العامة لمنظمة الأمم، وكانت الأميرة نفسها تسلك سلوكاً حذراً، وتعمل جاهدة على أن تقضى أغلب وقتها فى منزلها الخاص فى نيويورك.

فى ذلك الوقت كان المراقبون الأجانب يستخدمون لأول مرة فى أحاديثهم الخاصة بأوضاع إيران بدلاً من "أزمة" لفظ "ثورة" وكان الأمريكيون مستعدين لإرسال ممثلين غير رسميين إلى باريس ليطلعوا على موقف خمينى.

وفى هذه المناسبة قام "رمزي كلارك" (المدعى العام الأمريكى الأسبق) والبروفيسور "فالك" والبروفيسور "رونيس" بعمل زيارة لنوفل لوشاتو، واتصل بعض رجال السياسة الإيرانيين أيضاً بآية الله لعلهم عن هذا الطريق يستطيعوا أن يدفعوا الخطر الذى يوزعه النظام.

مع أن المسئولين فى واشنطن استمروا فى التأييد الرسمى للشاه كما كان، لكنهم مشغولين فى الخفاء بتقييم سياستهم الجديدة تجاه إيران ، وكانت العواصم العالمية الأخرى تتبادل معهم الأخبار فيما يتعلق بالأوضاع التى ستفصل اللُحمة عن سدى النظام الملكى، ويتدارسون بدقة حوادث إيران، وكانوا يريدون أن يجدوا إجابة على هذين السؤالين: كم من الوقت يمكن للشاه المشلول أن يثبت؟ وهل سيحمى جيش إيران الشاه أم لا؟.

فى مثل هذا الوضع كنت دوماً فى مكالماتى الهاتفية مع أخى طالت أم قصرت أحاول أن أتحدث معه حديثاً بالرمز، وفى الغالب كنا نفهم بعضنا البعض ولم أر لزوماً لأن ندخل فى التفاصيل.

لما كانت محاكمة أمير عباس قد تأخرت أكثر من اللازم فى اتهام لم يحدد بعد، سألت أخى ذات مرة؟ لماذا لاتعلن عن طلب دفاع عنك؟ وعندما أجاب: إننى لاأريد أن أصدع بهذا التصرف رأس الشاه، ذكرته: لايجب أن يفكر فى الشاه كثيراً، لأنه فى الوقت الحاضر ليس إلا رجلاً يائساً، ولكن أمير عباس أصر علي موقفه، وكان هذا الأمر سبباً فى أن أحس بالقلق لأول مرة على مصيره.

بعدما هدأت المظاهرات الدامية خلال اليومين الأولين للمحرم هدوءاً نسبياً حدثت فقط بعض الحوادث المتقطعة والسريعة، وقام أزهارى خلال مساعيه لكشف عدد قتلى يومى المحرم- والذين كان قد حسب عددهم معارضو النظام بسبعمائة شخص- بإلقاء اللوم الحقيقى فى هذه الوقائع على الأسباب الخارجية وحزب توده (الذى كان لسنوات حزباً غير شرعى) بينما كان الجميع يدرك أنه كان محالاً أن يدع أحد الميدان دون تدخل المشايخ- الذين يعتبرون المنفذين لأوامر خمينى، وكذلك طلب خمينى فى تلك الأيام من الجنود أن يفروا من الثكنات.

في الثالث من ديسمبر (١٢ آذر ٥٧) استعد الشاه بعد إصرار قادة الجيش والملكة فرح أن يخرج بعد عدة أسابيع من قوقعته، ويظهر أمام عيون الجميع بالاشتراك فى المراسم الخاصة بمركز تعليم طلاب القوات الجوية، وكان يحاول طوال انعقاد المراسم دائماً أن يبتسم حتى لا يتمكن أحد من أن يطلع على وجهه الشاحب بسبب قلقة واضطرابه الداخلى.

فى ذلك الوقت كان عمال صناعة النفط يضربون فوراً بمجرد وقوع حادثة أو إقامة مظاهرات، وبهذا التصرف خفضوا بسرعة مستوى إنتاج البترول، وقال أزهارى فى أول مؤتمر صحفى له بلهجة صارمة جداً: "كل إيرانى أصيل مؤيد لجلالة الشاه"! وأضاف بعدها: "....مع أنه خلال ٣٧ سنة من الحكم الشاهنشاهى لم تتم بعض الأعمال بالشكل المطلوب ولكن خلالها أيضاً أقيمت فى إيران عدد من الطرق والموانىء والمدارس التى إذا أردت أن أعدد ما تحقق خلال ٣٧ سنة فإنه سيتطلب أكثر من ساعتين" وقد وجدت عند مطالعة التقرير الخاص بكلام أزهارى فى هذا المؤتمر الصحفى يُعد أقواله عن الذهن كأنما أرى حلماً، وتعجبت حقيقة كم يكون الشخص أعمى وأصم عندما يظل عاجزاً عند رؤية وسماع حقائق مثل هذه.

وكانت واشنطن استمراراً لتأييدها للشاه قد أرسلت "چورج بال" (نائب وزير الخارجية فى عهد كنيدى وجونسون) بمهمة أيضاً ليتحقق من أوضاع إيران، ويقدم التوصيات اللازمة، ووصف "بال" بعد التحقيقات اللازمة فى هذا الشأن، وضمن تقريره، نظام الشاه أنه "لا فائدة منه" وأشار أن الحكومة العسكرية يجب أن تعزل وتتولى أمور البلاد بدلاً منها حكومة مدنية.

عقب هذه التوصية أصدر المسئولون فى واشنطن قراراً بترحيل أتباع أمريكا المقيمين فى إيران، وقال الرئيس كارتر فى السابع من ديسمبر (١٦ آذر ٥٧) خلال مؤتمره الصحفى بلهجة تظهر تلويحاً بتغيير موقفه- رداً على أحد الصحفيين حول وضع النظام فى إيران من أنه يرجح أن يقوم بدور هام فى بلده ، ولكن هذا الأمر يجب أن يوافق عليه شعب إيران.

استنبط الرأى العام العالمى عند سماع وجهة نظر كارتر أن الشاه قد طُرد من قبل الأمريكان، وعندما أبدى البلاط الإيرانى رد فعل على هذه القول اضطر كارتر تكذيب قوله، وأعلن أنه سيستمر فى سياسة تأييد الشاه كما كان وليس هناك تغيير قط لهذه السياسة، وبعد ذلك، مع أن سنجابى قد أطلق سراحه من قبل الحكومة العسكرية كبادرة لحسن النية تجاهه، ولكنه نفى أى نوع من أنواع التعاون مع "نظام الشاه غير الشرعي".

سارت الأوضاع فى مثل هذه الظروف خلافاً لرغبة النظام، وكان التفكير في احتمال صدامات يوم عاشوراء يصيب رجال النظام بالفزع أكثر من ذى قبل، وفضل الشاه فعلاً فى التراجع وإصدار قرار رفع الحظر عن مظاهرات الشعب فى أيام تاسوعاء وعاشوراء" وامتنع عن استعراض القوة فى هذين اليومين ليتمكن بذلك أن يجنب نظامه خطراً كبيراً، ولكن هذه الخطوة كانت سبباً فى إضعاف نفسية الضباط الأوفياء للنساء، وأثبتت وحدة الأمة كقوة فى داخلها، لدرجة أن الشعب كان يردد "خاف الشاه وتراجع وليس لدى الأمريكان طاقة لمواجهة الشعب".

عـقب ذلك، أعلنت الحكومـة العـسكرية أن "الجـيش سـيـصطف على طريق المظاهرات والمسيـرات، وسوف يتدخل فـقط في حـالة الغـوغـاء" وطالب رجـال الدين ومنظمو المظاهرات من الشعب أن يحافظوا على هدوء المسيـرات حتى لايعطوا الفرصة لقوات الأمن.

تاسوعاء وعاشوراء:

يعتبر الشيعة فى كل أنحاء العالم التاسع والعاشر من شهر المحرم (تاسوعاء وعاشوراء) من الأيام الهامة جداً، ويقيمون فى هذين اليومين مراسم عزاء فى ذكرى استشهاد الإمام الحسين.

كان يوم الأحد ١١ ديسمبر ١٩٧٨ (×-١) مصادفاً تاسوعاء (١٢)، تجمع مئات الآلاف من أهالى طهران (أو بقول بعض المصادر قرابة مليون شخص) لإقامة مراسم العزاء في وسط طهران، وتحركوا من هناك فى مسيرات بشارع شاه رضا إلى ميدان شهياد (الذى كان قد أقيم فيه بناء تذكارى على يد الشاه سنة ١٩٧١ أثناء الاحتفال بـ ٢٥٠٠ سنة شاهنشاهيه).

هذه المسيرة بالإضافة إلى أنها كانت دليلاً على إقامة مراسم العزاء كانت فى الواقع قد تمت بهدف المظاهرات السياسية، وكان الأهالى يهتفون وهم يحملون صور كبيرة لخمينى ومصدق وشريعتى أثناء المسيرة: الموت للشاه- الموت لأمريكا المجرمة. الشاه خائن - بعون الله سنعاقب الخونة، النصر قريب وخميني قائدنا....

كان يُشاهد بين هؤلاء المشتركين فى المظاهرات أفراد مختلفون من كل طبقة وجماعة: عمال، مثقفون- تجار - نساء محجبات وبدون حجاب، رجال دين بعمامات سوداء أو خضراء أو بيضاء، أطفال، شباب ، أشخاص مرفهين بملابس غربية حديثة،

(×-١) توافق ٢٠ آذر ١٣٥٧ هـ.ش.

فقراء بملابس رثة، كان التنظيم والترتيب والهدوء لهذه الأعداد الضخمة من البشر فى هذه المسيرة مسألة تثير حيرة كل من يراها.

وفى غد هذا اليوم (عاشوراء) تدفق ملايين من أبناء الشعب فى كل أنحاء إيران فى الشوارع، وقاموا بالمظاهرات بنفس الهدوء والانضباط وروح اليوم السابق، ولكن فى أصفهان فقط مالت مسيرة الأهالى نحو العنف، وحدثت صدامات مع رجال الأمن فى هذه المدينة (١٣).

لم يدرك الشاه ومستشاروه أهمية الأحداث التى كانت قد حدثت فى أيام تاسوعاء وعاشوراء، لأنهم تصوروا أنه بامتناعهم عن أعمال العنف أثناء مظاهرات الأهالى كان لمصلحتهم تماماً، وفتح المجال لنجاتهم، ولهذا السبب أبدوا العمل للمصالحة مع المعارضين وصمموا على أن ينفذوا برنامجهم السابق الذى يتضمن تشكيل وزارة ائتلافية باشراك عناصر معارضة فى إطار دستور ١٩٠٦.

ولكن المشكلة كانت أن يتم اختيار شخص رزين لرئاسة مثل هذه الوزارة من خارج تشكيلات رجال الدين، كما أن سنجابى لم يكن لديه استعداد بأى حال أن يتولى منصب رئاسة الوزارة مادام الشاه على رأس السلطة، لكن الشاه بالإضافة إلى أنه ليس من السهل أن يتنازل عن السلطنة فإنه يعتبر أن سيطرته الكاملة على الجيش من مهامه الرئيسية، وطالما استمر هذا السبيل فإن تأييد قوات الجيش وأردشير زاهدى قد استقر للشاه، ولهذا سعى أيضاً لحفظ مقامه ومركزه، وظل فى دنيا تخيلاته.

بينما لم يكن لعامة الشعب من مطلب إلا رحيل الشاه من إيران، كان موقف خمينى يزداد صلابة كل يوم، وكان المعارضون يقوون أكثر كل لحظة، وكان الشاه ومستشاروه يجلسون فى حماية جدران قصر نياوران الذى كان محكم الحراسة، يبحثون خطط خاصة بقيادة جديدة للجيش بينما كانت الحوادث قد سبقتهم من قبل (أصدق مثال أواخر عهد إمبراطور البيزنطيين).

فى مثل هذا الموقف لو أن الشاه تنازل عن منصبه كان مجلس سلطنة سيتشكل شاملاً عدداً من المعارضين- خاصة من رجال الدين وغير رجال الدين-ويتم عزل المتهمين بسحق المظاهرات وقتل الأهالى- خاصة من العسكريين وغيرالعسكريين- وإذا لم تثمر هذه الطريقة على إبقاء النظام بنتيجة، فإنه على الأقل يوجد إمكانية لحفظ أصول السلطنة الدستورية في إيران.

ولكن الشاه ومستشاريه كانوا غارقين فى دنيا الأوهام إلى درجة أنهم يدورون بأعين مغماة، وغير مستعدين لأن يخطوا حتى ولو خطوة لإدراك الواقع خارج حدود أوهامهم، وأصلاً ليس لديهم اهتمام بحقيقة أن الهدف الأصلى هو أن إقرار حكم الشاه، مرفوض تماماً فى نظر الشعب.

قبل مظاهرات عاشوراء كان هناك احتمال أن يتمكن الشاه من أن يحفظ مركزه باستخدام كل سلطات الجيش وأتباع أساليب شبيهة بـ "بينوشيه" طالما كان الجيش لم يزل محافظاً على قدرته وانسجامه.

ولكن بعد أن أمر الشاه بأن يمتنع الجيش تماماً عن التدخل فى مظاهرات أيام تاسوعاء وعاشوراء، فقد رأى قادة الجيش أن إظهار قدرة عامة الشعب قد ترك تأثيراً أيضاً علي أفراد الجيش، ولم يعد كما كان من قبل ميالاً لإطاعة الأوامر.

اعتبر أكثر الأهالى أن تراجع الشاه ناجم عن خوفه، واعتبروا نتيجة المظاهرات فى هذين اليومين انتصاراً مؤزراً لهم، وبعد ذلك تزايد فرار الأشخاص العسكريين فى الخدمة كل يوم، وأوصلت سعادة الشاه المؤقتة الخاصة بتوصيات مستشاريه- الوضع إلى درجة أن تلاشت فرصة استمرار الحكم الدستورى فى إيران حتى بعد سقوطه وسقوط سلسلته.

موقف أخي ((أمير عباس هويدا)):

كما قلت من قبل كان أخي يتلقى منى اتصالاً هاتفياً فى معتقله من حين لآخر، وبالتأكيد سعينا ألا نتحدث فى مكالماتنا أكثر عن المسائل التى تجرى فى الخفاء.

لم يتصل أمير عباس طوال فترة اعتقاله مطلقاً بالشاه، كما كان أصدقائى فى البلاط يقولون: الشاه لم يسأل أو يتفقد مطلقاً أحوال أمير عباس، وخلال ذلك سمح فقط لسيدة من المقربين لنا أن تلتقى مرة واحدة كل أسبوع بأخى.

كنت أنا وأمير عباس يتفقان بأن الشاه ليس لديه فرصة أخرى لاستمرار الحكم ومسئولية ضياعه ليست فى رقبة أحد إلا هو.

علم أخى خلال ذلك بدور أردشير زاهدى ضده، ولكن لم يعره اهتماماً كبيراً، وكان يعتقد أن لديه مستندات ووثائق كافية لإحباط محاولات زاهدى، ولكنه يفضل ألا يعلن شيئاً حتى لايضيف مصائب للشاه.

كان أمير عباس يقول: "إننى أعرف كثيراً من الأشياء، ولكن لاأريد فى الوقت الراهن أن أتحدث ، مع أن الشاه لم يسلك معى سلوكاً طيباً ،لكننى لست بالشخص الذى يتلون وأكون رفيق نصف الطريق، سأكتب المعلومات التى فى ذاكرتى فيما بعد..".

واأسفاه: لأنه فيما بعد لم يُمنح أخى فرصة ليقوم بمثل هذا العمل، وقضى عليه سجانوه فى النظام الجديد بسرعة جدا، لم أستطع حتى هذه اللحظة أن أعرف سبب مثل هذا التصرف ولا أجد جوابا لهذا السؤال؟ عندما طلب أمير عباس شهرا ليستطيع أن يسجل خواطره لماذا لم يمنحوه فرصة لهذا العمل؟.

استطاع أحد شهود عيان كان قد حضر أثناء محاكمة أخى أن يتعرف على شخصين من قضاة المحكمة اللذين كانا منقبين، وقد قال: أحدهما "يزدي" (وزير بوزارة بازرجان) والآخر "قره باغي" (آخر رئيس أركان جيش الشاه (١٢).

وكان وجود هذين الشخصين فى موقع قضاة المحكمة يثير التساؤل - طبقا لما رواه نفس شاهد العيان - بعد نهاية محاكمة أمير عباس لم يمنحوه حتى مشقة مواجهة مقصلة الإعدام، وقتلوا أخى هناك فى زنزانته، بينما كانت المحكمة قد منحته فى البداية شهرا فرصة لكتابة خواطره، ولكنهم كانوا قد صمموا على تصفية أمير عباس بعد ١٥ دقيقة.

لماذا حدث مثل هذا؟ من أى شىء كانوا يخافون؟ لعل معلومات أخى كان لها خطر على النظام الجديد؟ هل أقواله كانت من الممكن أن تضر بعض أتباع الخمينى؟ هل كان الهدف حمايته من النظام السابق؟ هل هناك عناصر موجودة من النظام القديم فى النظام الجديد أيضا؟ (١٥).

لقد أثارت عدة أسئلة أخرى ذهنى ويجب أن أسأل عنها: عندما ادعى صهر دكتور يزدى (شهريار روحانى) وكان فى منصب القائم بأعمال سفارة إيران فى واشنطن أن لديه وثائق عديدة دالة على تعاون أردشير زاهدى والأمريكان لماذا امتنع عن إفشائها؟ وهل إقالة د.سنجابىّ من وزارة بازرجان ليس له ارتباط بهذه المسألة التى كان صهر د. يزدى قد أرسل وثائقها المذكورة؟ فى الواقع يجب السؤال: أين هذه الوثائق فعلا؟ من يحتفظون بها؟ الأمريكان؟ أم أردشير زاهدي؟ (١٦).

بالإضافة الى أخى كان أشخاص آخرون أيضا قد استقروا فى قائمة إعدامات النظام الجديد، ومن المحتمل أنهم كانوا يستطيعون أن يعلنوا الكثير من الأمور.

كان نصيرى وپاكروان (×-١) - كلاهما كانا من رؤساء السافاك - يعرفون أمورا كثيرة فيما يتعلق بعلاقة السافاك والاستخبارات السرية الإسرائيلية وجهاز السى آى أيه؟ وكانوا يستطيعون أن يعلنوا على الملأ أسماء العناصر الموالية وأعمالهم، وكان

(×-١) الجنرال حسن پاكروان، عمل رئيساً للسافاك خمس عشرة سنة وأعدمته محكمة الثورة فى ١١ إبريل ١٩٧٩.

أيضا خلعتبرى (وزير الخارجية الأسبق) أيضا مطلعا على مسائل كثيرة فى خفايا السياسة الخارجية وكان لديه معلومات قيمة، ولكن بدلا من فتح المجال لهم للتحدث، سعوا للقضاء عليهم بسرعة حتى يطمئنوا مائة فى المائة أن أحدا من أيهم ليس لديه فرصة للكلام... ما السبب؟ ماهى المسألة التى أرادوا أن يخفوها؟ ما المنفعة العائدة إلى أشخاص أرادوا أن يخفوا حقائق هذه المرحلة من تاريخ البلاد؟ غير معروف (١٧).

حقيقة يجب أن تُطرح أسئلة لا جواب لها، منها: لماذا ظل أشخاص حظوا بحماية أردشير زاهدى سواء فى الداخل أو الخارج محتفظين بمناصبهم؟ وما السبب فى أن رجال النظام الجديد لم يتفوهوا بكلمة مطلقا حول جمشيد آموزجار الذى قُتل فى عهد رئاسته للوزارة كثير من الناس فى المظاهرات؟ (١٨).

مع أننى لست مدعيا على من يجيب على هذه الأسئلة، ولكن ضمنيا لا أستطيع ألا أسىء الظن فيما يتعلق بنفوذ أتباع أردشير زاهدى فى النظام الجديد (!) ولا أشك فى أن مذكرات أخى كانت من الممكن أن تميط اللثام عن خفايا زاهدى السرية مع الأمريكان وتضىء جزءا من تاريخ إيران المعاصر الذى ظل فى الظلام.

كان أردشير زاهدى فى أثناء المعركة الانتخابية بين كنيدى ونيكسون سنة ١٩٦٠ مؤيدا لنيكسون، لهذا السبب اضطر بعد فوز كينيدى أن يتوقف عن العمل فى سفارة إيران فى واشنطن ويقوم بالعمل كسفير لإيران فى لندن، وبعد ذلك عندما كان زاهدى وزيرا للخارجية، أشيع أنه قد شارك بالدولارات التى أدخلها إلى أمريكا مع مبعوث سياسى خاص - فى المعركة الانتخابية سنة ١٩٦٨ لصالح نيكسون.

الهدف من كشف مثل هذه المسائل فقط الإشارة إلى الأسرار التى كان من الممكن التوصل إليها حتى تتضح أسباب السقوط السريع لنظام الشاه، وأريد أن أقول : إنه لايجب أن يُقلل من شأن دور أردشير زاهدى فى هذه القضية مطلقا، ويجب أن أعترف بحقيقة،أنه طبقا لأقوال أصدقائى الأمريكان إن المخططين السياسين فى

واشنطن لم يثقوا مطلقا فى الانتماء السياسى لأردشير، وقد سمعت أيضا من صحفى فرنسى كان قد تحدث مع الشاه فى مراكش أن الشاه على الرغم من أنه صهره السابق إلا أنه لا يعتبره أبدا شخصا مناسبا ولائقا، ولكن على الرغم من هذه الأمور نشهد أنه فى أواخر عمر نظام الشاه كانت الصحف تعج دائما بالأخبار الخاصة بتردد أردشير زاهدى بين طهران وواشنطن، وعلى هذا الأساس غير معلوم هل كان يعرف بمهمته لقلب نظام الحكم أم أنه كان متجها نحو الهدف غير مدرك لمثل هذا (١٩).

على كل حال سيسعى المؤرخون فى المستقبل لحل هذه الألغاز، ويجب عليهم أن يجدوا فى الإجابة على الأسئلة التى لم أستطع الحصول على جواب لها، ولكن على الأقل وقفت على حقيقة أنه فى أواسط ديسمبر ١٩٧٨ (أواخر آذر٥٧) كان عصر لعبة محمد رضا بهلوى قد وصل الى نهايته، وبدأ بقيام مظاهرات يوم عاشوراء- العد التنازلى لأيام سلطنته.

الانفاس الاخيرة للنظام

بمجرد أن وصلت أخبار مذبحة أهالى أصفهان فى مسيرة يوم عاشوراء بعد يوم الى آذان الشعب، وعُلم أنه خلال هذه المسيرة السلمية التى كانت شبيهة بطهران وسائر المدن، فجأة انفصل جماعة عن الصف وهجموا على الإدارة المركزية للسافاك فى أصفهان، وقامت قوات الأمن بعد ذلك بتعقبهم، وبدأوا فى شارع چهار باغ بكسر زجاج البنوك ودور العرض ومراكز الشرطة، وحطموا أيضا تماثيل الشاه وأبيه، وقام رجال الأمن بمواجهة الثائرين، وقتلوا عددا بإطلاق النار صوب التجمع، وفى غد ذلك اليوم عندما كان رجال الأمن مشغولين بنصب التماثيل ثانية، تدفق الأهالى فى الشوارع أيضا واستأنفوا شغب اليوم السابق.

فى هذه الظروف لم يستأنف عمال صناعة النفط بعد مظاهرات يوم عاشوراء أعمالهم مرة أخرى، وهدد آية الله خمينى فى حديث صحفى أن صادرات النفط الإيرانى

ستقطع عن الدول المؤيدة للشاه، وأعلن يوم الاثنين التالى "يوم عزاء عام" بإصدار بيان - دون الالتفات إلى تحذيرات حكومة فرنسا، وطالب شعب إيران أن يقيموا في هذا اليوم مراسم عزاء لقتلى أصفهان (٢٠).

فى نفس الوقت نظم المسئولون العسكريون فى أصفهان يوم ١٣ ديسمبر(٢٢ آذر ٥٧) مظاهرات مؤيدة للشاه، وفيها تحركت عدة أتوبيسات وشاحنات حاملة لجنود وجماعة من القرويين فى شوارع المدينة وهم يهتفون "يحيا الشاه" وحثوا سائقى وسائل المواصلات ليلصقوا صورة الشاه والأسرة المالكة على الزجاج الأمامى لسياراتهم.

فى هذا اليوم قامت مظاهرات مشابهة لأصفهان فى عدة مدن أخرى وتصاعدت حدة المظاهرات ضد النظام، وبدأت أغلب القوى الدينية وغير الدينية نشاطا فعالا فى مختلف مدن البلاد، ولكن الضربات التى أصابت النظام من هذه المظاهرات لم تستطع قط أن تعادل الآثار المدمرة للاقتصاد والناجمة عن الاضطرابات، ولهذا ذكر أزهارى فى أحد أحاديثه الصحفية: نتيجة هذه الاضطرابات تسبب - بالإضافة الى خفض دخل الدولة إلى الإضرار بالخزانة فى حدود ٦٠ مليون دولار يوميا.

خلال ذلك واصل الشاه جهوده لتشكيل وزارة ائتلافية، وفى يوم ١٥ ديسمبر (٢٤ آذر ٥٧) أعلن المسئولون الأمريكان لأول مرة بشكل رسمى: "دون رغبة فى التدخل فى الشئون الداخلية لايران (!)، بدأ المندوبون المرسلون جهودهم لمساعدة الشاه لتشكيل حكومة مدنية" وكانت خطوة الأمريكيين هذه من توصيات "چورج بال".

كان على أمينى قد اقترح على الشاه فى ذلك الوقت بتشكيل "مجلس حكم" ولكن لما كان أردشير زاهدى والقائد أويسى قد حذروه بشدة من تشكيل مجلس حكم، فضل الشاه أيضا أن يسلم بمطلب الأمريكيين، وعقب ذلك استدعى"غلا محسين صديقي" (الذى كان من وزراء وزارة مصدق) ليعمل على تشكيل وزارة ائتلافية.

فى مثل هذه الظروف شوهد بوضوح علامات تمرد فى الوحدات المختلفة للجيش حتى أنه فى يوم ١٨ ديسمبر (٢٧ اذر ٥٧) رفض بعض أفراد عسكريين فى تبريز تنفيذ أمر إطلاق النار صوب المتظاهرين، وقبلها بعدة أيام اقتحم جنود صالة غذاء الضباط فى إحدى ثكنات طهران، وأطلقوا وابلا من النيران على بعضهم - الذين طبقا لمصادر موثوق بها - أن الضباط القتلى كانوا قسما من أفراد الحرس الملكى، وتشكلت جماعة كان هدفهم منع خروج الشاه من البلاد [٢١].

بمجرد إذاعة الأخبار الخاصة بفرار الجنود من الخدمة فى الثكنات - خاصة فى مدن قم ومشهد- ظل القادة العسكريون فى قلق واضطراب، ولم يعرفوا أى سبيل يتخذونه لمواجهة فرار الجنود -وبموازاة اتساع هذا الوضع، أصاب الشاه والأمريكان أيضا حيرة واضطرابا فى مباحثاتهما للبحث عن حل لإنهاء تمرد أفراد الجيش.

في يوم الاثنين ١٨ ديسمبر (٢٧ آذر) الذى كان قد أعلنه الخمينى "عزاء عاما" أقام الأهالى فى أنحاء البلاد مراسم ، قضت طهران وأغلب المدن هذا اليوم دون حوادث ما عدا تبريز وقم اللتين ظهرت صدامات بين الشعب وقوات الأمن خلال المراسم.

في يوم ٢٠ ديسمبر خرج الشاه وزوجته من طهران للتزلج، هذا التصرف الذى تم للمرة الثالثة خلال ثلاثة أشهر ماضية فيما يتعلق بظهور الشاه أمام العامة ، لأن حاشيته طالبوه بأن يثبت للشعب أنه لم يزل يقوم بدوره ومحل ثقة.

فى يوم ٢٢ ديسمبر لم يستطع "غلا محسين صديقي" أن يحصل على موافقة أشخاص من بين المعارضين من أهل ثقته للاشتراك فى الوزارة الائتلافية، وأخبر الشاه أنه قد صرف النظر عن تشكيل الوزارة، وعقب إذاعة هذا الخبر أيضا سرت شائعات مختلفة فى طهران حول احتمال وقوع انقلاب عسكرى.

بعد عودة الشاه والملكة من التزلج، مع أن وجه الشاه كان قد تلون قليلا بسبب الشمس وجو مرتفعات البرز، ولكن نفسيته كانت قد انحدرت إلى أدنى حد لها ،

وبمجرد وصوله الى قصد نياوران، حبس الشاه نفسه خلف جدران القصر مثل هتلر فى أواخر أيام حكومته - والذى كان قد لجأ فى خندق تحت الأرض، إلا فى بعض الأحيان كانت أخبار مثل: تجديد تأييد الرئيس كارتر للنظام الملكى أو إقامة مظاهرات فى كردستان وأصفهان مؤيدة للنظام تبعث فيه الأمل لفترة قصيرة، وكان يقضى أوقاته فى حزن ووهم لأنه لم يعرف فى الواقع أن يبعد الهاجس أو تغفو عينيه.

أدرك الشاه فى مثل هذا الوضع حلول نهاية أمره، لم يبد رغبة كبيرة في التدخل فى الأمور، ولكن زوجته ومستشاريه كانوا قد أخبروه باجراء مباحثات سرية مع بعض المعارضين للنظام - مثل شاهبور بختيار، لعلهم يخرجون الشاه من حالة الضيق، لكن مثل هذه التصرفات لم تثمر بنتيجة إلا زيادة اليأس والقلق، لأنه كان قد وصف منذ عدة شهور سابقة أشخاص مثل بختيار وسنجابى "متآمر أكثر من الشيوعيين" وقد أراد من فرط عجزه أن يتوسل الى هؤلاء الأشخاص الذى كان قد طردهم، ومن الطبيعى أن عمل كهذا مهين بالنسبة لديكتاتور كان لديه سلطة واسعة النطاق حتى اغسطس (شهريور٥٧) لدرجة أنه كان من الممكن أن يكون محقرا وزاجرا لمن شاء.

ولكن سنجابى الذى تبع أوامر خمينى، وأعلن فى أثناء مسيرة أعضاء الجبهة الوطنية أن الهدوء لن يعود للبلاد مطلقا دون خروج الشاه من ايران.

فى نفس الوقت كان الشعور المعادى لأمريكا يتزايد دائما بين الشعب، وبمقتل مدير أمريكى للشركات العاملة فى النفط بالأهواز، وتظاهر الطلاب فى طهران مرددين "الموت لكارتر" أمام سفارة أمريكا، لأنه فى هذه الأحداث استطاع حملة السلاح الأمريكان من حراس السفارة أن يفرقوا التجمع باطلاق الغاز المسيل للدموع.

كان إنتاج البترول قد انخفض الى ٧٠٠ ألف برميل فى اليوم، وأجبر - نقص المحروقات فى داخل الدولة - الحكومة إلى تقنين برنامج توزيع البترول، وأثار تسارع أصحاب رؤوس الأموال إلى إخراج ثرواتهم من البلاد أيضا الى أن يؤمنوا الدولارات

التى يحتاجونها من السوق السوداء، وقد سبب هذا الوضع إلى تضاعف قيمة الدولار عن السعر الرسمى.

في يوم ٢٧ ديسمبر (٦دي٥٧) أصاب طهران توتر شديد أثناء تشييع جنازة أستاذ شاب [٢٢] كان قد قُتل على يد رجال الحكومة العسكرية فى وزارة الثقافة والتعليم العالى.

أقيمت هذه الجنازة بموافقة مسئولى الحكومة، ولكن عندما حدث خلالها صدامات بين الأهالى وقوات الجيش، كان نتيجتها قيام مظاهرات واسعة ضد النظام، وعقب ما حدث اشتدت الاضطرابات لدرجة أن الأمريكان هيأوا أنفسهم إلى أن يسارعوا بقدر الإمكان للرحيل عن إيران.

فى مثل هذه الظروف كان مستشارو الشاه يأملون فى أن يؤدى زيادة التوتر، انخفاض النفط والبنزين والأوضاع الاقتصادية المؤسفة إلى تجمع شعب إيران كله حول الشاه من أجل مستقبلهم واستقلال بلادهم، ويؤيدون كونه العامل الوحيد لإقرار النظام والقانون، ولكن المراقبين المطلعين كانوا يعتبرون أن مثل هذا التفكير فقط مجرد أمانى طفولية، خاصة أنه في يوم ١٩ ديسمبر (٨دي) أيضا، وعقب امتناع "صديقي" عن تشكيل الوزارة، توجه الشاه الى شاهبور بختيار (×) (نائب زعيم الجبهة الوطنية) وطلب منه أن يقبل رئاسة الحكومة.

كان قبول منصب رئاسة الوزارة من قبل بختيار محصلة لمباحثاته عدة شهور مع رجال البلاط والتى خلالها أقر بختيار شرط قبول التماس الشاه بخروجه من إيران وتشكيل "مجلس حكم" .

ولكن عقب إذاعة هذا الخبر، كذب أردشير زاهدى الذى كان متحدثا باسم الشاه وأكبر مستشاريه، الشائعات الخاصة برغبة الشاه فى ترك البلاد، وكذلك رفض بشدة

(×-١) عين رئيساً للوزارة فى ٣٠ ديسمبر ١٩٧٨ (٩ دى ١٣٥٧ هـ.ش).

مسألة احتمال سفر الملكة الأم، ولكن فى غد هذا اليوم وصل خبر أن أم الشاه قد وصلت مع عـدد كـبـيـر من المرافـقين إلى لوس انجلوس، وأخـبـرونى أيضـا فى نفس اليـوم فى واشنطن أنه بناء على أمر الرئيس كـارتر فـإن حـاملة الطائرات "كانستليشن" مستعدة لمغادرة قاعدتها فى الفلبين عند اللزوم صوب الخليج الفارسى".

وفي يوم ٣١ ديسـمبـر (١٠ دي ٥٧) كذب "ساليوان" سفير أمريكا فى إيران أيضا شائعة ترحيل جماعى للأمريكان من إيران، ولكنه طلب من الأمريكان المقيمين فى إيران أن يعودوا إلى بلادهم " بصورة مؤقتة" ؛ وكـان القائد العسكرى أزهارى فى نفس الليلة قد استقال من رئاسة الحكومة وتولى إدارة البلاد بأمر الشاه "بصورة مؤقتة" لحين تشكيل حكومة بختيار المدنية.

فى بداية العام الجديد (الميلادى) كانت الأوضاع بصفة عامة فى إيران محبطة، كان الإضراب العام قد أصاب جميع أمور البلاد بالشلل، وكان توقف البنك المركزى قد أدى إلى ركود عام فى نقل وانتقال الأموال، أكثر المحلات كانت مغلقة، عشرات الآلاف من الأهالى كـانوا يقفـون يوميـا لساعـات طويلة بجوار محطات بيع البـترول ليـحصلوا على نصـيبهم من المحروقات، استـمرت المظاهرات المختلفـة، لم تنقطع أصداء إطلاق الرصاص لحظة واحدة.

فى هذه الظروف كـان قـصـر الشـاه يعـمل كـمركـز لنسج قـصص الخيـال، وكـان مسـتـشـارو الشاه مـا زال لديهم أمل فى أن يهب الشعب لتأييد الشاه ضد المعـارضين للنظام ؛ قال أحد متحدثى البلاط للصحفيين: "لقد مل الشعب من استـمرار الفوضى والاضطرابات، وهم الآن قد نهضوا للاحتجاج على الأشخاص الذين أصابوهم بالفقر والفاقة بسبب أهدافهم السياسية ....." بينما الواقع غير ذلك، كان الموظفون والعمال المضربون قد صمموا على أن يواصلوا إضرابهم كما كان إذا لم يغادر الشاه المملكة، والنقطة المحيرة كـانت هى أنه على الرغم من توقف الأعـمـال فى كل المجالات كـانت المواد الغذائية متوفرة للجميع بالقدر الكافى.

وصلت صادرات البترول إلى الصفر مع استمرار الإضطرابات والاضراب فى طهران وسائر المدن، وتوقفت جميع الرحلات تماما مع توقف العمل فى المطارات.

فى مثل هذه الظروف، بينما كان خمينى فى نوفل لو شاتو وسنجابى فى طهران يرفضان تشكيل أى حكومة جديدة من قبل الشاه، ارتفعت الستارة مرة أخرى وكان هذا آخر مشهد يعرض من المسرحية التراجيدية لسلطنة الشاه.

خروج الشاه

عندما عمت شائعة خروج الشاه من البلاد، بدأ القلق والاضطراب بين قادة الجيش، وبإدراكهم أن مصيرهم مرتبط بوجود الشاه، لذا كانوا فى توتر شديد عندما يتجسد أمامهم ماسيحدث لهم فى غياب الشاه.

التحق جماعة من الجنرالات المتشددين بجناح أردشير زاهدى، وعرقلوا جميع جهوده حتى يمنع الشاه من الرحيل، وفكرت جماعة أخرى - كانت محافظة - فى أمنها وراحتها أكثر، وعملوا بسرعة على نقل أموالهم وأسرهم إلى خارج البلاد.

في أول يناير (١١دي ٥٧) استطاع شاهبور بختيار من تحديد أعضاء حكومته، وأكد شائعة رغبة الشاه فى الخروج من البلاد وقال: سيغادر الشاه فورا إيران بعد استقرار هيئة الحكومة الجديدة.

ولكن بمجرد إعلان هذا الخبر، استدعى أردشير زاهدى الصحفيين إلى قصر الشاه ليطلعوا على رأى الشاه فيما يتعلق بسفره إلى الخارج خلال حديث صحفى معه، وعلى هذا الأساس فان التنافر الموجود بين عناصر النظام قد دلل على أن بختيار لن يستطيع فى بادىء الأمر أن يستفيد استفادة كافية قولا وفعلا فيما يتعلق برحيل الشاه من إيران.

مع أنه فى ذلك الحين كان سوء ظن وعدم تصديق الشعب لتصريحات النظام قد اشتد لدرجة أنه حتى إعلان خبر خروج الشاه من قبل بختيار لم يستطع قط أن يغير

ماهو منتظر من الشعب، خاصة أن الشاه فى حديثه الصحفى مع الصحفيين كان يبتسم عند أخذ صورة له ابتسامة عريضة حتى يغطى عينيه الذابلتين ووجهه الشاحب، وحول سفره إلى الخارج أيضا ذكر هذه الجملة المناسبة من أنه طالما يحس بالتعب فإنه من المناسب أن يقضى عطلته فى خارج البلاد.

وبعدها بمجرد اعلان موافقة مجلس الشيوخ والشورى الوطنى على حكومة شاهبور بختيار شلت المظاهرات والإضرابات جميع البلاد وحدثت أعمال عنف فى مناطق مختلفة من البلاد، وكان سفر الأجانب من إيران قد تزايد بسرعة، وعمل أفراد من القوات الجوية بدلا من العمال المضربين بالسيطرة على مطار طهران.

فى مثل هذه الظروف أعلن المسئولون فى واشنطن مرة أخرى عن تأييدهم التام للشاه، ولكن على العكس من ذلك أن المسئولين فى موسكو يقومون بإعداد برامج فى صحفهم لتهيئة أذهان الشعب الروسى لمواجهة سقوط نظام الشاه فى إيران، واستعرض فى هذا الصدد أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى بتوقيع مستعار "بوريس وسنين" فى مقاله بمجلة "الدنيا الجديدة" حوادث إيران خاصة "انفجار وجدان الأمة" وكتب فى وصف ذلك، إننا اليوم نشاهد فى إيران يقظة لاإرادية عند جموع عظيمة من الشعب الذى يخطو فى طريق التكامل التاريخى، مع أن نفس هذا الشعب منذ فترة لم يكن لدية أدنى إهتمام بالأمور السياسية......".

عقب تعيين شاهبور بختيار بادر بعض القادة العسكريين فى المدن خاصة فى مشهد وقزوين وجرجان وكرمانشاه وعدة مدن أخرى بمواجهة مظاهرات الشعب، بينما كان من المنتظر أن يقلل تعيين بختيار من أعمال العنف، إستمرار تزايد التوتر أدى إلى أن حكومة بختيار لم تستطع أن تستوضح المستقبل.

فى نفس هذ الأحداث انتشرت شائعة قيام انقلاب عسكرى بين الشعب وخاصة شائعة أن اللواء خسروداد - من الضباط المتشددين المؤيدين للشاه- مشغول مع عدة

جنرالات بطرح خطة، ليسقطوا بختبار بعد خروج الشاه من البلاد، ويستولوا علـ
السلطة، وذكرت هذه الشائعات أيضاً أن خسروداد ورفاقه قد بحثوا احتمال قيام حر
داخلية شاملة، ليستفيدوا فى هذا الصدد من تأييد رجال الجيش وخاصة أفراد الحر
الشاهنشاهى.

أثارت هذه الشائعات اضطراب أفكار الأمريكان الذين تحركوا بسرعة وأرسا
فى نفس هذه الأيام أول يناير الجنرال "هايزر" (نائب قائد قوات الناتو) إلى طهـر
ليحبط بسرعة أى سعى من الجنرالات لإجراء انقلاب [٢٣].

استدعى "هايزر" بمجرد وصوله إلى طهران جميع قادة الجيش الكبار ليستعر
معهم الأمر، بينما كان المسئولون في واشنطن قد تخلوا فجأة عن تأييد الشاه، وعرض
برنامجاً جديداً على الشاه على شكل توصية للاستفادة من عطلة طويلة خارج البلاد .

في ٥ يناير (١٥ دي ٥٧) وصل الرئيس كارتر مع هلموت اشميت (مستش
ألمانيا الغربية) وجيمس كلاهان (رئيس وزراء انجلترا) بدعوة من جيسكار ديست
(رئيس جمهورية فرنسا) إلى جزيرة (جواد ولوب) ليبحثوا هناك سوياً أوضاع إيـ
وموقف الشاه.

وطبقاً للمعلومات التى وصلت يدى عن مؤتمر رؤساء الدول الأربعة
جوادولوب، هناك أصر مستشار ألمانيا ورئيس وزراء انجلترا على تأييد الشاه، و
كارتر وجيسكار ديستان على النقيض كانا يعتقدان أنه بسبب الوضع المسيطر
إيران لايوجد مجال لاستمرار تأييد الشاه، وعلى كل حال لم يكن هدف مباحثاتهم
إلا أن يصلوا إلى اتفاق سوياً لاختيار أفضل السبل من أجل حفظ مصالحهم، وحة
كان رئيس جمهورية فرنسا خلال ذلك يأمل بأن يستطيع الاستفادة من وجود خمينى
بلاده ليقوم بدور وساطة مع القوى المعارضة للنظام فى إيران.

وصرحت مـصـادر مـقـربة من مكتب رئاسـة الجـمـهـورية الفـرنسـيـة: فـى مـؤتمر جوادولوب عُلم أن الأمريكان كانوا يعلمـون يقـيناً منذ شهـر نوفـمبر (آذر ٥٧) تقريباً بانتـصار خـمينى، ولهذا السبب سعـوا بكل وسـيلة من وسائلهم أوعن طريق الآخـرين ليتصلوا بخمينى وأتباعه، والتصريحات المتتالية للأمريكان التى صدرت تأييداً للشاه أغلبها لخداع المسئولين السعوديين حتى لايظنوا أن أمريكا تتخلى عن تأييد أصدقائها من أجل الحفاظ على مصالحها.

وشاعت شائعات كثيرة بين الناس بعد مجىء الجنرال هايزر إلى إيران حول سبب سفره، وقال بعض معارضى النظام:هايزر يريد أن يقيم الإمكانيات والتجهيزات اللازمة لقيام انقلاب عسكرى، وكان آخرون قد أشاعوا أن هايزر يريد أن يفكك أجهزة التصنت والتـجسس الأمريكية فى إيران حتى لا تقع فى يد الروس، وأخيراً اعتقدت جماعة أن هايزر لديه مهمة لينقل طائرات إف ١٤ الخاصة بالقوات الجوية الإيرانية إلى العربية السعودية.

فى مثل هذه الظروف على الرغم من أن الحكومة الأمريكية قد أعلنت رغبتها فى التعاون مع حكومة بختيار المدنية الجديدة، ولكن القرائن تبين أن الأمريكان فى هذا الوقت لم يكونوا متفائلين باستمرار حكومة بختيار.

أكمل شاهبور بختيار أعضاء حكومته بصعوبة بالغة، عندما كان الشاه والملكة قد خرجا مرة أخرى من طهران للتزلج، وفى يوم ٩ يناير (١٦ دي ٥٧) عاد الشاه إلى قصره وقدم حكومة من ١٤ وزيراً جديداً كانوا أساساً من العناصر التكنوقراط، إلى الشاه ولم يعرض فيها حتى لرجل دين واحد أو شخصية معارضة للنظام.

ولكن بمجرد أن أصدر خمينى بياناً قُرىء فى مساجد طهران على الناس اعتبر فيه حكومة بختيار مغتصبة وغير شرعية، وطالب فيه من موظفى الدولة بألا يسمحوا

للوزراء الجدد بالذهاب إلى الوزارات، وأعلن يوم الاثنين أيضاً "يوم عزاء عام" لقتلى المظاهرات الأخيرة (٢٤).

بعد تحديد موقف خمينى ضد شاهبور كان من المنتظر أن يهب الشعب ضد الحكومة الجديدة، وبينما تصاعدت حدة التوتر كل لحظة شاعت شائعات قائمة على احتمال انقلاب عسكرى.

فى مثل هذه الظروف كان شاهبور بختيار يواصل مباحثاته مع الشاه بسرعة تشكيل "مجلس حكم" وأيضاً أوصى المسئولون فى واشنطن الشاه ليخرج من البلاد فى الفرصة المناسبة، وطالبوا القادة العسكريين أن يطردوا فكرة الانقلاب من رءوسهم بأى شكل، وبدلاً منها يركزوا كل سلطات الجيش خلف بختيار.

في ١٣ يناير (٢٣ دي ٥٧) عندما تشكل مجلس حكم من جماعة من الأشخاص الأوفياء للشاه، اختار خمينى جماعة مناهضة لمثل هذه الجماعة، لتهىء المجال لتأسيس حكومة إسلامية فى إيران (٢٥) وفى ذلك اليوم استانفت صحف البلاد عقب ضمان حرية الكتابة من قبل الحكومة - صدورها (٢٦).

في يوم ١٦ يناير (٢٦ دي ٥٧) (x-١) تدفق كل أهالى طهران فى الشوارع فوراً بعد عدة دقائق من إعلان خبر خروج الشاه من إيران من الإذاعة، وبينما كانوا يصيحون "رحل الشاه" جعلوا المدينة كلها كرنفالاً من البهجة.

عانق الأهالى بعضهم البعض، وأطلقت الحافلات أبواقاً متتابعة، وكان سرور الجميع غير متوقع لدرجة تثير حيرة كل مشاهد أجنبى لها.

سلك جميع الأهالى مع الجنود سلوكاً أخوياً، ونكس جماعة من المتظاهرين تماثيل الشاه وابنه، ورفعوا فى نفس الوقت شعار: حزبنا حزب الله، خمينى زعيمنا- النصر للجمهورية الإسلامية- دور بختيار بعد الشاه.

(x-١) ٢٦ دى ١٣٥٧ هـ.ش.

قال الشاه فى المطار لبختيار قبل صعوده الطائرة: "لحكومتك تأييد مطلق منى، وأملى أن يؤدى أعضاؤها المدفوعون بحب الوطن، كل واحد منهم ما يستطيع للقيام بالمهام المكلف بها ليحققوا نتائج ناجحة...."

من المهام المعقدة لحكومة بختيار التى أشار إليها الشاه كانت إحداها إقرار الهدوء فى البلاد وثانيها إنقاذ الحكم.

ولتحقيق الهدف الأول، كان الشاه قد هيىء قادة الجيش لطاعة بختيار، ومن أجل الهدف الثانى هيأ بختيار نفسه ليضحى بالأشخاص الذين كان الشاه قد انتقاهم للسجن فى عهد حكومة أزهارى، وعندما نجح بختيار فى غياب الشاه فى أن يعدم رئيس وزراء سابق ورئيس سافاك سابق وجماعة من الوزراء والرجال السابقين، واستطاع بهذه الخطوة أن يبرىء الشاه من كثير من جرائمه، ويقضى على موانع عودته إلى البلاد وكان هذا البرنامج نفسه برنامج "درع البلاء" الذى أشرت إليه قبلاً فى نفس الفصل من الكتاب.

ولهذا السبب أيضاً قال الشاه قبل صعود الطائرة لقواد الحرس الشاهنشاهى الذين انكبوا على قدمه والتمسوا منه ألا يسافر: "لاتقلقوا، لن يطول سفري بالخارج كثيراً" بينما كان الشاه يخدع نفسه هذه المرة- حتى فى اللحظات الأخيرة، ولم يهتم أصلاً بأن الطبقات الغنية ومؤيدوه لم يهتموا مطلقاً بلطائفه، لمعرفتهم حقيقة أن كتاب سلطنة الشاه قد وصل إلى الصفحة الأخيرة، وأنهم فوراً سيحملون أموالهم وأمتعتهم ويرحلون خلفه.

قال الشاه عندما استقبله أنور السادات فى مصر [×-١] : لقد سافرت إلي مصر فقط لقضاء أجازة قصيرة، ولكن عندما تجمع أعضاء جميع السفارات الإيرانية فى الدول الأجنبية لاتخاذ قرار لإظهار التضامن مع معارضى النظام ورفع صور الشاه

(×-١) وصل إلى مصر فى ٢ بهمن ١٣٥٧.

والأسرة المالكة من أماكن عملهم، انعكست مواقفهم أيضاً على وزارة الخارجية الإيرانية، خاصة فى نيويورك حيث أعلن زملائى فى مكتب مفوضية إيران فى الأمم المتحدة بإعلان بيان: لا نعترف رسمياً من بعد ذلك بالأميرة أشرف مسئولاً لوفد مفوضيه إيران فى الجمعية العامة لمنظمة الأمم.

فى نفس اليوم، احتفل سكان المدن الإيرانية المختلفة أيضاً مثل أهل طهران بسرور بالغ بخروج الشاه من البلاد، وحينما أعلنوا نفورهم من الشاه، هتفوا جميعاً فى صوت واحد فى كل أنحاء إيران "لتبقي خالدة الجمهورية الإسلامية الإيرانية".

فى غد ذلك اليوم وأثناء تواصل احتفال وفرح الشعب، أعلن زعماء قادة المعارضة أنهم لايعترفون بحكومة بختيار، وطالب المتظاهرون أيضاً معهم إقالة بختيار الذى كان موظفو الحكومة قد منعوا وزراءه من دخول الوزارات بناء على أمر خمينى.

سعى بختيار ألا يفقد هدوء أعصابه، ويُسير الأوضاع بأى شكل بصورة عادية، مع أنه كان يحسب حساب تأييد قادة الجيش له فى هذا الصدد، ويواصل السير معتمداً على تأييدهم، ولكن لم يعرف أنه على الرغم من وصية الشاه لجنرلاته بتأييد حكومته لكن أكثر قادة الجيش كان يكن للشاه الكرا[illegible]لأنهم أدركوا خيانته لهم.

نهاية أمر بختيار:

بعد خروج الشاه من إيران أعلن خمينى من نوفل لوشاتو بنفس هادئة وثابتة بياناً بتهنئة شعب إيران، وطالبهم بأن يتظاهروا يوم ١٩ يناير (٢٦ دي ٥٧) ضد بختيار "الخائن" (٢٧) ورفض بشدة مطلب الرئيس كارتر الخاص بتأييد حكومة بختيار (٢٨).

في يوم ١٩ يناير سار الملايين من الإيرانيين فى شوارع طهران وسائر المدن بمسيرات، وهتفوا "الموت للشاه" وفى نهاية المظاهرات، عقد أهل طهران العزم فى بيان

أصدروه بأن يواصلوا كفاحهم حتى استقرار حكومة جمهورية إسلامية فى إيران، وطالبوا فيه- ضمن إعلانهم بعدم شرعية حكومة بختيار- منه ومن نواب المجلس أعضاء مجلس الحكم أن يستقيلوا من مناصبهم.

وشاعت فى ذلك الوقت شائعات فى طهران بحدوث مباحثات بين قادة الجيش ومؤيدى خمينى، ولكن شاع أيضاً أن القادة المتشددين فى الجيش مشغولون بالتباحث من أجل القيام بانقلاب عسكرى.

فى ذلك الوقت أعلن خمينى على الملأ فى بيان أنه سيسافر إلى إيران قريباً، وطالب خلاله بإعادة النظر فى جميع المعاهدات المنعقدة بين الشاه والدول الأجنبية.

في واشنطن قال أردشير زاهدى فى حديث صحفى صرح فيه للصحفيين: إن قدوم الشاه إلى أمريكا لن يكون له معنى إلا غض البصر عن السلطنة، ولهذا السبب سيسافر بعد مصر وقبل عودته إلى إيران إلى دولة أخرى (مراكش).

عقب إعلان هذا الخبر قام قادة الحرس الشاهنشاهى أيضاً معتمدين على تصريحات سفير إيران فى واشنطن بمناورات فى عده ثكنات حتى يظهروا استعدادهم لمواجهة الحوادث.

في يوم ٢٣ يناير (٣ بهمن ٥٧) أعلن بختيار أنه إذا أجل آية الله عودته سيستقيل من منصبه أيضاً، ويترك تحديد ماهية النظام القادم للبلاد. جمهورى أم ملكى- فى يد الشعب، ولكن "مجلس الأمن القومي" خلافاً لرأيه أغلق المطار فى خطوة متهورة، ليمنع عودة آية الله المنفى إلى إيران (٢٩).

يوم ٢٥ يناير (٥ بهمن ٥٧) نظمت حكومة بختيار مظاهرات تأييداً للدستور والذى تجمع فيه مايزيد عن ٥٠ ألف شخص فى ميدان بهارستان ورفعوا شعار- التأييد لبختيار (٣٠).

ولكن فى غد ذلك اليوم تظاهر مؤيدو خمينى فأطلقت القوات العسكرية النار صوبهم، وقتلوا قرابة ١٥ شخصاً.

في يوم ٢٨ يناير (٨ بهمن ٥٧) أعلن بختيار أنه يريد أن يسافر إلى باريس للقاء خمينى والتباحث معه حول مستقبل البلاد ، ولكن آية الله اشترط استقاله بختيار من رئاسة الوزارة لمقابلته.

بعد ذلك عند تصاعد استمرار مظاهرات الشعب ضد الحكومة وميلها نحو الخشونة، وتزايد عدد القتلى والجرحى، فضل بختيار أن يسلك طريق المسالمة بإلغاء إغلاق المطار، وأبدى استعداده بأن يتصالح بعد عودة خمينى، معه [٣١].

وأخيراً فى يوم أول فبراير (١٢ بهمن ٥٧) وصل الزعيم الدينى للإيرانيين بعد قرابة ١٤ سنة من النفى بطائرة مؤجرة من إيرفرانس- إلى طهران وفى خط سيره من المطار إلى المدينة، بينما كان راكباً سيارة مرسيدس بنز إستيشن (!) إستقبله إستقبالاً جنونياً ملايين الأهالى الذين كانوا قد وصلوا إلى درجة الإنفجار من السعادة (!).

وتوجه الجميع فى مظاهرتهم نحو مقبرة بهشت زهرا، وهناك ألقى خطاباً فوق كرسى بين جموع مهللة وثائرة بلهجة شديدة وعلى وتيره وا حدة بينما كان سيل من البشر يحيط بجميع جوانب المقبرة، وقال فى خطابه "....هذه الحكومة وهذا المجلس غير شرعيين..إننى أطعن فى هذه الحكومة، وسوف أعين بنفسى حكومة- إننى أعين حكومة بتأييد هذه الأمة...وإذا رفض بختيار الإستقالة، سأعتقله..." [٣٢]، وهاجم خمينى فى هذه الكلمة أمريكا، وطالب ضباط الجيش أن يلحقوا بالشعب.

فى نفس الوقت عندما تظاهر الطلاب المصريون أيضاً ضد تواجد الشاه فى بلادهم، اضطر الشاه مغادرة مصر إلى مراكش [٣٣].

لم يكن لدى بختيار سبيل آخر فى مثل هذا الوضع إلا بالسماح للمظاهرات لصالح خمينى، وسعى ضمنياً بتنفيذ بعض البرامج التى كان خمينى قد أعلن عنها من

قبل فى باريس، ولهذا السبب أعلن أنه: سيعيد النظر فى معاهدات إيران مع الدول الأجنبية،سيوقف بيع البترول لإسرائيل وجنوب إفريقياو......

كان بختيار أصلاً منذ بداية وصوله للسلطة قد دخل فى دوامة الأحداث، وكان يدرك أنه مثل الشاه صار موضع سخرية وعدم ثقة وسوء ظن الشعب، لم يحظ بتأييد الأمة، ولم يعد يخضع القادة العسكريون لأوامره.

كانت خطوات بختيار تتم بعشوائية واضطراب لدرجة أن أكثرها ظل بلا أثر، وبعد إعلان عزله أردشير زاهدى عن منصبه فى واشنطن لم يبلغ قراره رسمياً لوزارة الخارجية الأمريكية، ولهذا السبب إستطاع زاهدى أن يواصل سيطرته كما كان على شئون سفارة إيران فى أمريكا ، أما فيما يخص بمحاكمة المعتقلين، اكتفى بختيار بإعلان هذا الخبر فقط، ولم يقم بأى عمل آخر فى هذا الصدد.

بدا بختيار فيما سبق شخصاً ضعيفاً لأنه أصلاً لم يكن لديه قدرة للقيام بالأمور الهامة.

يوم ٥ فبراير (١٦ بهمن ٥٧) خطا آية الله خمينى أولى خطواته رسمياً كزعيم للبلاد ، وعين "مهدي بازرجان" رئيساً "للحكومة المؤقتة للجمهورية الإسلامية"(٣٤) وأصدر له أمراً بأن يشكل وزارة ويستطلع الرأى العام لتغيير النظام.

إن خمينى فى المرسوم الذى شُكلت بموجبه الحكومة المؤقتة قد أكد على أن المظاهرات الواسعة والضحايا الكثيرين الذين قدمهم الشعب قد اختاروه زعيماً للبلاد ، وطالب الجميع بأن "يُظهروا بمظاهرات سلمية فى المدن والقرى وفى كل مكان يكون فيه مسلمين رأيهم الخاص بالحكومة الإسلامية للسيد المهندس بازرجان..." وأعلن أيضاً: "أن عقاب الأشخاص الذين يعرقلون أو يناهضون الحكومة الإسلامية سيكون عسيراً، وفى الفقه الإسلامى الثورة ضد حكومة إلهية هو ثورة ضد الله، والثورة ضد الله كفر وعقاب ذلك وخيم جداً...." (٣٥).

إن وجود عبارة "بناء على إقتراح مجلس الثورة... " فى بداية أمر الحكومة المؤقتة كان أول مرة يعلن عن وجود "مجلس ثورة" ولكن تركيب أعضائه مازال حتى اليوم مجهولاً (٣٦).

فى غد يوم تعيين بازرجان رئيساً للحكومة المؤقتة، لم يعترف بختيار خلال بيان "باصطلاح" حكومة آية الله المختارة، وأعلن : "إننى أظل فى المملكة فى منصب رئيس الوزراء قانوناً حتى أقوم بانتخابات حرة فى المستقبل، حتى إذا خضع جميع نواب المجلس لطلب آية الله خمينى واستقالوا من نيابة المجلس....".

فى ذلك اليوم أخذ بختيار الموافقة على لائحتين خاصتين بحل السافاك ومحاكمة الوزراء السابقين، وفى مجال السياسة الخارجية أيضاً أعلن رغبة حكومته خروج إيران من الحلف المركزى.

قام بازرجان الذى كان مستفيداً من سلطة خمينى ومؤيداً من جميع فئات الشعب لمواجهة بختيار وقادة الجيش والذى أعلن جماعة تتجاوز المائة ألف شخص فى طهران والمدن خلال مظاهرات سلمية تأييدهم لاختيار بازرجان، بينما كانوا يسيرون فى الشوارع يهتفون "عاش خميني- عاش بازرجان- الموت لبختيار"(١٧ بهمن ٥٩) .

فى مثل هذا اليوم، كان تواجد الجيش- غير طلعات الطائرات والهليكوبتر فى سماء الشوارع - محدوداً، وأعلن إبراهيم يزدى، أيضاً خلال إظهار انضمام عدة وحدات من الجيش إلى الحكومة الإسلامية أنه فى يوم ٨ فبراير (١٩ بهمن ٥٧) سيقام أثناء مؤتمر صحفى لبختيار مظاهرات واسعة فى طهران والمدن (٣٧).

في يوم ٨ فبراير بينما شاعت فى كل مكان شائعة قيام انقلاب عسكرى، سعى سفير أمريكا بكل وسائله للاتصال بالزعماء الدينيين، وقام جمع يتعدى المليون بمسيرة فى شوارع طهران، وطالبوا بإقالة بختيار من رئاسة الوزارة، ولكن بختيار على الرغم

من مشاهدة مظاهرات الأهالى أقسم ألا يستسلم وسيظل فى مقاومته، ووصف أفكار خمينى أيضاً "بالقرون الوسطي!".

في يوم ٩ فبراير (٢٠ بهمن ٥٧) فجأة تصاعدت الاضطرابات، وهجمت عناصر من الحرس الشاهنشاهى على جماعة فى قاعدة للقوات الجوية الذين تظاهروا لصالح خمينى، وقُتل أكثر من خمسين شخصاً، وأكد أحد أصدقائى (الذى كان قد غادر إيران بعد عدة أيام من مغادرة الشاه) والذى قال: عُلم من مصادر سرية أن الحرس الشاهنشاهى كان يريد أن يقوم بانقلاب تحت قيادة جماعة من الجنرالات.

في يوم ١٠ فبراير (٢١ بهمن ٥٧) توترت الأوضاع أكثر، وبعد هجوم الحرس الشاهنشاهى على نفس هذه القاعدة الجوية التى أعلن أفرادها تأييدهم لخمينى، خرج أفراد القاعدة وسلموا أسلحتهم للأهالى،و بعد عمل سواتر فى أطراف القاعدة ، قامت معركة شاملة بين الأهالى والحرس الشاهنشاهى، إستمرت حتى صباح ذلك اليوم، قُتل خلالها قرابة ٢٠٠ شخص.

والمعلومات التى توفرت لدى فيما بعد أثبتت أن ماحدث من هجوم للحرس الشاهنشاهى على القاعدة الجوية كان يعد مقدمة لانقلاب كان قد أشيع منذ فترة أنه من تدبير "خسروداد" وعدد من الجنرالات الآخرين، ولكن تذكر بعض التقارير أن أحد الضباط من أصدقاء خسروداد، ويدعى الجنرال "ربيعي" كان قد أخبر مؤيدى خمينى من قبل بالأمر.

فى اعتقاد المصادر التى أعطتنى هذه المعلومات أن تخطيط الانقلاب كان منظماً من قبل بموافقة الشاه، ويستند فى ذلك بشريط كان قد وقع فى يد المعارضين منذ عدة أيام سابقة، وفيه سمعت أوامر الشاه موجهه لقادة الجيش للعمل على إثارة التوتر والاضطراب (مع أنه يجب القول أن صحة مثل هذه الشريط قد كُذبت من قبل مؤيدى الشاه).

في نفس يوم ١٠ فبراير إتصل بى أمير عباس من مكان اعتقاله تليفونياً (٣٨) وخلال حديثه إعترف صراحة أن تصرفات الشاه نزقه، وقال أخى ضمن إبراز هذا الأمر : إنه فى الواقع لايفهم كيف يمكن لرئيس دولة فى مثل هذا الوضع أن ينقذ نفسه ويذهب؟:".....الآن أدرك أننى أخطأت الحكم على الشاه" (٣٩) وكانت هذه آخر مرة أسمع صوت أمير عباس.

في صباح يوم الأحد ١١ فبراير (٢٢ بهمن ٥٧) صمم قادة الجيش على قلب بختيار، ولما لم يستطيعوا الحصول على أمر من الشاه من أجل هذا العمل، انقسموا إلى جماعتين، **الجماعة الأولى** استعدت لتنفيذ خطة خسروداد ورفاقه بالقيام بانقلاب عسكرى ، **والجماعة الثانية** أعلنت حيادها فى النزاع بين الحكومتين، وأمروا قواتهم بالعودة إلى ثكناتهم.

خلال ذلك رأى بختيار نفسه بدون تأييد كامل من الجيش، وأدرك بسرعة نهاية أمره، واستعد للفرار وبعدها اتضح أنه غادر إيران على الفور،وذهب إلى أوربا لاجئاً (٤٠).

بعد ذلك، سقطت طهران ولمدة ٤٨ ساعة فى يد جماعات لم يكن محدداً تبعيتها لأى مسئول، وعندما غادر حراس سجن أخى والمعتقلون الآخرون لنظام الشاه مكان عملهم، استطاع كثير من المعتقلين الهروب مستفيدين من هذا الموقف، ولكن أخى فضل أن يبقى هناك ولايغادر سجنه، معتقداً أنه "يجب على المرء أن يبدى للنهاية مدى شجاعته وجرأته"(!) حتى قبل رفض اقتراح بعض الأصدقاء والمقربين الذين كانوا يريدون إرسال جماعة للهجوم على السجن وإنقاذه (٤١).

عقب فرار بختيار وسقوط النظام، تولت الحكومة المؤقتة للجمهورية الإسلامية شئون البلاد ، وقبضت القوات المؤيدة لخمينى على الجنرال خسروداد ، وأعلنت حكومة الولايات المتحدة عن رغبتها للاتصال بالنظام الجديد لحفظ مصالح أمريكا فى إيران، واعترفت الحكومة السوفيتية رسمياً بالنظام الجديد لإيران.

حاشية الفصل الرابع

١ - مع أن مهمة الحراسة الدينية من قبل الشباب كان لابد أن تعطى لأهالى آمل فى فترة الثورة، لابد أن نعرف أنه فى نفس تلك الأيام كان أهالى مدن: بابل وشادجان ولار وسنقر ومريوان وبندر عباس ودرجز وبيجار مشغولون فى الشوارع بالتجوال والحراسة من أجل التحصن ضد هجوم رجال النظام من حملة العصى- م.

٢ - كان الجنرال فرانكو ديكتاتوراً لأسبانياً، وقد سعى "خوان كارلوس" الملك الحقيقى للبلاد أن يجعل الليبرالية مسيطرة على أسبانيا فى عهد حكمه- م.

٣ - يطلق "عقاب" فى القاموس السياسى على الأشخاص الذين يعتقدون بحل الأمور وفصلها عن طريق أعمال العنف والقوة، وعكس هذا الاصطلاح "حمام" الذى يستخدم فى وصف الأفراد الذين يعتقدون فى الوفاق والمصالحة والتباحث- م.

٤ - يقولون: إن لويس السادس عشر (آخر ملوك فرنسا) ونيقولا الثانى (آخر قياصرة روسيا) أيضاً فى أيام حكمهم الأخيرة وعندما لم يجدوا فى أنفسهم قدره لمواجهة الثوار جرت هذه الجملة على ألسنتهم وقالوا للشعب أنهم: قد سمعوا صدى ثورتهم! وقالوا أيضاً أنهم: يضمنون الحرية للشعب (ترجمة الكلمات التى نقلت من حديث الشاه قد تم بالاستفادة من النص الأصلى لكلمته يوم ١٥ آبان ٥٧)-م.

٥ - كان بعض الأفراد- شبيه بنفس تاجر السوق المشار إليه من المؤلف- مثل كثير من المفلسين السياسيين كان تصورهم أنه إذا سقط النظام سيصلون إلى الماء والخبز، وبعد سقوط الشاه واستقرار الجمهورية الإسلامية مع أن هؤلاء استطاعوا أن ينهبوا ويسلبوا فترة، لكن أدركوا فوراً أن هدف الشعب كان الكفاح ضد الطاغوت والوصول إلى سيطرة النظام الإسلامى وليس تأمين مصالحهم ولهذا السبب سعى هؤلاء الأشخاص أنفسهم بعد الجمهورية الإسلامية أيضاً للمعارضة والعداء- م.

٦ - من الطبيعى أن يهتم الجيش الشاهنشاهى وخلاياه الأمريكية مع الجنرالات ا
تربوا فقط على حماية مصالح أمريكا؛ بالأمريكان خاصة، ولم يستطيعوا م
أن يقبلوا بأن يضحوا بثمرة ٢٥ سنة من جهودهم لحماية أى شخص يدق
الفضيحة على الملأ ورأوا أنه لايوجد له أى قاعدة مطلقاً بين عامة الشـ
وعندما أدركت أمريكا جيداً أن جسم الجيش يتزلزل والعناصر المطالبة با
داخل الجيش لا تنفصل عن الشعب وليس لدى الجنرالات العملاء لأمريكا
قدرة ونفوذ، لهذا السبب طالبت بسفر الجنرال "هايزر" حتى يمنع أي تحرك
للجيش أو انقلاب للجنرالات، طالما كانت تعرف أنه أمر لا فائدة منه و
عملى، وعلى هذا الأساس فإن قره باغى عصر يوم ٢١ بهمن ٥٧ أعلن فى
خبر تحييد الجيش وتضامنه مع الشعب، ولكن رأينا فى النهاية أن الش
بهجومه على الثكنات قد هدم تماماً الركن الأصلى لسيطرة أمريكا على ا
يعنى نظام قيادة الجنرالات، ودمر بيت أمل أمريكا- م.

٧ - يجب أن نضيف أيضاً إلى قائمة المدن التى ثار أهلها فى العشرة أيام الأولى
حكومة أزهارى ضد الحكومة العسكرية واستشهدوا: نجف آباد وهمدان وز
وكرمانشاه وبابل وآمل- م.

٨ - عادة لم يتم فى أيام ٢٦ ابان (الذى كان قد سمى تقريباً منذ سنة ١٣٥٤
"عيد الجيش") عرض عسكرى فى الشوارع حتى يشترك فيه الشاه، كانت ا
فى هذا اليوم عادة تتم بمشاهدة الشعب للثكنات- التى كان خلالها يحـ
جماعة من الموظفين والطلاب بحافلات حكومة إلى الثكنات ليشاهدوا ا
الشاهنشاهى، ولكن حدث تغيير فى هذا الأمر يوم ٢٦ آبان ٥٧ بصفة استثنـ
تحركت وحدات من الجيش مع الدبابات والمدفعية فى الشوارع لاره
الشعب.

كان العرض العسكرى العام يعرض أمام الشاه عادة أيام ٢١ آذر من كل سنة، وفى سنة ١٣٥٧ وخاصة بعد المسيرة العظيمة ١٩-٢٠ آذر بمناسبة تاسوعاء وعاشوراء ألغى هذا العرض تماماً- م.

٩ - كانت الأحداث التى أشار إليها المؤلف أثناء هجوم وإطلاق النار لرجال النظام فى الحرم المطهر لحضرة الإمام الرضا (ع) الذى وافق يوم ٢ آذر ٥٧ (٢٣ نوفمبر) ولعل الهجوم على مستشفى شاه رضا مشهد (أمام الرضا) قد تم فى يوم ٢٣ آذر الموافق ١٤ ديسمبر ١٩٧٨- م.

١٠ - خلافاً لرأى المؤلف لم تكن إقامة الإمام الخمينى فى باريس مطلقاً إقامة لجوء سياسى، وكان قد دخل فرنسا كمسافر عادى واستطاع طبقاً لقرارات ذلك الوقت أن يقضى ثلاثة أشهر على أرضها دون الحصول على تأشيرة- م.

١١ - مع أن المؤلف قد شك فى تحديد ليلة أول المحرم سنة ٥٧ بين يومى الأول والثانى من ديسمبر، مع هذا يجب القول أن ٣٠ نوفمبر ٧٨ الموافق ٩ آذر ٥٧ كان ليلة أول المحرم- م.

١٢ - كان تاسوعاء سنة ١٣٥٧ في يوم الأحد ١٠ ديسمبر (١٩ آذر)- م.

١٣ - فى مظاهرات يوم عاشوراء فى أصفهان، عندما غير الأهالى أثناء المظاهرة خط سيرهم، وهاجموا إدارة السافاك، فأطلق النار صوب التجمع بأمر الحاكم العسكرى من طائرة فى السماء، واستشهد عدد نتيجة لذلك- م.

١٤ - يجب التوضيح حول وجود دكتور إبراهيم يزدى كقاضى منقب فى المحكمة الخاصة بأمير عباس هويدا- فقد استعرضت المسألة مباشرة مع الدكتور يزدى، وأجاب تحريرياً على هذا السؤال- والذى ينقل نصه حرفياً فيما يلى:

السيد ح.ا. مهران

إجابة على السؤال الخاص بادعاء السيد فريدون هويدا فى كتابه "سقوط الشاه" الخاص بحضورنا محاكمة أمير عباس هويدا ويذكر أمراً لاأساس له ألبتة ، ومن جانبى فإننى لم أحضر ولم أشارك مطلقاً لافى هذه المحكمة ولا فى محاكم أخرى، لا منقباً ولا غير منقب، ولم أكن أوافق على هذا الأسلوب.

ومن ناحيتى فإننى رأيت وتحدثت مع هويدا مرة واحدة فقط ولأول مرة عندما أحضروه إلى مدرسة الرفاه،؛ وأعلن استعداده منذ البداية بكتابة مذكرات ١٤ سنة من التعاون مع نظام الشاه وإبراز الوجه الحقيقى له، ولما كان خائفاً من أن يتآمر جميع المعتقلين عليه ويقتلونه، أمر بأن يحفظ فى غرفة منفصلة عن الجميع.......

مع الشكر والسلام

دكتور يزدى

٦٤/١١/٩(هـ.ش)

وفيما يتعلق بقائد الجيش قره باغى فالأمر أكثر وضوحاً من أن يحتاج إلى توضيح، فطالما سقط هذا الشخص فى قبضة الثوار كان من الواجب عليه طبعاً أن يقف بجوار هويدا والآخرين، ويسحب للمحاكمة كأحد الأركان الراسخة لنظام الشاه ورئاسة بختيار للوزارة- م.

١٥ - الأمر الذى يريد أن نصدقه فى الواقع ساذج جداً أو أبلهاً- فقبول ادعاء أمير عباس هويدا الخاص بكتابة مذكراته وإفشائه للمعلومات التى كان القصد منها أن يظهر أعمال وسلوك نظام الشاه، ولم يكن يعقل أن يكون سفيهاً لدرجة أن يكتب بيده صك إدانته، وأصلاً يجب السؤال: ما هو الشيء الذى كان من الممكن أن يكتبه هويدا فى مذكراته ليتهم الشاه ويبرىء نفسه؟ لأن كل ما كان منسوباً إلى الشاه كان فى الواقع أكثر تجرماً له، وفى حكم نفس الدستور الذى كان يعترف به

أنه من المحال أن يتمكن من تبرئة نفسه فى أى محكمة (لأنه رئيس وزراء مسئول أمام الدستور) من التعاون والمشاركة فى جرم الشاه المجرم الفاسد (الذى لم يكن مسئولاً قط فى نظر الدستور).

وبناء على هذا لو أن عشر سنوات قد منحته الفرصة لكتابة مذكراته فإنه لابد أن يكون قد كتب نفس المسائل التى جرت على لسانه فى المحكمة واعتبر نفسه جزءاً من "نظام" وألقى بالمساوىء فى رقبة "النظام" وكان من المحال أن ينتظر من هويدا غير هذا وأن يقول شيئاً آخر وأن يعلن حتى فساد واحد من مفاسد الشاه فى أمور المملكة ويضيفها فى الحقيقة إلى ذنوبه.

في نفس الوقت فإن أخاه فريدون هويدا (مؤلف هذا الكتاب) أيضاً مع كونه بعيداً عن الهلاك كان لديه فرصاً كثيرة لكى يعلن فيما يخص المسائل التى تتعلق بالأعمال الخائنة للشاه فى شئون منظمة الأمم، ولما كان هو شخصياً يتولى مسئولية مندوبية الشاه فى منظمة الأمم المتحدة فإنه لم يتحدث مطلقاً عن خيانة الوطن والقرارات المضادة للوطنية والمعاملات الخفية للشاه مع مندوبى القوى العظمى فى الأمم المتحدة.

مع أن السيد فريدون لم يستعرض مجرى قرارات النظام فى مجال مهمته والخاص بالفترة التى كان يعمل فيها تحت إدارة أشرف بهلوى فى نيويورك لم يعلن الأمر؟ وكذلك لم يفعل أخوه، وأصلاً فإن هذا الأمر ليس إلا حجة أرادها أمير عباس هويدا ليتوسل بها عدة أيام لعل الفرج يأتى وتتحقق مساعى أتباعه وأصدقائه الأوربيين والأمريكان والإيرانيين لإطلاق سراحه من السجن- م.

١٦ - أشار الدكتور إبراهيم يزدى فى رسالته المؤرخة فى ٩٤/١١/٩ إلى مترجم الكتاب إلى مسألة الوثائق السرية لسفارة إيران فى أمريكا أيضاً بالتوضيح التالى:

السيد ح.ا. مهران

إجابة على السؤال الخاص بادعاء السيد فريدون هويدا فى كتابه "سقوط الشاه" الخاص بحضورنا محاكمة أمير عباس هويدا ويذكر أمراً لاأساس له ألبتة ، ومن جانبى فإننى لم أحضر ولم أشارك مطلقاً لافى هذه المحكمة ولا فى محاكم أخرى، لا منقباً ولا غير منقب، ولم أكن أوافق على هذا الأسلوب.

ومن ناحيتى فإننى رأيت وتحدثت مع هويدا مرة واحدة فقط ولأول مرة عندما أحضروه إلى مدرسة الرفاه،؛ وأعلن استعداده منذ البداية بكتابة مذكرات ١٤ سنة من التعاون مع نظام الشاه وإبراز الوجه الحقيقى له، ولما كان خائفاً من أن يتآمر جميع المعتقلين عليه ويقتلونه، أمر بأن يحفظ فى غرفة منفصلة عن الجميع.......

مع الشكر والسلام

دكتور يزدى

٩/١١/٦٤(هـ.ش)

وفيما يتعلق بقائد الجيش قره باغى فالأمر أكثر وضوحاً من أن يحتاج إلى توضيح، فطالما سقط هذا الشخص فى قبضة الثوار كان من الواجب عليه طبعاً أن يقف بجوار هويدا والآخرين، ويسحب للمحاكمة كأحد الأركان الراسخة لنظام الشاه ورئاسة بختيار للوزارة- م.

١٥ - الأمر الذى يريد أن نصدقه فى الواقع ساذج جداً أو أبلهاً- فقبول ادعاء أمير عباس هويدا الخاص بكتابة مذكراته وإفشائه للمعلومات التى كان القصد منها أن يظهر أعمال وسلوك نظام الشاه، ولم يكن يعقل أن يكون سفيهاً لدرجة أن يكتب بيده صك إدانته، وأصلاً يجب السؤال: ما هو الشيء الذى كان من الممكن أن يكتبه هويدا فى مذكراته ليتهم الشاه ويبرىء نفسه؟ لأن كل ما كان منسوباً إلى الشاه كان فى الواقع أكثر تجريماً له، وفى حكم نفس الدستور الذى كان يعترف به

أنه من المحال أن يتمكن من تبرئة نفسه فى أى محكمة (لأنه رئيس وزراء مسئول أمام الدستور) من التعاون والمشاركة فى جرم الشاه المجرم الفاسد (الذى لم يكن مسئولاً قط فى نظر الدستور).

وبناء على هذا لو أن عشر سنوات قد منحته الفرصة لكتابة مذكراته فإنه لابد أن يكون قد كتب نفس المسائل التى جرت على لسانه فى المحكمة واعتبر نفسه جزءاً من "نظام" وألقى بالمساوىء فى رقبة "النظام" وكان من المحال أن ينتظر من هويدا غير هذا وأن يقول شيئاً آخر وأن يعلن حتى فساد واحد من مفاسد الشاه فى أمور المملكة ويضيفها فى الحقيقة إلى ذنوبه.

في نفس الوقت فإن أخاه فريدون هويدا (مؤلف هذا الكتاب) أيضاً مع كونه بعيداً عن الهلاك كان لديه فرصاً كثيرة لكى يعلن فيما يخص المسائل التى تتعلق بالأعمال الخائنة للشاه فى شئون منظمة الأمم، ولما كان هو شخصياً يتولى مسئولية مندوبية الشاه فى منظمة الأمم المتحدة فإنه لم يتحدث مطلقاً عن خيانة الوطن والقرارات المضادة للوطنية والمعاملات الخفية للشاه مع مندوبى القوى العظمى فى الأمم المتحدة.

مع أن السيد فريدون لم يستعرض مجرى قرارات النظام فى مجال مهمته والخاص بالفترة التى كان يعمل فيها تحت إدارة أشرف بهلوى فى نيويورك لم يعلن الأمر؟ وكذلك لم يفعل أخوه، وأصلاً فإن هذا الأمر ليس إلا حجة أرادها أمير عباس هويدا ليتوسل بها عدة أيام لعل الفرج يأتى وتتحقق مساعى أتباعه وأصدقائه الأوربيين والأمريكان والإيرانيين لإطلاق سراحه من السجن- م.

١٦ - أشار الدكتور إبراهيم يزدى فى رسالته المؤرخة فى ٩٤/١١/٩ إلى مترجم الكتاب إلى مسألة الوثائق السرية لسفارة إيران فى أمريكا أيضاً بالتوضيح التالى:

..... وضمنياً نسب السيد فريدون هويدا فى كتابه أموراً أخرى إلىّ لاأساس لها ومحض افتراء، على سبيل المثال أورد فى صفحة ١٣٦ من النص الإنجليزى فيما يتعلق بمسئولية صهرى (دكتور شهريار روحانى) فى سفارة إيران في أمريكا ووثائقها السرية- أموراً كاذبة، **اولاً**: لم يكن السيد د. روحانى أبداً فى أى وقت مسئولاً عن سفارة إيران فى واشنطن، **ثانياً**: بموجب محضر الجلسة الذى كُتب ووقع فى أواخر إسفند ٥٧ أو أوائل فروردين ٥٨ من أربعة أشخاص منهم السيد "جعفر فقيه" القائم الجديد بالأعمال والمعين من قبل السيد د. سنجابى (وزير خارجية إيران آنذاك) (السيد د. روحانى ليس واحداً منهم) وهو موجود أصلاً فى الإدارة الحقوقية لوزارة الخارجية الإيرانية، وقد أرسلت جميع الوثائق السرية لسفارة إيران مختومة بالشمع الأحمر وممهرة إلى وزارة الخارجية الإيرانية.

وقد قدم د. إبراهيم يزدى توضيحات أخرى حول أمر آخر فى كتاب فريدون هويدا ولما كان أصل المسألة سوف يأتى فى الفصل الخامس من الكتاب لذا سننقل هذا التوضيح فى موضعه.

١٧ - كما تم التوضيح من قبل فيما يتعلق بأمير عباس هويدا، وكان حث هؤلاء الأشخاص لإعلان الاتهام ضد نظام الشاه أمراً محالاً، طالما أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم جميعاً مجرد "آله فعل" وجزء "من عناصر النظام" ولم يكونوا مستعدين مطلقاً لإظهار الأمور التى من شأنها أن تجرمهم فى النهاية، وطبقاً لما شاهدناه جميعاً فى التليفزيون عند التحقيق الأولى مع "نصيري" أنه سعى فى الإجابة على أسئلة د. يزدى دائماً أن يظهر نفسه جاهلاً بكل الأمور، وعدم مسئوليته عن أدنى الأمور، ويظهر الآخرين كمقصرين حقيقيين- م.

١٨ - عندما نشر فريدون هويدا هذا الكتاب في أوائل سنة ١٣٥٨ فى ذلك الوقت وبسبب سيطرة الليبرالية على البلاد- كان كثير من المسئولين من الدرجة الثانية

والثالثة لنظام الشاه مازالوا يحتفظون بوظائفهم خاصة فى وزارة الخارجية ولم يكونوا قد تم التخلص منهم، لذا يسأل سؤاله لكل النظام الإسلامى حاملاً توهماته- م.

١٩ - يطالب المؤلف من شدة حقده على أردشير زاهدى بأى صورة ولو باستدلالات فجة يجعلها مثل جبل قش، وحوّل زاهدى الذى كان قد عمل فقط مجرد عنصر تافه فى العلاقات والمعاملات بين الشاه والأمريكان إلى مخزن أسرار، إلى أن قدمه كسبب أصلى لاعتقال وقتل أمير عباس هويدا، وقد رفع أهمية أخيه حتى لايتصور المرء أن يتكون أعداء لهويدا من أشخاص تافهين ووضعاء مثل أردشير زاهدى- م.

٢٠ - المقصود أنه يوم الإثنين ١٧ محرم (٢٧ آذر ٥٧)- م.

٢١ - هذه الحادثة التى حدثت يوم عاشوراء (٢٠ آذر ٥٧) أثناء مسيرة عظيمة لشعب إيران فى ثكنة لويزان (مقر الحرس الشاهنشاهى) تركت أثراً على نظام الشاه لدرجة أنه يمكن القول بحق: أنها حولت أكبر أمل لبقاء الشاه إلى يأس، لأنه كان يعتمد على الحرس الشاهنشاهى، هجم العريف"سلامت بخش" والجندى "عابد" اللذان استشهدا فى هذه الحادثة على ضباط الحرس وقصما ظهر النظام يوم عاشوراء بقتل وجرح قرابة ١٦٠ شخصاً منهم، وأظهرا بهذا التصرف للشاه أن أمواج الثورة الإسلامية قد أمتدت إلى أكثر مقار حفظ سلطته أماناً أيضاً- م.

٢٢ - كامران لجات اللهى - م.

٢٣ - وصل الجنرال هايزر إلى إيران يوم ١٧ دي ٥٧ (٧ يناير ٧٩) عندما كانت أمريكا وحلفاؤها قد إتخذوا قراراً فى "جوادلوب"منذ يومين من قبل (٥ يناير بأن يكفوا عن تأييد الشاه، وبدلاً منه يؤيدوا شاهبور ويختاروا جنرالات الجيش أيضاً حتى لايقوموا بعمل متهور،مما يؤدى إلى أن يشتت الشعب بنية الجيش الشاهنشاهى- م.

٢٤ - الإثنين ١٨ دى ٥٧- م.

٢٥ - أذاع الإمام الخمينى على الجميع يوم ٢٢ دي ٥٧ (أى قبل إعلان تشكيل مجلس الحكم بيوم واحد بنشر بيان تشكيل "مجلس الثورة الإسلامي" ولما كان قدتم من قبل اختيار أعضاء مجلس الثورة منذ فترة وبناء على هذا ليس مقبولاً إدعاء مؤلف الكتاب بشأن " عمل المقابلة بالمثل".

٢٦ - بدأ نشر الصحف من جديد يوم ١٦ دي ٥٧ وليس ٢٣ دي- م.

٢٧ - كان ٢٩ دى ٥٧ موافقاً ليوم " الأربعاء" وقامت فيه مظاهرات عظيمة ضد حكومة بختيار وهجم رجال الأمن بأمر منه على سقوف الأهالى فى مدن نجف آباد وكرمانشاه ونهاوند ورضائيه ومسجد سليمان وقرية سبزوار، وقتلوا مئات الأشخاص- م.

٢٨ - كان الإمام الخمينى قد قال رداً على طلب كارتر "لتأييد الحكومة الشرعية لبختيار": ليس لكارتر الحق أن يعلن رأياً حول شرعية أو عدم شرعية حكومته فى إيران...، وسيعود الهدوء والاستقرار أيضاً إلى إيران عندما تكف الدول الأجنبية عن التدخل فى الأمور الداخلية لإيران..."- م.

٢٩ -إدعاء مؤلف الكتاب فيما قاله بختيار ليس مقبولاً لأن بختيار قد قال فى أول بهمن ٥٧ فى حديث صحفى:"لن أتخلي عن موقع رئاسة الوزارة" وعندما أضطر قادة الجيش إطاعة بختيار، وتولية رئاسة مجلس الأمن القومى أيضاً لرئيس الوزراء، لم يستطع احتلال مطار مهر آباد أبداً دون الحصول على إذن بختيار- م.

٣٠ - رقم ٥٠ ألف شخص رقم مبالغ فيه للغاية، وليس معروفاً بينما لم يكن نفسه في إيران، وقد أورد رقماً غير مناسب، فأى وثيقة إستند إليها، ولابأس أن نعرف أن قره باغى (آخر رئيس أركان جيش الشاه قد اعترف صراحة فى مذكراته

أنهم ".. قد أحضروا فى مظاهرات الخامس من بهمن ٥٧ عدد ٣٥ حافلة من عمال منشآت القوات الجوية فى چاه بهار إلى طهران، ليشتركوا فى مسيرة المؤيدين للدستور.....)" (حقايق درباره بحران إيران - نوشته عباس قره باغى ص ٢٦٩)- م.

٣١ - كان فتح مطار مهر اباد يوم ٩ بهمن فقط بسبب الإحتجاج الواسع للشعب والتصميم على مسيرة المليونى شخص صوب المطار، وهذا الأمر أفزع بختيار إلى درجة أنه تسبب فى رفع الحصار العسكرى للمطار- م.

٣٢ - نقل فريدون هويدا من الخطبة التاريخية للامام فى بهشت زهرا فقط هذه الجمل الثلاث، ولكنه للأسف غير الجملة الثالثة تبعاً لرغبته، وأوردها بشكل محرف، فقد قال الإمام فى كلمته بدلاً من جملة "إذا لم يستقيل بختيار سأعتقله" قال "إنه بشر وحكومته بشر، ومجلسهم بشر، وجميعهم غير شرعيين، وإذا استمروا فهم مجرمون ويجب محاكمتهم وسنحاكمهم.."- م.

٣٣ - كان فرار الشاه من مصر إلى مراكش قد تم منذ عشرة أيام قبل هذا التاريخ أى الثاني من بهمن ٥٧- م.

٣٤ - فى ذلك اليوم عندما لم يغير النظام نفسه بشكل رسمى لذا وعين المهندس بازرجان كرئيس "لحكومة الثورة المؤقتة" وليس "الحكومة المؤقتة للجمهورية الإسلامية"- م.

٣٥ - فى ترجمة الأجزاء التى نقلها المؤلف من بيانات الإمام تم الاستفادة مباشرة من النص الأصلى لخطبة وحديث الإمام الخمينى فى مراسم تقديم المهندس بازرجان- م.

٣٦ - حتى وقت تشكيل أول دورة لمجلس الشورى الإسلامى وحل مجلس الشورة (٧ خرداد ٥٩) كان هذا المجلس دائماً حالة سرية ولم يعرف تركيب أعضائه فى الغالب- م.

٣٧ - فى تلك الأيام كان بختيار يعقد يومياً مؤتمراً صحفياً لذلك فإن إشارة المؤلف إلى أن مسيرة الأهالى يوم ١٩ بهمن ٥٧ فقط هى نوع من رد الفعل لمؤتمر بختيار الصحفى، ليس مقبولاً- م.

٣٨ - ذكر فى النص الأصلى للكتاب- تاريخ هذا الاتصال الهاتفى ١٠ يناير وهو خطأ طبعاً ويجب أن يكتب ١٠ فبراير (٢١ بهمن ٥٧)- م.

٣٩ - معلوم أن ماكتب حتى الآن من قبل المؤلف والخاص بنظرة أمير عباس هويدا السياسية ليست إلا هراء.

٤٠ - يجب السؤال: مؤلفون أمثال فريدون هويدا أنى لهم أن يروا كل هذا الحماس والإيثار من أهالى طهران أيام ٢١ و ٢٢ بهمن ٥٧، ويدركوا مسألة هامة مثل سقوط نظام الشاه فقط على أنه ناجم عن إعلان حياد الجيش أو فرار بختيار؟!- م.

٤١- مسألة بقاء أمير عباس هويدا فى السجن بسبب "الشجاعة والقوة" أمر مشكوك فيه لسببين. **احدهما** أنه لو لم يسجن هويدا فى أواخر نظام الشاه لكان حماية روحه مشكلة فى الواقع ولكن استطاع في السجن أن يهيىء له أماناً كافيا، **والثانى**: طبقاً لما قاله "پرويزراجي": لم يغادر هويدا سجنه يوم ٢٢ بهمن فقط لهذا السبب، إنه كان يخشى أن يقتل على يد الأهالى الغاضبين (خد متكزار تخت طاووس- ص ٤٠٧- انتشارات اطلاعات ١٣٦٤)- م.

الفصل الخامس
الكلمة الأخيرة

الفصل الخامس

الكلمة الأخيرة

الاثنين ١٢ فبراير ١٩٧٩ (٢٣ بهمن ٥٧) طهران

بعد أن أزاح خمينى آخر جندي عن لوحة الشطرنج، استرخى وأغمض عينيه المتعبتين للحظة، وهمس "مات الملك".

رأى خميني الصراع الذي بدأ من سنة ١٩٦٠ ووصل إلى ذروته في سنة ١٩٧٨ قد أسفر الآن عن انتصاره، منذ ذلك الحين ارتبطت إيران بخمينى، ولم يستطع أحد أن يشكك في زعامته للبلاد.

صحيح أنه في ذلك الحين كان مسئول قصر الحكم قد أغلق أيضا كتاب "نحو الحضارة العظمي" تأليف محمد رضا بهلوى، ونحاه جانباً، ولما كانت مهمته لم تصل بعد إلى غايتها، فتح بدلا منه كتاب "الحكومة الاسلامية" وانشغل في قراءته.

السبت ٧ ابريل ١٩٧٩ (١٨ فروردين ١٣٥٨)طهران

استمرت المحكمة - التى كانت قد شُكلت من قبل رجال النظام الجديد - لمحاكمة أمير عباس منذ أمس بشكل سرى [١]، وخلالها لم يكن الوضع مماثلا لمحاكم التفتيش الدينية في القرون الوسطى، كان القضاة (الذين يعتبرون من أعضاء "لجنة الثورة") يخفون وجوههم وراء نقاب، وحاكموا أخى باتهامات باطلة مثل "محاربة الله" "والفساد فى الأرض" في الوقت الذي لم يكن يعرف كيفية الدفاع عن الاتهامات التى تتعلق اكثر بأمور ميتافيزيقية بدلا من القانون، وكذلك إمكانية المتهم للدفاع على نفسه. [٢]

و كما كتبت فى الأجزاء السابقة من هذا الكتاب فيما يتعلق بالمحاكمة السريعة لأخى، لم يكن يوجد قاضى حقانى ولا شاهد في محكمته، وكان منذ البداية قد قُرر إعدام أمير عباس، وقد أقلقنى قتله بعد عدة دقائق من انتهاء المحكمة لدرجة أننى

مازلت لا أستطيع أن أبعد شبحها عن نفسي، وفى الواقع لا أعرف كيف تصبح أحداث محاكمته قائمة علي أساس العدل والإنصاف؟ (٣).

خاطب أمير عباس يوم ١٥ مارس (٢٤ اسفن ٥٧) القضاه المنقبين في محكمته: نحن جميعاً كنا نعيش في نظام واحد، وأنا أعتبر نفسي مذنباً إلي حد ما وأنتم مذنبين لأنكم قبلتم جميعيا هذا النظام ......" (٤)

وفي ١٥ أبريل (١٥ أرديبهشت ٥٨) جرى على لسان مهدي بازرجان مثل هذا القول بمناسبة مقتل الجنرال "قرنى" (رئيس أركان جيش حكومته) وقال : "لا يمكن أن نعتبر القادة والجنود خونة بسبب أنهم كانوا يعملون في خدمة الشاه، لأننا جميعا - شئنا أم أبينا - قد تعاوننا مع النظام السابق"

السبت ٧ ابريل ١٩٧٩ (١٨ فروردين ١٣٥٨) جزيرة الجنة - باهاما

عندما وصل خبر مقتل أخى الي مسامع الشاه "السابق" لم يقل شيئاً مطلقاً وبدلا من رد الفعل، استمر في رياضاته المحببة مثل التنس والتزلج علي الماء والجري والجولف ومثلها التي كانت ضرورية لسلامته.

كان الشاه وأسرته يسبحون غالباً فى مياه ساحل جزيرة الجنة الدافئة ويأخذون حمام شمس على الشاطئ الفاخر من أجل أن تصبح أجسادهم برنزية، لعدة أيام، قبل أن يطلوا بوجوهم المبتسمة أمام عدسات مراسلى الصحف العالمية ليأخذوا لهم الصور.

واصل الشاه لعدة أسابيع صمته فيما يتعلق بمقتل أخى، حتي اضطر إلي كسر صمته في ٢٧ إبريل (٧ ارديهشت ٥٧) بسبب الانتقادات المتتالية للصحف الأوربية له - من أنه لماذا لم يتخذ أى خطوة لإنقاذ أمير عباس هويدا؟

وسعى لإظهار الأمور (التي ذكرتها من قبل) ليرفع الاتهام عن نفسه في هذا الخصوص (٤).

ولكن لم يصدق أحد أقوال الشاه، لأن الجميع يعرفون أنه كان الشخص المسئول الحقيقي عن كل الأعمال، وأنه سعي دائما أن يقدم نفسه علي الجميع علي أنه الشخص الوحيد صاحب القرار في أمور المملكة.

كان الشاه في وسنة ١٩٧٥ (١٣٥٤) قد قال في حديث صحفي مع "جان اوكز" (المنشور فى العدد ٣٠ في سبتمبر ١٩٧٥ في نيويورك تايمز) فيما يتعلق بمطلبه القائم بجعل إيران تحتل مكاناً بين القوى العظمي في العالم : "ستكون هذه المرة الأولي التي سيصبح فيها المستحيل ممكنا في هذه المملكة ..." مع أنه ولثلاث سنوات بعدها لم يتحقق تنبئوات الشاه ويتم إنجاز المستحيل، ولكن هذا الأمر تم، ليس بيد الشاه من أجل تنفيذ رؤياه" بل بيد خميني ويسعى الثوريين العزل في مواجهة جيش مجهز، الذين استطاعوا أن ينهوا ٢٥ قرناً من الملكية، ويقيموا فى إيران بدلا منها نظاما جمهورياً إسلامياً، وفى نظري أنه يجب أن نعتبر خطوتهم ثورة رائدة لأن أكثر الطبقات المتفرقة والمتعارضة اتحدت مجتمعة فقط تحت لواء شعارين "الله اكبر" والموت للشاه".

ولكن هنا يطرح السؤال نفسه من أي مصدر اكتسب شعب إيران كله مثل هذه الثورة الهادرة؟

يمكن القول ببساطة جداً أن هذه القوة كانت ناجمة عن الإيمان والاعتقاد المذهبي العميق للشعب، وفى النهاية يجب إمعان النظر - لماذا لم يدفع المذهب الشيعي الشعب لمثل هذا من قبل مع أنه يعد منذ القرن السادس عشر ومابعده أساساً لقوة الإيرانيين (٥)، واذا كان ما حدث مرتبط بكلام خمينى - لماذا لم يحدث مثل هذا منذ سنوات سابقة عندما دعا الناس للثورة؟. (٦)

وعلى كل حال يجب السؤال : ما السبب الذي كان له الأثر في إثارة الشعب؟ الجبهة الوطنية المؤيدة لمصدق ؟ أم المثقفون المرتبطون باليمين واليسار؟ ... ولكن الحقيقة أنها لم تشكل إلا جماعة أقلية فى المجتمع.

لعل أعمال الشركات البترولية التي أرادت بهذه الوسيلة أن تعبر عن سخطها لسياسة الشاه ؟ ... ولكن يجب معرفة أن قدرتها محدودة، وعلي كل حال لم يكن الشاه يرفض دائما المساهمة في تأمين البترول الذي تحتاجه الشركات البترولية (٧).

كان أحيانا يسمع أن نفوذ الأجانب كان مؤثراً فيما حدث ومن جملة ذلك؛ كان الشاه يتشاور تقريباً يومياً مع سفراء انجلترا وأمريكا؛ كان الفلسطينيون يدربون جماعات فدائية إيرانية؛ كانت إذاعة "بيك إيران" (التي كانت تذيع من إحدى دول أوربا الشرقية) مشغولة دائما بانتقاد الشاه؛ كما كان نيكسون قد هيأ الشاه لينفق جميع ثروة المملكة على شراء الأسلحة.

ذهب البعض إلي أبعد من هذا، مثلا أشخاص مثل "روبرت دريفوس ورفاقه في مقالاتهم في مجلة "اكسكيوتيو اينتليجنس ريويو" (طبعة لندن - أعداد ٢٠ فبراير و ٨ مايو ١٩٧٩) اعتبروا الثورة الإسلامية مرحلة تمهيدية لـ "مؤامرة كبرى" لم يكن لها من هدف إلا ضرب الاستقرار في المنطقة وتجزئة الدول التي تشكلها، حتي يمكن فيما بعد أن يظهروا رغبتهم في حدود جديدة لبلادهم.

بناء علي النظرية الموضحة في هذه المجلة أن تنفيذ هذا المخطط السري المذكور في إيران يتولي تنفيذه أشخاص مثل : يزدى وقطب زاده وبنى صدر وامير انتظام، وكتبت خاصة عن يزدى أنه تابع لأمريكا وأنه كان دائم الاتصال مع "ريتشارد كاتم" (استاذ العلوم السياسية بجامعة بطرسبرج).

كتاب هذا المقال يعتقدون بأن يتولي الدور الأصلى في هذه المؤامرة بدلاً من الحكومات العربية منظمة سرية "اخوان" [٨] التى اختارت "الأصولية الاسلامية" كسلاح قوي لإقرار الوضع المطلوب لها، حتي تستطيع أن تقرر البرامج التى تريدها في دول العالم الثالث، ولهذا السبب اختارت إيران كأول مكان لتنفيذ المؤامرة لما لها من ظروف مواتية، وبعد إيران سيقومون بمثل هذا التصرف في سائر دول المنطقة أيضا عن قريب.

يقال إن وجة نظر كُتاب المقال وجدت بعد فترة قصيرة داخل إيران شواهد دالة على صحتها، علي سبيل المثال، عندما أخفي آية الله طالقاني نفسه في يوم ١٧ مايو ١٩٧٩ (٢٧ ارديبهشت ٥٨) بعد القبض علي ابنه على يد "اللجنة" توالي شيوع شائعات عجيبة وغريبة أيضا، والتي من جملتها قالوا : عندما دخل الفلسطينيون سفارة اسرائيل في طهران لاحتلالها، وجدوا وثائق هناك تثبت أن يزدى وقطب زاده وآخرين من أتباع خميني يرتبطون بالمنظمات الجاسوسية الأجنبية، وعندما وقعت هذه الوثائق في يد ابن طالقاني، أقدمت "اللجنة" التى علمت بما حدث بالقبض عليه، وأخرجت الوثائق من يده(١٠).

مع أن كل هذا الذي ذكرته ليس أكثر من شائعات، ولكن بالنظر إلي الأحداث العالمية اليوم يمكن أن توجد مجالات تثبت صحتها.

علي سبيل المثال : أخيرا أقلع الاقتصاديون الغربيون فجأة عن نظرياتهم المشهورة وبلوغ النهاية للنظريات السابقة فى مجال "يتحدثون عن التطور وفي رأيهم أن دول العالم الثالث يجب أن تتوجه للإقتصاد الزراعي ؛ لأنها عن هذا الطريق ستزيد من إنتاج المواد الغذائية، وتستغل الطاقة البشرية أكثر".

ولكن هذه النظرية تجعل الخبراء يثقون أن الدول الفقيرة إذا اهتمت بالتطور فإنها لن تستطيع مطلقاً أن توفر ما يحتاج إليه الشعب من غذاء، والدليل على ذلك أيضا أن التوسل بالنظرية المعروفة "بالثورة الخضراء" التى كانت تثار فى أوقات الآمال العريضة، ليس لديها القدرة اللازمة لحل مشاكل الدول المتجهة نحو التطور وطبقا لما ورد عن إيران أنها بسبب نقص المياه والأرض الصالحة للزراعة فلا يمكن أبداً أن تكفي البلاد نفسها من الإنتاج الزراعي (!) ويجب قبول هذه الحقيقة مضطرين، لأنه علي الرغم من أن الشاه ارتكب أخطاء كثيرة ولكن رأية في مجال تصنيع البلاد كان صحيحاً (!) ولا يجب أن نبعد هذه المسألة عن نظرنا لأنها عندما ينتهي احتياطى

البلاد من النفط دون تصدير منتجات صناعية، فكيف يمكن توفير غذاء ولباس ما يحتاجه ٦٠ مليون إيران ليعبروا إلي الألف الثالثة [١١].

علي كل حال من ذا الذي يقبل أو لا يقبل الشائعات الخاصة بالتدخل الأجنبي في حوادث البلاد ؟ في هذه المسألة لا يمكن الشك أن الشاه كان قد لعب دوراً رئيسياً في قلب سلطنته، وعند قبولنا هذه الحقيقة، إذا أردنا أن نعرف الأسباب الخارجية المؤدية لسقوط الشاه، فلابد أن نصدق أن جميع حركات وسكنات الشاه كانت توجه من الشائعات قبل الأجانب عن بعد !

ولكن من الشائعات والأقوال السابقة، فان وقوع الثورة في إيران كان واقعاً لا يمكن تجنبه، طالما أن الشاه طوال السنتين الأخيرتين لحكمة كان يستهين بقوانين وقيم المجتمع خاصة في العادات والتقاليد والأصول الشعبية لدرجة أنه أحياناً كان يسخر منها.

علي الرغم من أن الشاه كان يدعي أنه في الفترة ما بين سنوات ١٩٦٥ حتى ١٩٧٧ قد حقق أشياءً ملموسة ولكن الطبقات الدنيا من الشعب لم تستطع أبداً أن تمنح خطوات الشاه القيمة التي كانت في رأس الشاه، وكان يمنح أصدقائه والمقربين إليه حرية لدرجة انهم خصوا أنفسهم بكل بساطة بجميع شئون تجارة البلاد ، وكان فكرهم فقط فى ملء جيوبهم، وفي هذا الصدد حتي الطبقات المرفهة أيضا كانت تنتقد في الغالب سلوك الشاه ومواقفه السياسة علانية، واستمرار الوضع الي درجة أن امتداد ظل الدكتاتورية علي جميع شئون المجتمع، وغض البصر هذه النقطة التي يمكن أن تبين بوضوح السبب الرئيسى للنفور العام للإيرانيين من الشاه في سنة ١٩٧٨.

ولكن مع هذا وبعد سقوط نظام الشاه . أليس هناك احتمال علي الرغم من وجود عنوان اسم "الله" من قبل هؤلاء الذين لدى كل واحد منهم حل للمشاكل الاقتصادية والقضائية والسياسية للبلاد - من أن نشاهد ثانية انحراف شئون البلاد عن

سياستها الواقعية ؟ ... في هذا الصدد لم ننس بعد أنه بعد ثورة رجال الدين والشعب ضد استبداد القاجارية في أوائل القرن الحالي رأت الأمة الإيرانية بدلا من تحقيق هدف الثورة وكان الحصول على حكومة برلمانية - أن يكون عليها الديكتاتور رضا شاه، ومن الواجب هنا أن نسأل أنفسنا، هل العودة إلى الإصول الإسلامية يمكن في الواقع أن يوصل الشعب إلى الحرية التي يريدها ؟ (١٢).

ربما لا يمكن الإجابة في الوقت الحاضر علي هذا السؤال، ولكن المجادلة التي تجرى الآن بين رؤساء الحكومة تنبيء بمسائل أخرى (١٣).

التفكير في مثل هذه المسائل التى تشغل فكري وتجعلني أسأل نفسى ألم يكن من الأفضل أن يغادر الشاه إيران في نفس سنة ١٩٥٣ (١٣٣٢) ولا يعود إليها ثانية؟ وهل أخر انقلاب السى آى ايه تقدم البلاد ؟.

مع أن هذا القول كان يجري علي الألسنة من أنه لو لم يقم السى آي ايه بالانقلاب، لسقطت إيران في يد الشيوعية، ولكن المسألة هنا هي هل إيران في الواقع كانت معرضة لتهديد الشيوعيين؟ ... مسلماً لم يكن كذلك، ولما كان الروس في ذلك الوقت قد نجحوا ولأول مرة من تجربة قنبلتهم الذرية، ولكن أمريكا كان لديها اهتمام بالقنبلة الذرية والحوادث بعد الحرب العالمية الثانية تبرهن علي أن الروس يسعون دائما في مواجهة أمريكا ويقومون بعمل أعمال وقائية، فلما استدعي ستالين سنة ١٩٤٥ (١٩٤٦) الجيش الروسي من آذربيجان بناء علي طلب ترومان؛ وبعدها سحب خروشوف صواريخه من كوبا بعد إنذار كيندى، وهنا يذكر الأعضاء المنشقين عن حزب توده أن زعيم الحزب كان قد اعتقلهم جميعاً تحت ضغط روسيا بحجة المقاومة المسلحة في مواجهة انقلاب السى آى ايه.

استطاع انقلاب سنة ١٩٥٣ فقط أن يؤخر لفترة "تصفية" حساب الشاه لأنه بعد مرور ٢٥ سنة علي عودته منتصراً إلي بلده رضى الشاه مرة أخري النفى الإجباري،

ولكن هذه المرة كان بلا كرامة ولا شرف، وترك أقرب المقربين إليه فى قبضة أعدائه وهرب،إنه، كربان يتولي قيادة سفينة، تخلص من المسافرين في الطوفان ونجا بنفسه.

كان لمحمد رضا شاه مصير عجيب، ففي الوقت الذي استطاع فيه أن يهزم ثورة في خارج حدود إيران (ظفار) حاصرته الثورة في داخل حدود بلاده، وبدا كمن هو في طوفان من غضب الشعب لُفظ في الهواء ......، إنه كان كصانع فخار يشرب الماء من إناء مكسور !

حاشية الفصل الخامس

(١) خلافا لرأى المؤلف، كانت محكمة الثورة التى بدأت بعد ظهر يوم السبت ١٨ فروردين ٥٨ محاكمة أمير عباس هويدا - بعد توقف بضع وعشرين يوما (عقب إعلان الراحة يوم ٢٤ اسفند ٥٧) علانية، وبناء علي الفيلم (الذي اذيع من التلفزيون) والصور العديدة في المحكمة وفى الصحف المختلفة ذلك الوقت (خاصة صحيفة إطلاعات بتاريخ فروردين ٥٨) ومع وجود ٥٠ شخصا علي الأقل لمشاهدة وكتابة جميع أسئلة وإجابات المحكمة في الصحف لا يمكن مطلقا أن تتم فى محكمة سرية -م

(٢) غير معلوم حقا أن المؤلف كان لا يعرف الي هذه الدرجة، مع أنه اتهم نفسه عمداً بالجهل، وأنه لم يكن يعرف المقصود من "محاربة الله والفساد في الأرض" وإنها ارتكاب لأعمال مخالفة للقوانين الإسلامية وتقوية العداء للإسلام، والترغيب فى الطاغوتية وتأييد المظاهر الشيطانية- م.

(٣) هل هناك عدالة وإنصاف أفضل من أن يُسمح لأمير عباس هويدا بعد ١٢ سنة وزيادة مشاركاً للشاه في الجرائم والمفاسد - حتى يقول ما يريد في محكمة ثورية خلال محاكمته (فهل عرف مؤلف الكتاب .وهو أهل معرفة أيضا - ثورة أخري في العالم فعلت مثل هذا ؟) ولكن أمير عباس هويدا الذي كان يفتخر كثيرا بأنه "منفذ الأوامر الشاهنشاهية" (أو بقوله في جلسه المحكمة : منفذ أهداف النظام) لم يكن لديه شجاعة حتي بقول نفس هذا الكلام الذي قاله يوم ٢١ بهمن ٥٧ هاتفياً لأخيه (مؤلف الكتاب)، من أن يكرر في جلسة المحكمة أيضا ويقول صراحة : "الآن أدرك أنني كنت قد حكمت خطأ على الشاه" .. (صفحة ٢١٢) -م

(٤) جاءت هذه الأمور التي ذكرها هويدا عن الشاه في صفحة ١٧٤ في نفس الكتاب - م.

(٥) بعد الثورة ضد معاهدة "ري" حول تحريم الطباق، وثورة دستور إيران وثورة تأميم البترول وثورة ١٥ خرداد ، ٤ نماذج قيمة من تجلي قدرة إيمان الشعب فى الثورة ضد الاستبداد والاستعمار والاستغلال -م.

(٦) **أولا** : حدثت ثورة ١٥ خرداد ٤٢ في أوائل دعوة الإمام الخمينى، **ثانيا** : كان من الأفضل لمؤلف الكتاب أن يعرف حداً أدني من المعلومات المختصرة حول "تعريف الثورة" وبعدها يبدى رأيه حول مسائل "الثورة"، وكما هو مشهود، في ظنه أن المراحل الطويلة والصعبة يجب أن تحدث فقط فى ظرف يوم أو يومين للإتيان بثمرة الثورة! ولا لزوم لمرور عصر لعدة سنوات من أجل زيادة معرفة عامة الشعب خلال مراحل صهر الثورة - م

(٧) لم يحدد مؤلف الكتاب عن أي سياسة كانت الشركات البترولية غير راضية عن الشاه؟ هل لعدم مشاركة الشاه في المقاطعة البترولية سنة ٥٢؟ أم لاسترداد ناتج بيع البترول لجيب الدول الغربية ؟ أم لزيادة سعر البترول من ٤ دولار إلي ١٢ دولار ؟ (لأنه يجب أن نعرف أنه فيما يتعلق برفع سعر البترول الذى أرادته الشركات البترولية ونفذته أمريكا على يد الشاه) - م

(٨) *Brother hood*

(٩) ما حدث من القبض على ابن حضرة آية الله طالقانى ومغادرته طهران على يدهم حدث فى أيام أول ارديبهشت ٥٨ وليس فى ٢٧ أرديبهشت.

(١٠) قدم د. إبراهيم يزدي فى رسالته المؤرخة في ٦٤/١١/٩ لمترجم الكتاب (الذي سبق الإشارة إليها في صفحة ١٩٢) ما يتعلق بالمسائل التي ذكرها فريدون هويدا في شأنهما، توضيحات علي النحو التالي :

.. الموضوع الآخر في صفحة ١٥٥من النص الإنجليزي "سقوط الشاه"الذي فيه أمران غيرصحيحين ؛**أولهما**. ذكر أنني عضو في جمعية "الإخوان المسلمين" وهو لا أساس له، وكذلك يطرح أموراً أخري وينسبها لنا وهو قول كاذب وافتراء ولا ينبغي أصلاً ترجمتها في صحيفة.

ثانيها : ما كان مرتبطا باعتقال ابن المرحوم آية الله مجاهد نستوه الطالقانى لكشف وثائق في سفارة فلسطين في طهران والتي هى شائعات لا أساس لها، اعتقال ابن المرحوم طالقاني **أولا** تم دون تدخل أو علم من الحكومة ،ولا أنا؛ علي يد جماعة خاصة، **ثانيا** : بموجب توضيحات السيد المهندس "غرضي" (أحد أعضاء هذه الجماعة) أنه في نفس الليلة وفي منزل المرحوم طالقانى في حضور الحاضرين في المجلس كان قد اعتقله على يد هذه الجماعة لأحداث داخلية في منظمة مجاهدي خلق فى سنة ١٣٥٤ وما بعدها. وموت - أو من المحتمل قتل - أحد كوادر هذه المنظمة في الشرق الأوسط بعلة استقامته للحفاظ على هويته الإسلامية وقد أعتبره المعتقلون عنصرا أو شريكا في هذا القتل.

(١١) وقع المؤلف عن علم أو جهل تحت تأثير الدعايات الواسعة للشركات المتعددة الجنسيات للحبوب (التى تشتهر "بالانتاج الكبير للغلال") التي رفعت جميعا شعار "عدم إمكانية تحقيق الكفاية الزراعية في دول مثل إيران ونفس هذه السياسة التي جرت وتجري في دول تحت سلطة أمريكا لتخريب الزراعة والترغيب للإقامة فى المدن وطلب الرفاهية - وباصطلاحهم - التوجه نحو اقتصاد الصناعة!، ولما كان من الطبيعيإاذا بدل شعار "الزراعة محور الاستقلال "بـ" الصناعة محور الاستقلال في دول مثل إيران فان الشاه على هذا النحو اراد ألا يكون هناك إلا تأسيس لمصانع لتركيب صناعات الغرب (لإفادة الشركات الصناعية المتعددة الجنسيات من العمالة الرخيصة، ومنع الأخطار الناجمة عن الاضرابات العمالية

خاصة) وليس لمثل هذا الوضع من نتيجة إلا الارتباط الكامل بالغرب وتفريغ الأمة من الهوية الثقافية والارتقاء في أحضان القوي الصناعية وبعبارة أخري إذا كفت دول العالم الثالث يدها عن اقتصاد الزراعة فإنها ستتحول إلي اسطوانة مفرغة يكون قوتها وضعفها فقط في يد القوى العظمى..حقيقة التوجه نحو التصنيع مفيد جداً ولكن بشرط ألا يكون مجرد مونتاج، ونستفيد من امكانياتنا وموادنا وعقولنا من أجل الإنتاج الصناعي.

(١٢) حدث أن أحد أسباب هزيمة ثورة الدستور وظهور ديكتاتورية رضاخان أن شعب إيران بعد أن دفع استبداد القاجار لم يستطع أن يقر القوانين الإسلامية، وظن أن حكومة الدستور غير المشروعة يمكن أن تخلصه من قبضة الاستعباد -م

(١٣) لما كان هذا الكتاب قد طبع فى النصف الأول من سنة ١٣٥٨، مما أدي إلي ظهور مثل هذه التوهمات عند المؤلف، بسبب الأمور الناجمة عن الجماعات السياسية المختلفة المطالبة بالسلطة بعد الثورة، مع الجدال والصراع بين طلاب السلطة والمنافقين منتهزي الفرص -م

مراجع الترجمة العربية

١ - الإسلام وإيران - تأليف الشهيد آية الله مرتضى المطهرى ترجمة محمد هادى اليوسفى - ٣ مجلدات طهران ١٩٨٥.

٢ - إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية طلال مجذوب -بيروت ١٩٨٠.

٣ - إيران اليوم ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م وزارة الارشاد الاسلامى طهران.

٤ - به سوى تمدن بزرگ - محمد رضا شاه - وزارت إطلاعات تهران ١٩٧٤.

٥ - پاسخ به تاريخ نوشتهء محمد رضا پهلوى ترجمهء دكتر حسين ابو ترابيان - چاپ دوم - تهران ١٣٧١ هـ ش.

٦ - پشت پردهء تخت طاووس - مينو صميمى ترجمهء دكتر حسين أبو ترابيان - انتشارات إطلاعات - چاپ سوم ١٣٦٩ هـ.ش.

٧ - تاريخ اجتماعي وسياسى إيران - دوره معاصر - سعيد نفيسى چاپ ششم ١٣٦٦ هـ ش

٨ - تاريخ بيدارى إيرانيان - ناظم الإسلام كرمانى به اهتمام على اكبر سعيدى سيرجانى - چاپ چهارم -تهران ١٣٦٢ هـ.ش

٩ - تاريخ مختصر أحزاب سياسى إيران - ملك الشعراء بهار مؤسسهء انتشارات أمير كبير - دوجلد تهران ١٣٦٣ هـ.ش.

١٠ - الثورة الإسلامية - السيد زهرة - مركز دراسات الأهرام القاهرة.

١١ - الثورة الإيرانية - الصراع الملحمة النصر - د. إبراهيم الدسوقى شتا - القاهرة الطبعة الأولي ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٢ - الثورة الإيرانية - محمود النجار - أبو ظبى ١٩٨٠.

١٣ - الثورة الإيرانية واحتمالات الخطر فى الخليج - محمود النجار- ابو ظبى ١٩٨٠

١٤ - جستارهايى از تاريخ معاصر إيران - ظهور وسقوط سلطنت پهلوى - بيوست ويراستار - مؤسسة مطالعات وپژوهشهاى سياسى طهران ١٩٧٠

١٥ - حالا خودم حرف مى زنم - ثريا اسفنديارى - ترجمهء معصومه عامرى - بهارستان - تهران ١٣٥٨.

١٦ - حياتى فى الف يوم - فرح ديبا - ترجمة منى رجب القاهرة ١٩٨٣

١٧ - خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست - ظهور وسقوط سلطنت پهلوى - مؤسسهء مطالعات وپژوهشاى سياسى تهران ١٣٧٠ هـ.ش.

١٨ - خاطرات نصر الله انتظام - شهريور ١٣٢٠ ازديدگاه دربار - دفتر پژوهش وانتشارات بكوشش محمد رضا عباس - بهروز طيرانى - چاپ دوم ١٣٧١ هـ.ش

١٩ - خاطرات وخطرات مهدى قلى هدايت - مخبر السلطنة - چاپ چهارم - تهران - زوار ١٣٦٣ هـ.ش

٢٠ - خدمتگراز تخت طاووس - پرويز راجى - انتشارات إطلاعات تهران ١٣٦٤ هـ.ش

٢١ - دائرة المعارف - اطلاعات عمومى - تأليف مهرداد مهرين چاپ اول ١٣٦٢ هـ.ش

٢٢ - دائرة المعارف تلاش - إطلاعات عمومى - چاپ جديد تهيه وتدوين تقى كاغذچى تبريز.

٢٣ - در آخرين روزهاى رضا شاه - ريچارد أ. استيوارت ترجمهء عبد الرضا هو شنگ مهدى كاوه بيات تهران ١٣٧٠ هـ.ش چاپ سوم

٢٤ - رحلة الشاه الأخيرة - وليام شاوكروس - ترجمة إبراهيم مرعى أبوظبى.

٢٥ - رسالهء نوين - مجلدات جهارگانه - شامل مسائل عبادى - اقتصادى - خانواده - شياسى وحقوقى - إمام خمينى چاپ جهاردهم ١٣٦٧ هـ.ش / دفترنشر فرهنگ اسلامى

٢٦ - زندگى پرماجراى رضا شاه - إسكندر دلدم - دوجلد تهران ١٣٧١ هـ.ش

٢٧ - شاه وكارتر نوشته : مايكل لدين ووليام لويس ترجمة مهدى افشار همراه باآخرين مصاحبه شاه بس از سقوط - چاپ اول ١٣٧٠ هـ.ش

٢٨ - الشعر النسائى فى إيران فى ظل الثورة الإسلامية د. أحمد الشاذلى القاهرة ١٩٩٠.

٢٩ - شكست شاهانه - ملاحظات درباره سقوط شاه - ماروين رونيس ترجمة إسماعيل زند بتول سعيدى - نشر نور.

٣٠ - الصراع العراقى الفارسى - د. عماد عبد السلام رؤوف وآخرون بغداد ١٩٨٣

٣١ - عبرات وعبارات - المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية - بيروت ١٩٩٠.

٣٢ - العودة إلى الذات - على شريعتى ترجمة د. إبراهيم شتا - القاهرة ١٩٨٦

٣٣ - كژ راهه - خاطراتى ازتاريخ حزب توده - إحسان طبرى - تهران ١٣٦٦ هـ.ش

٣٤ - كيهان - روزنامه شماره ٣٦٦ هـ. ش ٢٤ مرداد ١٣٧٠

٣٥ - النشرة الاستراتيجية - مركز العالم الثالث للدراسات والنشر - لندن العدد ٢٣ لسنة ١٩٨٠.

٣٦ - نيمروز - روزنامه - چاپ لندن - شماره هاى مختلف (١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٧ - ١٦٨ - ١٨٩ - ١٤٤٠)

٣٧ - وثائق عن الصراع العراق الفارسي - مازن عبد المجيد السامرائي - بغداد ١٩٨٧.

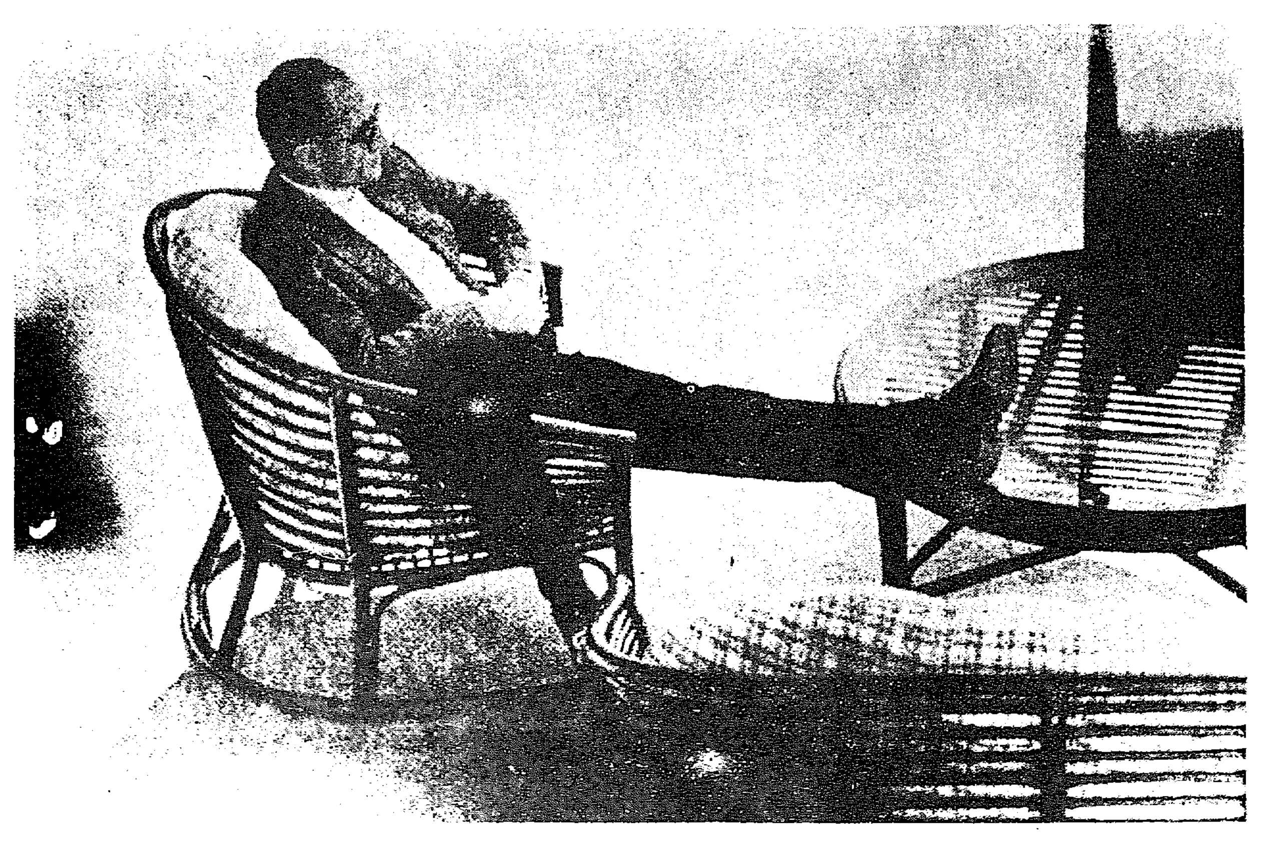
٣٨ - Faces In The Mirror, Ashraf Pahlavi, Memoirs from The Exile - Engle Wood Cliffs - IV - J - 1980.

٣٩ - In The Service of The Peacoct Throne The Diarier of The - Shah's Last Ambassador to London - London 1983.

٤٠ - Helms, Cynthia, An Ambassdor's Wife in Iran - New York. - Dodd Mead 1981.

المحتويات

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٩٩٣/١١٥٣٣
رقم الإيداع الدولى
I. S. B. N
977 - 5533 - 01 - 5



شاه در مراکش به چه می‌اندیشد؟...
همانروزها نتیجهٔ رفراندوم ملت ایران رژیم شاهنشاهی را در زیر خاکستر
تاریخ دفن کرد.

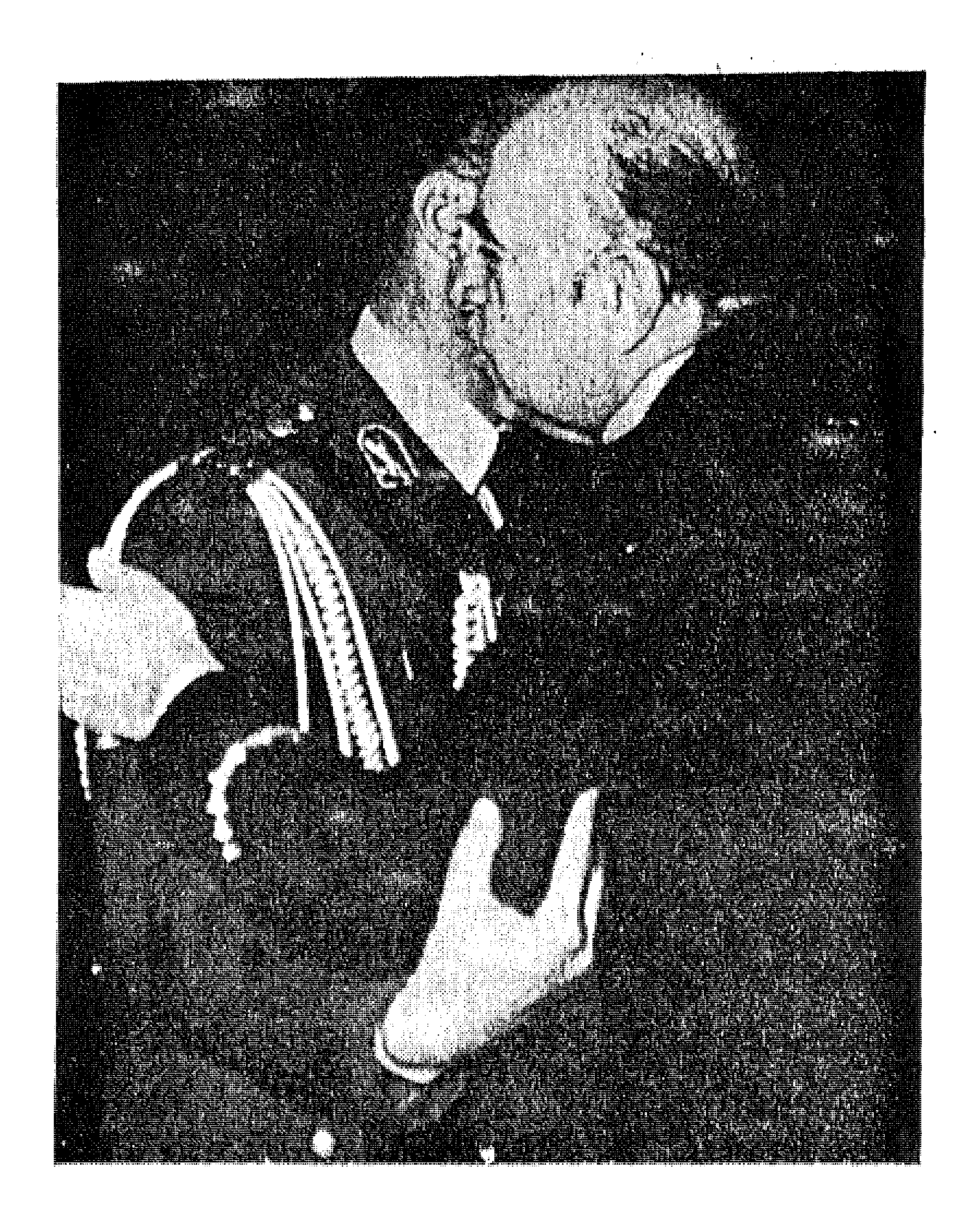


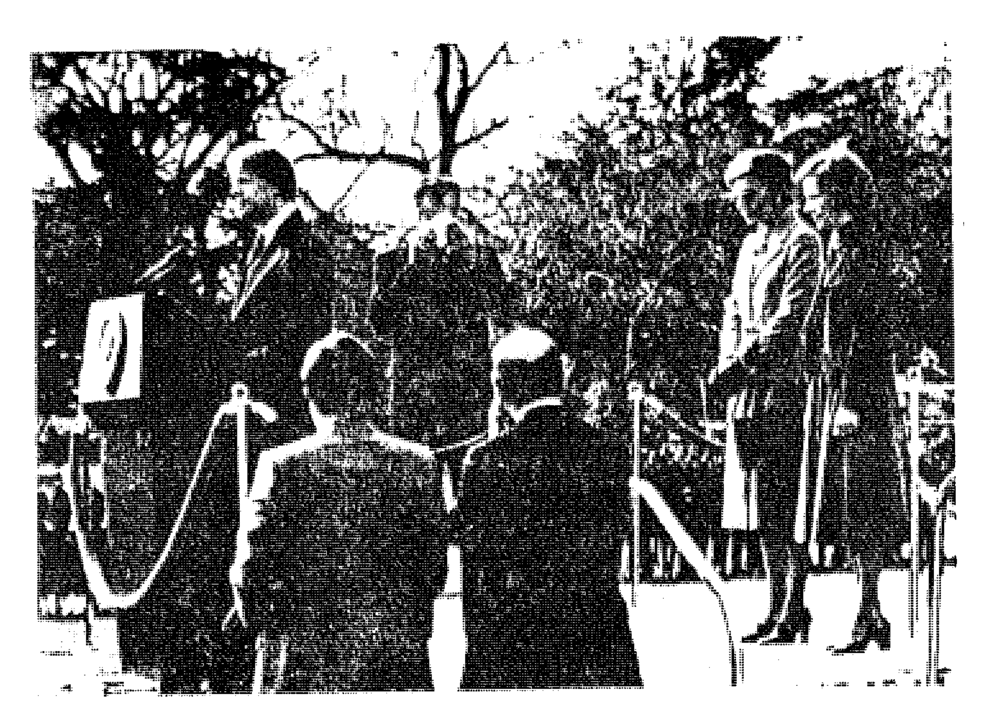
۲۵ تیر ۱۳۵۹
شاه در قاهره ده روز قبل از مرگ (او حدود سه ماه قبل آخرین فصل
کتاب پاسخ به تاریخ را نوشته بود).



نمایندگان ایران در کنفرانس «سنتو» در لندن

از چپ به راست: سپهبد نادر باتمانقلیج، ارتشبد عبدالحسین حجازی (رئیس ستاد ارتش)، **سرلشکر حسن طوفانیان، سرتیپ هوشنگ حاتم**





خودکرده را تدبیر نیست...
گاز اشک‌آور پلیس امریکا علیه مخالفین شاه، خود شاه را به گریه درآورد
(مراسم استقبال کارتر از شاه در مقابل کاخ سفید).



چند ثانیه بعد شاه و فرح و کارتر و رزالین جامهای مشروبشان را به سلامتی یکدیگر نوشیدند.
(شب بیستم محرم‌الحرام سال ۱۳۵۶ شمسی — تهران کاخ نیاوران)



فاطمه پهلوی



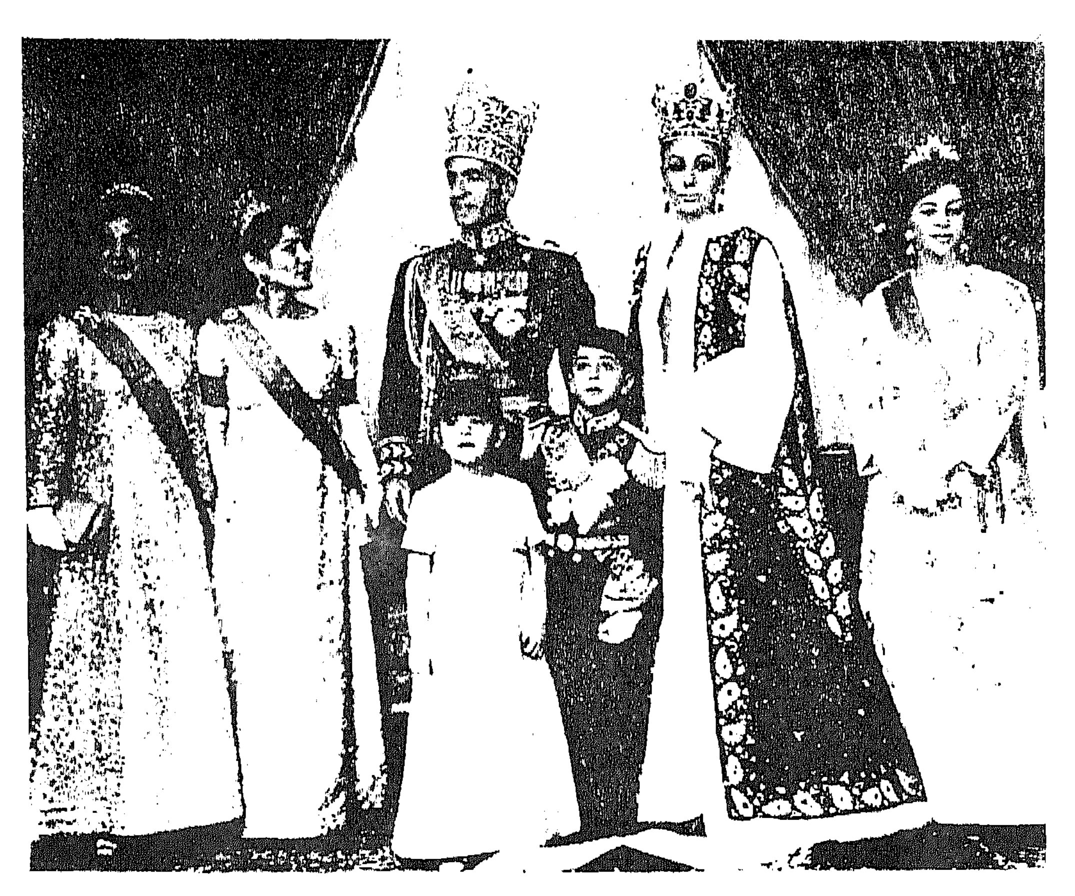
تاج‌الملوک (مادر محمدرضا ـ اشرف و شمس)

سپهبد فضل‌الله زاهدی و اسدالله علم

امیرعباس هویدا (روزهای انقلاب ـ بازداشتگاه)



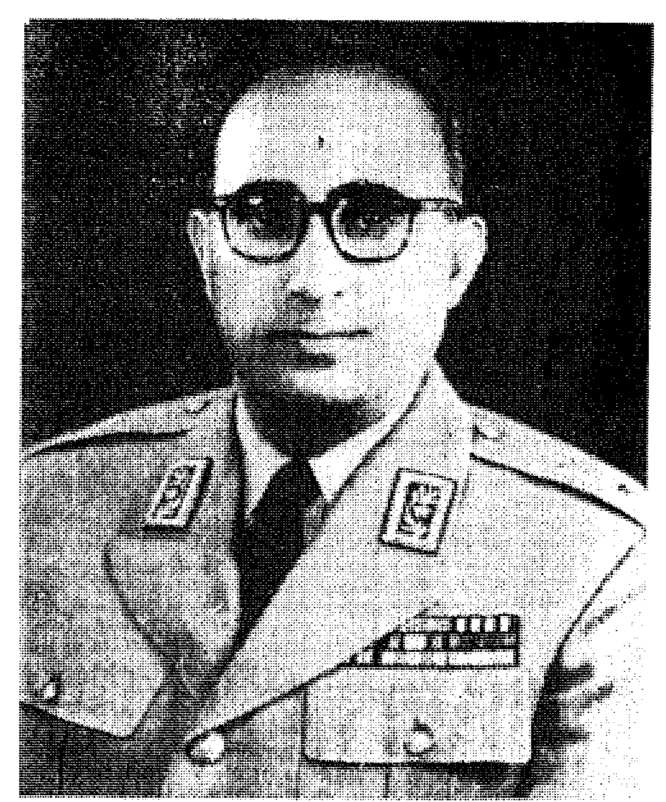
دکتر الکساندر آقایان



خانواده سلطنتی پس از مراسم تاجگذاری. شاه (روی یک سکو)، شهبانو فرح، وارث رسمی‌اش رضا دوم، و دخترشان شاهدخت فرحناز. در سمت راست شاه دخترش شاهدخت شهناز و خواهر دوقلویش شاهدخت اشرف و در سمت چپ شهبانو، شاهدخت شمس [illegible] ۱۹۶۷/ ۴ آبان ۱۳۴۶).



عیادت شاه و پرزیدنت انورسادات در مصر. شاه رنجور و بیمار به نظر می‌رسد. ۱۹ ژانویه ۱۹۷۹ (۲۹ دی ۱۳۵۷).



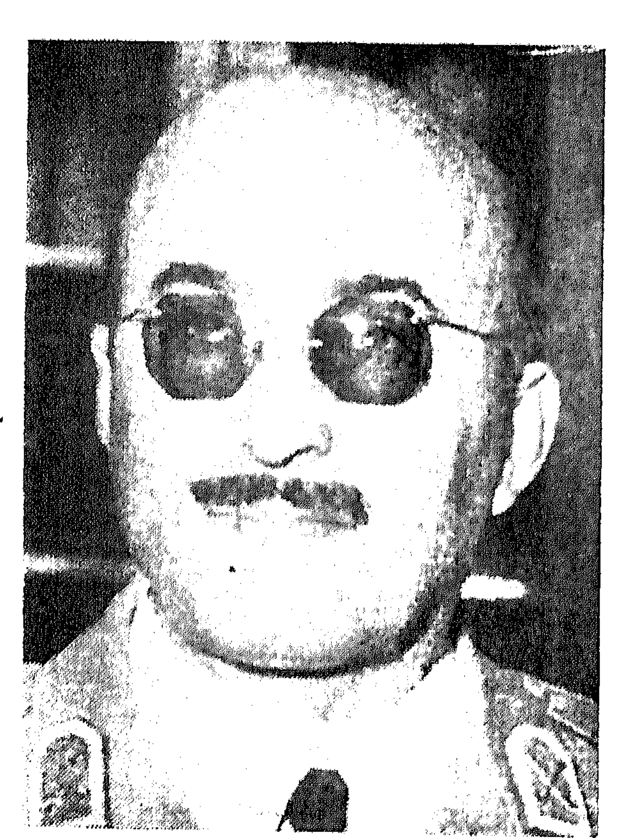
سرلشکر علی معتضد



سرلشکر منصور قدر



سرلشکر عبدالعلی ماهوتیان



سرلشکر عبداله



خانواده سلطنتی -شاه و همسرش ملکه فوزیه، و شاهدخت شهناز متولد ۱۹۴۰ (۱۳۱۹).



احمد شفيق



ارتشبد فریدون جم



ارتشبد غلامعلی اویسی



امیراسدالله علم

سپهبد زاهدی، اردشیر زاهدی و شهناز پهلوی

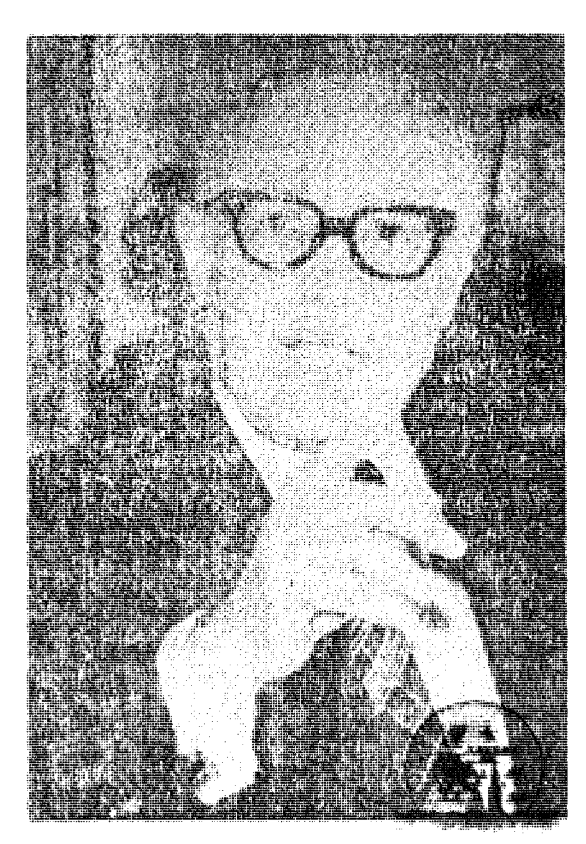




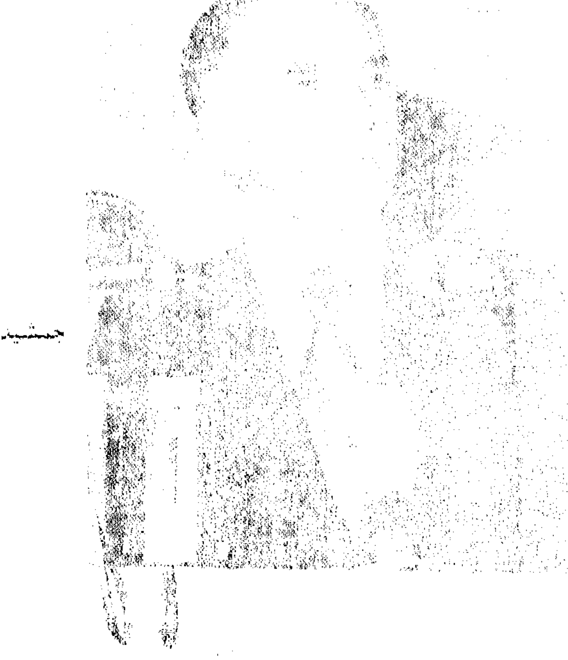
اشرف پهلوی



شاه، با چشم گریان، قبل از سوار شدن به هواپیما به مقصد مصر و تبعید در نتیجه انقلابی مردمی که خواستار عزل و مرگ بوست، ۱۶ ژانویه ۱۹۷۹ (۲۶ دی ۱۳۵۷).



جعفر شریف امامی



جمشید آموزگار